



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



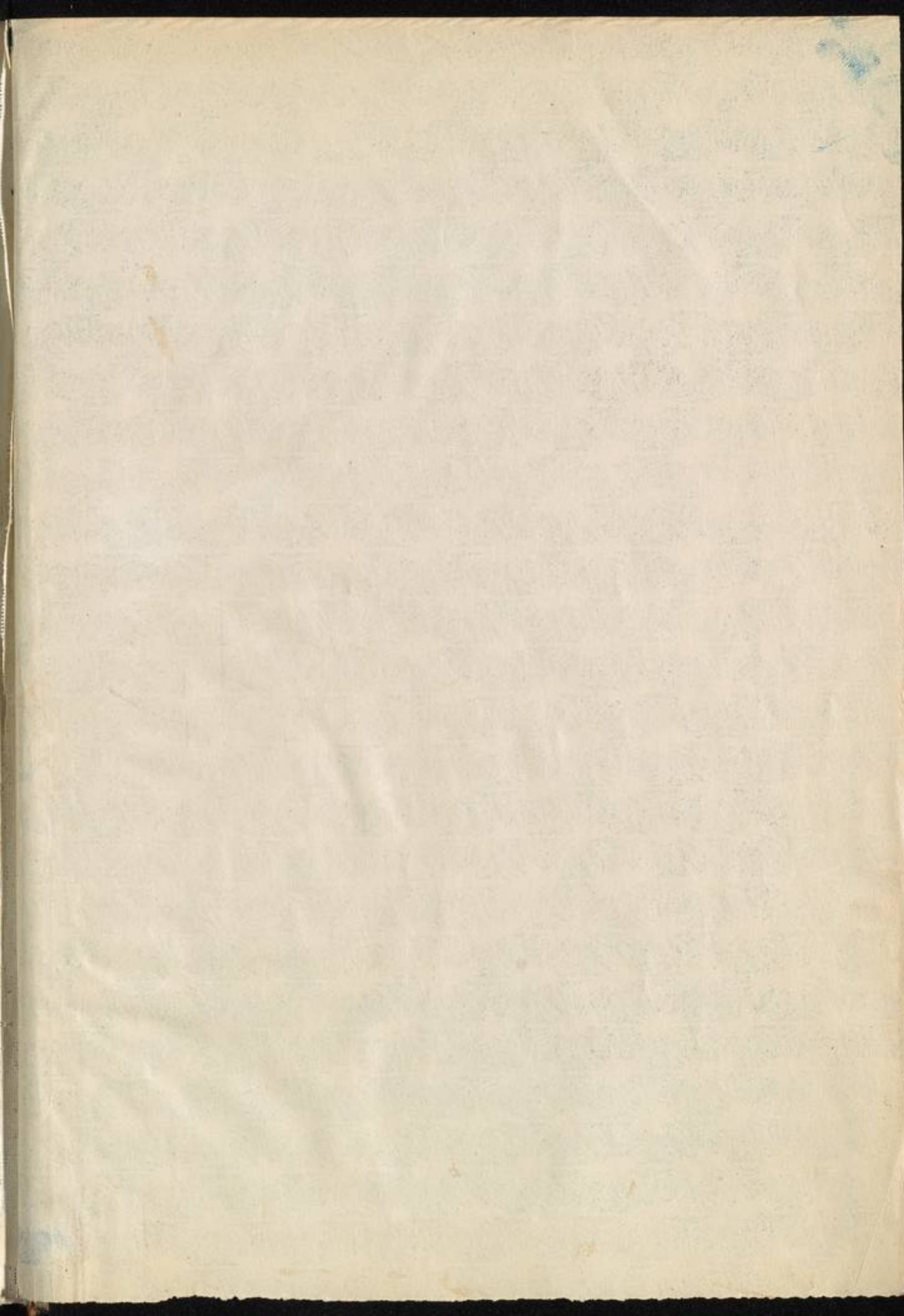
W. Arthur Jeffery



W. Arthur Jeffery

William Jeffery

Jan. 1937.



لا سوز کعب عنای عامر

کتاب التَّسْهِينِ إِلَى

لِعِلْمِ التَّنْزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن عيسى الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى: سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي ببيروت
بصاحبها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى ببيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزي الكلبى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، بحرمة النبي الأواه : الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، هو الذى أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولى الألباب ، وأودعه من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة : غاية الحكمة وفصل الخطاب ؛ وخصه من الخصائص العلية ، واللطائف الخفية ، والدلائل الجلية ، والأسرار الربانية ، العجب بكل عجب عجاب ؛ وجعله فى الطبقة العليا من البيان ، حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ؛ ويسر حفظه فى الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الأحقاب ؛ وجعله قولا فصلا ، وحكما عدلا ، وآية بادية ، ومعجزة باقية : يشاهدها من شهد الوحي ومن غاب ؛ وتقوم بها الحججة للؤمن الأواب ، والحجة على الكافر المرتاب ؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وعلم من شعائر الإسلام ، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر ، والبشارة بالثواب ، والنذارة بالعقاب ، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته ، واصطفاهم من عباده ، وأورثهم الجنة وحسن المسآب . فسبحان مولانا الكريم الذى خصنا بكتابه ، وشرفنا بخطابه ، فياله من نعمة سابقة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفية حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفيق لإلابة الله ، هوربى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه متاب . وصلاة الله وسلامه ، ونحياته وبركاته وإكرامه ، على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وبالآيات والذكر الحكيم ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وبذل جهده فى الحرص على نجاته العباد ، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحججة ، ولاحت المحجة ، وتبين الرشيد من النقي ، وظهر طريق الحق والصواب ، وانقضت ظلمات الشك والارتباب . ذلك : سيدنا ومولانا محمد النبي الأمى ، القرشى الهاشمى ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أظهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذى أیده الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، والسيوف الباترة الغضاب ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة ، وجعله قائداً لآثر المحجلين والوجوه الناضرة ، فهو أول من يشفع يوم الحساب ، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الأكرمين ، خير أهل وأصحاب ، صلاة زاكية نامية ، لا يحصر مقدارها العذ والحساب ، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها السنة البلغاء ولا أقلام الكتاب .

أما بعد ؛ فإن علم القرآن العظيم : هو أرفع العلوم قدرا . وأجلها خطرا ، وأعظمها أجرا ، وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم على بأن شغلنى بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطلعت

على ما صنّف العلماء رضى الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فمنهم من آثر الاختصار ، ومنهم من طوّل حتى كثّر الأسفار ، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نجاه ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلا وعد الله الحسنی ، فرغبت في سلوك طريقهم ، والانخراط في مساق فريقهم ، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا ، قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد : (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، في كتاب صغير الحجم ؛ تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين ؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ؛ ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط . ثم إنى عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلما توجد في كتاب ؛ لأنها من نبات صدرى ، وينابيع ذكرى . وما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة في غرائب الدفاتر (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات ، إما بحل العقدة المقلبات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب : فمنها الصحيح الذى يعوّل عليه ، ومنها الباطل الذى لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا ، والتفاوت قد يكرن قليلا أو كثيرا ، وإنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة وكل قول ؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه : قبال كذا ، قصدا للخروج من عهدته ، وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛ فإنى أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهدته ، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا ، وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم ، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم ، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد ؛ فذلك إشارة إلى أنى أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسى ، أو مما أختاره من كلام غيرى ، وإذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان ؛ لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرا منه ، وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنى على القواعد العلمية ، أو ما تقتضيه اللغة العربية ، وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله . وسميته (كتاب التسهيل : لعلوم التنزيل) وقدمت فى أوله مقدمتين : إحداهما فى أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة . وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم : أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، ووسيلة توصلنى إلى جنات النعيم ، وتنقذنى من عذاب الجحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة الاولى : فيها اثنا عشر بابا

الباب الأول : في نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله ، فكانت مدة نزوله عليه عشرون سنة ، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف في سنة صلى الله عليه وسلم يوم توفي ، هل كان ابن ستين سنة ، أو ثلاث وستين سنة ؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة ، وربما تنزل عليه آيات مفترقات ، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة ، وأول ما نزل عليه من القرآن : صدر سورة العلق ، ثم المدثر والمزمل ، وقيل أول ما نزل المدثر وقيل فاتحة الكتاب ، والأول هو الصحيح ؛ لما ورد في الحديث الصحيح ، عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه : جاءه الملك وهو بغار حراء ، قال اقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، قال فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، ثم قال . اقرأ بسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فقال زمّلوني زمّلوني ، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروح ، وفي رواية من طريق جابر ابن عبد الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زمّلوني فأنزل الله تعالى « يا أيها المزمل » ، وآخر ما نزل « إذا جاء نصر الله والفتح » ، وقيل آية الزنى التي في البقرة ، وقيل الآية قبلها . وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرق في الصحف وفي صدور الرجال ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد . فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب : أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن : مخافة أن يذهب بموت القراء . فجمعه في صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر ، ثم عند عمر بعده ، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ، وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة ، وكان بينها اختلاف ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم ، فانتدب لذلك عثمان ، وأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وجعل معه ثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن العاصي بن أمية ، وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش ، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماما في هذا الجمع الأخير ، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك ، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخا ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تحرق أو تحرق « يروى بالحاء والخاء المنقوطة » فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف ، وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك ، وأما نقط القرآن وشكله فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل أول من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلي ، وأما وضع الأعراس فيه فقيل إن الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسي ، وأما أسماؤه فهي

أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما يسمى صفات لأسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزیز، والمجيد، وغير ذلك. فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء، وأما الفرقان: فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل، وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب، وأما الذكر: فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواظ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش، وأما الآية فأصاها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني: في السورة المكية والمدنية. اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة ويعد منها كل منزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل منزل بعد الهجرة. وإن نزل بغير المدينة، وتنقسم السور ثلاثة أقسام: قسم مدنية باتفاق، وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذاجاء نصر الله. وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص والمعوذتين. وقسم مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، يختلف في أكثره

واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وحيث ماورد: يأيا الذين آمنوا؛ فهو مدني، وأما: يأيا الناس، فقد وقع في المكي والمدني

الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن. ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة، فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعى الخلق إليها، والآخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها، فأما العبادة فتتقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمرين، وهما الترغيب والترهيب، وأما على التفصيل فاعلم أن معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص. فأما علم الربوبية: فنه إثبات وجود الباري جل جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقه الأرض والسماوات، والحيوان والنبات. والريح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوحدانية، والرد على المشركين، والتعريف بصفات الله: من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، والتنزيه عما لا يليق به. وأما النبوة: فأثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين

كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والرذ على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط في سلك هذا ماورد في القرآن من تأييس النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته والثناء عليه ، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين . وأما المعاد فأثبت الحشر ، وإقامة البراهين ، والرذ على من خالف فيه ، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح . ومنها ما يتعلق بالأبدان : كالصلاة والصيام ، وما يتعلق بالأموال كالزكاة ، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : ففنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : ففنه تخويف بالعقاب في الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة وهو الأكثر : كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها ، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليتبين أحدهما بالآخر ، كما قيل : فبضتها تبين الأشياء . وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين . فإن قيل : ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن . فالجواب من ثلاثة أوجه الأول أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى ، في كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى : الثاني أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب ، وفي مواضع على طريقة الإيجاز ، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين . الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد ، فمن المقاصد إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك . ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ومنها إثبات الوحداية . ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال (فما أعنت عنهم آلهتهم اللاتي يدعون من دون الله من شيء) ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر . ومنها تسليية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء : كقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) ومنها تسليية عليه السلام ووعدته بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله . ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم ، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء . وردتم على الكفار وغير ذلك . فلما كانت أخبار الأنبياء تفيده فوائد كثيرة : ذكرت في مواضع كثيرة . ولكل مقام مقال

الباب الرابع : في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن . اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فناً من العلوم ، وهي : التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص ، والتصوف ، وأصول الدين ، وأصول الفقه : واللغة ، والنحو ، والبيان . فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تنفرع منه ، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه . واعلم أن التفسير منه متفق عليه ويختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع : الأول : اختلاف في العبارة ، مع اتفاق في المعنى : فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافاً ، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولاً واحداً ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين ، أو بما يقرب منها ،

أو بما يجمع معانيها . الثاني اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه فهذا عدّه أيضا كثير من المؤلفين خلافا ، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نعدّه نحن خلافا ؛ بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود . الثالث : اختلاف المعنى ؛ فهذا هو الذي عددناه خلافا ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب ؛ فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالجواب أن في ذلك ثلاثة أقوال : الأول أنها بمعنى واحد . الثاني : أن التفسير للفظ ، والتأويل للمعنى . الثالث وهو الصواب : أن التفسير : هو الشرح ، والتأويل : هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات : فإنها بمنزلة الرواية في الحديث ، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ، ثم إن القراءات على قسمين : مشهورة . وشاذة . فالمشهورة : هي القراءات السبع وما جرى مجراها : كقراءة يعقوب . وابن محيصين . والشاذة ماسوى ذلك . وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين : أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب . والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة . وقال مالك بن أنس : قراءة نافع سنة . وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك . دون ما لا فائدة فيه زائدة . واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها . وقد ألقنا فيها كتبنا نفع الله بها . وأيضا فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد أصول القراءات . وأما أحكام القرآن فهي ماورد فيه من الأوامر والنواهي . والمسائل الفقهية . وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية . وقد تنهى إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها . وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة . ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها : تأليف إسماعيل القاضي وابن الحسن كباه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي والقاضي الحافظ بن محمد بن عبد المنعم ابن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس . وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من النسخ والمنسوخ ، والمحكم وهو ما لم ينسخ ، وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي . وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد النسخ ، وذكر ما تقرّر في القرآن من المنسوخ ، وذكرنا سائرته في مواضعه ، وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين : الأول أن كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات ، ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإن النسخ يبني على معرفة تاريخ النزول لأن المتأخر ناسخ للمتقدم . الثاني أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس . وأما القصص فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره إلا أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه . وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح . حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تفصير بمنصب

الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه . وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح . وأما التصوف فله تعلق بالقرآن . لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس . وتنوير القلوب . وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة . واجتباب الأخلاق الذميمة . وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن . فمنهم من أحسن وأجاد . ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني . ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية . وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه « الحقائق » وقال بعض العلماء . بل هي الباطل . وإذا اتصفنا قلنا فيه حقائق وباطل . وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية . دون ما يعترض أو يقدح فيه . وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقام التصوف في « واضعها من القرآن : فتكلمنا على الشكر في أم القرآن . لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى . وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة « هدى للتقين » وعلى الذكر في قوله فيها « فاذكروني أذكركم » وعلى الصبر في قوله تعالى « وبشر الصابرين » وعلى التوحيد في قوله فيها « وإلهكم إله واحد » وعلى محبة الله في قوله فيها « والذين آمنوا أشد حبا لله » وعلى التوكل في قوله في آل عمران « فإذا عزمتم فتوكل على الله » وعلى المراقبة في قوله في النساء « إن الله كان عليكم رقيبا » وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف « وادعوه خوفا وطمعا » وعلى التوبة في قوله في النور « وتوبوا إلى الله جميعا » وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين : أحدهما : ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها . والرد على أصناف الكفار . والآخر : أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها . وتزعم أنه خالف القرآن . ولا شك أن منهم المحق والمبطل . فمعرفة تفسير القرآن أن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق . وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن . على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها . وإنما نعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال . وما أحوج المفسر إلى معرفة النص . والظاهر . والمجمل . والمبين . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . وفحوى الخطاب . ولحن الخطاب . ودليل الخطاب . وشروط النسخ . ووجوه التعارض . وأسباب الخلاف . وغير ذلك من علم الأصول . وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها . وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير . وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة . وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة : مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن . لئلا يحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها . وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته . فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان . والنحو ينقسم إلى قسمين : أحدهما عوامل الإعراب . وهي أحكام الكلام المركب . والآخر التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها . وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف . أو ما يفيد فهم المعنى . أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم تتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة . وأما علم البيان : فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن . وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة . ونكت مستحسنة راقية . وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان

ليفهم به ما يرد منها مفزقا في مواضعه من القرآن

الباب الخامس : في أسباب الخلاف بين المفسرين . والوجوه التي يرجحها بين أقوالهم . فأما أسباب الخلاف فهي اثني عشر : الأول اختلاف القرآن . الثاني اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات . الثالث اختلاف اللغويين في معنى الكلمة . الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر . الخامس احتمال العموم والخصوص . السادس احتمال الإطلاق أو التقييد . السابع احتمال الحقيقة أو المجاز . الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال . التاسع احتمال الكلمة زائدة . العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير . الحادي عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما . الثاني عشر اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف رضی الله عنهم . وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر . الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال . الثاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم : فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه . لاسيما إن ورد في الحديث الصحيح . الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإن كثرة القائلين بالقول يقتضى ترجيحه . الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة . وعبد الله بن عباس . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق . السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام وبدل عليه ما قبله أو ما بعده . السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على المجاز . فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين . وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة . وقد اختلف العلماء أيهما يقدم : فذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة ؛ لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح ؛ لرجحانه . وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح . التاسع تقديم العمومى على الخصوصى ؛ فإن العمومى أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص . العاشر تقديم الإطلاق على التقييد ، إلا أن يدل دليل على التقييد . الحادي عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار . الثاني عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير

الباب السادس : في ذكر المفسرين . اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين : فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه . وهم الأكثرون . ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك . فقد قالت عائشة رضی الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ . وتأول المفسرون حديث عائشة رضی الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى . وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات ؛ لافمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين ؛ فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه . واعلم أن المفسرين على طبقات ؛ فالطبقة الأولى : الصحابة رضی الله عنهم . وأكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس . وكان على بن أبي طالب رضی الله عنه يثني على تفسير ابن عباس . ويقول : كأمنما ينظر إلي الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس

ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود . وأبي بن كعب . وزيد ابن ثابت . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكلها جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن . والطبقة الثانية : التابعون . وأحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصرى . وسعيد بن جبير . ومجاهد مولى ابن عباس . وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود . ويتلوهم : عكرمة . وقتادة . والسدى . والضحاك ابن مزاحم . وأبو صالح . وأبو العالية . ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خاف ، وألف الناس فيه : كالمفضل . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد . والبخارى . وعلي بن أبي طلحة . وغيرهم . ثم إن محمد بن جرير الطبرى جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها . ومن صنف في التفسير أشياء : أبو بكر النقاش . والثعالبي . والماوردى . إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح . وقد استدرك الناس على بعضهم . وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين : كأبي إسحق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي جعفر النحاس . وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطى كتابا في غريب القرآن وتفسيره . ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن . وكتابا في غريب القرآن . وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه . وكتابا في إعراب القرآن . إلى غير ذلك من تأليفه . فإنها نحو ثمانين تأليفا : أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . وأما أبو عمرو الداني فتأليفه تنيف على مائة وعشرين . إلا أن أكثرها في القرآن . ولم يؤلف في التفسير إلا قليلا . وأما أبو العباس المهدي فمتقن التأليف . حسن الترتيب . جامع لفنون علوم القرآن : ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربي وأبو محمد عبد الحق بن عطية . فأبدع كل واحد وأجمل . واحتفل وأكمل . فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن : فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» . لأنه اخترمته المنية قبل تخلصه وتلخيصه . وألف في سائر علوم القرآن تأليفا مفيدة وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعد لها . فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها . وهو مع ذلك حسن العبارة . مستد النظر : محافظ على السنة . ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه . وقوة في فهمه . وله فيه تحقيق . ونظر دقيق . ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشري فاستد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان . إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم . وحمل آيات القرآن على طريقهم . فتكدر صفوه . وتمزج حلوه . فنخذ منه ما صفا ودع ما كدر . وأما القرنوى فكتابه مختصر . وفيه من التصوف نكت بديعة . وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام . ونمقه بترتيب المسائل . وتدقيق النظر في بعض المواضع . وهو على الجملة كتاب كبير الجرم . ربما يحتاج إلى تلخيص ، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه . ويجزيهم أفضل ثوابه

الباب السابع في النسخ والمنسوخ : النسخ في اللغة : هو الإزالة والنقل . ومعناه في الشريعة : رفع الحكم الشرعى بعد ما نزل ، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله (لا ترهبوا عن آياتكم فإنه كفر بكم) الثاني نسخ اللفظ دون المعنى كقوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عدت بعض العلماء

مائتا موضع وثلثا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وستتكم على ذلك في مواضعه . ونقدم هنا ما جاء من نسخ مسألة الكفار والعمو عنهم والإعراض والصب على أذاهم ، بالأمر بقتالهم ليعنى ذلك عن تكراره في مواضعه ، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، ففي البقرة (وقولوا للناس حسنا) (ولنا أعمالنا) (ولا تعتدوا) أي لا تبدوا بالقتال (ولا تقاتلوهم) (قل قتال) (لا إكراه) وفي آل عمران (فإنما عليك البلاغ) (منهم تقاة) وفي النساء (فأعرض عنهم) في موضعين (فما أرسلناك عليهم حفیظا) (لا تكلف إلا نفسك) (إلا الذين يصلون) وفي المائدة (ولا آمن) (عليك البلاغ) (عليكم أنفسكم) وفي الأنعام (لست عليكم بوكيل) (ثم ذرهم) (عليكم بحفیظ) (وأعرض) (عليهم حفیظا) (ولا تسبوا) قدرهم في موضعين (يا قوم اعملوا) (قل انظروا) (لست منهم في شيء) وفي الأعراف (فأعرض) (وأمل لهم) وفي الأنفال (وإن استنصروكم) يعني المجاهدين . وفي التوبة (فاستقيموا لهم) وفي يونس (فاتظروا) (فقل لي عملي) (وإيمانينك) (ولا يحزنك قولهم) لما يقصني من الإمهال (أفأنت تكره) . (فمن اهتدى) لأن معناه الإمهال (واصبر) وفي هود (إنما أنت نذير) أي تنذر ولا تجبر (اعملوا على مكاتمتكم) (انتظروا) وفي الرعد (عليك البلاغ) وفي النحل (إلا البلاغ) (عليك البلاغ) (وجادلهم) (واصبر) وفي الإسراء (ربكم أعلم بكم) وفي مريم (فأنذرهم) (فليمدد) (ولا تعجل) وفي طه (قل كل متربص) وفي الحج (وإن جادلوك) وفي المؤمنين (فذرهم) (ادفع) وفي النور (فإن تولوا) (وما على الرسول إلا البلاغ) وفي النمل (فمن اهتدى) وفي القصص (لنا أعمالنا) وفي العنكبوت (أنا نذير) لما يقتضى من عدم الإجمار ، وفي الروم (فاصبر) وفي لقمان (ومن كفر) وفي السجدة (فانظروا) وفي الأحزاب (ودع أذاهم) وفي سبأ (قل لا تسألون) وفي فاطر (إن أنت إلا نذير) وفي يس (فلا يحزنك) وفي الصافات (فقول) (وقول) (وما يليهما ، وفي ض (اصبر) (أنا نذير) وفي الزمر (إن الله يحكم بينهم) لما فيه من الإمهال (فاعبدوا ما شئتم) (يا قوم اعملوا) (فمن اهتدى) (أنت تحكم) لأن فيه تفويضا ، وفي المؤمن (فاصبر) في موضعين ، وفي السجدة (ادفع) وفي الشورى (وما أنت عليهم بوكيل) (لنا أعمالنا) (فإن عرضوا) وفي الزخرف (فذرهم) (واصفح) وفي الدخان (فارتقب) وفي الجاثية (يغفروا) وفي الأحقاف (فاصبر) وفي القتال (فإمامنا) (وفي ق (فاصبر) (وما أنت) وفي الذاريات (فقول) وفي الطور (قل تربصوا) (واصبر) (فذرهم) وفي النجم (فأعرض) وفي القمر (تقول) وفي ن (فاصبر) (سنستدرجهم) وفي المعارج (فاصبر) (فذرهم) وفي المزمل (واهجروهم) (وذرنى) وفي المدثر (ذرنى) وفي الإنسان (فاصبر) وفي الطارق (فهل الكافرين) وفي الغاشية (لست عليهم بصيطر) وفي الكافرين (لكن دينكم) نسخ ذلك كله : (اقتلوا المشركين) ، و (كتب عليكم القتال) الباب الثامن في جوامع القراءة ، وهو على نوعين : مشهورة ، وشاذة ، فالمشهورة القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدني ، وابن كثير المسكي ، وأبو عمر بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وابن حمزة والكسائى الكوفيين . ويجرى مجراهم في الصحة والشهرة : يعقوب الخضرى بن محيىصن ، ويزيد بن القعقاع . والشاذة ماسوى ذلك ، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها في النقل ، وقد تكون فصيحة اللفظ ، أو قوينة المعنى . ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط : موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات ، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين : أصول ، وفرش الحروف . فاما الفرش : فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد ، ولا قانون كلي ، وهو على وجهين : اختلاف في القراءة باختلاف المعنى ، وباتفاق المعنى . وأما الأصول : فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهي ترجع إلى ثمان قواعد : الأولى : الهمزة ، وهي في حروف المد الثلاث ، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين . الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه : إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو ، وبين الهمزة والياء ، وبين الهمزة والألف ، وإسقاط . الثالثة : الإدغام ، والإظهار ، والأصل الإظهار ، ثم يحدث الإدغام في المثلين ، أو المتقاربين وفي كلمة ، وفي كلمتين ، وهو نوعان : إدغام كبير انفرد به أبو عمرو : وهو إدغام المتحرك . وإدغام صغير لجميع القراء : وهو إدغام الساكن . الرابعة : الإمالة ، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء ، والأصل الفتح ، ويوجب الإمالة الكسرة والياء . الخامسة : الترقيق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم في كل حال ، وهي حروف الاستعلاء السبعة ؛ ومفخم تارة ومرقق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف . السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : ساكن جازئ في الحركات الثلاثة ، وروم في المضموم والمكسور ، وإشمام في المضموم خاصة . السابعة : مراعاة الخط في الوقف . الثامنة : إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع في الوقف ، وهي أربعة أنواع : وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر إلى الإعراب ، والمعنى فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقراً إليه كذلك : لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذي خبر وخبره ، وبين كل ذي جواب وجوابه . وبين كل ذي موصول وصلته ، وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني ؛ إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله ، فالوقف على الأول كاف ، وذلك في التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء وشبه ذلك إلا أن وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ، وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك ، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن ، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام . وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام (تنبيه) هذا الذي ذكرنا من رعى الإعراب والمعنى في المواقف : استقر عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفرة في النثر والقوافي في الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر : في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، أما الفصاحة فلها خمسة شروط : الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلظت فيه العامة ، الثاني أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستقلة ، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له ؛ لا قاصرة عنه ، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد . الخامس : أن يكون الكلام سالماً من الحشو الذي لا يحتاج إليه ، وأما البلاغة

فهى سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقيق، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك، بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد، وأما أدوات البيان: فهى صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب، وقد وجدنا فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعا، ونهنا على كل نوع فى المواضع التى وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه، الأول المجاز: وهو اللفظ المستعمل فى غير مواضع له لعلاقة بينهما، وهو اثنا عشر نوعا: التشبيه والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتشبيه المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، والكل، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى، وفى هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز، واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز فى القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه فى القرآن أكثر من أن يحصى. الثانى الكناية: وهى العبارة عن الشئ فيما يلازمه من غير تصريح. الثالث الالتفات: وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب. الرابع التمسيد: وهو ذكر شئ بعد اندراجه فى لفظ عام متقدم، والقصد بالتجديد تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره، أو رفع الاحتمال. الخامس الاعتراض: وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين: كالخبير والخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، وإدخاله فى أثناء كلام متصل. والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه. السادس التجنيس: وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، ثم الاتفاق قد يكون فى الحروف والصيغة، أو فى الحروف خاصة، أو فى أكثر الحروف لافى جميعها، أو فى الخط لافى اللفظ، وهو تجنيس التصحيف. السابع الطباق: وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك. الثامن المقابلة، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما بأشياء أخرى. التاسع المشاكلة: وهى أن تذكر الشئ بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته. العاشر التريديد: وهو رد الكلام على آخره ويسمى فى الشعر رد العجز على الصدر. الحادى عشر لزوم ما لا يلزم: وهو أن تلتزم قبل حروف الروى حرفا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات. الثانى عشر القلب: وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو عدد أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر منها وتؤخر المقدم. الثالث عشر التقسيم: وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه. الرابع عشر التتميم: وهو أن تزيد فى الكلام ما يوضحه ويؤكدده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة. الخامس عشر التكرار: وهو أن تضع الظاهر موضع المضمهر، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل، أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان. السادس عشر التهكم: وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر، كذلك الإشارة فى موضع النذارة. السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها، وفيه طريقتان: أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ بالآخر. الثامن عشر الجمع: وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر فى خبر واحد، وفى وصف واحد وشبه ذلك. التاسع عشر الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ فى آخر الكلام مستوفية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله. العشرون التشجيع: وهو أن يكون كلمات الآى على روى واحد. الحادى والعشرون الاستطراد: وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثانى

هو المقصود : كحروج الشاعر من السب إلى المدح بمعنى يتعاق بالطرفين ، مع أنه قصد المدح . الثاني والعشرون المبالغة : وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف ، فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراب ، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن

الباب الحادى عشر : فى إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عزوجل ، ويدل على ذلك عشرة أوجه : الأول فصاحته التى امتاز بها عن كلام المخلوقين . الثانى نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته . الثالث عجز المخلوقين فى زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله . الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قرأه فى كتاب . الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقعت على حسب ما قال . السادس ما فيه من التعريف بالبارى جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه . وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرّد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحي من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل فى صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم . السابع ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم . الثامن كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان ، عروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب . التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة . العاشر كونه لا يملئه قارئه ولا سامعه على كثرة التردد ، بخلاف سائر الكلام

الباب الثانى عشر : فى فضل القرآن . وإنما نذكر منه ما ورد فى الحديث الصحيح ، فمن ذلك ما ورد عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه وينتفع به وهو عليه شاق فله أجران » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل النخلة : لا ريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الخنثلة : ليس لها ريح وطعمها مر » وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها » وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين » وعن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر

من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة ، وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى ، وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر » وعن النّوّاس بن سميان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران — وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهما بعد — قال وإنهما غمّاهتان أو طلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف تخافان عن صاحبهما ، وعن أبي الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وعن أبي الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وعن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت علىّ لم ير مثلهن قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس

المقدمة الثانية : فى تفسير معانى اللغات

نذكر فى هذه المقدمة الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ، أو تقع فى موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنما جمعناها فى هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ ؛ فإنها وقعت فى القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير ؛ لما أن تأليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور ، والثالثة : الاقتصار فنستغنى بذكرها هنا عن ذكرها فى مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها ، وربما نهينا على بعضها للحاجة إلى ذلك ، ورتبناها فى هذا الكتاب على حروف المعجم ، فمن لم يجد تفسير كلمة فى موضعها من القرآن ؛ فلينظر فى هذا الباب ، واعتبرنا فى هذا الحروف : الحرف الذى يكون فاء الكلمة وهو الأصل دون الحروف الزائدة فى أول الكلمات (حرف الهمزة) (آية) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثانى آية من القرآن ، وهى كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هى رؤس الآيات (أتى) بقصر الهمزة معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه أت ، واسم المفعول منه مأتى ، ومنه قوله تعالى أتى بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، واسم الفاعل مؤت ، ومنه والمؤتوت الزكاة (أبى) يأتى أى امتنع (أثر) الشئ ببقيته وأمارته ، وجمعه آثار والآثر أيضا الحديث ، وأثاره من علم بقية ، وأثاروا الأرض حرثوها وأثر الرجل الشئ يؤثره فضله (أثم) ذنب ، ومنه آثم وأثيم أى مذنب (أجر) ثواب وبمعنى الأجرة ، ومنه استأجره وعلى أن تأجرنى ، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم ، ومن يجيرنى من الله ، وهو يجير ولا يجار عليه : فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين (آمن) إيمانا أى صدق ، والإيمان فى اللغة التصديق مطلقا ، وفى الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن فى الشرع المصدق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى : أى المصدق لنفسه وقيل إنه من الأمن : أى يؤمن أولياءه من عذابه ، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمانة : ضد الخوف وأمن من الأمانة ، وأمن غيره من التأمين (أليم) مؤلم أى مرجع ومنه تألمون (إمام) له أربعة معان : القدوة والكتاب ، والطريق ، وجمع أم أى تابع ، وهى اليتيمين إماما (أمة) لها أربعة معان : الجماعة من الناس ، والدين

والحين ، والإمام أى القدوة (أحى) لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك وصف العرب بالأميين (أم) لها معنيان
 الوالدة ، والأصل ، وأم القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وآخر (آل) له معنيان الأهل ، ومنه آل لوط ،
 والأتباع والجنود ، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذى قبل يومك والزمان الماضى (إناه) وقته وجمعه إبا
 ومنه آناه الليل (أمر) له معنيان : أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وقد تأتى صفة
 الأمر لغير الطلب ، والتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر ، والثانى بمعنى الشأن والصفة ، وقد يراد به
 العذاب ، ومنه جاء أمرنا (إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود
 ذريتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أى مرجع ، ورجل أبواب كثير الرجوع إلى الله ، والتأويب التسييح ،
 ياجبال أوبى (إفك) أشد الكذب ، والأفك : الكذاب ، وأفك الرجل عن الشيء : أى صرف عنه ،
 ومنه توفىكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره بالمتد ، ومنه المسأوى (أف) كلمة شر
 (آلاء الله) نعمه ، ومنه آلاء ربكنا (أسف) له معنيان : الحزن ، والغضب ، ومنه فلما آسفونا (أسوة)
 بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسى) الرجل يأسى أساً : أى حزن ، ومنه فلا تأس ، وكيف آسى (أذان)
 بالقصر إعلام بالشيء ومنه الأذان بالصلاة ، والأذان بالمتد : جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة
 والإباحة ، وأذنت بالشيء أعلمت به بكسر الدال ، وأذنت به غيرى بالمتد (إصر) له معنيان ، الذنب ، والعهد
 (أيد) أى قوة ، ومنه أيدناه ، وبيناها بأيد ، والأيدى جمع يد ، فهمزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم
 المأكول ، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها ، والأكل بضم الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت
 (أجاج) مز (أرائك) أسرة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء ، ومنه آنية من فضة ، وشديدة
 الحر ، ومنه عين آنية ، ووزن الأولى أفعله ، والثانية فاعلة ومد كرها أن (أحد) له معنيان واحد ، ومنه
 (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى (أين) للحصر (إن) المكسورة
 المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع صدرية وزائدة
 ومخففة من الثقيلة وعبارة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط
 ومجانبة (إذا) لها معنيان : ظرف زمان ماضى وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ،
 والإباحة ، والتخيير ، والناسبة للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وقد يكون فيها معنى الإنكار والإضراب
 وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها ومنفصلة مما قبلها (إما) المكسورة المشددة للتخيير ، والشك
 والتخيير ، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشددة أداة استثناء وتكون للإيجاب
 بعد غير الواجب ، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أى) المشددة سبعة أنواع : شرطية ، واستفهامية
 وموصولة ، ومنادى ، وصفة ، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف ، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر (إى)
 المكسورة المخففة ومعناها التصديق (إلى) معناه انتهاء الناية ، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام ،
 والتقدير ، والتوبيخ ، والتسوية ، وللتسكلم وأملية ، وزائدة للبناء

﴿حرف الباء﴾ : (بارى) خالق ، ومنه البرية أى الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من
 القبور (بسط) الله الرزق وسعه ومعنى قبض وقدر الرزق : أى ضيقه ، ومن أسماء الله تعالى : القابض
 والباسط ، وبسطة : زيادة (بشر) من البشارة وهى الإعلام بالخير قبل وروده ، وقد يكون للشر إذا ذكر

معها ، ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف ، ومنه المبشر والبشير ، واستبشر بالشيء فرح به (بعد) له معنيان : ضد القرب والفعل منه بعد بضم العين ، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان : العذاب ، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم (بر) له معنيان : الكرامة ومنه بر الوالدين و : أن تبروهم ، والتقري ، والجمع لحصال الخير ومنه : البر من اتقى ، ورجل بار و بر والجمع أبرار والبر من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره يبات ويبت الأمر دبره بالليل (بغته) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن ، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدي الشيء ما تقدم قبله ، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان (بين) من البيان وله معنيان : بين غير متعد ، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، والبادى أيضا من البداية ، ومنه بادون في الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبداه ، وقد جاء القرآن بالوجهين (بني) له معنيان : العدوان على الناس ، والحسد ، والبغا بكسر الباء : الزنا ، ومنه امرأة بغى أى زانية ، وابتغاه الشيء وبغاه : أى طلبه (بث) الحديث وغيره نشره ، والمبثوث : المنتشر ، ومبثوثة متفرقة ، والبث الحزن الشديد ، ومنه أشكوبثي (بؤأ) أنزل الرجل ومنه بؤأكم في الأرض ، ولنبؤأهم ، ومبؤأ (بوار) هلك ، ومنه قوما بورا أى هلكى (بام) بالشيء رجع به ، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والتدنة والمحنة ، والبائس : الفقير من البؤس ، والبأس : القتال والشجاعة ، والمكروه ، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم (برزخ) شيء بين شيئين ، والبرزخ ما بين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل ، ومبدع أى خالق الشيء ابتداء (بسر) عبس ومنه : باسرة (بصير) من أبصر ، يقال : أبصرته وبصرته ، والبصائر البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه : بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة ، والبعل أيضا الرب ، وقيل اسم صنم ، ومنه : أندعون بعلا (بهجة) حسن ، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البائس ، وقيل الساكت الذى انقطعت حجته ، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة ، وهى الكثرة والنماء ، وقيل تقدس (بلى) جواب يقتضى إثبات الشيء (بل) معناها الإضراب عما قبلها (الباء) للإلصاق ، ولنقل الفعل فى التعنى ، وللقسم ، وللتعليل ، وللبصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفية وزائدة

(حرف التاء) : (تلا) يتلو : له معنيان : قرأ ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الوار : معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجوع توبة وتوبا فهو فهو تائب ، وتواب : كثير التوبة ، وتواب : اسم الله تعالى : أى كثير التوبة على عباده ، وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة وقبل توبته (تباب) خسران ، وتب : خسر (تبار) هلاك ، ومنه متبر (أترفوا) أنعموا ، والمترفون : المنعمون فى الدنيا

(حرف الشاء) : (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) فى الموضع أفام فيه ومنه مشوى (ثبور) هلاك ، ومنه دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا هلاكا (ثمر) ما يؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم ، ومنه فإما تثقفنهم فى الحرب (ثاقب) مضى (ثم) بالفتح ظرف ، وبالضم حرف عطف يقتضى الترتيب والمهلة ، وقد يرد لغير الترتيب ، كالنأ كيد ، وترتيب الأخبار

(حرف الجيم) : (جعل) له أربعة معان : صير ، وأتى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر : معروف وجناح

الإنسان إبطه ، ومنه : اضمم إليك جناحك ، ولا جناح : لإثم فعناه الإباحة ، وجنح للشئ مال إليه (لا جرم) لا بد (اجتبي) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجارون) تصيحون بالدعاء (جوارى) جمع جارية وهى السفينة (أجرم) فهو مجرم ، له معنيان : الكفر ، والعصيان (جنة) الجنون ، وقد جاء بمعنى الملائكة (جان) له معنيان : الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان ، وبالكسر الجنون ، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ، ومنه استعير : أيماهم جنة (جائسة) أى على ركبهم لا يستطيعون مهاجم فيه وقوله جيشا جمع جات (الجرز) الأرض التى لا نبات فيها (جائمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان : قهار ، ومتكبر . وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه ، والجبار أيضا الظالم (أجداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشر وبمعنى أغنى ، ومنه : لا تجزى نفس . وأما أجزأ بالهمز فعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ، ومنه جرحم بالنهار . واجترحو السيئات ، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح لأنها كراسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه : عن جنب

(حرف الحاء) : (حمد) هو الثناء سواء كان جزاء على نعمه أو ابتداء ، والشكر إنما يكون جزاء ، فالحمد من هذا الوجه أعم ، والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ، فالشكر من هذا الوجه أعم (حميد) اسم الله تعالى أى بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل فى الكتاب والحكمة هى السنة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد ، أو من إحكام الأمور وإتقانها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو ، والأحلام العقول ، والحليم من أسماء الله تعالى ، قيل الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، وقيل معناه العفو عن الذنوب ، والأحلام ما يرى فى النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله ، وقيل حاج ، وقيل مخزن ، والجمع حنفاء (محسنين ومحسنات) الإحصان له أربع معان : الإسلام والحزبية ، والعفاف ، والتزوق . وليحصنكم من بأسكم : بغيركم (حجة) بالضم : دليل وبرهان وحاج فلان فلانا : جدله ، وحجة عليه : بالحجة ، والحج بالفتح والكسر : القصد ، ومنه أخذ حج البيت ، وحجة بالكسر سنة ، وجمعها حجج (حطة) أى حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلا الله (حضر) بالضاد من الحضور ، ومنه محضرون ، وشرب محضرا ، وبالظاء : من المنع ، ومنه : وما كان عطاء ربك محظورا ، وكهشيم المحظر ، وبالذال من الحذر وهو الخوف ، ومنه : إن عذاب ربك كان محظورا (حفظ) العلم : وعيه وحفظ الشئ حراسته ، والحفيظ : اسم الله تعالى ، قيل معناه العليم ، وقيل حافظ الخلق كالثمهم من المهالك (حاق) بهم أى حل بهم (حبل) من الله ومن الناس ، أى عهد ، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن ، مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان ، وحسبان من السماء : أى مرام ، واحداها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة أن لا يحاسب عليه ومن التقدير أى بغير تضيق ، وعطاء حسابا : أى كافيها (حسب) اسم الله تعالى ، فيه أربعة أقوال : كافي ، وعالم ، وقادر ، ومحاسب (حسبك الله) أى كافيك (حزن) تأسف على ماض أو حال الخوف ترفع فى المستقبل ، ويقال حزن بكسر الزاى ، وحزنه غيره ، وأحزنه أيضا (حصير) مجلس من الحصر ، وأحصر عن الشئ : حبس عنه ، وحسير بالسين : كليل (حصيد) هو ما يحصد من الزرع وغيره ، واستعير قائم وحصيد ، أى باق وزاهد (حميم) له معنيان الصديق ، والماء الحار (محيص)

مهرب (حجر) له أربعة معان: الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للذنوب، وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معان: فعل الحسنات، والإناعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله صلى الله عليه وسلم «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»، (حق) له أربعة معان: الصدق، والعدل في الحكم، والشئ الثابت، والأمر الواجب والحق: اسم الله تعالى: أى الواجب الوجود (حاصب) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصاء أى الحصا، والحاصب أيضا: الحجارة (حلية) حلى (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان: العام، والحيلة، وحولا بكسر الحاء: انتقالا (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير ألف قتل ومنه: إذ تحسونهم، وأحس من الحس (حرم) بضمين محرمون بالحج (حقب) بضمين، وأحقاب جمع حقب، وهو مدة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حف) الشئ بالشئ أطاف به من جوانبه ومنه حففناها بنخل، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحل بالضم والكسر، وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير (حطام) فئات، والحطام ماتحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الحاء: (خلق) له معنيان: من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق. وخلق الرجل ككذب ومنه تخلقون إفكا. واختلاق: أى كذب (خلاق) نصيب (خير) ضد الشر، وله أربعة معان: العمل الصالح والمال، والخيرة، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان: من الخلوة، وبمعنى ذهب ومنه: أمة قد خلت (خطية) ذنب، وجمعه خطايا وخطيات، والفعل منه خطئ فهو خاطئ، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه: اخسؤا فيها (خاف) بفتح الحاء وإسكان اللام، وله معنيان وراء، ومن خلف خلفه: بشر، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة، وبمعنى بعد، أودون، ومنه: بمقدم خلاف رسول الله (خول) أعلى (خلة) بضم الحاء موادة ومنه الخليل، وجمعه أخلاء (خلال) له معنيان: وداد، ومنه: لا يبع فيه ولا خلال، وبمعنى بين، ومنه خلال الديار، وخلالكم (خز) يخر سقط على وجهه (خامدون) هالكون، وأصله من خمود النار (خطب) الخطب سبب الأمر والخطب أيضا الأمر العظيم، وخطبة النساء بالكسر، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون، ومنه: يخرصون والخرص أيضا التقدير، وقيل: يخرصون منه: أى يقولون بالظن من غير تحقيق (خوان) كثير الخيانة (مختال) من الخيلاء (مخضة) من الخنص وهو الجروع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج، وخرج) أى أجرة وخطية

حرف الدال (دين) له خمسة معان: الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر (دأب) له معنيان: عادة، وجد، وملازمة، ومنه: سبع سنين دأبا: متابعة للزراعة من قولك: دأبت على الشئ: دمت عليه (أدنى) له معنيان: أقرب من الدنو، وأقل فهو من الدانى الحقيير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر، واحدها دائرة، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معان: الطلب من الله، والعبادة، ومنه: تدعون من دون الله، والتمنى: ولهم فيها ما يدعون، والنداء: ادعوا شهداءكم، والدعوة إلى الشئ: ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل ما يدب فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد، ومنه المدحور المطرود (دع) بتشديد العين، يدع: أى دفع بعنف، ومنه يدع اليقيم، ويدعون إلى نار جهنم دعا (درأ) دفع، ومنه يدرؤون (مدرارا) من در المطر إذا

صب (داخرين) صاغرین (دكت) الأرض : أى دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه : جعله دكا : أى مستويا مع الأرض

حرف الذال : (ذكر) له أربعة معان : ضد النسيان ، والذكر باللسان ، والقرآن ، ومنه : نزلنا الذكر ، والشرف ومذكر مفعول من الذكر (ذنوب) بضم الذال : جمع ذنب ، وبالفتح النصيب ، ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم : أى نصيبا من العذاب ، والذنوب أيضا : الدلو (ذبح) بكسر الذال : المذبوح ، وبالفتح المصدر (ذرا) خلق ونشر (ذلول) مذلة للعمل من الفك ومنه : ذللناها لهم ، ورجل ذلول : من الذل بالضم ، وذلت قطفوها أدنيت (أذقان) جمع ذقن

حرف الراء : (رب) له أربعة معان : الإله ، والسيد ، والمالك الشيء ، والمصلح للأمر (ريب) شك ، ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديا بمعنى رد وغير متعد ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعى) له معنيان : من النظر ، ومن رعى الغنم (روح) له أربعة معان للنفس التى بها الحياة : يستلونك عن الروح ، والوحى : ينزل الملائكة بالروح ، وجبريل : نزل به الروح الأمين ، ومملك عظيم : تنزل الملائكة والروح ، وروح بفتح الراء رائحة طيبة ، والريحان : الرزق ، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض ، ومنه مراكوم ، ويركمه (رجا) طمع وقد يستعمل فى الخوف ، ومنه لا يرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل ، وجمع راجل : أى غير راكب ، ومنه : يأتوك رجالا ، ومثله : بخيلك ورجلك (رفت) له معنيان : الجماع ، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب . والرجز فاهجر : فهى الأوثان والرجس بالسين : النجس حقيقة ، أو مجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف ، ومنه : يرهبون (رؤف) من الرأفة وهى الرحمة إلا أن الرأفة فى دفع المكروه ، والرحمة فى دفع المكروه وفعل الجليل ، فهى أعم من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات ، ومنه : قيل للجبال : رواسى ، ومنه : مرساها (رغدا) أى كثيرا (ربوة) مكان مرتفع (ربا) هو فى اللغة الزيادة ، ومنه : ويربى الصدقات ، وربت الأرض : انفتحت (أرحام) جمع رحم ، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضا فى القرابة (أرجئه) أخره ، ومنه : ترجى ويرجون ، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدى إلى واحد ، ومن رؤية القلب بمعنى العلم : يتعدى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فئات (أرذل) العمر : الهرم ، والأرذلون : من الرذالة (رقى) من الرقية بفتح القاف ، ومنه : وقيل من راق ، ورفى فى السلم بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل (أرداكم) أهلككم ، والردى الهلاك ، ومنه : تردى ، وتردى (رجفة) زلزلة وشدة

حرف الزاى (زبر) بصمتين كتب ، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضا : الذهب (زكاة) له فى اللغة معنيان : الزكاة ، والطهارة ، ثم استعمله الشرع فى إعطاء المال ، وهو من الزيادة ، لأنه يبارك له فيه فيزيد ، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب ، وزكيت الرجل : أثبتت عليه ، وزكا هو مخففة أى صار زكيا (زوج) له ثلاث معان : الرجل ، والمرأة ، وقد يقال زوجة ، والمعنى الصنف والنوع ، ومنه : أزواج من نبات ، ومن كل زوج كريم (زل) له معنيان : زل القدم عن الموضع ، وفعل الزل (زاغ) عن الشيء زينا مال عنه وأزاغه غيره : أماله (زلنى) قربى ، وأزلت : قربت ، وزلقا من الليل : ساعات (زعم) أى ادعى ، ولم يوافق غيره ، قال ابن عباس : زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (تزجى)

تسوق (زلزلة) الأرض : اهتزازها ، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف ، ومنه : زلزلوا (زجرة) واحدة : صيحة بمعنى نفخة الصور ، والزجرة : الصيحة بشدة واتهار ، وازدجر : من الزجر

حرف السين : (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثني عشر ولداً ذكرراً فأعقب كل واحد منهم عقبا ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب (سبيل) هو الطريق ، وجمعه سبيل ، ثم استعمل في طريق الخير والشر ، وسبيل الله : الجهاد ، وابن السبيل ، الضيف وقيل القريب (سوى) بالتشديد له معنيان : من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء ، وبمعنى أتقن وأحسن ، ومنه فسواك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء ، وسواء الجحيم : وسطها ، وسواء الصراط : قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء ، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل ، وأصل السفه : الخلق ولذلك قيل لمبذر المال سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء (سلاوى) طائر يشبه السمانى ، وكان ينزل على بني إسرائيل مع امان (سأل) له معنيان طلب الشيء ، والاستفهام عنه ، وسأل بغير همز من المعنيين المذكورين ، ومن السيل (سبحان) تنزيهه ، وسبحان الله : أى نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأناداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشى ليلا أو نهارا (سرى) يسرى مشى ليلا ، ويقال أيضا : أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : أى استهزأ ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخرىا) يضم السين من السخرة وهى تكليف الأعمال ، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان ، والقوة ، ومنه لا ينفذون إلا بسطان (سام) يسوم أى كلف الأمر وألزمه ، ومنه يسومونكم سوء العذاب ، وأصله من سوم السلعة فى البيع (سّم) يسأم : أى ملّ ، ومنه : وهم لا يسأمون (سنة) أى عادة (سلف) الأمر : أى تقدم ، وأسلفه الرجل : أى قدمه ، ومنه هنيئاً بما أسلفتم (سراه) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشيء : بادر إليه (سوءة) عورة ، والسوء ما يسوء بالفتح والضم ، والسواى فعلاء من سوء ، وسىء بهم : فعل بهم السوء (سنة) بفتح السين : عام ، ولأمها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجذب (سنة) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها او محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسالكه ينايع ، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين ، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أى سار ، ومنه فسيحوا فى الأرض . والسائحون الصائمون (سول) بتشديد الواو : زين ، ومنه : سولت لكم أنفسكم أمرا (سرايل) جمع سربال وهو القميص (سبأ) قبيلة من العرب (سموم) شدة الحر (سلام) له ثلاثة معان : التحية ، والسلامة ، والقول الحسن ، ومنه : إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص ، فهو من أسماء التنزيه ، وقيل سلم العباد من المهالك ، وقيل ذوالسلام على المؤمنين فى الجنة (سلم) بفتحتين : انقياد وإلقاء باليد ، وهو أيضا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح أو مهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام ، وبضم السين وفتح اللام مشددة : هو الذى يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معان : الدخول فى الإسلام ، والإخلاص لله ، والانقياد ، ومنه : فلما أسلمنا (سعى) يسعى ، له ثلاث معان : عمل عملا ، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ومشى ، ومنه : فاسعوا إلى ذكر الله ، وأسرع فى مشيه ، ومنه : رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان : من السكون ضد الحركة ، ومن السكنى فى الموضوع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائق) سهل الشرب

لا يغص به من شربه (سابتات) دروع واسعات (أساطير) الأقلين : ما كتبه المتقدمون (هسيطار) أى مسلط ،
وأمر هم السيطرون : الأرباب (سندس) وإستبرق : ثياب حرير ، قيل السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق :
صفيقه (سحقا) بعدا ، ومنه مكان سحق : أى بعيد (سعير) جهنم ، وسعرت : أوقدت (سبب) وجمعه أسباب
له خمسة معان : الحبل ، ومنه : فليهدد بسبب إلى السماء ، والاستعارة من الحبل فى المودة والقراية ، ومنه ،
وتقطعت بهم الأسباب ، والطريق ومنه : فأتبع سبيا ، والباب ومنه : أسباب السموات ، وسبب الأمر : موجه
حرف الشين : (شعر) بالأمر يشعر : أى علمه ، والشعور : العلم من طريق الحس ، ومنه : لا يشعرون
(شهد) يشهد له معنيان : من الشهادة على الشيء ، ومن الحضور ، ومن الشهادة فى سبيل الله (شكرا) قد تقدم
فى الحمد والشكر ، والشكور : اسم الله المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثنى على العباد
(شرى) أى باع ، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة ، ومنه : ومن يشاقق الله (شهاب) كوكب ،
وقد يطلق على شعلة النار (شجر) هو كل ما ينبت فى الأرض ، وشجر بينهم : أى اختلفوا فيه (شنان) عداوة
وشر ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرح) الله الأمر : أى أمر به ، والشرية والشرعة : الملة وشرعة
الماء : فى الدواب ، شعائر الله : معالم دينه ، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان : من الإشراف ، وهو
أيضا النصيب ، ومنه أم لهم شرك فى السموات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أى مملوء

(حرف الصاد) (صراط) هو فى اللغة الطريق ثم استعمل فى القرآن بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله بالسین
ثم قلبت صاداً لحرف الإطباق بعدها ، وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسین ، وبين الصاد والزای (صلاة)
إذا كانت من الله فمعناها رحمة ، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيان : الدعاء ، والأفعال المعلومة (صوم) أصله
فى اللغة الإمساك مطلقاً ، ثم استعمل شرعاً فى الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت فى
قوله : إني نذرت للرحمن صوماً ، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطاق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوع ،
ومنه إن الصدقات والمصدقات ، وأما أنتك لمن المصدقين ، بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال
صداق المرأة ، ومنه : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والصدق فى القول : ضد الكذب ، والصدق فى الفعل صدق
النية فيه ، والصدق فى القصد : العزم الصادق (صعد) يصعد : أى ارتفع ، وأصعد بالالف يصعد بالضم :
أنى أبعد فى الهروب ، ومنه إذ تصعدون ، صعيداً طيباً : أى تراباً ، والصعيد : وجه الأرض (صد) له معنيان
فالتعدي بمعنى منع غيره من شيء ، ومصدره صد ، ومضارعه بالضم ، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود
(صار) له معنيان : من الانتقال ومنه : تصوير الأهور ، والمهير ، وبمعنى ضم ، ومضارعه يصور ومنه :
فصره ن إليك (صاعقة) له ثلاثة معان : الموت ، وكل بلاء يصيب ، وقطعة نار تنزل من شدة الرعد والمطر ،
وجمعها صواعق (أصر) على الذنب بصر إصراراً : دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية
والصاع ، وسواع بالسین اسم صنم (صائبين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله . وقيل إنهم يرون
تأثير الكواكب . وفيه لنتان . الهمز وتركة . من صبأ إلى الشيء : إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبأ
بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفى) أى اختار . وأصله من الصفى . أى اتخذها صفياً (صغار)
بفتح الصاد ذلة . ومنه صاغرون . والصغير ضد الكبير (صدف) عن الشيء يصدف . أعرض عنه (صریح)
مغيث ومنه : ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس . فإذا مسته النار فهو نثار (صرح) قصر وهو أيضا البناء العالى

حرف الضاد: (ضرب) له أربعة معان: من الضرب باليد وشبهه. ومن ضرب الأمثال. ومن السفر. ومنه ضربتم في الأرض. ومن الالتزام. ومنه ضربت عليهم الذلة. أي ألزموها، وضربنا على آذانهم: أي ألقينا عليهم النوم. و«أفضرِب عنكم الذكر» أي نمسك عنكم التذكير (ضاعف) الشيء: كثره. ويجوز فيه التشديد وضعف الشيء بكسر الضاد. مثله، وقيل مثله. والضعف أيضا العذاب. والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرب) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد. وكذلك الضير بالياء. ومنه لا يضركم كيدهم. والضر ما يصيب من المرض وشبهه (ضحي) أول النهار. والفعل منه أضحي. وأما ضحي بكسر الحاء. يضحى في المضارع. فمعناه برز للشمس وأصابه حرها. ومنه لا نظماً فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر. وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيف من ضيق المشدّد: كميت وميت

حرف الطاء: (طبع) ختم، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء: فضل أو غنى (طائر) له معنيان: من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادي وقيل معناه مرتين، أي قدس الوادي مرتين (طهارة) له معنيان: الطهارة بالماء، ومنه: جنباً فاطهروا، والماء الطهور وهو المطهر، والطهارة من القبائح والرزائل، ومنه: أناس يتطهرون. (طيب) له معنيان: اللذيذ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين، ويكون مفرداً أو جمعاً، والطاغوت أيضاً: رؤوس النصارى على قول (طباقي) بعضها على بعض، وطبقاً عن طبق: حالاً بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا: أي جعل يفعله (طائفين) من الطواف، وطائف من الشيطان لم وقرئ طيف

حرف الظاء: (ظهر) الأمر: بدا، وأظهره غيره: أبداه، وظهير: معين (ظاهر) الرجل من امرأته، وتظاهر، وتظهر: أي قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أي ارتفعت عليه، ومنه: فما استطاعوا أن يظهروه (ظلم) وقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر، والمعاصي، وظلم الناس: أي التعدي عليهم (ظن) له ثلاثة معان: التحقيق، وغلبة أحد الاعتقادين، والتهمة (ظمى) عطش (ظلال) جمع ظل، وظلل بالضم جمع ظه وهو ما كان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل

حرف العين: (عاذ) بالله يعوذ أي استجار به ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضاً استعاذ يستعذ، ومنه عذت بربي، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل العالمين: الإنس والجن والملائكة، يجمعهم جمع العقلاء، وقيل الإنس خاصة، لقوله «أتأتون الذكران من العالمين» (يعمّهون) يتحiron في ضلالهم، والعمه: الحيرة (عدل) يعدل: ضد جار، وعدل عن الحق، عدولاً، وعدلت فلاناً بفلان: سويت بينهما، ومنه: أو عدل ذلك صياماً (عزيز) اسم الله تعالى، معناه: الغالب، وعزّ: غلب، ومنه: وعزني في الخطاب، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة، ومنه: فمززنا بثالث: أي قوتنا، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معان: عفا عن الذنب: أي صفع عنه، وعفا: أسقط حقه، ومنه إلا أن يعفون أو يعفو الذي، وعفا القوم: كثروا، ومنه: حتى عفوا، وعفا المنزل: إذا درس (عفو) له ثلاث معان، العفو عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة: ومنه: ماذا ينفقون قل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء: وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة، ومنه: ولو شاء الله لآعنتكم: أي أهلككم، أو ضيق عليكم، والغنت أيضاً: الزنا، ومنه: ذلك لمن خشى العنت منكم، وأما عنت الوجوه: فليس من

هذا، لأن لأمه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع (عاقب) له معنيان : من العقوبة على الذنب ، ومن العقبي ،
ومنه : وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقتهم : أى أصبتم عقبا (أعجاز) نخل : أصولها ، أعجز الشيء :
إذا فات ولم يقدر عليه ، ومنه : وما هم بمعجزين ، وما كان الله ليعجزه من شيء ، وأما معاجزين بالألف :
فمعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة : أى افتقر ومنه : ووجدك عائلا ، وعال يعول : عدل عن الحق ، وعال يعول
أيضا : كثر عياله ، والأشهر أن يقال في هذا المعنى أعال بالألف (عرج) يعرج بفتح الراء في الماضي ،
وضمها في المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج ، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل : صار أعرج
(عتبي) معناه الرضى ، ومنه : فها هم من المعتبين ، ولا هم يستعتبون ، العتاب العدل (أعد) بالألف يست الشيء :
هياه ، وعدت بغير الألف من العدد (عرش) سرير الملك ، ومنه : ورفع أبويه على العرش ، وأهكذاعرشك ،
وعرش الله فوق السماء ، وتعرشون تبنون ، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما
يكبره كشفه ، ولذلك قيل عورة الإنسان ، عورات : أى أوقات انكشاف ، ويوتنورة : أى خالية معرّضة
للسراق (عافر) له معنيان : المرأة العقيم ، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر ، له معنيان من عبارة الرؤيا
ومنه : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، ومن الجواز على الموضع ، ومنه : عابر سبيل (عمون) جمع عم ، وهو صفة
على وزن فعل بكسر العين من العمى فى البصر أو فى البصيرة (علا) يعلو : تكبر ، ومنه قوما عالين ، وعلا
فى الأرض ، والعلى اسم الله ، والمتعلى ، والأعلى : من العلو بمعنى الجلال والعظمة ، وقيل بمعنى التنزيه عن
عمالا يلقى به (عزب) الشيء : غاب ، ومنه : لا يعزب عن ربك : أى لا يخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة
إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق : وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع

حرف الغين : (غشاوة) غطاء إما حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف ، وهو كل شيء
جعلته فى غلاف : أى قوبنا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، والغرفة من الماء بالضم
وبالفتح : المرة الواحدة (غادر) ترك ، ومنه لم نغادر (غل) ينل : من الغلول ، وهو الخيانة والأخذ من المغنم
بغير حق ، والغل الحقد (أغلل) جمع غل بالضم ، وهو ما يجعل فى العنق ، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلو
وهو مجاوزة الحد والإفراط ، ومنه لا تغلوا فى دينكم أى لا تجاوزوا الحد (غاطط) المكان المنخفض ، ثم استعمل
فى حاجة الإنسان (غشى) الأمر يغشى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع معناه غطى حسا ومعنى ، ومنه :
والليل إذا يغشى : لأنه يغطى بظلامه ، وينقل بالهمزة والتشديد ، يقال غشى وأغشى ، ومن فوقهم غواش يعنى
ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ، ومنه : غاشية من عذاب الله ، والغاشية أيضا : القيامة : لأنها تغشى الخلق
(غبر) له معنيان : ذهب وبقى ، ومنه عجوزا فى الغابرين : أى فى الهالكين أو فى الباقين فى العذاب (غرور)
بضم الغين . وبفتحها : اسم فاعل مبالغة ، ويراد به إبليس (غاض) الشيء : نقص ، ومنه : وغيض الماء .
وتغيض الأرحام . وغاز بالطاء يغيظ من النيظ (غور) غاير من غار الماء إذا ذهب (غرام) عذاب ومنه :
إنا لمغرمون ، والمغرم : غرم المال ومنه : من مغرم مثقلون

حرف الفاء : (فرقان) مفرق بين الحق والباطل . ومنه : يجعل لكم فرقانا : أى تفرقة . ولذلك سمي القرآن
بالفرقان (فتة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان : الإحسان . والربح فى التجارة
وغيرها . ومنه : يتبعون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر . وتارة بمعنى العصيان

(فتنة) لها ثلاثة معان: الكفر . والاختبار . والتعذيب (فاء) يفرأ أى رجوع (فلك) بضم الفاء : سفينة . ويستوى فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحين القطب الذى تدور به الكواكب (فرع) له معنيان : الخوف والإسراع . ومنه : إذا فرعوا فلا فوت (فرح) له معنيان : السرور والبطر (فاحشة) وفحشاء : هى كل ما يقيح ذكره من المعاصى (فرض) له معنيان : الوجوب . والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب . ومنه فتح البلاد وشبهها . والحكم ومنه : افتح بيننا وبين قومنا . ويقال للفاضى فاتح . واسم الله الفتاح : قيل الحاكم . وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء . ومنه : فاطر السموات والأرض . وفطرة الله : التى خلق الخلق عليها . وأفطر بالالف من الطعام (فطور) شقوق . ومنه انفطرت أى انشقت . ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شئ هاج وعلا حتى فاض . ومنه : وهى تفور . وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهى السرور واللهو (فؤاد) هو القلب ، وجمعه أفئدة (استغز) يستغز : أى استخف (فقه) فهم . ومنه : لا يفقهون . وما نفقه كثيرا (فى) حرف جر بمعنى الظرفية . وقد تكون للتعليل . وقد تكون بمعنى مع . وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع : عاطفة . ورابطة . وناصبة للفعل يا ضمرا أن . ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف : (قرآن) القرآن العزيز . ومصدره قرأ : أى تلا . ومنه إن علينا جمعه وقرآنه (قنوت) له خمسة معان : العبادة . والطاعة . والقيام فى الصلاة . والدعاء . والسكوت (قضاء) له سبعة معان : الحكم . والأمر . والقدر السابق . وفعل الشئ ، والفراغ منه ، والموت ، والإعلام بالشئ ، ومنه : قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معان : من القدرة ، ومن التقدير ، ومن المقدار ، ومن القدر ، والقضاء ، وبمعنى التصديق نحو : فقدر عليه رزقه ، وقد يشد الفعل ويخفف . والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقदार وبالفتح لاغير من القضاء (قام) له معنيان : من القيام على الرجلين ، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه ، ومنه : الرجال قوامون على النساء ، وقام الأمر : ظهر واستقام ، ومنه : الدين القيم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معان : أقام الرجل غيره من القيام ، ومن التقويم ومنه : جدارا يريد أن ينقض فأقامه ، وأقام فى الموضع : سكن ، ومنه مقيم أى دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور : معناه مديبر الخلائق فى الدنيا وفى الآخرة ومنه : قائم على كل نفس : له معنيان : مصدر قام على اختلاف معانيه ، وبمعنى قوام الأمر وملاكه ، وقيم بغير أل : جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف : قسطا : عدلا فى الحكم ، ومنه يحب المقسطين ، وقسط بغير ألف : جار ، ومنه : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (مقاليد) فيه قولان : خزائن ، ومفاتيح (قدس) يقدر من التنزيه والطهارة ، وقيل من التعظيم ، والقدوس : اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به (قال) يقول من القول ، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول ، وقال يقيل : من القائلة ، ومنه : أروهم قائلون ، وأحسن مقبلا (قنى) اتبع ، وأصله من القفا ، يقال أقفوته : إذا حبيت فى أثره ووقفته بالتشديد : إذا سمعت شيئا فى أثره ، ومنه : وقفينا من بعده بالرسل (قرن) جماعة من الناس ، وجمعه قرون (قواعد) البيت : أساسه ، واحدها قاعدة ، والقواعد من النساء : واحدة قاعد ، وهى العجوز (قربان) ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها ، وقربان أيضا من القرابة (قلى) يقلى : أبغض ، ومنه : وما قلى ، ولعملكم من القالين (اقرظ) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان : من الحديث ، ومن قص الأثر ، ومنه :

على آثارهما قصصا، وقصيه (قررت) به عينا، قرر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع (قراطس) ميزان (قتر) وقتره: غبار، وعبارة عن تغير الوجه، وقفور من التقدير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شعلة نار (قنط) يئس من الخير (قراطس) صحيفة وجمعه قراطيس

حرف الكاف: (كافر) له معنيان: من الكفر وهو الجحود، وبمعنى الزرع، ومنه: أعجب السكفار نباته أي الزراع، وتكفير الذنوب غفرانها (كرة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السن يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء: جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد: كبير مبالغة، والكبير: التكبر، وكبير الشيء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبيرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل: أي ضم الصبي وحضنه، وأكفلنيها اجعلني كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفي اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أي محسن (أكنه) أعطيه وأكفناه جمع كن، وهو ما وقى من الحر والبرد (كهل) هو الذي انتهى شبابه (أكام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب، وكبه غيره بنير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفا) بفتح السين جمع كسفة، وهي القطعة من الشيء وبالسكون كذلك أو مفرد (كتوا) أي أهلسكوا: أي يكبتهم، ثم يهلكهم، أو يخذلهم (أكمه) هو الذي ولد أعمى (كان) على نوعين: تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع، وهي ترفع الفاعل. وناقصة: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضى ثبوت الخبر للخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: وكان الله غفورا رحيما، وكان ربك قديرا، وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف (كأن) معناها التشبيه (كي) معناها التعليل (كم) معناها التكثير، وهي خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم، وهي عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أي (كلا) حرف ردع وزجر، وقيل إنها تكون للنفي: أي ليس الأمر كما ظننت، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل، وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام: (لبس) الأمر أي خلطه بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل (ألباب) عقول، وهو جمع لب (لبث) في المكان أقام فيه (لمز) يلزم: أي عاب الشيء (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام: الباطل منه، والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو، ومضارعه يلهو، وهي عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح. إذا عرض عنه وألهاه الشيء. إذا أشغله، ومنه لا تلهمكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى، قيل معناه رفيق، وقيل خبير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمني (لعل) معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع للسكروها، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب: أي ذلك مما يرتجى عندكم أي يتوقع، وقد يكون معناها التعليل، أو مقارنة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان. التمني، وامتناع شيء لا امتناع غيره (لما) لها معنيان: النفي وهي الجازمة ووجود شيء لوجود غيره وأما لما، بالتخفيف، فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون هي

بمعنى إلا الموجبة بعد النفي (لا) ثلاثة أنواع : نافية ، وناهية ، وزائدة (اللام) خمسة أنواع : لام الجر ، ولام كي ، ولام الأمر ، ولام التأكيدي في القسم وغيره وهي المفتوحة ، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان . الملك ، والاستحقاق ، والتعليل . وقد تأتي لتعدي إذا ضعف العامل ، وقد تأتي بمعنى عند ، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ولام كي معناها التشبيه والتعليل ، وقد تأتي بمعنى الصيرورة والعاقبة ، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا . وقد تأتي بمعنى أن المصدرية ، ومنه : يريد الله ليبين لكم

حرف الميم : (مرض) الجسد معروف ، ومرض القلب : الشك في الإيمان ، والبغض في الدين (المن) شبه العسل ، والسلوى طائر ، والمن أيضا : الإناعام ، والمن أيضا : العطية ، والمن أيضا : القطع ، ومنه أجر غير ممنون (أمان) جمع أمانية ولها ثلاثة معان : ما تنهانا النفس ، والتلاوة ، والكذب . وكذلك تمنى ، له هذه المعاني الثلاثة (مأ) القوم : أشرفهم ، وذو الرأي منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة ، لها أربعة معان : الشبيه والنظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التشبيه ، ومثل الشيء حاله وصفته ، والمثل الكلام الذي يتمثل به ، ومثل الشيء بكسر الميم شبهه (مرية) شك ، ومنه : الممتريين أي الشاكين ، لا تمار : من المراء وهو الجدال (أملى) لم : أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مد) يمد : أي أهلى ، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمد بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو وارد : من العتق والضلال (مكانة) بمعنى مكان أي من التمكين والعز ، ومنه مكين (مواخر) فواعل من المخز يقال مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الذم أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جار وهو من قولك : معن الماء إذا كثر ، وقيل : هو مشتق من العين ، ووزنه مفعول ، فإيم زائدة (مارج) مختلط والمارج لخب النار ، من قولك مرج الشيء إذا اضطرب ، وقيل من الاختلاط أي خاط نوعين من النار (مرج) البحرين ، أي خلى بينهما ، وقيل خلطهما ، وقيل فاض أحدهما في الآخر (مهل) فيه قولان : دردى الزيت ، وما أذيب من النحاس (منون) له معنيان : الموت ، والدهر (مس) له معنيان : اللبس باليد وغيره ، والجنون (من) لها أربعة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، ونكرة موصوفة (ما) إذا كانت اسما فلها ستة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، وموصوفة ، وصفة ، وتعجبية ، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع : نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع : لا ابتداء الغاية ، ولجملة الغاية ، وللتبويض ، وليبان الجنس والتعايل ، وزائدة (مهما) اسم شرط

حرف النون : (نظر) له معنيان . من النظر ، ومن الانتظار ، فإذا كان من الانتظار تعدي بغير حرف ، ومن نظر العين يتعدى إلى ، ومن نظر القلب يتعدى بفي (أنظر) بالالف آخر ، ومنه أنظري ، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نصرة) بالضاد من التعم ، ومنه وجوه يومئذ ناضرة : أي ناعمة ، وأما إلى ربه ناظرة ، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإناعام (أنعام) هي : الإبل ، والبقر ، والغنم . دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ، ويقال لها أيضا نعم ، ونعم كلمة مدح ، ويجوز فيها كسر النون وفتحها ، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفي أو الإثبات ، بخلاف يلي : فإنها للإثبات خاصة ، ويجوز في نعم فتح العين وكسرها (ند) هو المضاهي والمائل والمعانت ، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه ، ومنه : نذير ، ومنذر ، والمنذرين ، وكيف كان نذير : أي إنذارى فهو مصدر ، ومنه عذابي ونذر ، والنذر بغير ألف ومنه نذر ، ثم من نذر : فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان :

العقوبة ، والعبارة (نجى) بتشديد الجيم له معنيان : من النجاة ومن النجوة : وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك بيدك على قول (نجوى) معناه كلام خفي ، ومنه : ناجى ، وقربناه نجيا ، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله : وإذ هم نجوى ، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان : الذهول ، ومنه إن نسينا أو أخطأنا ، والترك ومنه : نسوا الله فأنسيهم (نسخ) له معنيان : السكتابة ، ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون ، والإزالة : ومنه : ما ننسخ من آية أو ننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف ، وبالسين اسم صنم : ويعوق ونسرا ، أو اسم طائر أيضا (نشوز) بالزاي : له معنيان شرين الرجل والمرأة ، وارتفاع ، ومنه انشزوا أى قوموا من المكان (نزل) بضم نون ، وهو ما يطعم الضيف (نأى) بعد ومنه ينأون عنه (نكص) رجع إلى وراء (نقر) نفور عن الشيء ونقر ينقر بضم المضارع ، ومنه نفرت الدابة ، ونقر ينقر بكسر المضارع نفيرا : أتى ، أسرع ، وجد ، ومنه : انفروا في سبيل الله (نبا) خبر ، ومنه اشتق النبي بالهمز ، وترك الهمز تخفيفا ، وقيل إنه عند من ترك مشتق من النبوة ، وهي الارتفاع (نطفة) أى نقطة من ماء ، ومنه خلقكم من نطفة يعنى من المنى (أناب) إلى الشيء : رجع ومال إليه ، ومنه : منيب (نغد) ينفذ أى تم وانقطع (نهر) بفتح الهاء الوادى ، ويجوز الإسكان ، وأما السائل فلا تهر : فهو من الاتهار ، وهو الزجر (منير) من النور ، وهو الضوء حسا ومعنى (نصب) بضم نون وإسكان الصاد ، وفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد ، وهو حجر أصم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتح نون ، ومنه : ومنى الشيطان بنصب : أى بلاء وشرا (نقم) الشيء ينقمه أى كرهه وعابه (نضيد) أى منصوب بعضه إلى بعض (نكسر) إنكار ، ويقال نكر الشيء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع ومنه : ينسلون ، من النسلان وهو الإسراع في المشى مع قرب الخطا

حرف الهاء : (الهدى) له معنيان : الإرشاد والبيان ، ومن البيان : فاما ثمود فهديناهم ، والإرشاد قد يكون إلى الطريق ، إلى الدين ، وبمعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال ما يهدى إلى السكة من الهائم (هاد) يهود : أى تاب ، ومنه هدنا إليك ، والذين هادوا : أى تهودوا أى صاروا يهودا ، وأصله من قولهم : هدنا إليك (هود) له معنيان : اسم نبي عاد عليه السلام ومعنى اليهود ، ومنه كونوا هودا (هوى) النفس : مقصور وهو ما تحبه وتميل إليه ، والفعل منه : بكسر الواو في الماضى وفتحها في المضارع (الهواء) بالذو والهمز : ما بين السماء والأرض ، وأقنذتهم هواء : أى متحترقة لا تعى شيئا (وهوى) يهوى بالفتح في الماضى والكسر في المضارع : وقع من علو ، ويقال أيضا بمعنى الميل ، ومنه : أقنذة من الناس تهوى إليهم (هاجر) خرج من بلاده ، ومنه سمي المهاجرون (هجر) من الهجران ، ومنه الهجر أيضا ، وهو غش الكلام ، وقد يقال في هذا الهجر بالآلف (أهل) لغير الله به أى صبح ، والإهلال : الصياح ، وفي النية أى أريد به غير الله (مهيمن) عليه شاعد ، وقيل مؤتمن ، والمهيمن . اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم ، وقيل الشهيد ، وقيل الرقيب (هوان ، هون) أى ذل (مهين) بضم الميم أى ففعل مشتق من الهوان : أى مذل ، وأما مهين ، بفتح الميم فعناه : ضيف أو ذليل

حرف الواو : (وقود) النار بفتح الواو : ما توقد به من الحطب وشبهه ، والوقود بالضم المصدر (وجه) له معنيان : الجارحة ، والجهة . وأما وجه الله : ففى قوله ابتغاء وجه الله أى طلب رضاه ، وفى قوله : كل شيء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك : قيل الوجه الذات ، وقيل صفة كاليدنين ، وهو من المتشابه (وعد) يعد

وعدا بالخير ، وقد يقال في الشر وأوعد بالآلف يوعد وعيدا بالشر لاغير (وِد) يوَد له معنيان من المودة والمحبة ، وبمعنى تمنى : ودوا لو تكفرون ، والوَد بالضم : المحبة ، وود : اسم صنم بضم الواو وفتحها (وودود) اسم الله تعالى أى محب لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلبة شر ، وقيل إن الويل وادفى جهنم (ووجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسط بين الشئين ، وبمعنى الخيار والأحسن (وسع) يسع سعة : من الاتساع ضد الضيق ، والسعة الغنى ، والواسع اسم الله تعالى : أى واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنى أى واسع الحال وهو ضد المقتدر : وإنا موسعون قيل أغنياء ، وقيل قادرين ، وإلا وسعها : طاقها (ولى) له معنيان : أدبر ، وجعل واليا ، وتولى له ثلاث معان : أدبر ، وأعرض بالبدن أو بالقلب ، وصار واليا ، واتخذ وليا ، ومنه : ومن يتولى الله ورسوله (ولى) ناصر ، والولى اسم الله ، قيل ناصر ، وقيل متولى أمر الخلائق (مولى) له سبعة معان : السيد والأعظم ، والناصر ، والوالى أى القريب ، والمالك والمعتق ، وبمعنى أولى ، ومنه النار مولاكم (ولى) يبلغ أى دخل ، ومنه : ما يبلغ فى الأرض ، وأولى : أدخل ، ومنه : يولى الليل فى النهار (وهن) يهن : ضعف ، ومنه : وهن العظم ، والوهن : الضعف (ورد) الماء يرد : إذا جاء إليه وأورده غيره ، وأرسلوا ووردهم ، الذى يتقدمهم إلى الماء فيسقى لهم (أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (يوزعون) يدفعون (وليد) صبي واجمع ولدان (ولى) يولى : يولى : لا توجل (أوجس) وجد فى نفسه وأضمر (وارى) يوارى : أى يستر ومنه يوارى سواة أخيه ، وما وورى عنهما ، وتواروا أى استتروا واستخفوا (وطأ) يطاء . له ثلاث معان : جماع المرأة . ومن الوطئ بالأقدام . ومنه أرضا لم تطؤها . والإهلاك . ومنه : لم تعلموهم أن تطؤهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل فى الأذن . والوقر بكسر الواو : الحل . ومنه : فالخاملات وقرأ (ودق) هو المطر (واصب) أى دائم (وكيل) كفيل بالأمر . وقيل : كاف (وزر) بفتحين أى ملجأ (وزير) أى معين . وأصله من الوزر بمعنى الثقل . لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان : ألقى فى نفسه . والوسواس : الشيطان (أوحى) يوحى وحييا ، له ثلاث معان : كلام الملك من الله للأنبياء . ومنه قيل للقرآن وحي . وبمعنى الإلهام ، ومنه : أوحى ربك إلى النحل ، وبمعنى الإشارة . ومنه : فأوحى إليهم أن سبحوا : أى أشار (وعى) العلم يعى : حفظه . ومنه : أذن واعية ، وأوعى بالآلف : يوعى جمع المسال فى وعاء . ومنه : جمع فأوعى حرف الياء : (يمين) له أربعة معان : اليد اليمين . وبمعنى القوة . وبمعنى الحلف . وأيمن أى إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل ، ومنه : كيل يسير ، وهين ، ومنه : ذلك على الله يسير ، واليسر : ضد العسر (يئس) أى انقطع رجاءه ، ومنه : لا تيئسوا من روح الله ، وإنه ليؤس وأما : أفلم يئس الذين آمنوا : فنعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القهار فى الرد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا إذا وجب . واليسر بفتح الياء والسين : الرجل الذى يشتغل بالميسر . وجمعه أيسار . وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قدام وهم الأزام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها . وبعضها لانصيب له . ويجزونها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزام فى خريطة ويضعونها على يد عدل . ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدام . فمن خرج له قدح له نصيب : أخذ ذلك النصيب . ومن خرج له قدح لانصيب له : غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أى عين من ماء . والجمع ينابيع

الكلام على الاستعاذة

في عشرة فوائد : من فنون مختلفة : (الأولى) لفظ التَعَوُّذ على خمسة أوجه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القراء . وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله القسوى من الشيطان الغوى . وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المرید . وهي محدثة : وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الثانية) يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة . سواء ابتداء أول سورة أو جزء سورة على الندب (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار . وروى الإخفاء عن حمزة ونافع (الرابعة) لا يتعوذ في الصلاة عند مالك . ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة . وفي كل ركعة عند قوم . فحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره : قول الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وذلك يعم الصلاة وغيرها (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي ؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله «فاستعذ» (السادسة) الشيطان : يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس . وهو من شطن إذا بعد ؛ فالنون أصلية والياء زائدة . وزنه فعال . وقيل من شاط إذا هاج ؛ فالنون زائدة . والياء أصلية ووزنه فعلان . وإن سميت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأول (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين : أن يكون معنى لعين وطريد . وهذا يناسب إبليس لقوله (وجعلناها رجوما للشياطين) والأول أظهر (الثامنة) من استعاذ بالله صادقا أعاده ؛ فعليك بالصدق ؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذرتها عصمها الله . ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه (التاسعة) الشيطان عدو . وحذر الله منه إذ لا مطمع في زوال علة عداوته . وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم . فيأمره أولا بالكفر ويشككه في الإيمان ؛ فإن قدر عليه ؛ وإلا أمره بالمعاصي . فإن أطاها وإلا ثبطه عن الطاعة . فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب (العاشرة) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، والنفس ، والدنيا ، والخلق . فعلاج الشيطان : الاستعاذة والمخافة له ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد . (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا في النفل خاصة ، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة ، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة ، فحجة مالك ماورد في الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «أنزلت على سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، فبدأ بها دون البسملة ، وماورد في الحديث الصحيح «إن الله يقول : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : يقول العبد الحمد لله رب العالمين ، فبدأ بها دون البسملة ؛ وحجة الشافعي ماورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين . وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف (الثانية) إذا ابتدأت أول سورة بسملت ؛ إلا براءة . وسنذ كر علة سقوطها من براءة في موضعه ، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو والداني ، وترك البسملة عند غيره ، وإذا آتممت سورة وابتدأت أخرى ، فاختلف القراء في البسملة وتركها (الثالثة) لا يبسمل في الصلاة عند مالك ، ويبسمل عند الشافعي جهرا في الجهر ، وسرّا في السرّ ، وعند أبي حنيفة سرّا في الجهر والسرّ فحجة مالك من وجهين : أحدهما أنه ليست عنده آية في الفاتحة حسبا ذكرنا ، والآخر ماورد في الحديث الصحيح عن أنس أنه قال وصلت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها ، وحجة الشافعي من وجهين : أحدهما أن البسملة عنده آية من الفاتحة ، والآخرى ماورد في الحديث من قراءتها حسبا ذكرنا (الرابعة) كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله ، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن ، حتى نزل له من سليمان وإياه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها ، وحذفت الألف في بسم الله لكثرة الاستعمال (الخامسة) الباء من بسم الله : متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير : ابتداء كأن بسم الله ؛ فوضعها رفع ، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلو فوضعها نصب وينبغي أن يقدر متأخرا لوجهين : أحدهما : إفادة الحصر والاختصاص ، والآخرى : تنديم اسم الله اعتناء كما قدم في بسم الله مجراها (السادسة) الاسم مشتق من السمق عند البصريين فلامه واو محذوفه ، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة ، فقاؤه محذوفة ، ودليل البصريين التصغير والتكبير ؛ لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها ، وقول الكوفيين أظهر في المعنى ، لأن الاسم علامة على المسمى (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد « والألف واللام فيه لازمة للتعريف ، وقيل إنه مشتق من التأله وهو التعبد ، وقيل من الوهان ؛ وهي الحيرة لتحير العقول في شأنه ، وقيل أصله له من غير الف واللام ، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه ، فاجتمع لآمان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، ونغم للتعظيم ؛ إلا إذا كان قبله كسرة (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل وقيل إرادة الإحسان ، فهي صفة ذات (التاسعة) الرحمن الرحيم على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة ، وقيل الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) فالرحمن أعم وأبلغ ، وقيل الرحمن . أبلغ لوقوعه بعده ، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى (العاشر) إنما قدم الرحمن لوجهين : اختصاصه بالله ، وجريانه بجري الأسماء التي ليست بصفات . انتهى والله أعلم

قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة أم القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثاني . وفيها عشرون فائدة ، سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هي مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلا أن الشافعي يعدد البسملة آية منها ، والمالكي يسقطها ويعد أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي ، خلافا لأبي حنيفة وحجتها قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذي علمه الصلاة : اقرأ ما تيسر من القرآن ، (الفائدة الثانية) اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أو هو ابتداء كلام الله ، ولا بد من إضمار القول في «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر : لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأن الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أن قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى ، فيالها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدة عقول الخلائق ، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «التحدث بالنعمة شكر» والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى ، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعالم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير . والناس في الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنعم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن آدم^(١) : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : من أفضل الناس ؟ قال ، فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحنن ، ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما في اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا الحمد لله رب العالمين ، أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ماخرجه النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثاني : أن التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك « رب العالمين » وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعاني ما قدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل ما قلته أنا والنيون من قبلي لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها ، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها في رب العالمين ؛ إلا أن الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أن الأرجح في العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائي بالألف والتقدير على هذا : مالك مجيء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأول : أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثاني : قوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) والثالث : أنها لا تقتضي حذفاً ، والأخرى تقتضيه ؛ لأن تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجيء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأما قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أي الملك في يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت الفراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جزئ مالك ومالك صفة للبرقة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضنة . فالجواب أنها تكون غير محضنة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائماً فإضافته محضنة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك في الموضوعين مفعول بالفعل الذي بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المفعولات يقتضي الحصر ، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، واقتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافاً بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفي هذا دليل على بطلان قول القدريّة والجبرية ، وأن الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمن الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإن الارتقاء في المقامات لانهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك السنة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى ثم استعير للطريق الذي يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأن القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاي ، وقد قيل إنه قرئ بزاي خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاي فلهوابقة الطاء في الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأول أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويعد النعت لأن إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أول في موضع نصب ، والثاني في موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقدروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام في كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا في قوله ولا الضالين دليل على تغير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكانها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدمة الأولى تعلم ذلك في الألوهية حاصل في قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : في قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي : في قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها في قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم في قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

(خاتمة) أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها أولاً يجوز تشديد الميم ، وليؤمن في الصلاة . المأموم والغد والإمام إذا أستر ، واختلفوا إذا جهر

سورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمبنى في حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهي أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اَلَمْ . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

سورة البقرة

(الم) اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور ، وهي : المص ، والر ، والمر ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويس ، وص ، وق ، وحم ، وحم عسق ، ون . فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، قال أبو بكر الصديق : لله في كل كتاب سر ، وسره في القرآن فوائح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هي أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هي حروف مقطعة من كلمات : فالآلف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك في سائرها ، وورد في الحديث أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التي تبقى هذه الأمة ، وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معناها فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض . فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمرة ، والخفض على قول من جعلها مقسماها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لا ريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لا ريب فيه) أى لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لا ريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لا ريب» والأول أرجح لتعيينه في قوله «لا ريب» في مواضع آخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لا فيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفي الريب عنه . ولو قدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثم كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لا فيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولو كان بمعنى البيان لم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه ، عند ما يقف على لا ريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإسارة (المتقين) مفتعين من التقوى ، وقد تقدم معناه في الكتاب ، فتسكلم عن التقوى في ثلاثة فصول الأول : في فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهي خمس عشرة : الهدى للمتقين ، والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولي المتقين» والحجة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية « وتيسير الأمور لقوله » ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا « وغفران الذنوب وإعظام
الأجور لقوله « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من
المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة »
ودخول الجنة لقوله « إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجي الذين اتقوا »
الفصل الثاني : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخرى ، وخوف الدينوى ، ورجاء الثواب
الدينوى ، ورجاء الثواب الأخرى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر
على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ،
وصدق المحبة لقول القائل : -

تعصى الإله وأنت تظهر جبه
هذا لعمري فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب إن يحب مطيع

ولله درّ القائل : -

قالت وقد سألت عن حال عاشقها
الله صصفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظميا
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتق العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتق المعاصى
والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتق الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتق المباحات وهو مقام الزهد ،
وأن يتق حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور
المنعيات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا فى فعيل :
كमित ، والآخر يؤمنون فى حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق يؤمنون وعلى
الثانى فى موضع الحال ، ويجوز فى الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أورفعا على أنه
خبر مبتدأ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : عليها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها فى
أوقاتها بالإخلاص لله فى فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع
فيها ، وملازمة الجماعة فى الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة
لاقتنائها مع الصلاة ، والثانى أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص ،
(والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب
فيكون عطفًا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة
والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إن الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل ،
فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعينهم ، وقد
اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل بيد من كفار قريش ، وقيل المراد حيي بن أخطب وكمب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۚ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۚ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۚ
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۚ

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعله لأنه في تقدير المصدر، وسواء مبتدأ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه: استئنافا للبيان، أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا، ولا يؤمنون الخبر، والهمزة في أنذرتهم لمعنى التسوية قد انساخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه، والأول أرفع، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم، فيوقف عليه، وقيل الوقف على قلوبهم، والسمع راجع إلى ما بعده، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافا لمن منعه، ووجد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير في يقول رعا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبدالله بن أبي ابن سلول يظهرون الإسلام ويسرون الكفر، ويسمى الآن من كذلك: زنديقا، وهم في الآخرة مخلدون في النار، وأما في الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دعاتهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان، فذهب مالك: القتل، دون الاستتابة، ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل، فإن قيل: كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية وما هم بمؤمنين «جملة إسمية فهلا طابقتها؟ فالجواب: أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وأكد في نفي الإيمان عنهم من لوقال ما آمنوا، فإن قيل: لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين مطلقا؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين: التقيد؛ فتر كدلالة الأول عليه، والاطلاق، وهو أعم في سلمهم من الإيمان (يخادعون) أى يفعلون فعل الخداع، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأول أظهر (وما يخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ: وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (في قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون في قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنيمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحد الكفر لقولهم آمنا، أو اعتقاد أمنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامَنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۗ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۗ مَثَلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۗ صَمٌّ بِكُمْ عَمِي ۗ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ ۗ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل وما يحتمل أن تكون كافة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أؤمن) إنكار منهم وتقبيح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدى خلا إلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) بجملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملئ لهم بدليل قوله «ويمددهم» وقبل يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء في سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمددهم) يزيدهم ، وقيل يملئ لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمكثهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للجواز، لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) في هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشري نفي الربح في قوله : فما ربحت ، ونفي سلامة رأس المال في قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أي أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل في استعمل (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أي أذهب ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طغيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذي» على بابه من الأفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذي : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطلق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيهة بالنور ، وعذابهم في الآخرة شبيهة بالظلمة بعده ، والثاني : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوفد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون : فعناه لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فعناه أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذي استوفد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعيل ، وهو مشتق من قولك صاب يصب ، وفي قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلاً للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل القرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمع كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما الاثني في الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجالس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو على هذا حقيقة في المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطاعة نار والموت أيضاً حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين في المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين : فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم الملاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلها ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراساً على المشى ذكر معه كلها ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لاذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لاوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعديدية كما هي في قوله تعالى : ذهب الله بنورهم ، (يا أيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكروا ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحداً ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركاً ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمناً (لعلكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أو بفعل مقدر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخوفين جرياً على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها للمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطباع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت في كلام الله تعالى (الأرض فراشاً) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفرش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من التبويض أو لبيان الجنس ، لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرته الله تعالى (فلا تجعلوا) لا نهاية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، وبتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقهم وخلق السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاحظة جملة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولاً ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقاً لكم : يدل على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاحظة وخطاب بديع .

شَهِدَ آءَ كُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَئِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبية على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور : وهى : أن الله موجود ، لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة ، وأنه واحد لا شريك له ، لأنه لا خالق إلا هو « أفمن يخلق كمن لا يخلق » وأنه حىّ قدير عالم مرید ، لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لا تصدر صنعة عن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأن ما ثبت قدمه استحاله عدمه ، وأنه حكيم ، لأن آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتديره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ما خلق منافع لى آدم سخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض وأكثر ما أتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلمكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلمكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أن التقوى غاية العبادة وكما لها فكان قوله لعلمكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أن القرآن جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لا ريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشرىف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشرف العباد والله در القائل : -

لا تدعنى إلا ياعبدها ، فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يرا به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ما أنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لا ابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقيق فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ وَبَشَّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلًّا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) خطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة) (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشري هذا لأنه أنعم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابهًا) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقدار النساء وسائر الأقدار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحي) تأول قوم : أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياة مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلىين المتقدمين فى المناققين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا ما بعوضة) إعراب بعوضة مفعول يضرب ، ومثلا حال ، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان ، أوهما مفعولان يضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وما صفة للنكرة أو زائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءها من عند الله (ماذا أراد الله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون مابتدأ وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

الله بضرب المثل من الهدى والضلال (عهد الله) مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم (ميثاقه) الضمير للعهد أوله تعالي (كيف تكفرون) موضعها الاستفهام، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ (وكنتم أمواتا) أى معدومين أى فى أصلاب الآباء أو نطفة فى الأرحام (فأحياكم) أى أخرجكم إلى الدنيا (ثم يميتكم) الموت المعروف (ثم يحييكم) بالبعث (ثم إليه ترجعون) للجزاء، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لاخذ العهد، وقيل فى الحياة الثانية إنها فى القبور، والراجع القول الأول لتعيينته فى قوله «وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»

(فوائد ثلاثة) الأولى: هذه الآية فى معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث، لأن القدرة صالحة لذلك كله. الثانية: قوله «وكنتم أمواتا فى موضع الحال، فإن قيل: كيف جاز ترك قد وهى لازمة مع الفعل الماضى إذا كانت فى موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضى مستقبل والمراد بمجموع الكلام كأنه يقول وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد. الثالثة: عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخى بينهما، وعطف ثم يميتكم و ثم يحييكم ب ثم للتراخى الذى بينهما (خلق لكم مافى الأرض) دليل على إباحة الانتفاع بما فى الأرض (ثم استوى) أى قصد لها والسماء هنا جنس ولاجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة (فسواهن) أى أتقن خلقهن: كقوله: فسواك فعدلك، وقيل جعلهن سواء (فائدة) هذه الآية تقتضى أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله: والأرض بعد ذلك دحاها، ظاهره خلاف ذلك، والجواب من وجهين: أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر تكرون ثم لترتيب الأخبار (الملائكة) جمع ملك واختلف فى وزنه فقيل فعل فاليم أصلية، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة وقيل هى من الألوكه وهى الرسالة فوزنه مفعول ووزنه مألک ثم حذف الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة، ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد (خليفة) هو آدم عليه السلام: لأن الله استخلفه فى الأرض، وقيل ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا، والاقول أرجح، ولو أراد الثانى لقال خلفاء (أتجعل فيها) الآية: سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض: لأن الملائكة منزهون عنه وإنما علموا أن بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَآذَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

كان في الأرض جن فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم ، فقام الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسيح) اعتراف والتزام للتسيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسيح متلبسين بحمدك ، فهو في موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى تقدسك على معنى نزهك أو نعظمك ، وتكون اللام في لك للتعايل أى لأجلك ، أو يكون التقدير تقدس أنفسنا أى نظهرها لك (مالا تعلقون) أى ما يكون في بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الأسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء لتشمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبؤنى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى في قولكم إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لاعلم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقابلة (فسجدوا) روى أن من أول من سجد لإسراfil ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإيادته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لا اعترافه بالرؤية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة الزين ، وقيل الحنطة ، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فآذاهما) متعده من أزل القدم ، وأزلهما بالألف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا (فائدة) اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى ، فنى ولم نجد له عزما ، وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغار ، وقيل تأول آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۚ فَتَلَقَىٰ
 آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۚ قُلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ
 تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ۚ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِهُونَ ۚ

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد
 كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو في مدة
 الحياة ، وقيل في بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) ما يتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أي أخذ وقيل على
 قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هي قوله : ربنا ظلمنا
 أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها في الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا)
 كرر ليناط به مابعد ، ويحتمل أن يكون أحد المهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثاني
 لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع)
 شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بني إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما
 وذكر مبدأهم : دعابني إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم
 بالملاطفة وذكر الإناعم عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحججة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر
 العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ،
 وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر
 لكم خطاياكم ، وآتيناهم موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتي عشرة عينا . وذكر من
 سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا
 ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتهم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم
 الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ،
 ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسهم ، وكونوا قردة ، وأزلنا عليهم رجزا من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا
 قلوبهم قاسية ، وحرمانا عليهم طبيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطف المعاصرون لمحمد
 صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
 بتوبيخات أخر ، وهي : كتبناهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحزفون الكلم ويقولون
 هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل
 واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغلولة (نعمتي) اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع ،
 ومعناه عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصاصهم به كالمن والسلوى ،
 والمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعا (بعهدى) مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود
 وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوى لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ۝
وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا
مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ۝ أْتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝

(وإياي) مفعول بفعل مضمرة مؤخر لانفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياي فاتقون (بما أنزلت) يعني القرآن (مصداقا لما معكم) أي مصدقا للتوراة ، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب ، فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحت الكفر في ثانی حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا : الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال : كقوله : اشترى الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هي الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فهوا عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل ما زادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهي ، أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأن العطف يقتضى النهي عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنما يقتضى النهي عن الجمع بين الشئين لا النهي عن كل واحد على انفراده (وأتم تعلمون) أي تعلمون أنه حق (الصلاة وآتوا الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول في الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكانه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول في دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أأأمرون) تفریع وتوبيخ لليهود (بالبر) عام في أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأجار يأمرهم من نصحوه في السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرهم باتباع التوراة ، ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تفسون) أي تتركون ، وهذا تفریع (تلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۖ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۖ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۖ وَإِذْ فَرَقْنَا

ركعتين وقرأ الآية، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة، وقيل الصبر هنا الصوم، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (لكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه قاهو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لا تجزى) لا تغنى وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة فى موضع الصفة، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعتة) ليس نبي الشفاعة مطلقا فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه»، ولقوله «ما من شفيع إلا من بعد إذنه»، ولقوله «ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له»، وانظر ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعة فيقال له: اشفع تشفع. فكل ماورد فى القرآن من نبي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس فى هذه الآيات المطابقة دليل للمعتزلة على نبي الشفاعة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجيناكم) تقديره اذكروا إذ نجيناكم أى نجينا آباءكم، وجاء الخطاب للعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذرّيتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساويهم لأن ذرّيتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله، وحذف لدلالة المعنى، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة، ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولى مصر، وأصل آل: أهل، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ما ذكره فى هذه الصور من الأخبار معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك، وعطف لاختلاف اللفظة، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل (١) وقيل إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذرّيته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل بل وكل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطت وهى: «أنه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلى بها ولم تعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون يقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل» - كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

بِكُمُ الْبَحْرِ فَاَجْنَحْنُكُمْ وَاعْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ وَاِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ
 مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَاِذْ اَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَاِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ اِنكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلَىٰ بَارِئِكُمْ
 فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ
 لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اِلٰهَ جَهَنَّمَ فَاَخَذْتُمْ الصَّلْعَةَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
 وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَاَلَا يَكُنْ كَانُوْا
 اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سِجِّدًا وَقُولُوا
 حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيْئَتِكُمْ وَسَنُزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ
 ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ ۝ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ ۝ وَاِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فُلْنَا اَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هي شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالي بالذكر لأن العام بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً، حذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة، عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضهم بعضاً كقوله «سلموا على أنفسكم» وروى أن من لم يعبد العجل قتل من غده وروى أن الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ القتلى سبعون ألفاً فعنى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب أى ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن تؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عياناً (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم، وجراءتهم على الله، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظله يقيهم حر الشمس، وكان ذلك فى التيه، وكذا أنزل عليه فيه المن والسلوى تقدم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس، وقيل أريحا، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب، لأن الأكل بعد الدخول، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا، لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل متواضعين (حطة) تقدم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجراً إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة، وروى : حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين، وضع الظاهر موضع

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّاءَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِّينَ مِنْ ءَأْمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَّا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَآفِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۚ

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة في تقييح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا في التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا في ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة ، وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ في الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الحنطة (أدنى) من الأدنى الحخير وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامة (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه ، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام ، والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، وألزموها وجعله الزنجشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الناقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلّة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقرررت الموجبات لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتشكيك لاستغراق النفي . لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيذا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما أنهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية : قال ابن عباس نسختها «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلانسخ ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلانسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَوْلًا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَكُمْ مِّنَ الْخَسِرِينَ ۖ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
 مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۖ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۖ
 وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ۖ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لِّفَارِضٍ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
 فافعلوا ما تؤمرون ۖ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لونها تسرُّ
 النَّظِيرِينَ ۖ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۖ قَالَ إِنَّهُ
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لِّذُلُولِ تَيْرِ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لِأَشْيَةِ فِيهَا قَالُوا الْاِنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ فذبحوها
 وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۖ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۖ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِيَعِضِهَا
 كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْتَلُونَ ۖ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان ، ومعناه مبعدين
 كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعله وهي المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وماتأخر ،
 وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى
 على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القاتل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد
 ميتا (أتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب ، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك)
 أى بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة ، وقيل سوداء وهو
 بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط ، وهو بعيد (فاقع) شديد الصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها ،
 وقيل لسمها ومنظرها كله (لاذلول) غير مذلة للعمل (تير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت التنى على
 الأصح (ولا تسقى الحرت) لا يسقى عليها (مسلمة) من العمل أو من العيوب (لاشية) لالعة غير الصفرة ، وهو
 من وشى فقاؤه أو مخدوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق ، وقيل العامل فيه مضم
 تقديره الآن تذبحوها ، والأول أظهر فإن كان قولهم : أتخذنا هزوا : هكذا ؛ فهذا تصديق وإن كان غير
 ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو اغتلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتم وأنهم
 اشتروها بوزنها ذهباً أو لقله وجود تلك الصفة ، فقد روى أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ، ولكنهم
 شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فربته التقديم (إن الله يأمركم) قال
 الزحشرى إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ولو قدم المكان
 قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ما كنتم تكتمون) من أمر
 القاتل ومن قلة (اضربوه) القاتل أو قريبه (ببعضها) مطلقا ، وقيل الفخذ وقيل اللسان ، وقيل الذنب (كذلك)

أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ
 مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ
 ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضِبٍ إِلَىٰ بَعْضِ
 قَالُوا اتَّخَذْتُنَّهِمْ إِيْمَانًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيَجْأُجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
 مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ءَأَمْ

إشارة إلى حياة القتييل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لا بد منه تقديره ففعلوا ذلك
 فقام القتييل (فائدة) استدلال المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني ، وهو ضعيف لأن هذا
 المقتول قام بعد موته ومعاندة الآخرة ، واتصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا
 يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك
 (قست قلوبكم) خطاباً لبني إسرائيل (من بعد ذلك) أى بعد إحياء القتييل وما جرى فى القصة من العجائب ،
 وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء
 أى هى أشد ، وأوهنا إما للإيهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد
 قسوة كالحديد ، أو التفضيل أى فهم أفسى مع أن فعل القسوة ينبى منه أفعال تكون أشد أدل على فرط
 القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أى يتردى من علو إلى أسفل والخشية
 عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا)
 يعنى اليهود وتعنى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذى يسمع كلام الله على الطور
 ثم حرفه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا)
 قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم)
 تويخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما فى كتبهم من ذكر محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم
 به عند ربكم) قيل فى الآخرة وقيل أى فى حكم ربكم وما أنزل فى كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من
 بقية كلامهم تويخا لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أى الذين
 لا يقرؤون ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ،
 لأن الكلام كله من اليهود (إلا أمانى) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وماتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق
 لا قرائمهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أوهى الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
 لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَتَمَّ هَؤُلَاءِ مَقْتُلُونَ
 أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ فَتُدْوَؤُهُمْ
 وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُونُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ
 إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
 الَّذِينَ أَسْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَىٰ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يَحْتَمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

معدودة) أربعين يوماً عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام (تخذتم) الآية: تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق
 لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون (من كسب سيئة) الآية: في الكفار لأنهارد على اليهود، ولقوله
 بعدها «والذين آمنوا فلاحجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه
 الميثاق، وقيل خبر بمعنى النهي، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن
 (وبالوالدين) يتعلق بإحسان، أو بمحذوف تقديره أحسنوا، ووكد بإحسانا (وذى القرى) القرابة (اليتامى)
 جمع يتيم: وهو من فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان. من فقد أمه، وجاء الترتيب في هذه
 الآية بتقديم الأهم، فقدم الوالدين لحةهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى
 لقلة حيلتهم، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعراجه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون
 أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضاً (ثم أقررتهم) بالميثاق واعترفتهم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم
 (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالاً لازمة تم بها
 المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير: حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر
 مع حلفائه، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئ بالالف وحذفها
 والمعنى واحد، وكذلك أسارى بالالف وحذفها جمع أسير (وهو محزم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو
 مبتدأ وخبره محزم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن، وإخراجهم: مبتدأ، ومحزم خبره، والجملة
 خبر الضمير (أفتؤمنون بعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم (وتكفرون بعض) القتل
 والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق (وقفينا

لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَتَّقُونَ ۚ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ بَشِّرْهُم بِأَنفُسِهِمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ۚ إِنَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۚ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُلُونَا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ۚ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ

من بعده بالرسول) أى جئنا من بعده بالرسول ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الاول (بالبينات) المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يكنى به الموتى ، والاول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أیده بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعاً بالغة لأنه أيد استحضاره فى النفوس أولانهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا أن الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) رداً عليهم ، ويان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلاً) أى إيماناً قليلاً (ما يؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والسين على هذا للبالغة كفى استعجب واستسخر ، وعلى الأول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا) القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جواباً لما الأولى والثانية ، وأعيدت الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جواباً لما الثانية ، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواباً لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمير ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أو للجنس ، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمرة وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء : بئسما مركب كحكب وقال الكاسى ماصدرية أى اشترا كهم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا) فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم العجل ، أو لقولهم عزير ابن الله ، أو لغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراهه) أى بما بعده

بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرَ اللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردًا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيب لهم ، وذكر الماضي بلفظ
المستقبل إشارة إلى ثبوته فكانه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدر في إيمانهم
وجوابها يدل عليه ما قبل ، أو نافية فيوقف قبلها والاقول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات : كالعصا ، وخلق
البحر ، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه أزم لهم ، والإبطال بقولهم : تؤمن بما أنزل علينا ،
وكذلك رفع الطور ، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله « ثم عفونا عنكم ، ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ، وعطفه بتم في الموضوعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام :
أى من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ، ويحتمل
أن يكونوا قالوه بلسان المقال ، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمسك حب العجل من قلوبهم ، فهو مجاز
تشبيهاً بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الصواب وفي الكلام مخذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى
برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربوه ، فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله في قلوبهم (بكفرهم)
الباء سببية للتعليل ، أو بمعنى المصاحبة (بأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم ، فهو مجاز على وجه التهمك ، فهو كقولك
أصلتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفي (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان
أو باللسان خاصة ، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيك ، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى
أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، وقيل إن ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن
يتمنوه) إن قيل : لم قال في هذه السورة : ولن يتمنوه ، وفي سورة الجمعة : ولا يتمنونه فنفي هنا بلن ، وفي
الجمعة بلا ، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، الجواب أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلاً وهو قوله إن كانت
لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال ، ولما كان الشرط في الجمعة حالاً ، وهو قوله
إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا : التي تدخل على الحال ، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم
وكفرهم (علمهم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون عطفاً على ما قبله فيوصل به ،
والمعنى أن اليهود أحصرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، فحمل على المعنى كأنه قال أحصرص من الناس ومن
الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكري بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط جهنم
للحياة الدنيا. والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداءً كلام فيوقف على ما قبله ، والمعنى : من الذين أشركوا أقوم
(يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) مخذوف الموصوف ، وقيل أراد به المجوس ، لأنهم يقولون لملوكهم عش

يَعْمَلُونَ ۖ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۚ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۚ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ
اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانَ
الشَّيَاطِينُ كَافِرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ يُبَالِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود ، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم (وما هو بمنزلة حزره)
الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون
هو للتعشير وأن يعمر بدل (من كان عدوا لجبريل) الآية : سببها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
جبريل عدو لنا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فلذلك لا تؤمن به ، ولوجاءك ميكائيل لآمننا بك ؛ لأنه ملك الأمطار
والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإن الله نزل جبريل ، والآخر فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأن
قوله مصدقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الرد على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوا
لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للعبه ، ويؤكد هذا قوله وهدي وبشري ، والثاني
من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل)
ذكرنا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أوكلما) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم)
نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن تؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى
الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمتقدمين
(ماتوا) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه
إليه ، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليندبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما
كان سليمان ساحرا ، وقيل إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك
ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه
السلام (وما أنزل) نفي أو عطف على السحر عليهما ، إلا أن ذلك يرده آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى
الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين
« بكسر اللام » وقال الحسن : هما علجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (يبابل) موضع معروف
(هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن قتنه) أى محنة ، وذلك تحذير من
السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا (بفرقون) زوال العصمة

به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن أشرد له في الآخرة من خلق
 ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
 يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين
 كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
 والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل
 شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم
 تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل
 ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

أو المنع من الوطء (يضرهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر
 الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم
 وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره
 وقيل ل الجواب محذوف أى لا يثبوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضوعين نفي لعلمهم (لا تقولوا راعنا) كان
 المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرونا ،
 فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا
 يقولونها على معنى النداء ، فهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون
 وأقصده اليهود ، فالنهي سدا للذريعة ، وأمرها أن يقولوا انظرونا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من
 النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على
 قولوا لاعلى معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (ما يود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب
 والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من
 خير) من للتبويض ، وقيل زائدة لتقدم النفي فى قوله ما يود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة وللعموم أولى ،
 ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (مانسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون :
 أى نأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينساها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله
 كقوله « سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء الله » أو بمعنى الترك : أى تركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ
 بالهمز بمعنى التأخير : أى تؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على
 جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلاً ، وواقع شرعاً
 فكما نسخت شريعتهم ما قبلها ، نسخها ما بعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن
 العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ود كثير من

الْحَقِّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَا تَتَدَمَّوْا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ بَلَىٰ مِنْ أَسْمٍ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۚ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حى بن أخطب وأمىة بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا
يحرصون على فتنه المسلمين ، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من اجله ، أو مصدر فى موضع
الحال ، والعامل فيه ما قبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم
حسدا ، فعلى هذا يوقف على ما قبله ، والأول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيود
(فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قائلهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية . أى
قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصرى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا)
يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفته منه يا هودا على عير قيس (أمانهم)
أكاذيبهم أو ما يتمنونوه (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، بهاتى ، ولم ينطق به ،
وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) لإيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا
(من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد بحلة الإنسان (وقالت
اليهود) الآية : سببها : اجتماع نصرارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتنون) تفتيح
لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله)
لفظه الاستفهام ومعناه : لا أحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أو النصرارى منعوا بيت المقدس
أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحج بعد هذا العام مشرك ، وفى
حق النصرارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبهم وفتح مكة ، وفى حق
النصرارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير
القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نقل المسافر حيث ماتوجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى
ما قبلها : أى إن منعم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها استتجاج على من أنكر تحويل القبلة ،
نهى كقولهم بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية ، والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَتُّونَ ۖ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنزِيلًا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ

أخطأ القبلة ، فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنارضاه كقوله « ابتغاء وجه الله » أي رضاه ، وقيل معناه الجهة التي وجهه إليها ، وأما قوله « كل شيء هالك إلا وجهه » ، ويبقى وجه ربك ، فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكليف ، ويرد عليه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أو عن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية رد عليهم لأن الكل ملكه ، والعبودية تنافي النبوة (قاتون) أي طائعون منقادون (بديع السموات) أي مخترعها وخالقها ابتداء (وإذا قضى أمرا) أي قدره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد في الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزلى وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لا يكون قضى هنا بمعنى قدر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو وجد كقوله : نقضاهن سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشيء ، وهو واحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون : هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقي لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء في حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا في حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطرب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشيء الذي يقول له كن فيكون هو موجود في علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثاني : أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري ، والثالث : أن ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى : كإحياء الموتى ، ومسح الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقوله : يقول من أجله ، فلا يلزم خطابه : والأول أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد في هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل أمرا للعدومات بشرط وجودها ، فكل ما في الآية بما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستثناء ، قال سيبويه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبري ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التسكون والوجود ، وفي هذا نظر (وقال الذين لا يعلمون) هم هنا وفي الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن تؤمن حتى يكلمنا الله (أو نأتينا آية) أي دلالة من المعجزات كقوله لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وما بعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعني اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب ، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لا يعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم في الكفر أو في طلب

الْجَحِيمِ ۝ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَيْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يٰبَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مآلا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم
(إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ما جاءت به الشريعة (بشيرا
ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتندر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ،
وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آباءه في الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل
كقولك : لا تسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم
(ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان في الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى
الله) لا ما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقى لأنه هدى من عند الله
بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ما هم عليه من الأديان الفاسدة
والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد
صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو
على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم
الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على
هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من
التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن
التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة
الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ،
لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يا بنى إسرائيل)
الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمّر تقديره اذ كر ، وقوله
(بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ،
وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، وتنف الإبطين ، وحلق العانة ، والحتان ، والاستنجاء ،
وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من
قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلن (فاتمهن) أى عمل بهن (ومن ذرىتي)

مُصَلَّى وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ - وَإِذْ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ
 كَفَرَ فَأُمْتُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْرَطُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ - وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
 وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرَيْتَنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ
 وَأَرْنَا مَنْسَكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ - رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدي) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس
 يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالكسر إخبار لهذه
 الأئمة ، وافق قول عمر رضى الله عنه : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل
 لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتى ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعده به
 حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرايتي) عبارة عن بنيانه بنية خالصة
 كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء
 القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ،
 وقيل أهل مكة ، والعكوف فى اللغة لزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى بما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل
 آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا
 أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال فى البقرة «بلدا آمنا»
 فعرف فى إبراهيم ، ونكر فى البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ
 أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم فى البقرة ذكر البيت فى قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى
 بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضى
 ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهلبى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله
 وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور : كقولك :
 هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها
 بلام الحضور ، وفى هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة
 أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا
 الموضع بلدا آمنا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه
 مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من
 كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا
 مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنادعوه أنى إبراهيم» والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل
 وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ
 نَفْسُهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
 وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝
 فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلِنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مَخْلُصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
 سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝

هنا القرآن (والحكمة) هناهي السنة (ويزكئهم) أى يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على
 التشبيه بالمفعول به، وقيل الأصل فى نفسه ثم حذف الجار فاتصب وقيل تمييز (وأوصى بها) أى بالكلمة والملة
 (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم، فهو موصى، وقرئ بالنصب عطفًا على نبيه فهو موصى (أم كنتم)
 أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار، وإسماعيل كان عمه، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أى قالت
 اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لانفرق) أى لا تؤمن
 بالبعض دون البعض، وهذا برهان، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم
 تناقض (فسيكفيكمهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أى دينه
 وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعانى المتقدمة أو بدل من ملة
 إبراهيم (كنتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكنتم أو كأن المعنى شهادة
 تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَيَّ دَقِيقَهُ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۚ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۚ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ما ولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية : ردا عليهم لأن الله يحكم ما يريد ، وبولى عباده حيث شاء ، لأن الجهات كلها له (وكذلك) بعد ما هديناكم (جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم ، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الآية ، فإن قيل : لم قدم المجرور فى قوله عليكم شهيدا وأخره فى قوله : شهداء على الناس ؟ فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدم المجرور فى قوله : عليكم شهيدا ؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأتمته ولم يقدمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان : أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس . والآخر : هو بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسدى ، وهذا مع ظاهر قوله : كنت عليها ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة ، وأما قول ابن عباس : فأويله بوجهين : الأول : أن كنت بمعنى أنت ، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس ، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا ، أو صفة للقبلة ، ومعنى الآية على القولين : اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة ، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة ، أو فتنة لمن أنكر تحويلها ، وتقديره على هذا : ما جعلنا صرف القبلة ، أما على قول ابن عباس : فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود ؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس ، وهم مع ذلك ينكرون النسخ ، فأنكروا صرف القبلة ، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما عليه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام ، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحول عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان ، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأن

اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ اتَّيذَنُ لَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمُنَّ بِعَمَلِكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابي لأن ابني قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل إنه مصدر، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه، وقرئ مولاها أى ولاءه الله إليها، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به مابعد (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعارضين من الناس، فإن أريد اليهود فحجبتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد قريش فحجبتهم أنهم قالوا قبلة آباءه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة، والاستثناء متصل : لأنه استثناء من عموم الناس. ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء بمن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولاتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لاتم، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لاتم، أو بتوليه فاذكروني، والأول أظهر (فاذكروني أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكروني بالطاعة : اذكركم بالثواب، وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون، ولا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة، ولا دليل على التخصيص، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه : ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في مالا : ذكرته في مالاخير منهم. والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وبهما معا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل اذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويخضب دماً ؛ لكان الذكر أفضل منه (الوجه الثاني) أن الله تعالى حيث ما أمر بالذکر ، أو أنى على الذکر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكراً كثيراً ، والذاكرين الله كثيراً ، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال (الوجه الثالث) أن للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمعية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذکر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجر ، ومقصد الخاصة القرب والحضور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحاب .

واعلم أن الذکر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقة ، والحسبة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لا محالة ، وأما الحوقة والحسبة : فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بانه : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتتمة

ثم إن ثمرة الذکر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذکر المراد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أَمْواتٌ) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلاً لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله وتسلياً لأقاربهم ، ولا يخصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ ، وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ، إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء (ولنبلونكم) أي نختبركم ، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحججة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ما كان وما يكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشيء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجذب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للذم والمالك يفعل في ملكه ما يشاء (راجعون) تذكر والآخره لتهدون عليهم مصائب الدنيا ، وفي الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال : والله يحب الصابرين ، والثاني : النصر قال : إن الله مع الصابرين ، والثالث غرفات الجنة ، قال : يجزون الغرفة بما صبروا ، والرابع الأجر الجزيل قال : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال : وبشر الصابرين ، والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أي معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعي بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي ، وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهم ، لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعي بينهما للسنة ، قالت عائشة رضي الله عنها : من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعي بين

وَأَهْدِي مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوْ لَسْتُكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ - إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أجمعين - خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ - وَاللَّهُمَّ
إِلَهَ وَاحِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفاء والمروة، وليس لأحد تركه، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله»، وهذا ضعيف لأن شعائر الله: منها واجبة، ومنها مندوبة، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر، وخاصة في الوجوب من السنة أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتُمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب) النوراة هنا (اللاعنون) الملائكة وؤمنون، وقيل المخلوقات إلا الثقلين، وقيل البهائم لما يصيهم من الجذب لذنوب الكافرين للحق (ويبينوا) أي شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلغتهم للكافرين، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أي في اللعنة، وقيل في النار (ولا هم ينظرون) من أنظر إذا أضر، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله «لا ينظر إليهم» إلا أن يتعدى يألئ (والهكم إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، والآخر أنه لا شريك له، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسر المراد به هنا في قوله: لا إله إلا هو، واعلم أن توحيد الخالق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد. الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده وإطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس يدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب، والدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيد: أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبأ على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله: والهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصرف الرياح) إرسالها من جهات

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَاوَّاءُ
الْعَذَابِ وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهي الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ،
وللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التي لا يخلو منها
كل مؤمن ، وهي واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ،
وهي أعلى المقامات ، وغاية المطوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير
ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجي إنما يرجو منفعة
نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة
على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع
في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ،
فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال الله في حكمته
البالغة وصنائه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التي تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال
الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جابت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله
إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع
والعاصي ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده .
واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته والنشاط لخدمته ،
والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاء
من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد في الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره
على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبي : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك
ثم موافقته سرا وجهراً ثم عليك بتقصيرك في حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب
لو محذوف وهو العامل في أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أولعلوا أن القوة لله ، والقوى
بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف
والتقدير لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ، ولاستعظموها محل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف
والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى
(الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودات (أعمالهم حسرات) أي سيادتهم وقيل حسرتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۚ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَن ءَابَاءُؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۚ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاً وَنِدَاً ۚ صَمٌّ بَعْمٌ عُمَىٰ لَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ۚ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا ءَاهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أو ما عملوا لآلهتهم (كأوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما في الأرض أو مفعول بكأوا أو صفة لمفعول محذوف أى شيئاً حلالاً (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) ما يأمر به، وأصله من خطوات الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراف وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كأن آباؤهم) رداً على قولهم: بل نتبع الآية فى كفار العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لا يعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية: فى معناها قولان: الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولا بد فى هذا من محذوف، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا إلى الإيمان (كمثل الذى ينطق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لا تسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذى ينطق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولاً يسمع والنطق: هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيتهم بالذى يزرعها وهو يصيح عليها، الثانى: تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع لأن الأصنام لا تسمع شيئاً، ويكون دعاء ونداء على هذا منقطع: أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالنطق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية: دليل على وجوب الشكر لقوله: إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حنط أنه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسبب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام، ولا خلاف فى إباحة ماخالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف أن لا يأكل لحماً فأكل شحماً حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيغ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين، وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رmqه ولهذا لم يحز الشافعى للبضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للخرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لثلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازة الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتمون) اليهود (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار فى جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار فى الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام خفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفع بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) البامسببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للبصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضوعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبله اليهود ، والمشرق قبله النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعدهذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البر بر من آمن أو يكون البر مصدر أو صف به (وآت المال) صدقة المتأوع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجع من طريق المعنى ، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم يتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (المؤتون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والعابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
يَسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ
مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَسْمَعِهِ فِيمَا

الفقر (والضراء) المرض (وحيث البأس) القتال (صدقوا) في القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص)
أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأن ولي المقتول يخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض
أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كسفل الجهلة وعلى
الحاكم التمكن من القصاص (الحرب بالحرب والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل
والمقتول في الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر
بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك وللشافعي
وأبو حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة
بشيء من ظاهر الآية لافى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاها فى الحرية كما
فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى
والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيذا للتجديد، لأن بعض العرب إذا قتل
منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر
بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حر بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم
قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم نبي إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان:
أحدهما أن المعنى من قتل منى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا
من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه، وعنى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن،
وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجارزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع
المعروف، وعلى القاتل أداء إحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته،
وعنى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ما تيسر، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف)
إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن نبي إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل
قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة)
بمعنى قولهم القتل أبقي للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه
قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان فى الجاهلية من اقتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة
(الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إِثْمَهُ عَلَى الَّذِينَ يَدُلُّونَهُ إِنْ أَنَّى سَمِعَ عَلَيْهِمْ ۖ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۖ
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ
فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ

« لا وصية لوارث » ، وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأول أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذي كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويعد انتصابه بتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى نحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر ، وإن صام في رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس في الآية ما يقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل في شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن في فلان وقيل المعنى ابتداء فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من بينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر في السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكموا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدة) الأيام التي أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أوجب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مَا هَدَّكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبْشَرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

وهو افقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة (فليستجيبوا لي) أي امتثال مادعوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرماً بعد النوم في ليل رمضان ، فحرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفاً على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدى يلى لأنه في معنى الإفضاء (هن لباس لكم) تشبيهه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أي تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهن) (إباحة ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع ، وقيل الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأن الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض يياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأن بعضهم جعل خيطاً أبيض وخيطاً أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو يياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أي إلى أول الليل ، وهو غروب الشمس فن أظفر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأظفر ، فعليه القضاء والكفارة أيضاً وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك في الحديث (ولا تباشروهن) تحريم للباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (في المساجد) دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد ؛ خلافاً لمن قال لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضاً دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لاني غيرها خلافاً لمن أجازها في غيرها من مفهوم الآية (حدود الله) أحكامه التي أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أي لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سد الذرائع لأن المقصود النهي عن المخالفة للحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سداً للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغير ذلك (وتدلوا) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِيمِ وَأَتَمَّ تَعْلَمُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
 الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ
 حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ
 فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ۝ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
 الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ
 اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَأَنْفِقُوا فِي

الأول سببية ، وعلى الثاني للإصاق (بالإيم) الباء سببية أول للبصاحبة ، والإيم على القول الأول في تدلوا : إقامة
 الحججة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثاني الرشوة (يسألونك عن الأهلة)
 سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل
 ثلاث ، ثم يقال له قر (مواقيت) جمع ميقات محل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر
 الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج
 لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية
 إعلاما بأن ذلك ليس من البر ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن
 تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها
 استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى)
 تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح في أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين
 يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله « قاتلوا المشركين
 كافة » (أقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من
 يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أي بقتال من لم يقاتلكم
 على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثاني (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة ، لأن
 قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أي فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر
 الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا
 يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فأسلبوا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر
 إذا أسلم (لا تكون فتنة) أي لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لماصد الكفار النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي الحجة ، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي القعدة
 أي الشهر الحرام الذي دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذي صدتم فيه عن دخولها (والحرمت قصاص) أي حرمة

سَبِيلَ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صدقتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدقتم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصاري: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء في أيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلهوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوها إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إنما هما إكمال المناسك وقال على إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور في اللغة أحصره المرض بالآلف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجب على من حصره العدو، وقال الشافعي وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلوا بنحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) خطا باللمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية: نزلت في كعب بن عجرة حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هو امرأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فمعنى الآية أن من كان في الحج واضطره مرض أو قتل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد في الآية من مضمحل لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى فخوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال آمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبدالله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام في الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو في الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لثلاث يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة في الثواب (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهَا
 الْحِجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحِجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
 وَاتَّقُوا يَسْأَلُ الْأَلْبَبُ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا
 اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
 النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
 ذِكْرًا فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

وذي طوى ياجماع، وقيل أهل الحرام كله، وقيل من كان دون الميقات، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى
 أو الصيام : أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لاعلى أهل مكة ، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع
 (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر ، أو الحج في أشهر وهى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، وقيل العشر
 الأول منه ، وينبنى على ذلك أن من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة : فعليه دم على القول بالعشر
 الأول ، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر ، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر ، فأجازها مالك
 على كراهة ، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيها الحج)
 أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفته ولا فسوق) الرفث : الجماع ، وقيل الفحش من الكلام ، والفسوق : المعاصى ،
 والجidal : المراء مطلقا ، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج ، وقيل النسب الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا)
 قيل احملا زادا فى السفر ، وقيل تزودوا الآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة
 فى أيام الحج أباحها الله تعالى ، وقرأ ابن عباس : فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضتم) اندفعتم جملة واحدة
 (من عرفات) اسم علم للوقوف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لاتنوين صرف ، فإن فيه التعريف
 والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من
 الثقيلة ، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان
 أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ، ويقفون بعرفة مع سائر
 الناس ؛ لأنها حل ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس
 ويفيضوا منها ، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من
 الله تعالى له ، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس ، ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا
 القول على بابها من الترتيب ، وأما على القول الأول فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة ، قال الزمخشري
 هى كقولك أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلى غير كريم ، فإن معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها
 وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا
 ما يذكر آباءه ، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمره ، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك
 (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنأ عذاب النار . أولسئلك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب .
 واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى
 واتقوا الله وأعلموا أنكم إليه تحشرون . ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على
 ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
 الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاده . ومن الناس من يشري نفسه
 ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد . يسأئها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفي الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى
 لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها ، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان : أحدهما
 أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة ، لأن الله لا يحتاج إلى عذة ولا ففكرة ، وقيل لعلى رضى الله عنه : كيف
 يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (في أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر ، وهي
 أيام التشريق ، والذكر فيها : التكبير في أدبار الصلوات ، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل في يومين)
 أى انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار ، وأما المتعجل
 فقيل يترك رمى جمار اليوم ، وقيل يقدمها في اليوم الثاني (فلا إثم عليه) في الموضوعين ، قيل إنه إباحة للتعجل
 والتأخر ، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج ، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول
 بأن معنى فلا إثم عليه : الإباحة ، فالمعنى أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ، فقد أبيض له ذلك
 من غير إثم ، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : إخبار بغفران الذنوب ، فالمعنى أن الغفران إنما هو
 لمن اتقى الله في حجه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من
 ذنوبه كيوم ولدته أمه » فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية : قيل
 نزلت في الأخنس بن شريق ، فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً ، وقيل
 في المنافقين ، وقيل عامة في كل من كان على هذه الصفة (في الحياة) متعلق بقوله يعجبك : أى يعجبك ما يقول
 في أمر الدنيا ، ويحتمل أن يتعلق بعبجك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد
 الخصومة (تولى) أدير بجسده أو أعرض بقلبه ، وقيل صار والياً (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها
 في الأخنس ، فإهلاك الحرث حرقة الزرع ، وإهلاك النسل قتله الدواب ، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته
 في الفساد ، وغير عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل ، لأنهما قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع
 والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة
 بالإثم) المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبراً وطمعاً وبالساء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع ،
 وقال الزمخشري : هى كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا : أى ألزهم إياه ، فالمعنى حملته العزة على الإثم
 (من يشري نفسه) أى يبيعها ، قيل نزلت في صهيب وقيل على العموم وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد ،

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۚ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۚ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْتَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

وقيل في تغيير المنكر ، وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم يزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقدالذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخو طوبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيسكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام ، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا في الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي (كافة) عموم في المخاطبين أوفى شرائع الإسلام (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتيهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابهه يجب الإيمان بها من غير تكليف ويحتمل أن لا تكون من المتشابهه ؛ لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم : لولا يكلمنا الله (في ظلال) جمع ظلة وهى ماعلاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابهه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحججة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخروا الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأن الجنة فى السماء (يرزق من يشاء) إن أراد فى الآخرة ، فن كناية عن المؤمنين ، والمعنى رد على الكفار أى إن رزق الله الكفار فى الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون فى الآخرة وإن أراد فى الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعد لهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أن رزقهم فى الدنيا بمشيئة الله لاعلى وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضيق ومن حيث لا يحسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فن غير تضيق (أمة واحدة) أى متفقين فى الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلَفوا بعد اتفاقهم ، ويبدل عليه ، أمة واحدة ، فاختلَفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبي وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشري : يعود على

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ ۝ وَالضَّرَآءُ وَزُلْزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ الْإِن نَصْرُ اللَّهِ فَإِنَّ تَوَلَّىٰ سَوَآءٌ ۚ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقْرِبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ

الحق ، وأما الضمير في أو توه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقييح الاختلاف بين الذين أو تواتر الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أو مصدر في موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير في اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم في الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن في قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ما وقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلبه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لا تدخلوا الجنة حتى يصيدكم مثل ما أصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (الإن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فلو الدين والآقرين) إن أريد بالنفقة الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصدره لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للبالغة أو اسم مفعول كالحبز بمعنى المحبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم في الأمكنة لا في الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام : أى بإباحته حسبما استقر في الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل في أول يوم

وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُم عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن مَّخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا عِزَّ لَكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَسْكُحُوا الْمَشْرِكِينَ حَتَّىٰ بُؤْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تَسْكُحُوا الْمَشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردوكم) قال الزمخشري حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فميت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفي ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور ، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (إثم كبير) نص في التحريم وأنها من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لاهذه الآية (ومنافع) في الخمر التلذذ والطرب ، وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أى السهل من غير مشقة ، وقرامة الجماعة بالنصب يا ضمار فعل مشاكلة للسؤال ، على أن يكون مامبتدا ، وذا خبره (تفكرون في الدنيا والآخرة) أى في أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورا ، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤا لهم عن المسائل الثلاث الأولى وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لا اعتنكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تسكحوا) أى لا تتزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطئ والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تناول اليهود ولا النصرارى المباح نكاحهن في المائدة ، فلا تعارض بين الموضوعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أَوْلَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النَّسَاءَ
فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاءٌ لَّكُمْ حَرِّثَ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِ اسْتَمْتُمْ وَقَدِمُوا إِلَىٰ نَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَّلَاقِيَهُ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لمن قال آية المائة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائة ففنع نكاح الكتابيات ، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولامة مؤمنة) أى أمة لله حرة كانت أو مملوكة وقيل أمة مملوكة خير من حرة مشركة (ولو أعجبكم) فى الجمال والمال وغير ذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهن نساءكم ، وانفقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله ، ولا تنكحوا المشركين ، لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (بإذنه) أى بإرادته أو علمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجتمع النساء فى المحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لثشد عليها إزارها ، وشأنك بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقيل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لأن شئتم لأنه يوهم الإتيان فى الدبر ، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لايمانكم) أى لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه ، وأن تبروا على هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتم عن كثرة الحلف كى تبروا ، وقيل المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا ، وافعلوا البر والتقوى دون يمين ، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له ، وقيل عرضة مامنع ، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا ، أى لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لا تمتاعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها بمعنى مانع (بالغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وفاقا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ
 مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبِصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝
 وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعي ، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذه العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أي قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي (يولون من نسائهم) يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل في عموم قوله الذين : كل حالف حرًا كان أو عبدا ، إلا أن مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعي ، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولا يكون موليا عند مالك والشافعي ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعي ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن أبي الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاءوا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطبيق أو الإبابة فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبي حنيفة ترك الفء حتى تنقضي الأربعة الأشهر ، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجهن أن يضعن حملهن . واليائسة والصغيرة بقوله : واللاتئ يئسن من الحيض الآية . والتي لم يدخل بها بقوله : فسالكم عليهن من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها في المدخول بها ، وهي سن من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري ، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة : الأقراء هي الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على برائة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسه فيه ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها (ما خلق الله في أرحامهن) يعني الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (في ذلك) أي في زمان العدة (ولهن مثل الذي عليهن) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) في الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَسْكَحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان اعداد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه ، وهو طلاق السنة (فإمسك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) عوتر كها حتى تنقضي العدة فتبين منه (ياحسان) المتعة ، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين ، وروى في ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأن قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة ، وعلى ذلك يكون تكرارا ، والطلقة الرابعة لا معنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية : نزلت بسبب ثابت بن قيس : اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أتردين عليه حديثه قالت نعم فدعاها فطأها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج في حكم الفدية ، وهي الخلع ، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهم ، ثم إن المخالعة على أربعة أحوال : الأول : أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة : فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى : فإن طبن لكم عن شيء الآية . ومنعها قوم لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثاني أن يكون الضرر منهما جميعا ، فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى : ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتموهن ، وأجازه الشافعي لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة ، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية ، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة : فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ، وأجازه أوحيفة مطلقا ، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله الطلاق مرتان (حتى تسكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسه الزوج الآخر : لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك ؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء ، وهو قول مرفوض لمخالفة الحديث ، وخرقه للإجماع ، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه ، والوطء مباحا في غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام ، خلافا لابن الماجشون في الوطاء غير المباح ، وأما نكاح المحلل فحرام ، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافا لأبي حنيفة والمعتبر في ذلك نية المحلل لانية المرأة ، ولا المحلل له ، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعني هذا الزوج الثاني (فلا جناح عليهما) أي على الزوجة والزوج الأول (أن يقيما حدود الله) أي أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية : خطاب للأزواج ، وهي نهى عن أن يطول الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدة ، ثم يطلق بعد ذلك ، ومعنى بلغن أجلهن في هذا الموضع : قاربن انقضاء العدة ، وليس المراد انقضاؤها ، لأنه ليس

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرْحُونٍ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا
 آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
 إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ
 وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهن : راجعوهن (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم
 النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعهن
 (أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له
 أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله
 وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك
 بهالا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : الع. ل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق
 الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على
 حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى
 أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى
 الآية حكيمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت في عصمة
 والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال :
 لزمها رضاعه في المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ،
 لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل
 غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر في هذه الآية
 عندهما على الدب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها
 في موضع على الوجوب ، وفي موضع على الندب ، وفي موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم في المذهب
 الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها في قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال
 في حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد
 أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصلا الآية ، فإن لم يكن على
 الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن
 دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن
 مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله
 وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا بِأَوْلَادِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشري وابن العربي ، الثاني : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطي : هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أي على قدر حال الزوج في ماله ، والزوجة في منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضار والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهي ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف في الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبي لو مات ، وقيل هو الصبي نفسه ، وقيل من بقي من أبويه ، واختلف في المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجري مع كل قول في الوارث ؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع في النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث ، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال ؛ لأن أجرة رضاعه في ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصري (وإن أردتم أن تسترضعوا) لإباحة لاتخاذ الغير (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أي دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم في كل متوفى عنها ، سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها موضع حملها ، سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجهور العلماء ، وقال علي بن أبي طالب : عدتها أبعدا لأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فما فعلن في أنفسهن) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : لإباحة

عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكُرُونَهَا وَلَكِنَّ لَاتُوا عِدْوَهُنَّ سِرًّا
إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرَّضُوا
لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوَهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ
طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفَ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة ، ويقضى ذلك النهي عن التصريح ، ثم أباح ما يضمن في النفس بقوله : أو أكنتم في أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونها) أي تذكرونها في أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أي لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تزوجوهن بعد العدة ، وقال مالك فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إلي ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ما أبيض من التعريض : كقوله إنكم لا كفاه كرام ، وقوله إن الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا : القدر الذي شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة في عدتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأيد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك ، وقيل إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول ، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض : فلا شيء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم شيء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى : ومتوهن ، وإن كان قد فرض لها : فعليه نصف الصداق لقوله تعالى : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأن المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، وفيه بمعنى الواو (ومتوهن) أي أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعي (على الموسع قدره) أي يتمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتر) الضيق الحال ، وقرئ يأسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبال معروف هنا : أي لاجل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالنسبة في قوله على المحسنين ، لأن الإحسان تطوع بما يلزم (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية : بيان أن المطلقه قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) التون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أي للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذي بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَادَّكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَيْكُمْ مَالٌ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ وَلِلطَّلَاقِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجورة، والسيد فى أمته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى : الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسو الفضل بينكم) قيل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتنا بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند على بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أو لتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجليه (أور كباناً) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك فى صلاة المسابقة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمتم فاذكروا لله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ، أو مضمرة تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعاً نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (ولله طلاق

مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ . كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
 مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتُمْ
 النَّاسَ لَا يَشْكُرُونَ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ
 بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلَكَ لَنَا تَقَوَّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
 أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
 تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى
 يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

متاع) عام في إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة
 منه واستثنى مالك المختلعة والملاعة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للطلقات ، لأن التقوى
 واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم
 أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من
 بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماهم الله ليعرفهم أنه
 لا ينجيهم من الموت شيء ، وقيل بل فزوا من الطاعون (وهم ألوفا) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل
 ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إمامتهم ،
 وقيل إن ملكين صاحبا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل
 للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذي يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ
 القرض تقريبا للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت في
 أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أي خالصا طيبا من حلال من غير من
 ولا أذى (فيضعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب
 في جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب
 في الإنفاق (ألم تر إلى الملا) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن في القتال فلما
 أمروا به كرهوه (لنبي لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أي قاربتم ، وأراد النبي المذكور أن
 يتوثق منهم ، ويجوز في السنين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا
 لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل
 عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم ، وقال السدي أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا
 دخل عليك رجل على طول هذه العصاف هو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَمَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة في العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتي ملكه من يشاء) رد عليهم في ائمة نادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت ، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينه) قيل رح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان ، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هي عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعني أقاربهما ، قال الزمخشري يعني الأنبياء من بني إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الأهل (فصل طالوت) أي خرج من موضعه إلى الجهاد (نهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اعترف غرقة) رخص لهم في الغرفة باليد ، وقرئ بفتح العين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود في جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل ، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعليه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منه على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالألف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلوني

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَهُمْ مِنْ عَمَلٍ غَمْرًا وَمَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلاَةَ وَلَا شَفِيعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإن معناه النهي عن تعيين المفضل ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أناسيدولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعه مكانا عليا » فالرفعة على هذا في المسافة وقيل هو مطلق في كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبي لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما قتلوا) كرهه تأكيذا وليبنى عليه ما بعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا يبيع فيه) أى لا يتصرف أحد في ماله ، والمراد لا تقدر فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفي القدية لأنه بشره الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعة) أى ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهو في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحم على الله ، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة في التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) هذه آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن حسبا ورد في الحديث ، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيهه تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هي ابتداء النوم لا نفسه : كقول القائل * في عينه سنة وليس بنائم * (من ذا الذي يشفع عنده) استفهام مراد به نفي الشفاعة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة راجعة إليه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير عائد على من يعقل من تضمنه قوله « له ما في السموات وما في الأرض » والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا ؛ وما خلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاءه وأن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه في الدين) المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي يَتَّبِعِي وَيَمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، ويدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغي) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي ، فلا يفتر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها المواعدة ، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشد الأيدي ، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمرود المملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيى ويميت) فقال نمرود : (أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأميت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمرود بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا يجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى تخذف لدلالة ألم تر عليه : لأن كلتيهما كلمتا تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول رأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا الماز قيل إنه عزيز ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيى هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام لقدرة الذى يحيى الموتى ، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لاشك فى وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافرا وقالها إنكارا للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيى هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخبرها بختصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ يَا بَلِيَّ أَلَيْسَ لِي بِأَلَمِينَ لِيُطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا قَالَ نُنزِلُهَا مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة مائة مائة ، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس يخاف أن يكذب في قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأن شرا به كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقي على حاله طول مائة عام ، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة ، لأن لأمها هاء ، فتكون الهاء في يتسنه أصلية . أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسن الشيء إذا فسد ، ومنه الحمأ المسنون ، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفاري ثم حذف حرف العلة للجازم ، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقي حماره حيا طول المائة عام ، دون علف ولا ماء ، وقيل مات ثم أحياه الله ، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس ، وروى أنه قام شابا على حاله يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هي عظام نفسه ، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحيها ، وقرئ بالزاي ، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا ، وقرئ بألف وصل ، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية : قال الجمهور : لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ، لأنه رأى دابة قد أكلها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ، ويدل على ذلك قوله : كيف ، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبي) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هي الديك ، والطارس ، والحمام ، والغراب ، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل ، وأمسك رأسها بيدها ، ثم قال : تعالين ياذن الله فتطارت تلك الأجزاء حتى التأمت ، وبقيت بلا رؤس ، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤسها وطارت ياذن الله (فصرهن) أى ضمنهن ، وقيل قطعهن على كل جبل ، قيل أربعة جبال ، وقيل سبعة ، وقيل الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (في سبيل الله) ظاهره الجهاد ، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل ما يزرع ويقطع وأشهره القمح ، وفي الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر في آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعائة كما جاء في الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهُ وَلَا آذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا آذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَثَلْهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَكَرَّكَ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَاتَتْ أَكْطَافُهَا مِنْ فَيْنٍ فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَابِلٌ فَظَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ أَيُّوَدَ أَحَدِكُمْ
أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أي يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ،
والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت في عثمان ، وقيل في عليّ
وقيل في عبد الرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتقرب بها ، والأذى
السب (قول معروف) هو ردّ السائل بجميل من القول : كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا
وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الردّ الجميل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف
ومغفرة ، على العطاء الذي يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات
فقالوا في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه . وقيل إن المن والأذى :
دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذي ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذي ينفق
رياء وهو غير مؤمن (فثلّه) أي مثل المرأى في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبته طيبة ، فإذا
أنزل عليها المطر انكشف التراب ، نبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرأى يظن أن له أجرا ، فإذا كان
يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرُونَ)
أي لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم (رتثيتا) أي تيقنا وتحققا للثواب لأن
أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان
باحتمال المشقة في بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر في موضع الحال وعطف عليه وتثيتا ، ولا يصح
في تثيتا أن يكون فعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثيت فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو
ابتغاه (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون (بربوة) لأن ارتفاع موضع الجنة
أطيب لتربتها وهوائها (فظل) الظل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفي هذه الجنة لسكرم أرضها (أيوذا أحدكم) الآية : مثل ضرب
للإنسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرأى
المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله . فإذا كان وقت حاجة
إليه لم يجد شيئا ، فشبهم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابها الجائحة المهلكة ، أخرج ما كان إليها لشيخوخته ،

ذرية ضعفاً فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تُغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب . وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار . إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأتمم لا تظلمون . للفقراء

وضعف ذريته ، قالوا في قوله : وأصابه الكبر للرجال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات ما رزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الرديء ، فقيل إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الرديء (منه تنفقون) في موضع الحال (ولستم بأخذيهِ) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتساحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غمض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففي ضمن ذلك حرض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعمة فى موضع نصب تفسير للضمير والتقدير فنعم شيء إبدائها (ليس عليك هداهم) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هداهم على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والإنفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفَهُمْ
بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْخَافًا وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضلهم ، وقيل ماتنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، ففي ذلك حض على الاخلاص (للفقراء)
متعلق بمحذوف تذييره الإنفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (في سبيل الله)
يحمل الجهاد والدخول في الاسلام (ضربا في الأرض) هو التصرف في التجارة وغيرها (بحسبهم الجاهل أغنياء)
أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لفسلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سبية ، وقال ابن عطية
ليبان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع
وقيل السجود (لا يسألون الناس إحقافا) الإحقاف هو الإلحاح فى السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا
يتلففون ولا يلاحون ، وقيل هو نفي السؤال والإلحاح معا وباقى الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية)
تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت فى على فإنه تصدق بدرهم بالليل ودرهم بالنهار ودرهم
سرا ودرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت فى علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن
ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا فى اللغة الزيادة ، ثم استعمل فى الشريعة
فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربي ،
فكان الغريم يزيد فى عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسئمة ، وربا التفاضل
وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام . فأما النسئمة فتحرم فى بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة
وفى بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفى الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم فى بيع الجنس
الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب
الشافعى أنه يحرم فى كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون
إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم فى البعث إلا
كالجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تحليل
للعقاب الذى يصيبهم ، وإنما هذا الكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم
وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع
فى الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم
يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها فى الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار
للتسوية بين البيع والربا ، وفى ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

الله ، تحريمه (فله ماسف) أى له ماأخذ من الربا ، أى لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا ، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة ، فلا تؤاخذوه في الدنيا ، وقيل الضمير عائد على الربا ، والمعنى أن أمر الربا إلى الله في تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية : يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول . إنما البيع مثل الربا ، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه وبذهبه (ويرى الصدقات) ينميها في الدنيا بالبركة ، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا ، وهذا يدل على أن الآية في الكفار (وذروا ما بقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش ، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحا كما إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا : اعلموا ، وقرئ بالمد أى اعلمو غيركم ، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقه لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لا تظلمون بأخذ زيادة على رهوس أموالكم ، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذو عسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع ، وقرئ ذا عسرة ، أى إن كان الغريم ذاعسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ، ونظرة مصدر ، معناه التأخير ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) نذب الله إلى الصدقة على المعسر ياسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره ، وباقي الآية وعظ ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا ، وقيل بل قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، الآية . وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تدايتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين ، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في تدايتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه وليزول الاشتراك الذى في تدايتم ، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول ، وأجاز مالك البيع إلى الجذاز والحصاد ، لأنه معروف عند الناس ، ومنعه الشافعي وأبو حنيفة ، قال ابن عباس : نزلت الآية في السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها ، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَيْهِ اللَّهُ فَلَْيَكْتُبْ وَلْيَمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
 اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلَأَ هُوَ فَلْيَمْلَأْ
 وَلِيهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ
 الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن

أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال
 قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضهم بعضاً» وقال قوم إنها على النذب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم
 يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد، وقال آخرون يجب
 عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم إن الأمر بذلك على النذب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كاتب
 الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب، وعند الزمخشري بقوله كاتب فعلى الأول تكون
 الكتابة بالعدل، وإن كان الكاتب غير مرضى، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه، قال
 مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها، عدل في نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإبابة،
 وهو يقوى الوجوب (كما عليه الله) يتعلق بقوله أن يكتب، والكاف للتشبيه أي يكتب مثل ما عليه الله
 أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما عليه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها
 (فليكتب وليملأ) يقال أملت الكتاب، وأمليته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله تملأ عليه على الأخرى
 (الذي عليه الحق) لأن الشهادة إنما هي باعترافه، فإن كتب الوثيقة دون إملاله، ثم أقر بها جاز (ولا
 يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملأ، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن
 يملأ هو) السفيه الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يملأ الآخرس
 وشبهه (وليه) أبوه، أو وصيه، والضمير عائد على الذي عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان
 جائزة في كل شيء إلا في الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص في رفض شهادة الكفار والصبيان
 والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعي لنقص
 الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال، وقال معنى الآية: إن لم يكونا
 أي إن لم يوجدوا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان، فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند
 مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لافي غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل، فيما لا يطلع
 عليه الرجال كالولادة والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع رجل بفعل مضمرة تقديره: فليكن رجل، فهو
 فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون
 (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين، وهو مشترك أيضاً في الرجلين الشاهدين، لأن الرضا مشترك في الجميع
 وهو العدالة، وعناها اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقى الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول
 من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها،
 وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولاً من أجله، وليس هو المراد، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ آجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَذَٰلِكَ الْآتِرَاتِبُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ
وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَىٰ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنُ أَمْنَهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا

وهو المراد ، فاقيم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء في فتذكر ،
ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى
واحد (ولا ياب الشهداء) أي لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعي إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل
الشهادة وكتبها . وقيل إلى الأمرين (ولا تسأموا أن تكتبوه) أي لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت ، سواء
كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو
العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبئ أفعل فيهما من الرباعي وهو قليل (وأدنى أن لا تراتبوا) أي أقرب
إلى عدم الشك في الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام
المتقدم في الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالنقد وغيره ، (تديرونها
بينكم) يقتضى القبض والبيئونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا ،
وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضهم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على
الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار ، والمعنى
على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع
من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك
قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا يضارر ، بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب
والشاهد إذا يتما بالقول أو بالفعل (إن تفعلوا) أي إن وقعتم في الإضرار (فإنه فسرق) حال بكم (ويعلمكم الله)
إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية
لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم في جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب
الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تعذر الكتابة في السفر ، وقال الظاهرية :
لا يجوز الرهن إلا في السفر لظاهر الآية . وأجازه مالك وغيره في الحضر لأن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه
بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله
وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض المرهن شرط في الصحة عند الشافعى وغيره ، لقوله تعالى
«مقبوضة» وهو عند مالك شرط كمال لصحة (فإن أمن بعضهم بعضا) الآية : أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن
ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، فللدين ثلاثة أحوال
ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، أي يكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتبوا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
 ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع آثم بأنه خبر إن، وقلبه فاعل به، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ، وآثم خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هي الأمة، لأن الكتمان من فعل القلب، إذ هو يضمها، ولثلاثا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية: مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب، سواء أبدوه أم أخفوه، ثم المعاينة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تجاوز لآمتي ما حدثت به أنفسها، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اهلكنا إن حوسبنا على خواتم أنفسنا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا، فأمر الله بعد ذلك: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فكشف الله عنهم الكربة، ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها، وذلك محاسب به، وقيل يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخظة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه، فلفظ الآية خبر، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزءهما عطفًا على محاسبكم ورفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ما تقدم في حديث أبي هريرة: لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ، فعلى الأول: وقف على المؤمنون وعلى الثاني: يوقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفًا فكل عموم في الرسول والمؤمنون، وإن كان مبتدأ فكل عموم في المؤمنون ووجد الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أي كل كتاب أنزل الله، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لانفترق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لانفترق، والمعنى لانفترق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان بل تؤمن بجمعهم، ولنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر، والعامل فيه مضمرة ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل على المفعولية تقديره: نطلب غفرانك (وإليك المصير) إفرار بالبعث مع تدلل وانقياد، وهنأت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة (لها ما كسبت) أي من الحسنات (وعاها ما اكتسبت) أي من السيئات، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا كَتَبْتَ رَبَّنَا لِأَنْتَ أَخَذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٥

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٦ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٧ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعلمها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشرِّ اكتسبت ، لأن في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجتد في فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي قولوا ذلك في دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم تقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة . قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قرده وخنازير (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق . أربعة أنواع : الأول عقلي محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثاني عادي كالطيران في الهواء . والثاني عقلي وعادي : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدر من الأمم ، ورفع عن هذه الأمة (واعف عنا وافر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإعانة (مولانا) ولينا وسيدنا

سورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشري هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقاً) قد تقدم في مصدقاً لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء . لا إله إلا هو العزيز الحكيم . هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيذبذبون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون . أمانا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأنزل الفرقان) يعنى القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات لإنزاله لقوله : مصدقاً لما بين يديه ، ثم ذكره ثانياً على وجه الامتنان بالهدى به ، كما قال في التوراة والإنجيل هدى للناس ، فكأنه قال : وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه ، فلما اختلف قصد الكلام في الموضوعين لم يكن ذلك تكراراً ، وقيل الفرقان هنا : كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره ، وقيل هو الزبور ، وهذا بعيد (لا يخفى عليه شيء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل ، وهذه صفة لم تكن لعيسى ، ولا غيره ، ففي ذلك رد على النصارى (هو الذي يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل : وفيه رد على النصارى ، لأن عيسى لا يقدر على التصوير ، بل كان مصوراً كسائر بني آدم (كيف يشاء) من طول ، وقصر ، وحسن ، وقبح ، ولون ؛ وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن : هو البين المعنى ، الثابت الحكيم ، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل ، أو يكون مستغلق المعنى : كحروف الهجاء ، قال ابن عباس : المحكمات الناسخات والحلال والحرام ، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر ، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أى عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين في قلوبهم زيغ) نزلت في نصارى نجران فإتهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم ، قالوا فحسبنا إذا ، فهذا من المتشابه الذي اتبعوه ، وقيل نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودى وأخيه حكيم ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مبتدع ، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أى ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أى يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضى مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) لإخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون في العلم) مبتدأ مقطوع مما قبله ، والمعنى أرا الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس ، والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وهو أرجح ، وقال ابن عطية المتشابه نوعان : نوع انفراد الله بعلمه ، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول ، وعطفاً باظنر إلى الثانى (كل من عند ربنا) أى المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لا تزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين ، ويحتمل أن يكون منقطعاً على وجه التعليم

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ
وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ۝ كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِتْنَةِ النَّعْتَانِ فَتُتْلَىٰ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۚ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أول الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لاحكامية قول الراسخين إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطاً. فهو من كلام الله (كذاب) في موضع. فع أي دأب هؤلاء كذاب (آل فرعون) وفي ذلك تهديد (الذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب لليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بإياه إخباراً عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول. اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفراً من قريش لا يعرفون القتال. فلو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (في فتنين التقتان) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثلهم) قرئ ترونهم بالتاء خطاباً لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية. والمعنى ترون الكفار مثل المؤمنين. ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرئ بإياه. والفاعل في يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير في مثلهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريباً من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للآخرين من قوله إن تكن منكم مائة صابرة يغابوا مائتين، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: وإذ يريدكموهم إذ التقيمتم في أعينكم قليلاً، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقى منهم ستمائة وستة وعشرون رجلاً، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير في مثلهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله أكثر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثل الكافرين أو مثل المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما أكثرهم الله في أعينهم ليرهبهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقال لكم في أعينهم (رأى العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لاشك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمَسْوُومَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَتَابِ ۝ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْتَمِنِينَ وَالْمُسْتَقِيمِينَ وَالْمُتَّقِينَ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما تزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبل على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالوسوسة والحديعة (والقناطر) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطر وللتأكيد كقولهم أوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنائير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح ، وقيل المعلمة في وجوهها شيثان فهى من السمات بمعنى العلامات ، قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ) تفضيل الآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتتمام الكلام في قوله من ذلكم ثم ابتداء قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجئات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتتمام الكلام في قوله عند ربهم ، فجئات على هذا خبر مبتدأ مضمرة (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) فى الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالاستحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفرله ، (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولو العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائماً) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شيء من شيء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ قُلِّ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتْبَعَنَ وَقُلِّ لِلَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ
وَالْأَمِينِ ؕ أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بَيَّاتٌ لِلَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ جَبَّطْتَ آعْمَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُتُوا نَصِيحًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى الْكِتَابِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ . فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ
مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَن تَشَاءُ يَدِيدُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُوَجَّحُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ

في اليهود ، وقيل في النصارى ، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه في البقرة وهو هنا تهديد ، ولذلك
وقع في جواب من يكفر (فإن حاجوك) أي جادلوك في الدين ، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلمت
وجهمي) أي أخلصت نفسي وجملتي (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحججة عليهم لأن من أسلم
وجهه لله فهو على الحق بلا شك ، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت ويجوز
أن يكون مفعولا معه (أسلمت) تقرير بعد إقامة الحججة عليهم أي قد جاهكم من البراهين ما يقتضى أن تسلموا
(فإنما عليك البلاغ) أي إنمّا عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك ، وقيل إن فيها
موادعة نسخها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية : نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على
قبح أفعالهم ، وأفعال أسلافهم (الذين أتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود ، والكتاب هنا التوراة ، أو جنس
(يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم
النعمان بن عمرو والحارث بن زيد ، فقالوا له على أي دين أنت - فقال لهم على دين إبراهيم ، فقالوا إن إبراهيم
كان يهوديا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهلوا إلي التوراة فهي بيننا وبينكم ، فأبوا عليه
فنزلت الآية ، فكتاب الله على هذا التوراة ، وقيل هو القرآن : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم
إليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية : والمعنى أن كفرهم
بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم ، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أي كيف يكون
حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لها أعدت لهم (اللهم) منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء
عند البصريين ، ولذلك لا يجتمعان ، وقال الكوفيون أصله يا الله أما بخير فالميم عندهم من أما (مالك الملك)
منادى عند سيبويه ، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله ؛ وقيل إن الآية نزلت ردّا على النصارى في
قولهم إن عيسى هو الله ، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى ، وقيل لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته
يفتحون ملك كسرى وقيصر : استبعد ذلك المنافقون ، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝
لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْطِبْهُ اللَّهُ
وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادَةِ ۝
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝

والشر ، لحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآية في معنى دعاء ورغبة
فكانه يقول : بيدك الخير فأجزل حظي منه (تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قال عبد الله بن
مسعود : هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ، وقال عكرمة : هي
إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ،
فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفي ذكر الحي من الميت المطابقة ، وهي من أدوات البيان ، وفيه أيضا
القلب لأنه قدم الحي على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تصديق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون الآية
عامة في جميع الأعصار ، وسبها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركي قريش) ليس
من الله في شيء) تبرؤ من فعل ذلك ووعيد على موالاته الكفار ، وفي الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله
في شيء ، وموضع في شيء من نصيب على الحال من الضمير في ليس من الله ، قاله ابن عطية (لأن تتقوا منهم) لإباحة لمواالاتهم
إن خافوا منهم والمراد موالاته في الظاهر مع الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه وأو ،
وأبدل منها تاء ، ولأما ياه أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتقوا
(ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره ذكره أو خافوا وقيل
العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمدا) أي مسافة (والله
رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رافة (فاتبعوني) جعل اتباع النبي صلى
الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران
ومعناها على العموم في جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذيين لهم
ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام
تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه
السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد
مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الأتباع ، وعلى الوجهين

ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربهًا بقبول حسن وأنبأها نبأًا حسنًا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يمريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أحوال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله في النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصارت ذروية ، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهي أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا على أن يكون هذا الولد في بطني حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محررا) أى عتيقا من كل شغل لإلخدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يجرون الإناث بخدمة المساجد ، فقالت (إني وضعتها أنثى) تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئى وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئى بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكر كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإني أعيذها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نحسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإني أعيذها بك : الآية (فتقبلها ربهًا) أى رضيا للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به (وأنبأها نبأًا حسنًا) عبارة عن حسن النشأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحصانته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئى كفلا بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلا (المحراب) فى اللغة أشرف المجلس ، وبذلك سمي موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها عرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنهم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَب لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أُنَّىٰ يُكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَتُكْلَمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝ يَمْرِيمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْبِجِي وَأَارَكِي

الملائكة) أنشرا عايتة للجماعة ، وقرئ بالالف على التذكير وقيل الذي ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجمية أفقيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصداقا بكلمة من الله) أى مصداقا بعيسى عليه السلام مؤمنابه ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدره الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدره الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لذكرا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أتيا كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأنه نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) يمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذا ذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رهزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمرا (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّا كَعِينِ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۚ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۚ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۚ قَالَتْ رَبِّ
أَنَّى يُكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ۚ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۚ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل إنها كانت نية لتسليم الملائكة لها (افتنى) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول الأكثرين (وايسجدي واركعي) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها، ثم قيل لها اركعي مع الراكعين بمعنى واتكبن صلاتك مع المصلين، أو في الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع، لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل أراد ذلك، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القصص وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزلامهم، وهى قداحهم، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقرعوا بها على كفالة مريم، حرصا عليها وتنافساً في كفالتها، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت، أو من إذ يختصمون، والعامل فيه مضمرة (اسمه) أعاد الضمير المذكور على الكلمة، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح في الأرض، فوزنه مفعول، وقال الآكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فاعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبها إليها، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال، ووجهته في الدنيا النبوة والتقديم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (في المهد) في موضع الحال، (ركهلا) عطف عليه، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس، وقيل الخط باليد، والحكمة هنا العلوم الدينية، أو الإصابة في القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمه فعل تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى، أو من آية وبكسرهما ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين، أو على الكاف من كهية، وأنث في

وَأَحْيَى الْمَوْتَى يَا ذَنُ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا ءَأَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ؕ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش ، رقرئ طيرا بياه سا كنهة على الجمع ، وبالالف وهمزة على الأفراد ، ذكر ياذن الله : رفعا لوهم من توهم في عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيى الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه ، وروى أنه أحيى سام بن نوح (وأنبئكم) كان يقول يا فلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا (ومصدقًا) عطف على رسولا أو على موضع آية من ربكم ، لأنه في موضع الحال ، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير : جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقا (ولا حل لكم) عطف على آية من ربكم ، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطيور فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربِّي وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتدأه من قوله أني قد جئتكم ، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله ، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استأنف الكلام من قوله ورسولا ، على تقدير جاء عيسى رسولا : بأنني قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أي علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس (من أنصاري) طالب للنصرة ، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله (الخواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير ، وقيل إن الخواريين كانوا قصارين يحورون الثياب ، أى يبيضونها ولذلك سماع الخواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل ، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم ، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بنى إسرائيل ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكروا) أى رفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه ، وعبر عن فعل الله بالمكر مشا كله لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقوام وهو فاعل ذلك بحق ، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العاقل فيه فعل مضمر ، أو يمكر (إنى متوفيك) قيل وفاة موت ، ثم أحياء الله في السماء ، وقيل رفع حيا ، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ، وقيل يعنى وفاة نوم ؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاَعْدِبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ
آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ
بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَاتِمٌ هُوَ لَأَمْ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلى) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون ، وعلوهم
على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى ، والذين كفروا اليهود ، فالآية
مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم (ذلك نتلوه) إشارة إلى ما تقدم من الأخبار (من الآيات)
المتساوات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة
على النصارى فى قولهم : كيف يكون ابن دون أب ، فثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب ، وذلك
أغرب مما استبعدوه ، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فىكون حكاية عن حال ماضية ،
والأصل لو قال خلقه من تراب ، ثم قال له كن فكان ، لكنه وضع المضارع موضع الماضى ليصور فى نفوس
المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمرة (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى ، وكان الذى
حاجه فيه وفد نجران من النصارى ، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد ، والآخر العاقب (نبتل) نلتن
والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم ، هذا أصل الابتهاال ؛ ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد
فيه وإن لم يكن لعنة ، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على
وفاطمة والحسن والحسين ، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يسخمهم الله فردة
وخنازير ، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران ، وقيل اليهود
(سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أوقف على تقدير هى ، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله
وسلم إلى توحيد الله وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأخبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت
اليهود كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى : كان نصرانياً ، فنزلت الآية رداً عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *
 إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ
 طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ۗ آخِرُهُ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ * وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ
 يُخَاجَوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ *

إنما وقعت بعدموت إبراهيم بمدة طويلة (ها أنتم) ها تنبيهه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء
 خبره وحاججتم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به
 التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا)
 رد على اليهود والنصارى (وما كان من المشركين) نفى للاشتراك الذي هو عبادة الأوثان ، ودخل في ذلك
 الإشرار الذي يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبي) عطف على الذين اتبعوه : أي محمد صلى الله عليه وسلم
 (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا
 حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (وما يضلون إلا أنفسهم) أي لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون)
 أي تعلمون أن محمد صلى الله عليه وسلم نبي (لم تلبسون الحق) أي تخططون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 والباطل الكفر به (آمنوا بالذي أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا
 آخره ليخدعوا المسلمين ، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلي : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن
 الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام
 الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب
 فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول
 يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ، ودبرتم ما دبرتم من الخداع ، فوضع أن يؤتى
 مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب
 والنبوة ، وعلى الثاني فيكون المعنى . لا تؤمنوا أي لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم)
 واكتنوا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، فوضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن
 معنى تقروا ، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله : أي لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى
 أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن
 الفضل بيد الله) رد على اليهود في قولهم : لم يؤت أحد مثل ما أوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمَنْ أَهْلَ الْكُتُبِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنظَارِ يُوَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ
لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بَانْتِهَامِ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْعِسْفَةِ وَلَا يَرْحَمُهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ
يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا
أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب (الآيه : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير
فمن آذاه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (قائما) يحتمل أن
أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم
والبلاء للتعليل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأتقين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها
عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة في أموال الأتقين (بعهده) الضمير يعود على من
أو على الله (إن الذين يشترون) الآيه : قيل نزلت في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا ،
وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير
عائد على أهل الكتاب (بلون ألسنتهم) أي يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على ما دل
عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآيه : هذا النفي متسلط على (ثم يقول للناس)
والمعنى لا يدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا
إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يا محمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى
عيسى فقال معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت (ربانيين) جمع رباني ، وهو العالم ، وقيل الرباني الذي يربى الناس
بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم
(ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتاه أو على
ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآيه أن الله أخذ العهد والميثاق على كل
نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم
الأنبياء ، واللام في قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف ، واللام في لتؤمن

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
 أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ
 يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا
 وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَٰئِكَ جزَّأؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ لعنةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا
 لَا يَخْفَىٰ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سدد مسد جواب القسم والشرط . وأن تكون
 موصولة بمعنى الذي آتيناكموه (لتؤمنن به) والضمير في به ولتصرنه عائد على الرسول (أقررتم) أي اعترفتم
 (إصري) عهدي (فاشهدوا) أي على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة
 رب العزة جل جلاله (بعد ذلك) أي من تولى عن الإيمان بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا
 الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد في كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدم
 للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أي انقاد واستسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر في موضع الحال ، والطوع للتؤمنين
 والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها
 (فل آمننا) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا
 بعلى مناسبة لقوله قل ، وفي البقرة إلى لقوله قولوا . لأن على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله
 على هذا المعنى مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن
 يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية
 (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت في الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم
 ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا
 إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم
 كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأن معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الوار للحال ، وقال ابن
 عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين أو على عمومهم
 وتكون اللعنة في الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأن المعنى

وَمَا تَوْا وَهُمْ كَفَارٌ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ
 مِنْ نَّاصِرِينَ * لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ
 حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتَّوَلَوْهَا
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ
 فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنْ أَوْلَىٰ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيكِهِ مَبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيا (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بهوسى ، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه ، ثم
 ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه ؛ وقيل هم الذين ارتدوا (ان تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم
 على الكفر : أى ليس لهم توبة فتقبل ، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر ، وقيل لن تقبل توبتهم
 مع إقامتهم على الكفر ، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر .
 والواو فى قوله : ولو افتدى به ، قبل زائدة وقيل للعطف على محذوف ، كأنه قال : لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو
 افتدى به) وقيل نفى أو لا القبول جملة على الوجوه كلها ، ثم خص الفدية بالنفى كقولك : أنا لا أفعل كذا أصلا ولورغبت
 إلى (لر تنالوا البر) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكمال (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما
 نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالى إلى بئرحاء ، وإنها صدقة ، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه
 (كل الطعام) الآية لإخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه)
 وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم ، وفيها
 رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم ،
 وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها ، خلافا لليهود فى قولهم إن
 النسخ محال على هذه الأشياء ، وفيها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب
 تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكر الله وتقربا
 إليه ، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز الأنياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فاتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود ،
 وإقامة حجة عليهم ، وروى أنهم لم يحسروا على إخراج التوراة (فمن افتري) أى من زعم بعد هذا البيان أن
 الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر
 كما وصف لا كما تكذبون أتم فففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت
 أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى
 فى الأرض ، وقد سأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى مسجد بنى أول ؟ قال : المسجد الحرام ،
 ثم بيت المقدس ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت
 قبله بيوتا (بيكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم ، وقيل مكة الحرم كله ، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعٰلَمِيْنَ * فِيْهِ اٰيٰتٌ بَيِّنٰتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا وَّلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
 اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ * قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ
 عَلَىٰ مَا تَعْمَلُوْنَ * قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِيْلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ تَبِعُوْنَهَا عَوجًا وَاَنْتُمْ شٰهَدَآءُ وَمَا
 اللّٰهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ * يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنْ تُطِيعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ اٰتُوْا الْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ
 كٰفِرِيْنَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَاَنْتُمْ تَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ اٰيٰتِ اللّٰهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهُ وَاَنْتُمْ يَعْتَصِمْنَ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ اِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذي فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة، منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق إلى اليوم، ومنها أن الطيور لا تعلقه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبارة عنه وبيع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك، وقيل الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطا، وعلى الأول استئفا، وقيل التقدير ممن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل البيت كله، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أي آمنا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب، فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحد ودولان القصاص، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق في الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخي، وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس، وقيل فاعل بالمصدر، وهو حج؛ وقيل شرط مبتدأ: أي من استطاع فعليه الحج؛ والاستطاعة عند مالك هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبالغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب وروى في ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم ينجح، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من ترك الصلاة فقد كفر، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدقون) توبيخ أيضا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرمون فتنة المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أي تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أي تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية: لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنهم (وكيف

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ۖ قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسح إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزوا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أي تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق في أصول الدين ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفاحفرة) أي حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض ، وقيل لأنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد في الحديث أنه عليه السلام قال : افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابي عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أ كفرتم بعد إيمانكم) أي يقال لهم أ كفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة في التوراة ثم كفروا به لمابعث (كنتم خير أمة) كان هنا هي التي تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم في علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يَكْفُرُوا لَكُمْ أَلَّا يَنْصُرُوا ه
 ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُنْفَوْنَ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَابْغَضَ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ
 الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَآئِنٌ مِّنْهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ *
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ
 مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
 أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرَاصِبَةٌ حَرَّتْ قَوْمًا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاهْلَكَتْهُمَا وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ه
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ه هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لن يضرؤكم إلا أذى) أى بالكلام خاصة وهو أهون
 المضرة (يولؤكم الأدبار) إخبار بغيث ظهر في الوجود صدقه (ثم لا ينصرون) إخبار مستأنف غير معطوف
 على يولؤكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة
 على جملة الشرط والجزاء ، و ثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم
 الأدبار حين القتال (لا يجبل من الله) الجبل هنا العهد والذمة (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستويين
 في دينهم (أمة قائمة) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه
 أسد وغيرهم (وهم يسجدون) يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة (فلن تكفروه) أى لن نحرّموا ثوابه (مثل
 ما ينفقون) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع
 الكفار بما ينفقون وفي الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك
 ريح وإنما احتج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صر) أى برد
 (حرث قوم ظلّموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وما ظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ،
 أو لأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بطانة من
 دونكم) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا
 رجلا من النصارى لأحد أحسن خطامه ، أفلا يكتب عنك : قال إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين (لا يألونكم
 خبالا) أى لا يقصرون في إفسادكم ، والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) أى تمنوا مضرّكم ، وما صدرية وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْاِنَّمَالِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
 لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
 اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ
 آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ
 آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون
 بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ، والأنامل جمع
 أملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقربع وإغاظة ، وقيل دعاء (إن تمسكم حسنة) الحسنة هنا : الخيرات
 من النصر والرزق وغير ذلك ، والسيئة ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك)
 نزلت في غزوة أحد ، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صديحة يوم السبت وخرج من المدينة
 يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنون) تنزههم وذلك يوم السبت حين حضر
 القتال ، وقبل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة ، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد
 الزوال إلا على المجاز ، وقبل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ
 مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم
 بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج ، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف
 فقصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل في البدن هو الإعياء ، والفشل
 فى الرأى هو العجز والخيرة وفساد العزم (والله وليهما) أى مثبتهما ، وقال جابر بن عبد الله ماوددنا أنهما نزل
 لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله ييدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأتم أذلة) الذلة
 هى قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان
 المشركون ما بين التسعمائة والآلاف ، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون
 وانهزم سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا ؛ والأول أظهر (إذ تقول للمؤمنين)
 كان هذا القول يوم بدر ، وقيل يوم أحد ، فالعامل فى إذ على الأول محذوف ، وعلى الثانى بدل من إذ
 غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى ، وإنما جابوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل « من رب
 السموات والأرض قل الله ، (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين ، والفور السرعة : أى من ساعتهم وقيل
 المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذى يكفيكم ليزيد ذلك فى قوتكم فإن كان هذا يوم

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ۖ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۖ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *
 وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۖ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُلُومِ الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۖ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ وَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۖ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر، فقد قالت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: إن تصبروا وتتقوا، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أى معلين، أو معلين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيم الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل كانت عمائمهم صفراء، وكانت خيلهم مجرورة الأذنان وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتاويل المصدر، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شيء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لمادع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أى إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله: وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (في السراء والضراء) في العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولاتهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأنتم الأعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح في أحد فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
 وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
 مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا
 مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ
 فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ
 يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ
 مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا

نالوا منكم وناتم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي (نداولها) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد (وليعلم)
 متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة
 (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أى يظهر ، وقيل يميز ، وهو معطوف على ما تقدم
 من التعليلات لقصة أحد ، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين
 على الكفار إنما هو ليحقق الله الكافرين أى يهلكهم (أَمْ حَسِبْتُمْ) أَمْ هُنَا مَنْقُطَةٌ مَقْدَرَةٌ بِيْلِ وَالْهَمْزَةُ
 عِنْدَ سَيُوبِهِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا مَعَاتِبَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ صَدَرَتْ مِنْهُمْ أَشْيَاءُ يَوْمَ أْحَدٍ (تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ)
 خَوِطَبَ بِهِ قَوْمٌ فَاتَمَّهُمْ غَزْوَةٌ بَدَرُ فَمَتَمَّنُوا حَضُورَ قِتَالِ الْكُفَّارِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَدْرِكُوا
 مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ فَعَلِيَ هَذَا إِنَّمَا تَمَّنُوا الْجِهَادَ وَهُوَ سَبَبُ الْمَوْتِ ، وَقِيلَ إِنَّمَا تَمَّنُوا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) الْمَعْنَى أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ كَسَّاتِ الرَّسُولِ قَدْ بَلَغَ الرَّسَالَهَ كَمَا بَلَغُوا فَيَجِبُ
 عَلَيْكُمُ التَّمَسُّكُ بِدِينِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ صَرَخَ صَارِخًا يَوْمَ أْحَدٍ . إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، فَتَزَلْزَلُ بَعْضُ
 النَّاسِ (أَفَإِنْ مَاتَ) دَخَلَتْ أَلْفُ التَّوْبِيخِ عَلَى جَمَلَةِ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْفَاءُ لِرَبْطِ الْجَمَلَةِ الشَّرْطِيَّةِ بِالْجَمَلَةِ الَّتِي
 قَبْلَهَا وَالْمَعْنَى أَنَّ مَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَتْلَهُ لَا يَقْتَضِي انْقِلَابَ أَصْحَابِهِ عَلَى
 أَعْقَابِهِمْ ، لِأَنَّ شَرِيْعَتَهُ قَدْ تَقَرَّرَتْ وَبَرَاهِينُهُ قَدْ صَحَّتْ ، فَعَاتِبَهُمْ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَوْ صَدَرَ مِنْهُمْ انْقِلَابٌ لَوْ
 مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ قُتِلَ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ وَلَكِنْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَا صَرَخَ بِهِ صَارِخًا وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ
 (الشَّاكِرِينَ) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : النَّابِتُونَ عَلَى دِينِهِمْ (كِتَابًا مُؤَجَّلًا) نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ لِأَنَّ
 الْمَعْنَى كَتَبَ الْمَوْتَ كِتَابًا ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ نَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ (نُؤْتِهِ مِنْهَا) فِي ثَوَابِ الدُّنْيَا ، تَقِيدُ بِالْمَشِيئَةِ بِدَلِيلِ
 قَوْلِهِ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ) الْفِعْلُ مُسْتَدٌ إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيِّ وَمَعَهُ رِبِّيُونَ عَلَى هَذَا فِي
 مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مُسْتَدٌ إِلَى الرِّبِّيِّ ، فَيَكُونُ رِبِّيُونَ عَلَى هَذَا مَفْعُولًا لِمَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ فَعَلِيَ الْأَوَّلِ
 يُوَقِّفُ عَلَى قَوْلِهِ قُتِلَ ، وَيُتَرَجَّحُ الْأَوَّلُ : بِمَا صَرَخَ بِهِ الصَّارِخُ يَوْمَ أْحَدٍ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، فَضَرَبَ لِمِثْلِ
 نَبِيِّ قُتِلَ ، وَيُتَرَجَّحُ الثَّانِي بِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ قَطُّ نَبِيٍّ فِي مُحَارَبَةٍ (رِبِّيُونَ) عُلَمَاءُ مِثْلِ رَبَانِيِّينَ ، وَقِيلَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ (فَمَا

كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ *
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ مِنْهُ سُلْطَانٌ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى
الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَن
بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَأْجُوبِينَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلَوُّونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ

وهنوا الضمير لربيون على إسناد القتل للنبي ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم
يدلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث
عن مطلقها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا وما بعده :
تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد (وثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة
(إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ما قالوا ، وقيل مشركوا قریش وقيل اليهود (الرعب)
قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق
هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا ، وانهمز المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين
قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين
(إذ تحسونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم
كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا الجمع المؤمنين وإن كان
المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وستر على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره : لانهمزتم (منكم من يريد الدنيا)
الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم منازل من القتل والتحصيص (ولقد عفا عنكم) إعلام
بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن
الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمرة
(ولا تلون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
إلى عباد الله وهم يفرون (فى آخركم) فى سقايتكم وفيه مدح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

فَأْتَبِكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقُتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَنْ نُقَاتِلَنَّهُمْ

موقف الأبطال (فأتابكم) أي جازاكم (غما بغم) قيل أتابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتهم وتنازعتهم، وقيل أتابكم غما بصلابكم، وأحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرفج به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة ناعسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمان من الله (يعشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيتهم النعاس تأميناً لهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفارقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شيء) قالها عبد الله بن أبي بن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفراً (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شيء) قاله معشيب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتل قول عبد الله بن أبي (قل لو كنتم في بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلمهم) أي طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أي أوقعهم في الزلل (يبعض ما كسبوا) أي كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عق الله عنهم) أي غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرائض (لا تكونوا) كالذين كفروا) أي المنافقين (إخوانهم) أي أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا في الأرض) أي سافروا وإنما قال إذا التي للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزوا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٍ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مَتَّمْتُمْ أَوْ قَاتَلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَتْلُو مِنْ دُونِ مَا أُوتِيَ اللَّهُ بِمَا عَمِلَ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (ولئن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (ولئن ممت أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا ، وإنما يشاور النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس في رأى في الحروب وغيرها لافى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس وشاورهم في بعض الأمر (فإذا عزم فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإن الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحته له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدي الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله : وإلهكم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدهما : سبب معلوم قطعاً قد أجراه الله تعالى : فهذا لا يجوز تركه ؛ كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لا من أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى ، فهو أكمل أديبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوْفِي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لَنِي ضَلَّلِ مُبِينٌ * أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّا هَذَا قُلُوبُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لني أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغنم وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغنم قطيفة حرام ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أى ليس لأحد أن يغلّ نبيا : أى يخونه فى المغنم ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصى تعظم بحضرة ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غاللا كما تقول أهدت الرجل ، إذا أصبته محمدا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلّ يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذى غل ، وقد جاء ذلك مفسرا فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ألفين أحدم بحجى يوم القيامة على رقبته بعير لا ألفين أحدم على رقبته فرس لا ألفين أحدم على رقبته رفاع لا ألفين أحدم على رقبته صامت لا ألفين أحدم على رقبته إنسان ، فيقول يا رسول الله أغنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أمن اتبع) الآية : فقيل إن الذى اتبع رضوان الله من لم يغلّ ، والذى باء بالسخط من غل ، وقيل الذى اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذى باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذوا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فإن بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين يبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من أنفسهم) معناه فى الجنس واللسان ، فكبره من جنسهم يوجب الأناس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن ألفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التويخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ما تقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثلها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أى جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ آطَعُوا نَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَضَعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ *
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبدالله بن أبي بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين
فحشى في أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصارى ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له
عبدالله بن أبي ما أرى أن يكون فقال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكاننا معكم (أو ادفعوا) أى كثروا السواد ،
وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم فى النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج
(قل فادرموا) أى ادفعوا المعنى رد عليهم (بل أحياء) لإعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع
بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة
(ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا فى الدنيا من بعدهم لأنهم
يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة (الأخوف) فى موضع المفعول أو بدل من
الذين (يستبشرون) كرر ليدكر ما تعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أو مبتدأ
وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت فى الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اتباع المشركين
بعد غزوة أحد ، فباغ بهم إلى حمراء الأسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا
قد أصابهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : باغ ذلك أبا سفيان فر عليه ركب من عبد القيس
يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زيب على أن يذبوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفهم
بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبد القيس ، والناس الثانى مشركو قريش
وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا يدر فى القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله
فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للبيعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن
مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من
جنس الناس : كقولك ركب الخيل إذا ركب فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس
قد جمعوا لكم فآخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۚ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَيُّحَلْ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لَّانفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۚ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره وما بعده مستأنف ، أو الشيطان نعت وما بعده خبر (يخوف أوليائه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلا تخافونهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أوليائه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أوليائه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولا يحزنك) تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثانى ، وهو أشهر في اللغة من أحزن (الذين يسارعون في الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أو على العموم في جميع الكفار (أنما نملئ لهم خير) أى نملئهم أن مفعول يحسبن ، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملئ لهم ما هنا كافة والمعنى رد عليهم أى أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم (ما كان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان أو على النفاق (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون (ولكن الله يجتبي) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيرا) هو فضل وخيرا مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لا يحسبن البخل خيرا لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم ما بخلوا به ، وقيل يجعل ما بخلوا به حية يطوقها في عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذي يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْإِنِّيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ
 ذُو قُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهْدُ الْبَيْتِ
 إِلَّا تَوْمنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ
 فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
 وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
 الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ عَزَمَ الْأُمُورِ
 وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فخاص ، أوحى بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى ، فالله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه
 الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجه قلة فهمهم ، أو تحريفهم للمعاني ، فإن كانوا قالوه
 باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سنكتب ما قالوا) أى تكتبه الملائكة
 فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آباؤهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من
 آباؤهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى أتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول
 الله لصدقة أو غيرها جعلوه فى مكان ، فنزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فزعموا أن
 الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قد جاءكم رسل) الآية : رد عليهم بأن الرسل قد جاءتهم بمعجزات
 توجب الإيمان بهم ، وجاؤهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على
 أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه
 وسلم بالتأسى بغيره (فن زحزح) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء فى الأنفوس
 بالموت والأمراض ، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سبها قول اليهود إن الله فقير ،
 وسبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبينه للناس ولا تكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود : أخذ
 عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون
 بما آتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألمهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه إياه
 وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألمهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما آتوا
 من كتبهم إياه ما سألمهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى المنافقين : كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه
 وسلم الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
 وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ قَدَّ أَخْرَيْتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
 لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا
 مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
 عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَىٰ بِعِضِّكُمْ مِّنْ بَعْضِ الْفَالِدِينَ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دَيْرِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي
 وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْتَهُمْ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
 لِلْأَبْرَارِ ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خُشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدهوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن
 بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ،
 وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى
 لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله
 على كل حال فكان هذه الهيأت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياماً ، فإن لم يستطيعوا
 صلوا قعوداً ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة بل خلقت
 وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا منادياً) هو النبي صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك)
 أى على السنة رسلك (من ذكر وأتى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفي (بعضكم من بعض) النساء
 والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا
 منها (ثواباً) منصوباً على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لا تغرنكم فى الدنيا قليل بالنظر إلى
 فى الدنيا دائماً فتهتمو بذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يغرنك (متاع قليل) أى تغلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى
 ما فاتهم فى الآخرة (نزلاً) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (الأبرار) جمع باتر ، ومعناه
 العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحداً (وإن من
 أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانياً فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بَيَّأْتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَيْتَكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

وغيره من أسلم من اليهود (لا يشترن) مدح لهم ، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فى رباط فيها وهى غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حواء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفًا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأن الضمير المنخفض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان عليكم رقيبًا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد ؛ لأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل ما يخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياة من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال والإجلال إلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكأن من أهل الحياة الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثِّيَ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ

أول مرة بالمقام الأعلى : رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشاركة والمراقبة ، وتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشاركة : فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي ، وأما المراقبة . فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشاركة والمراقبة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله : حمد الله ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشاركة ، ونقص عهد المراقبة . عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ، ثم عاد إلى المشاركة والمراقبة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ) خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم ، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء ، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما ياكلون ويلبسون في حال صغرهم ، فيكون اليتيم على هذا حقيقة ، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله ، والدرهم الطيب بالزائف ، فهو عن ذلك ، وقيل المعنى : لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث ، وتدعوا مالكم وهو الطيب (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) المعنى نهي أن يأكلوا أموال اليتامى بمجموعة إلى أموالهم ، وقيل نهي عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فأخوانكم ، وإنما تعدى الفعل يألئ : لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع (حوبا) أى ذنبا (فإن خفتُمْ أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا) الآية ، قالت عائشة . نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويخسوهن في الصداق مكان ولا يتهم عليهم ، فقيل لهم أقسطوا في مهورهن ، فن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنيات اللاتي يوفهن حقوقهن ، وقال ابن عباس : إن العرب كانت تنحرج في أموال اليتامى ولا تخرج في العدل بين النساء ، فنزلت الآية في ذلك : أى كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى : كذلك خافوا النساء ، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر ، فاذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم ، فقيل لهم إن خفتُمْ أن لا تقسطوا في اليتامى فاقصروا في النساء على ما طاب ، أى ما حل ، وإنما قال ما ، ولم يقل من : لأنه أراد الجنس ، وقال الزمخشري لأن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله وما ملكت أيما نكح (مثنى وثلاث ورباع) لا ينصرف للعدل والوصف ، وهى حال من ما طاب ، وقال ابن عطية بدل ، وهى عدله عن أعداد مكررة ، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرار الناس ، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعا وفى ذلك منع لما كان فى الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع ، وقال قوم لا يعبا بقولهم : إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع : يجمع فيه تسعة ، وهذا خطأ ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع ، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا ، وأيضا قد انعقد الإجماع

خَفِمَ إِلَّا تَعَدُّوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَمْلُوكَتِ أَيْمَانِكُمْ ذَلِكَ أَذَى الْأَتْعُولُوا * وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا * وَلَا تَتُوتُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَابْتَلُوا اليتيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا * لِلرِّجَالِ

على تحريم مازاد على الرابعة (فواحدة) أى إن خفتم أن لاتعدلوا بين الاثنتين أو الثلاث أو الأربع : فاقصروا على واحدة ، أو على ماملكت أيمانكم من قليل أو كثير . رغبة فى العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة (ذلك أذى لاتعدلوا) الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة ، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لاتعدلوا ومعنى تعولوا : تملوا ، وقيل يكثر عيالكم (وآتوا النساء صدقاتهن) خطاب للأزواج ، وقيل الأولياء ، لأن بعضهم كان يأكل صدق وليته ، وقيل نهى عن الشغار (نحلة) أى عطية منكم لهم . ، أو عطية من الله ، وقيل معنى نحلة أى شرعة وديانة ، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين (فإن طبن لكم) الآية : إباحة الأزواج والأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا مادفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن والضمير فى منه يعود على الصدق أو على الإيتاء (هنيئاً مريئاً) عبارة عن التحليل ، ومبالغة فى الإباحة وهما صفتان من قولك هتو الطعام ومرؤ : إذا كان سائغاً لاتغيب فيه ، وهما وصف المصدر : أى أكل هنيئاً أو حال من ضمير الفاعل ، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء (ولا توتوا السفهَاء) قيل هم أولاد الرجل وامرأته : أى لاتوتوهم أموالكم للتبذير ، وقيل السفهَاء المحجورون ، وأموالكم . أموال المحجورين ، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم (قياماً) جمع قيمة ، وقيل بمعنى قياماً بألف . أى تقوم بها معاشكم (وارضقوهم فيها واكسوهم) قيل لأنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده ، وقيل فى المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أى ادعوا لهم بخير ، أو عدوهم وعدا جيلاً : أى إن شئتم دفننا لكم أموالكم (وابتلوا اليتامى) أى اختبروا رشدهم (بلغوا النكاح) بلغوا مبلغ الرجال (فإن آنستم منهم رشداً) الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدير ماله ، وإن لم يكن من أهل الدين ، واشترط قوم الدين ، واعتبر مالك البلوغ والرشد ، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده مالم يظهر سفه ، وقوله مخالف للقرآن (وبادر أن يكبروا) ومعناه مبادرة لكبرهم أى أن الوصى يستغنى عن كل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبر وانصب على المفعولية يدارا أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا (فليستعفف) أمر الوصى الغنى أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصى الفقير من مال اليتيم ، فإذا أيسر رده ، وقيل المراد أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته ، ومعنى بالمعروف من غير إسراف ، وقيل نسختها : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً (فأشهدوا عليهم) أمر بالتحرز والحرص فهو

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
 نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
 مَعْرُوفًا. وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا
 سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا * يٰٓصِبِّكُمْ
 اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً

ندب، وقيل فرض (للرجال نصيب) الآية: سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث
 الرجال النساء (نصيباً مفروضاً) منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: فريضة من الله، وقال الزخشي
 منصوب على التخصيص، أعني بمعنى نصيباً (وإذا حضر القسمة) الآية: خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا
 من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل إن ذلك على الوجوب، وقيل على الندب وهو
 الصحيح، وقيل نسخ بآية الموارث (وليخش الذين) الآية: معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في
 نظير أموالهم، فيخافوا الله، على أيتامهم. كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً، ويقدر ذلك في أنفسهم
 حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمره أن يتصدق بماله حتى يحذف
 بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب
 لو (قولا سديداً) على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للموروث
 لا تسرف في وصيتك وارفق بورثتك (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً قيل نزلت في الذين لا يورثون
 الإناث، وقيل في الأوصياء، ولفظها عام في كل من أكل مال اليتيم بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم ناراً)
 أى أكلهم مال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل يأكلون النار في جهنم (يوصيكم الله في أولادكم) هذه
 الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع، وقيل بسبب جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في مرضه ورفعت ما كان في الجاهلية من توريث النساء والأطفال، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين
 وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيهاً على ماضى، والشروع في حكم آخر وإنما
 قال يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم
 الأسماء وإنما قال في أولادكم ولم يقل في أبنائكم، لأن الابن يقع على الابن من الرضاة، وعلى ابن البنت،
 وعلى ابن المتبنى وليسوا من الورثة (لذكر مثل حظ الأنثيين) هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا
 قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن
 القصد ذكر حظه ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر، لكان فيه تفضيل للإناث (فإن كن نساء) وإنما أنت
 ضمير الجماعة في كن، لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد، لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل
 يعود على المتروكات، وأجاز الزخشي أن تكون كأنامة والضمير مبهم ونساء تفسير (فوق اثنتين) ظاهره أكثر
 من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فافوقهن الثلثان، وأما البتتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس لهما النصف كالبتت

فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوِيهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ
فَلَأُمُّهُ التُّلْثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينَ إِبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ

الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولو فوق اثنين أن المراد اثنتان فافوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين (وإن كانت واحدة) بالرفع فاعل، وكان تامة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى فلهما النصف نص على أن للبت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذكر مثل حظ الأنثيين (إن كان له ولد) الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس (وورثه أبواه فلائمه الثلث) لم يجعل الله الأم الثلث إلا بشرطين أحدهما عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان ولا وارث إلا الأبوان، فاقضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان (فإن كان له إخوة فلائمه السدس) أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الإثنتين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أنهما لا يردانها إليه، بل هما كالإخ الواحد وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الإثنتين لأنه جمع لا تثنية وأقل الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قديق على الإثنتين. كقوله وكنا لحكمهم شاهدين، وتسوروا المحراب، وأطراف النهار، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: الإثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنتان فصاعداً، ومذهبه أن أقل الجمع اثنتان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكر أو أنثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذي حجبه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا (من بعد وصية يوصي بها أو دين) قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله: فلهن ثلثا مارك: أى استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصى الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة: اهتماماً بها، وتأكيدهم للأمر بها، ولتلايتها بها وآخر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكراً: ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية (أقرب لكم نفعاً) قيل بالإينافق إذا احتيج إليه، وقيل بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعاً بالميراث من ماله، وهو ألبق بسياق الكلام (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الآية خطاب للرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهما إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافاً لابن عباس،

لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَمَسْكُوهِنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَنَّ

فإنه لا يقول بالعدل فإن قيل : لم كرر قوله : من بعد وصية ، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة ، ولم يذكره قبل ذلك لإمارة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين ، فالجواب أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة ، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج ، وكل واحدة قضية على انفرادها ، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى ، فإن الموروث فيها واحد ، ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه ، وهي قضية واحدة ، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة (وإن كان رجل يورث كلالته) الكلاله هي انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد ، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على القرابة ، أو على المال : بأن كانت على الميت ، فأعرا بها خبر كان ، ويورث في موضع الصفة أو يورث خبر كان ، وكلاله : حال من الضمير في يورث ، أو تكون كان تامة ، ويورث في موضع الصفة ، وكلاله حال من الضمير ، وإن كانت المورثة فهي مصدر في موضع الحال وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله ، وإن كانت للمال فهي مفعول ليورث ، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ، ويورث في موضع الصفة ، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها (وله أخ أو أخت) المراد هنا الأخ للأُم والأخت للأُم ياجماع وقرأ سعد بن أبي وقاص : وله أخ أو أخت لأمه ، وذلك تفسير للمعنى (فكل واحد منهما السدس) إذا كان الأخ للأُم واحد فله السدس ، وكذلك إذا كانت الأخت للأُم واحدة (فهم شركاء في الثلث) إذا كان الإخوة للأُم اثنين فصاعدا : فلهما الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ، لأن قوله شركاء . يقتضى التسوية بينهم ، ولا خلاف في ذلك (غير مضار) منصوب على الحال والعامل فيه يوصى ومضار اسم فاعل ، قال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر ، ووجوه المضار كثيرة : منها الوصية لو ارث ، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج ، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا ، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب ، والمشهور أنه ينفذ (وصية من الله) مصدر مؤكّد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر (تلك حدود الله) إشارة إلى ما تقدم من المواريث وغيرها (ومن يعص الله ورسوله) الآية : تعلق بها المعتزلة في قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار ، وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار (يأتين الفاحشة) هي هنا الزنا (من نساكنكم) أو من المسلمات : لأن المسلمة تحدد الزنا ،

الموت أو يجعل الله لمن سبيلاً * وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَادَّوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اللَّهَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ

وأما الكافر أو الكافرة فاختلف هل يحد أو يعاقب (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) قيل إنما جعل شهاده الزنا أربعة تغليظا على المدعى وسترأ على العباد، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانين (فأمسكوهن في البيوت) كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السب والتوبيخ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجحه ابن عطية بقوله في الإمساك من نسائكم، وفي الأذى منكم، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك، وأما الجلد فذكر في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقى حكمه، وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعز الأسلمي وغيره (فأعرضوا عنهما) لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذ اتاب، وهو ترك الأذى (إنما التوبة على الله) أي إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به (يعملون السوء بجهالة) أي بسفاهة وقلة تحصيل أداة إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية، قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمدا أو جهلا (ثم يتوبون من قريب) قيل قبل المرض والموت. وقيل قبل السياق، ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ (وليس التوبة) الآية: في الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفارا فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فقوله أعتدنا لهم عذابا أليما: ثابت في حق الكفار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين، بقوله: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فعذابهم مقيد بالمشيئة (لا يحل لكم أن ترثوا النساء) قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤا تزوجها أحدهم، وإن شاؤا تزوجها من غيرهم، وإن شاؤا منعوا التزوج، فنزلت الآية في ذلك، فعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء بورثن عن الرجال، كما يورث المال، وقيل الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج (ولا تعضلوهن) معطوف على أن ترثوا، أو نهى والعضل المنع، قال ابن عباس: هي أيضا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله ما آتيتموهن على هذا معناه

مُبِينَةٌ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا
وَأِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا
وَإِنَّمَا مِثْلُنَا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَاهُ مِنْكُمْ مِثْقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنْكِحُوا
مَنْكِحَ آبَائِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

ما آتاها الرجل الذي مات ، وقال ابن عباس : هي في الأزواج الذين يسكون المرأة ويسيتون عشرتها حتى
تفتدى بصدقتها ، وهو ظاهر اللفظ في قوله ما آتيتموهن ، وبقويه قوله : وعاشروهن بالمعروف ، فإن الأظهر
فيه أن يكون في الأزواج ، وقد يكون في غيرهم ، وقيل هي للأولياء (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل
الفاحشة هنا الزنا ، وقيل نشوز المرأة وبغضها في زوجها ، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صدق
أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك في الخلع ، إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على
الزوج من النشوز ، فيجوز له أخذ الفدية (بان كرهتموهن) الآية : معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا
عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر ، وقيل الخير الكثير الولد ، والأحسن العموم ، وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رضى آخر (وإن أردتم استبدال زوج)
الآية : معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى وعلى هذا جرى
مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج ، فقال قوم إن هذه الآية
منسوخة بقوله في البقرة فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، وقال قوم هي ناسخة ، والصحيح أنها غير ناسخة
ولا منسوخة ، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه ، فلا تعارض ولا نسخ (قطارا) مثال على جهة
المبالغة في الكثرة ، وقد استدل به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك
فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، كل الناس أفتقه منك يا عمر (أفضى بعضكم إلى بعض)
كناية عن الجماع (ميثاقا غليظا) قيل عقدة النكاح ، وقيل قوله فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل
الامر بحسن العشرة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان بعض العرب ينزوح امرأة أبيه بعده فنزلت
الآية تحريما لذلك ، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ماسفلوا ، سواء دخل بها أو لم يدخل ،
فالنكاح في الآية بمعنى العقد ، وما نكح : يعنى النساء ، وإنما أطلق عليهن ما ، وإن كن ممن يعقل ؛ لأن المراد الجنس
فإن زنى رجل بامرأة فاختل هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا : فخرمه أبو حنيفة ، وأجازته الشافعي ، وفي المذهب
قولان : واحتج من حرّمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال من أجازته إن الآية لا تتناولها
إذ النكاح فيها بمعنى العقد (إلا ما قد سلف) أى إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك ، وانقطع بالإسلام فقد عني
عنه فلا تؤاخذون به ، ويدل على هذا قوله : إن الله كان غفورا رحيما بعد قوله إلا ما قد سلف في المرأة الأخرى
في الجمع بين الأختين قال ابن عباس كانت العرب تحرم كل ما حرّمته الشريعة إلا امرأة الأب ، والجمع بين
الأختين ، وقيل المعنى : إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم ، وذلك غير ممكن ؛ فالمعنى المبالغة في التحريم
(إنه كان فاحشة ومقتا) كان في هذه الآية تقتضى الدوام كقوله : إن الله كان غفورا رحيما ، وشبه ذلك وقال

أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتِكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن
لَّمْ يَكُنُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ

المبرد هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا ، وزاد هذا المقت على ما وصف من الزنا في قوله تعالى
إنه كإفحشة ومقتا وساء سبيلا : دلالة على أن هذا أفحج من الزنا (حرمت عليكم) الآية . معناها تحريم
ما ذكر من النساء ، والنساء المحرمات على التأييد ثلاثة أصناف ؛ بالنسب ، وبالرضاع ، وبالمصاهرة .
فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف ، وهي المذكورة في هذه الآية ، وضابطها أنه يحرم على الرجل فصوله
ماسفلت ، وأصوله ماعلت ، وفصول أبويه ماسفلت وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه (أمهاتكم)
يدخل فيه الوالدة والجددة من قبل الأم والأب ماعلون (وبناتكم) يدخل فيه البنت وبنات الابن وبنات البنت
ماسفلن (وأخواتكم) يدخل فيه الأخت الشقيقة ؛ أولاد أو لأم (وعماتكم) يدخل فيه أخت الوالد ،
وأخت الجد ماعلا ، سواء كانت شقيقة أو لأم (وخالاتكم) يدخل فيه أخت الأم وأخت الجد ماعلت
سواء كانت شقيقة أو لأم أو لأم (وبنات الأخ) يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأم (وبنات الأخت)
يدخل فيه كل ما تناسل من الأخت الشقيقة أو لأم (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم
من الرضاعة) ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأم والأخت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب ، فاقضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب وهي الأم والبنت
والأخت والعمة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت وتفصيل ذلك يطول ، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها
ليس لها تعلق بألفاظ الآية (وأمهات نساءكم) المحرمات بالمصاهرة أربع : وهن زوجة الأب ، وزوجة الابن ، وأم
الزوجة ، وبنات الزوجة ، فأما الثلاث الأولى فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها ، وأما بنت الزوجة فلا
تحرم إلا بعد الدخول بأهها ، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع ، وإن تلذذ بها بمادون الوطء فخرمها
مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعا ، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب
(وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) الربيبه هي بنت امرأة الرجل من غيره : سميت بذلك لأنه يربها فلفظها
فعيلة بمعنى مفعولة ، وقوله اللاتي في حجوركم على غالب الأمر إذ أكثر أن تكون الربيبه في حجر زوج أمها ،
وهي محزومة سواء كانت في حجره أم لا ، هذا عند الجمهور من العلماء ، إلا ما روى عن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره (اللاتي دخلتم بهن) اشترط الدخول في تحريم بنات الزوجة ،
ولم يشترط في غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ما روى عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم
الجميع ، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك (وحلائل أبنائكم) الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة (الذين من أصلابكم)
تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل ، وهو أجنبي عنه كتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له زيد بن محمد صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم (وأن تجمعوا بين الأختين) يقتضى تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأم أو لأم وذلك

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ

في الزوجتين ، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ، ورأوا
أنه داخل في عموم لفظ الأختين ، وأجازه الظاهرية لأنهم قصرُوا الآية على الجمع بالنكاح ، وأما الجمع بين
الأختين في الملك دون وطء بجائز باتفاق (إلا ما قد سلف) المعنى إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع
بالإسلام فقد عفي عنكم فلا تتواخذون به ، وهذا أرجح الأقوال حسماً تقدم في الموضوع الأول (والمحصنات
من النساء) المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله ، والمعنى أنه لا يحل نكاح
المرأة إذا كانت في عصمة الرجل (إلا ما ملكت أيمانكم) يريد السبايا في أشهر الأقوال ، والاستثناء متصل ،
والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ، ثم سميت : جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها ، وسبب ذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من
المشركين فتأمم المسلمون من غشيانهن ، فنزلت الآية مبيحة لذلك ، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح
سواء سبي الزوجان الكافران معا أو سبي أحدهما قبل الآخر ، وقال ابن المواز : لا يهدم السبي النكاح (كتاب
الله عليكم) منصوب على المصدرية : أي كتب الله عليكم كتاباً وهو تحریم ما حرم ؛ وهو عند الكوفيين منصوب
على الإغراء (وأحل لكم ما وراء ذلكم) معناه أحل لكم تزويج من سوى ما حرم من النساء ، وعطف أحل
على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله ، والفاعل هو الله أي كتب الله عليكم تحریم من ذكر ، وأحل لكم
ما وراء ذلكم (أن تبتغوا) مفعول من أجله ، أو بدل مما وراء ذلكم ، وحذف مفعوله وهو النساء (محصنين)
هنا العفة ، ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا (غير مسافحين) أي غير زناة ، والسفاح هو الزنا (فما استمتعتم
به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) قال ابن عباس وغيره . معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب
إعطائه الأجر وهو الصداق كاملاً وقيل إنها في نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزاً في
أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه ، ثم حرم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخة
بالخبر الثابت في تحریم نكاح المتعة ، وقيل نسخها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه ، وقيل نسختها هو الذين
هم لفروجهم حافظون ، وروى عن ابن عباس جواز نكاح المتعة ، وروى أنه رجوع عنه (ولا جناح عليكم فيما
تراضيتُمْ بِهِ) من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء فمعنى هذه جواز ما يراضون به من حظ النساء من الصداق
أو تأخيرها بعد استقرار الفريضة ومن قال إن الآية في نكاح المتعة . فمعنى هذا جواز ما يراضون به من زيادة
في مدة المتعة وزيادة في الأجر (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من
فتياتكم المؤمنات) معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات ، والطول هنا هو
السعة في المال والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز

أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ
 مُسْفَحَاتٍ وَلَا مَمْتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَإِنَّ أُمَّتَيْنِ بَفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
 ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَيُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا

للحر نكاح أمة إلا بشرطين: أحدهما عدم الطول؛ وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا: ذلك لمن خشي العنت منكم، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، وتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تزوج لقوله تعالى «من فتياتكم المؤمنات، إلا أهل العراق فلم يشترطوه، وإعراب طولاً: مفعولاً بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو في موضع نصب بتقدير لأن ينكح؛ ويحتمل أن يكون طولاً منصوباً على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر (والله أعلم بإيمانكم) معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان، فنكاحها صحيح، وعلم باطنها إلى الله (بعضكم من بعض) أي إماؤكم منكم، وهذا تأنيس بنكاح الإماء، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك (فانكحوهن بإذن أهلهن) أي بإذن ساداتهن المسالكين لهن (وآتوهن أجورهن) أي صدقاتهن، وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن، وهو مذهب مالك (بالمعروف) أي بالشرع على ما تقتضيه السنة (محصنات غير مسافحات) أي عفيفات غير زانيات، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن (ولامتخذات أخدان) جمع خدن وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدناً تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لأمس (فإذا أحصنتم فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة، والأمة تجلد خمسين، فإذا أحصن يريد به هنا تزوجن، والفاحشة هنا الزنا، والمحصنات هنا الحرائر، والعذاب هنا الحد فاقترضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة وهو مثل حد المتزوجة وهذا على قراءة أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد، وقرئ بفتحهما، ومعناه أسلمن، وقيل تزوجن (ذلك لمن خشي العنت منكم) الإشارة إلى تزوج الأمة أي إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسه (وأن تصبروا خير لكم) المراد الصبر عن نكاح الإماء، وهذا يندب إلى تركه، وعلته ما يؤدي إليه من استرقاق الولد (يريد الله ليبين لكم) قال الزمخشري أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبالك لتأكيد إضافة الأب، وقال الكوفيون اللام مصدرية مثل أن (ويهديكم سنن الدين من قبلكم) أي يهديكم منهاج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا الزناة عند محاهد، وقيل الجرس لنكاحهم ذات المحارم، وقيل عام في كل

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَاءَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا * وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

متبع شهوة وهو أرجح (يريد الله أن يخفف عنكم) يقتضى سياق الكلام التخفيف الذى وقع فى إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام فى كل ماخفف الله عن عباده ، وجعل دينه يسرا (وخلق الإنسان ضعيفا) قيل معناه لا يصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك (إلا أن تكون تجارة) استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها ، وفى إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوى مائة ، والمشهور إمضاء البيع ، وحكى عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغيب أكثر من الثلث وموضع أن نصب ، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهى تامة ، وقرئ بالنصب خبر تكون وهى ناقصة (عن تراض منكم) أى اتفاق وبهذا استدلال المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقال الشافعى : إنما يتم بالتفرق بالأبدان ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا (ولا تقتلوا أنفسكم) قال ابن عطية ، أجمع المفسرون أن المعنى : لا يقتل بعضكم بعضا ، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه ، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمعه (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل ، لأنه أقرب مذكور ، وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل ، وقيل إلى كل ما تقدمت من المنهيات من أول السورة (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اختلف الناس فى الكبائر ما هى ، فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود الكبائر هى الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية ، وقال بعض العلماء : كل ما عصى الله به ، فهو كبيرة ، وعدّها بعضهم سبعة عشر ، وفى البخارى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا السبع الموبقات : الإشراف بالله والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، فلا شك أنّ هذه من الكبائر للنص عليها فى الحديث ، وزاد بعضهم عليها أشياء ، وورد فى الأحاديث النص على أنها كبائر ، وورد فى القرآن أو فى الحديث وعيد عليها ، فمنها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والنهبة ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن مكر الله ، ومنع ابن السبيل الماء والإحاديث فى البيت الحرام ، والنهبة ، وترك التحرز من البول والغلول واستطالة المرء فى عرض أخيه ، والجور فى الحكم (نكفروا عنكم سيئاتكم) وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتبت الكبائر (مدخلا كريما) اسم مكان وهو هنا الجنة (ولا تتمنوا) الآية : سبها أن النساء قلن ليتنا استويننا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو ، فنزلت نهيها عن ذلك لأن فى تمنيهم رد على حكم الشريعة ، فدخل فى النهى تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الآية : أى من الأجر والحسنات ، وقيل من الميراث ،

اللَّهِ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ
نَصِيْبَهُمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنَتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ
فَعُظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ

ويرده لفظ الا كتساب (ولكل جعلنا موالى) الآية: في معناه وجهان: أحدهما لكل شيء من الأموال جعلنا موالى يرثونه، فما ترك على هذا بيان لكل، والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فما ترك على هذا: يتعلق بفعل مضمر، والموالى هنا الورثة والعصبة (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) اختلف هل هي منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلْف الذي كان في الجاهلية، وقيل بالمؤاخاة التي آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه، ثم نسخها. وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة: اختلفوا، فقال ابن عباس هي في المؤازرة والنصرة بالحلْف لافي الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر، على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة (الرجال قوامون على النساء) قوام بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء (بما فضل الله) الباء للتعليل، وما مصدرية، والتفضيل بالإمامة والجهاد، وملك الطلاق وكال العقل وغير ذلك (وبما أنفقوا) هو الصداق والنفقة المستمرة (فالصالحات قانتات) أي النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعه لله في حق أزواجهن (حافظات للغيب) أي تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل في ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله ودينه وحفظ أسراره (بما حفظ الله) أي بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذي (واللاتي تخافون نشوزهن) قيل الخوف هنا اليقين (فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب: بالوعظ في النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب: لم يتعد إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) الشقاق الشر والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع لقوله تعالى: بل مكر الليل والنهار وأصله مكر بالليل والنهار (فابعثوا حكما) الآية. ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة، والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى، وهي ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظر في أمرهما، وينفذ ما ظهر لهما من تطلق وخلع

كَانَ عَلِيًّا خَيْرًا ۖ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ
يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا *
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا

من غير إذن الزوج ، وقال أبو حنيفة ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما ، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما
ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذي يبعث الحكامين ، وقيل يبعثهما الزوجان ، وجرت عادة القضاة
أن يبعثوا امرأة أمينة ، ولا يبعثوا حكامين ، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية (من
أهله وحكام أهلها) يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين ، والأكمل أن يكونا من أهلها
كما ذكر الله (إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير في يريدان للحكامين ، وفي بينهما للزوجين على الأظهر ، وقيل
الضميران للزوجين ، وقيل للحكامين (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال ابن عباس الجار ذى القربى هو القريب
النسب والجار الجنب هو الأجنبي ، وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب البعيد المسكن عنك ، وحد
الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية (الصاحب بالجنب) قال ابن عباس الرفيق فى السعى ، وقال
على بن أبى طالب الزوجة (مختالا) اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه (فخورا)
شديد الفخر (الذين يبخلون) بدل من قوله مختالا أو نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمرا أو مبتدأ وخبره مخذوف
تقديره يعذبون ، والآية فى اليهود : نزلت فى قوم منهم كحى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون
للأنصار لا تنفقوا أموالكم فى الجهاد والصدقات وهى مع ذلك عامة من فعل هذه الأفعال من المسلمين (والذين
ينفقون) عطف على الذين يبخلون ، وقيل على الكافرين ، والآية فى المنافقين الذين كانوا ينفقون فى الزكاة والجهاد
رياء ومصانعة ، وقيل فى اليهود ، وقيل فى مشركى مكة الذين أنفقوا أموالهم فى حرب المسلمين (قرينا) أى ملازما
له يغويه (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية : استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان
والإنفاق ، كأنه يقول أى مضرة عليهم فى ذلك (مثقال ذرة) أى وزنها ، وهى النملة الصغيرة ، وذلك تمثيل
بالقليل تنبيها على الكثير (وإن تك حسنة) بالرفع فاعل وتك تامة ، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها
مضمرفها (يضاعفها) أى يكثرها واحد البربعشر إلى سبعائة أو أكثر (ويؤت من لدنه) أى من عنده تفضلا
وزيادة على ثواب العمل (فكيف إذا جئنا) تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا (بشهيد) هو نبيهم يشهد عليهم
بأعمالهم (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى تشهد على قومك ، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله

الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه (لو تسوى بهم الأرض) أى يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يتمنون أن يكونوا سواه مع الأرض كقوله، ويقول الكافر باليتنى كنت ترابا، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة (ولا يكتُمون الله حديثا) استئناف إخبار أنهم لا يكتُمون يوم القيامة عن الله شيئا فإن قيل كيف هذا مع قولهم، والله بنا كئاشم شركين؟ فالجواب من وجهين (أحدهما) أن السكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا انتطق جوارحهم فكأنهم لم يكتُموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ولا يكتُمون عطف على تسوى أى يتمنون أن لا يكتُموا إلا أنهم إذا كتموا افتضحوا (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأتهم أحدهم بخلط في القراءة فنعناها النهى عن الصلاة في حال السكر قال بعض الناس: هى منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضى إباحة الخمر وإنما هى نهى عن الصلاة في حال السكر وذلك الحكم الثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكتُمون سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضى النهى عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ (حتى تعلموا ما تقولون) حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره (ولا جنبا إلا عابري سبيل) عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو في موضع الحال والجنب هنا غير الظاهر بإزالة أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف في عابري سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر فيصل بالتييم دون اغتسال، فمقتضى الآية: إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث، وقيل عابرا السبيل الماتر في المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمعنى الآية على هذا النهى أن يقرب المسجد الجنب إلا خاطرا عليه وعلى هذا أخذ الشافعى بأنه يجوز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الآية سببها عدم الصحابة الماء في غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه في السفر، والثانى عدمه في المرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: وإن كنتم مرضى أو على سفر، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض، فأخلف الفقهاء فيه، فذهب أبو حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعى أنه يجوز فيه التيمم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيسكون في الآية حجة لمالك والشافعى، ويجوز التيمم أيضا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن السنة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ

على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لا تقدر على مس الماء، وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعي خوف الموت لا غير، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا (أوجاء أحد منكم) في أو هنا تأويلان: أحدهما أن تكون للتفصيل والتتويج على بابها، والآخر أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبنا ذكرنا قبل هذا، فيقتضى ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضى ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها: كان فيها فائدة لإباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لا يلزم، لأن العطف بأوهنا للتتويج والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر وأحدثتم في غير مرض ولا سفر (الغائط) أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة، والريح، والبول، لأن من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودي والمذي (أو لامستم النساء) اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الجماع ومادونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثاني أنها مادون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولا يكون مادون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة (فلم تجدوا ماء) هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإن وجده بضمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا (فتيمموا) التيمم في اللغة القصد وفي الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوي (صعيدا طيبا) الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعي التراب لا غير والطيب هنا الطاهر واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب والملح والتراب المنقول كالمجمول في طبق، وبالآجر، وبالجنب المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر

وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسَّنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهاً فَزَرَدَهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ * وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُرُونَ

الآية ، وذلك على التدب عندمالك ، ويستوعب الوجه بالمسح ، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يحذف ، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق ، فيحمل على المقيد ، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود هنا وفي الموضوع الثاني قال السهيلي : فالموضع الأول نزل في رفاعه بن زيد بن التابوت ، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف (يشترون الضلالة) عبارة عن إثارة الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله «اشتروا الضلالة بالهدى» ، وفي تكرار قوله كفى بالله مبالغة (من الذين هادوا) من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا ، أو إلى أعدائكم ، فهي بيان ، وقال الفارسي : هي ابتداء كلام تقديره . من الذين هادوا قوم وقيل هي متعلقة بنصير اعلى قول الفارسي (بحرفون الكلم) يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى ، وقيل الكلم هنا التوراة ، وقيل كلام النبي صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) معناه لا سمعت (راعنا) ذكر في البقرة (سمعنا وأطعنا) عوض من قولهم سمعنا وعصينا ، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع ، وانظرنا عوض من قولهم راعنا ، وهو النظر أو الانتظار ، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الآخر عوضا عن تلك : لكان خيرا لهم ، فإن هذه ليس فيها سوء أدب (مصداقا) ذكر في البقرة (أن نطمس وجوها) قال ابن عباس طمسها : أن تزال العيون منها ، وترد في القفا ، فيكون ذلك ردا على الدبر ، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالآدابار في خلوها عن الحواس (أو نلعنهم) أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت ، وقد ذكر في البقرة ، أو يكون من اللعن المعروف ، والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات ، وهي الحجة لأهل السنة ، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وحجتهم هذه الآية ، فإنها نص في هذا المعنى ، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بدسواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبار ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبار ولا بد ، ويرد على الطائفتين قوله «ويغفر ما دون ذلك» ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ، ويرد عليهم قوله : لمن يشاء ، فإنه

أَنْفُسُهُمْ بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا * أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا
 مُّبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا * أَوَلَيْسَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا *
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ
 ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ

تخصيص لبعض العصاة ، وقد تأملت المعتزلة الآية على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء ، وهو التائب لا خلاف أنه لا يعذب ، وهذا التأويل بعيد ، لأن قوله « إن الله لا يغفر أن يشرك به » ، في غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد ، وتأولتها المرجئة على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء : معناه لمن يشاء أن يؤمن ، وهذا أيضا بعيد ، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار ، وحملها أهل السنة على الكفار ، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة ، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين ، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين ، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد ، بل يجمع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض ، وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره : غفر له بإجماع ، وإن مات على كفره : لم يغفر له ، وولد في النار بإجماع ، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه (الذين يزكون أنفسهم) هم اليهود لعنهم الله ، وتزكيتهم قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل مدحهم لأنفسهم (فتيلا) القليل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة ، وقيل ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتها ، وهو تمثيل وعبرة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى (يفترون) دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال ابن عباس : الجبت هو حي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وقال عمر بن الخطاب : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقيل الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله (ويقولون للذين كفروا) الآية : سبها أن حي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود ، قالوا للكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه (أم لهم نصيب من الملك) الهمزة للاستفهام مع الإنكار (نقيرا) النقيير هي النقرة في ظهر النواة وهو تمثيل ، وعبرة عن أقل الأشياء ، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك ، وأنهم حينئذ يدخلون بالنقيير الذي هو أقل الأشياء ويخجلون بما هو أكثر منه من باب أولى (أم يحسدون الناس) وصفهم بالحسد مع البخل ، والناس هنا يرادهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه ، والفضل النبوة ، وقيل النصر والعزة ، وقيل الناس العرب وانفضل كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) المراد آل إبراهيم ذريته من بني إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتاب التي أنزلها والحكمة

وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلْبًا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
 لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَدُخِلُوهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا
 الْأُمَّنَاتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
 إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
 أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
 يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
 رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

التي علمها، والمقصود بالآية الرد على اليهود في حسدهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها إلزام لهم بما
 عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلا شيء يخصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره
 ممن أُنعم الله عليهم (ملكاً عظيماً) الملك في آل إبراهيم هو مالك يوسف وداود وسليمان (فمنهم من آمن به)
 الآية: قيل المراد من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى: مصدقا
 لما معكم، أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضميره، وقيل منهم أي من آل إبراهيم من
 آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر: كقوله تعالى: فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (كلما نضجت جلودهم) الآية
 قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة وقيل تبدل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل الجلود
 السرايل وهو بعيد (أزواج مطهرة) ذكر في البقرة (ظلالاً ظليلاً) صفة من لفظ الظل للتأكيد: أي دائماً تنسخه الشمس
 وقيل نفي الحر والبرد (إن الله يأمركم) الآية: قيل هي خطاب للولاية وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم حين
 أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام، وكذلك حكمها (وأولوا الأمر) هم الولاية، وقيل العلماء
 نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية (فردوه إلى الله والرسول) الرد
 إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله في حياته والنظر في سنته بعد
 وفاته (إن كنتم) يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعاً إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا، والأول أظهر
 لأنه أقرب إليه (وأحسن تأويلاً) أي مآلاً وعاقبة وقيل أحسن نظراً منكم (الذين يزعمون) الآية: نزلت
 في المنافقين، وقيل في منافق ويهودي كان بينهما خصومة فتحاكى إلى كعب بن الأشرف اليهودي وقيل إلى
 كاهن (رأيت المنافقين) وضع الظاهر موضع المضمر ليدهم بالنفاق: ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت
 في المنافقين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) الآية: أي كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم (ثم جاؤك

لَقَوْلِ اللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أَوَلَسْتَكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقَالَ
لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ
تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَا تَأْتِنُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدِيذُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا *
ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا * بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا

يُحَقِّقُونَ بِاللَّهِ) يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ما قبله أو يكون معطوفا على قوله يصعدون ، ويكون قوله فكيف إذا أصابتهم اعتراضا (فأعرض عنهم) أى عن معاقبتهم ، وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله وعظّمهم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية : وعد بالمغفرة لمن استغفر ، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤك أتوك تأتئين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله (فلا وربك) لاهنا مؤكدة للنفي الذى بعدها (شجر بينهم) أى اختلطوا واختلفوا فيه ، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت بسبب المناقشين الذين تخاصموا ، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار فى المساء وحكمها عام (ولو أنا كتبنا عليهم) الآية : معناها لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلّة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا ، وقدروى أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس (الاقليل) بالرفع بدل من المضمرة قرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على الإفعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد له (وأشدّ تثبيثا) أى تخفيفا لإيمانهم (وإذا لا تيناهم) جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) ثواب على الطاعة أى هم معهم فى الجنة ، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى وصراط الذين أنعمت عليهم ، والصديق فعيل من الصدق ، ومنى التصديق ، والمراد به المبالغة ، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء ، والشهداء المقترلون فى سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حبسها ورد فى الحديث أنهم سبعة (وحسن أولئك رفيقا) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالحليظ ، وهو مفرد بين به الجنس ، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التى ينال بها مرافقة هؤلاء (ذلك الفضل) الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر فى الجنة ، والفضل صفة أو خير (خذوا حذركم) أى تجرؤا من عدوكم واستعدوا له (فانفروا ثبات) أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَنْ أَصْبِحُ
 فَضْلًا مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَافُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
 أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا *
 الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ
 إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
 فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا
 الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تظَلُمُونَ فَتِيلًا *
 إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ

وذلك كناية عن السرايا ، وقيل إن الثبته مافرق العشرة ، ووزنها فعلة بفتح العين ولاها محذوفة (أو انفروا
 جميعا) أي مجتمعين في الجيش الكشيف فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة (وإن منكم من ليبطئن) الخطاب
 للمؤمنين ، والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ، ويقولون آمنا ، واللام
 في لمن للتأكيد ، وفي ليبطئن جواب قسم محذوف ، ومعناه يبطئ غيره يبطئه عن الجهاد ويحمله على التخلف
 عن الغزو ، وقيل يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتأقل (فإن أصابتكم مصيبة) أي قتل وهزيمة والمعنى أن
 المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهدا معناه حاضرا معهم (وإن أصابكم فضل من الله) أي نصر
 وغنيمة ، والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم (كأن لم تكن بينكم
 وبينه مودة) جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده
 (الذين يشرون) أي يبيعون (فيقتل أو يغلب) ذكر الحالتين للمقاتل ووعده بالأجر على كل واحدة منهما
 (وما لكم لا تقاتلون) تحريض على القتال ، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون في موضع
 الحال ، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام ، وهو عطف على اسم الله
 أو مفعول معه (القرية الظالم أهلها) هي مكة حين كانت للمشركين (يقاتلون في سبيل الله) وما بعده
 إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال (الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية : قيل
 هي في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد ، فتمنوا أن يؤمروا
 به ، فلما أمروا به كرهوه ، لاشكا في دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل هي في المنافقين وهو أليق في
 سياق الكلام (متاع الدنيا قليل) وما بعده تحقير للدنيا فتمضمّن الرد عليهم في كراهتهم للموت (في بروج مشيدة)

تصبيهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فقال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً *
 ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا *
 من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا . ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك
 بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا *
 أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * وإذا جاءهم أمر من الأمن
 أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلهم يستنبطونه ولولا فضل الله

أى فى حصون منيعة ، وقيل المشيدة المطولة وقيل المبذبة بالشيد وهو الجص (إن تصبيهم حسنة) الحسنة هنا
 النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك ، والضمير فى تصبيهم وفى يقول
 للذين قيل لهم كفوا أيديكم ، وهذا يدل على أنها فى المناققين ، لأن المؤمنين لا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
 إن السيئات من عنده (قل كل من عند الله) رد على من نسب السيئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله أى بقضائه وقدره (فما هؤلاء القوم) تويخ لهم على قلة
 فهمهم (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
 والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس ، وفيه تأويلان : أحدهما نسبة الحسنة إلى الله
 والسيئة إلى العبد تأديبا مع الله فى الكلام ، وإن كان كل شئ منه فى الحقيقة ، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام ،
 والخير كله يديك والشر ليس إليك وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه ، لقوله : وما أصابكم من
 مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فهى من العبد بتسيبه فيها ، ومن الله بالخلقة والاختراع ، والثانى : أن هذا من
 كلام القوم المذكورين قبل ، والتقدير يقولون كذا ، فمعناها كمنى التى قبلها (من يطع الرسول فقد أطاع الله)
 هذه الآية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر
 وينهى عن الله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى من أعرض عن طاعتك ، فما أنت عليه بحفيظ
 تحفظ أعماله ، بل حسابه وجزاؤه على الله ، وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال (ويقولون طاعة) أى
 أمرنا وشأننا طاعة لك ، وهى فى المناققين بإجماع (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) بيت أى تدبر الأمر
 بالليل ، والضمير فى تقول للمخاطب ، وهو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو للطائفة (فأعرض
 عنهم) أى لاتعاقبهم (أفلا يتدبرون القرآن) حض على التفكير فى معانيه لتظهر أدلته وبراهينه (اختلافا كثيرا)
 أى تناقضا كما فى كلام البشر أو تفاوتا فى الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك ، فدل على أنه كلام الله ،
 وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا فى شئ من القرآن ، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع
 تأليفهم ، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) قيل هم المناققون
 وقيل قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أى تكلموا به

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْعَمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى
 اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا * مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ
 مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِتًا * وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
 بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وشهروه قبل أن يعملوا صحته ، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة الثبوت ،
 فأنكر الله ذلك عليهم (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي لو ترك
 هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم وردوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم
 وإلى أولى الأمر ، وهم كبار الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أي يستخرجونه من
 الرسول وأولى الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلى الله تعالى عليه
 وآله وسلم وأولى الأمر وحرف الجر في قوله يستنبطونه منهم لا ابتداء الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير
 المجرور يعود على الرسول وأولى الأمر ، وقيل الذين يستنبطونه هم أولوا الأمر ، كما جاء في الحديث عن عمر
 رضی الله عنه أنه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فدخل عليه ، فقال : أطلقت نساءك ؟
 فقال لا ، فقام على باب المسجد ، فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فأنزله الله هذه
 القصة ، قال وأنا الذي استنبطته ، فعلى هذا يستنبطونه هم أولوا الأمر ، والضمير المجرور يعود عليهم ، ومنهم
 لبيان الجنس ، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالنظر والبحث ، واستنباطه
 على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولى الأمر (ولولا فضل الله
 عليكم ورحمته) أي هداه وتوفيقه ، أو بعثه للرسول ، وإنزاله للكتب ، والمحطاب في هذه الآية للمؤمنين
 (الإقليات) أي إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر ، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا في أمور
 قليلة كنتم لا تبعونه فيها ، وقيل إنه استثناء من الفاعل في تبعتم أي الإقليات منكم وهو الذي يقتضيه اللفظ وهم
 الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل ، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال
 الكتاب ، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به (لا تكلف إلا نفسك) لما تناقل بعض الناس عن قتال
 قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم أي إن أوردوك فقاتل وحده فإني عليك ذلك (وحرص المؤمنين) أي ليس عليك
 في شأن المؤمنين إلا التجريص (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) قيل عسى من الله واجبة ، والذين
 كفروا هنا قريش وقد كفهم الله بجزيتهم في بدر وغيرها وفتح مكة (وأشد تنكيلا) أي عقابا وعذابا
 (شفاعة حسنة) هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة ، أو تدفع مظلمة أو يحلب إليه خيرا والشفاعة السيئة بخلاف
 ذلك وقيل الشفاعة الحسنة هي الطاعة والشفاعة السيئة هي المعصية ، والأول أظهر ، والكفل هو النصيب (مقبتا)
 قيل قديرا ، وقيل حفيظا ، وقيل الذي يقبض الحيوان أي يرزقهم القوت (فحيوا أحسن منها أو ردوها) معنى
 ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد مثل ما سلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له

لَأَرْيَبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتْرِيدُونَ
 أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ۚ وَذُؤَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
 فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا نَحْنُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
 تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُءَلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ۚ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
 صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْوُكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ
 وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا

سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة ، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي ، وقال
 بعض الناس هو فرض عين ، واختلف في الرد على الكفار ، فقيل يرد عليهم لعموم الآية ، وقيل لا يرد
 عليهم ، وقيل يقال لهم عليكم ، حسبما جاء في الحديث ، وهو مذهب مالك ولا يبتدئون بالسلام (ليجمعنكم)
 جواب قسم محذوف ، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى إلى (ومن أصدق) لفظه استفهام ، ومعناه لا أحد
 أصدق من الله (فما لكم في المنافقين فتنين) ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين ، ومعنى فتنين : أي طائفتين
 مختلفتين ، وهو منصوب على الحال ، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين
 فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات ، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم
 ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا ؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت في المنافقين
 الذين رجعوا عن القتال يوم أحد فاختلف الصحابة في أمرهم ، ويرد هذا قوله : حتى يهاجروا (أركسهم) أي
 أضلهم ، وأهلكهم (وذووا لو تكفرون) الضمير للمنافقين أي تمنوا أن تكفروا (نخذوهم) يريد به الأسر
 (إلا الذين يصلون) الآية : استثناء من قوله نخذوهم واقتلوهم ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين
 إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم في المسألة وترك قتاله وكان
 ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة ، قال السهيلي وغيره : الذين يصلون هم بنو مدلج بن
 كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فعنى يصلون إلى قوم : ينتهون إليهم ، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أي ينتسبون
 وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف
 لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين أو جاؤكم حصرت صدورهم عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي :
 بينكم وبينهم ميثاق ، والمعنى يختلف باختلاف ذلك ، والأول أظهر ، وحصرت صدورهم : في موضع الحال
 بدليل قراءة يعقوب حصرت ، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته ، ونزلت الآية في قوم جاؤا إلى المسلمين ،
 وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار فأمر الله بالكف عنهم
 ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال (فإن اعتزلوكم) أي إن سلموكم فلا تقاتلوهم ، والسلم هنا الانقياد (ستجدون آخرين)

قَوْمَهُمْ كُلَّ مَارِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْدُوهُمْ
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا
إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِنْ
قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ

الآية : نزلت في قوم مخادعين وهم من أسد و غطفان كانوا إذا أبا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين
فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر ، وقيل الاختبار
(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث
يعذبه على الإسلام ، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله ، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع ، والمعنى
لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه ، لكن الخطأ قد يقع ، والصحيح أنه متصل والمعنى لا ينبغي لمؤمن ولا
يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعد إذ هو مغلوب فيه ، وانتصاب خطأ على أنه
مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية) هذا بيان
ما يجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والدية ، فأما التحرير ففي مال القاتل . وأما الدية ففي مال
عاقلته ، وجاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان للآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره ، وأجمع الفقهاء
عليه ، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية ، سالمة من العيوب
أما إيمانها فنص هنا ، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا في كفارة الظهار وكفارة اليمين ، وأما
سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى فتحرير رقبة ، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها
وأما سلامتها من العيب ، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفي ذلك نظر ولم يبين في الآية مقدار الدية وهي عند مالك
مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل
الورق ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب (مسألة إلى أهله) أي مدفوعة إليهم ، والأهل هنا الورثة ، واختلف
في مدة تسليمها ، فقيل هي حالة عليهم ، وقيل يؤدونها في ثلاث سنين ، وقيل في أربع ، ولفظ التسليم مطلق
وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك (إلا أن يصدقوا) الضمير يعود على أولياء المقتول أي
إذا أسقطوا الدية سقطت ، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور ، خلافا لأهل الظاهر ،
وحجتهم عود الضمير على الأولياء ، وقال الجمهور إنما هذا إذالم يسقطها المقتول (فإن كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) معنى الآية : أن المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون
فإنما في قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لثلاث يتقوا بها على المسلمين ، ورأى ابن عباس أن ذلك
إنما هو فيمن آمن وبقى في دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الدية في هذا البيت
المال فالآية عنده منسوخة ، (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية : معناها أن المقتول خطأ
إن كان قومه كفارا معاهدين ففي مثله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا
مؤمن ، ولذلك قال مالك لا كفارة في قتل الذمي ، وقيل إن المقتول في هذه الآية كافر ، فعلى هذا تجب

أَهْلَهُ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَامٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَعَلُوا بِهِ مَا تَعْمَلُونَ

الكفارة في قتل الذمي ، وقيل هي عامة في المؤمن والكافر ، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن في الآية التي قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن (فمن لم يجد فصيام شهرين) أي من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه (توبة من الله) منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزأوه جهنم خالدا فيها) الآية : نزلت بسبب مقيس بن صباة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ ، ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ، والمتعمد عند الجمهور هو الذي يقصد القتل بجديدة أو حجرا أو عصا أو غير ذلك ، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين في النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار لقوله خالدا فيها وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمنا ، والثاني قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل ، وذلك يؤول إلى الكفر ، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي ، وإنما هو عبارة عن طول المدة ، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ، ورأوا أنها ناسخة لقوله : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهينة بقول ابن عباس ، الشرك والقتل من مات عليهما خلد ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا ، وتقتضى الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصي ، واختلف الناس في القاتل عمدا إذا تاب ، هل تقبل توبته أم لا ؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتصر منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا ؟ والصحيح أنه يسقط عنه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، وبذلك قال جمهور العلماء (ضربتم في سبيل الله) أي سافرتم في الجهاد (فتبينوا) من البيان وقرئ بالثاء المثناة من الثبات والتفعل فيها بمعنى الاستفعال ، أي اطلبوا بيان الأمر وثبوتها (ألقى إليكم السلم) بغير ألف أي انقاد وألقى بيده ، وقرئ السلام بمعنى التحية ، ونزلت في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدهم فقتله ، فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأغبط ، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك (تبغون عرض الحياة الدنيا) يعنى الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غنم (فعند الله مغامم كثيرة) وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام (كذلك كنتم من قبل) قيل معناه كنتم كفارا فهداكم الله للإسلام ، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم (فمن الله عليكم) بالعزة والنصر حتى أظهرتموه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) الآية :

خَيْرًا ۚ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
 الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 ظَالِمًا أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
 فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۚ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۖ * فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ * وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ
 الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ * وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
 تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرَانُ كَانَ لَكُمْ عُدُوًّا مُبِينًا ۖ * وَإِذَا كُنْتَ

معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون (غير أولى الضرر) لما نزلت الآية : قام ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال يا رسول الله هل من رخصة فأني ضير البصر ، فنزل غير أولى الضرر وقرئ غير بالحركات الثلاث ، بالرفع صفة للقاعدین ، وبالنصب على الاستثناء أو الحال ، وبالخفض صفة للمؤمنين (درجة) قيل هي تفضيل على القاعدین من أهل العذر والدرجات على القاعدین بغير عذر ، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأکید الدرجة (الحسنی) الجنة (أجرا) منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل ، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر ، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها : أي غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمة ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا ، وانتصب ظالمی على الحال (قالوا فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) اعتذار عن التوبيخ الذي وبخهم به الملائكة : أي لم تقدرُوا على الهجرة وكان اعتذارا بالباطل (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) رد عليهم ؛ وتكذيب لهم في اعتذارهم (إلا المستضعفين) الذين كان استضعافهم حقا ، قال ابن عباس : كنت أنا وأبي وأمي ممن عنى الله بهذه الآية (مرغمًا) أي متحولًا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه (وسعة) أي اتساع في الأرض وقيل في الرزق (فقد وقع أجره على الله) أي ثبت وصح (ومن يخرج من بيته) الآية حكمها على العموم ونزلت في ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال أخرجوني فبيته له فراش فوضع عليه وخرج فمات في الطريق ، وقيل نزلت في خالد بن حزام ، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) اختلاف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال : أولها أنها في قصر الصلاة الرباعية

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ

إلى ركعتين في السفر ، ولذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية ، وهو قول عائشة وعثمان رضی الله عنهما ، الثاني أن الآية تقتضي ذلك ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة ، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول إن خفتهم وقد آمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو آمن ، الثالث أن قوله إن خفتهم راجع إلى قوله : وإذا كنت فيهم الآية التي بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد ، الرابع أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة ، قال ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة الخامسة أنها في صلاة المسابقة ، فالقصر على هذا هو من حياة الصلاة كقوله : فإن خفتهم فرجالاً أو ركباناً وإذا قلنا إنها في القصر في السفر ، فظاهرها أن القصر رخصة ، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعي ، وقال مالك القصر أفضل ، وقيل إنهما سواء ، وأوجب أبو حنيفة القصر ، وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي تقصر فيها الصلاة ؛ لأن قوله إذا ضربتم في الأرض معناه السفر مطلقاً ، ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير ، ومذهب مالك والشافعي أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً ؛ واحتجوا بآثار عن عمر وابن عباس ، وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق في السفر ، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية ، ومنعه مالك في سفر المعصية ، ومنعه ابن حنبل في المعصية ، وفي المباح . وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فاضربنا عن ذكرها ، والمراد بالفتنة في هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم) الآية في صلاة الخوف ، وظاهرها يقتضي أنها لا تصلي بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه شرط كونه فيهم ، وبذلك قال أبو يوسف ، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته ، وقد فعلها الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة أقوال ، لا اختلاف الأحاديث فيها ، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك ، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع (فلتقم طائفة منهم معك) يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلين بالأولى نصف الصلاة ، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلين بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس ، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ، أم لا ؟ وعلى القول بالإتمام : اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة ، فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة والأول أرجح ، لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى : وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة : جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ، وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعا بها من قاتلهم (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الضمير في قوله فإذا سجدوا للمصلين ، والمعنى إذا سجدوا معك في الركعة الأولى ، وقيل إذا سجدوا في ركعة القضاء ، والضمير في قوله فليكونوا من ورائكم : يحتمل

وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يَصَلُّوا فَلْيَصِلُوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَٰلِكَ كَفَرُوا لَوْلَا تَعَفُّونَ
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
فَازْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
كِتَابًا مَوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ
اللَّهُ وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أن يكون للذين سجدوا : أى إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراهم ، وعلى هذا إن كان السجود في الركعة
الأولى فيقتضى ذلك أنهم يقومون للحراية بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم
أولا يقضونها ، وإن كان السجود في ركعة القضاء ، فيقتضى ذلك أنهم لا يقومون للحراية إلا بعد القضاء ، وهو
مذهب مالك والشافعي ، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله : فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء
المصلين يحرسونهم (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الطائفة الحارسة (وَذَٰلِكَ كَفَرُوا) الآية : إخبار عما جرى
في غزوة ذات الرقاع ، من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك ، وشرعت صلاة الخوف حذرا من الكفار ، وفي قوله : ميلة واحدة :
مبالغة أى مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الآية : نزلت بسبب عبد الرحمن
ابن عوف ، كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس ، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض
والمطر ، ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) إن قيل : كيف
طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين ؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدو : يقتضى توهم قوتهم وعزتهم ، ففى
ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين ، قال ذلك الزمخشري وإنما يصح ذلك
إذا كان العذاب المهين في الدنيا ، والأظهر أنه في الآخرة (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله) الآية : أى إذا
فرغتم من الصلاة ، فاذكروا الله بألسنتكم ، وذكر القيام والقعود على الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان ، وقيل
المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قايما فإن لم تقدرُوا فاقعدوا ، فإن لم تقدرُوا فعلى جنوبكم (فإذا اطمأننتم فأقيموا
الصلاة) أى إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة (كتابا موقوتا) أى محدودا بالأوقات
وقال ابن عباس : فرضا مفروضا (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا في طلب الكفار (إن تكونوا
تألمون) الآية : معناها . إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله ، ومع ذلك فإنكم ترجون
إذا قاتلتموهم : النصر في الدنيا ، والأجر في الآخرة ؛ وذلك تشجيع للمسلمين (لتحكم بين الناس بما أراك
الله) يحتمل أن يريد بالوحي أو بالاجتهاد ، أو بهما ، وإذا تضمنت الاجتهاد ، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس

أَنْفُسَهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ
يَبْتَغُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا * هُنَّ أُمَّهَاتُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصَلُّونَ عَلَى
الذُّنُوبِ فَكُنْ بِمَقَامِكُمْ إِذَا خُلِيقُوا مِنَ اللَّهِ عَالَمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا * لِأَخِيرٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ

خلافًا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم (ولا تكن للخائنين خصيما) نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طعمة
ابن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار ، وجاء قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنه
بريء ونسبوا السرقة إلى غيره ، وظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم صادقون ، فجادل عنهم ليدفع
ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا ، فالخائنون في الآية : هم السراق بنو الأبيرق ، وقال السهيلي هم بشر وبشير
ومبشر وأسيد ، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم (واستغفر الله) أي من خصامك عن الخائنين ، على أنه
صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم (إذ يدبثون) أي يدبرون ليلا وإثما سمي التدبير قولا ، لأنه
كلام النفس ، وربما كان معه كلام باللسان (ومن يكسب خطيئة أو إثما) قيل إن الخطيئة تكون عن عمد ، وعن
غير عمد ، والإثم لا يكون إلا عن عمد ، وقيل هما بمعنى ، وكرر لاختلاف اللفظ (ثم يرم به بريئا) كان القوم
قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم الذين جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وأبرؤا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة ، فهي أيضا تتضمن أحكام
غيرها ، وبقية الآية تشرى للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتقدير نعم الله عليه (لأخيري كثير من نجواهم) إن
كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي ، فالاستثناء الذي بعدها منقطع ، وقد يكون متصلا على حذف مضاف
تقديره إلا نجوى من أمر ، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل (ومن يشاقق الرسول)
أي يعاديه ، والشقاق هو العداوة ، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق ، لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات
على الكفر ، وهي عامة فيه وفي غيره (ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدلل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين
وأنه لا يجوز مخالفته ، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وفي ذلك نظر (نوله ماتولى) أي تركه مع

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيًّا مَفْرُوضًا ۝ وَلَا ضَلْمًا وَلَا مَنِيعًا وَلَا مَرْنَمًا فَلْيَتَّكِنَنَّ إِذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَمًا فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ۝ يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرٍ ۝ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝ وَاللَّهُ مَافِي

اختياره الفاسد (إن الله لا يغفر أن يشرك به) قد تقدم الكلام على نظيرتها (إن يدعون من دونه إلا إناثا) الضمير في يدعون للكفار ، ومعنى يدعون يعبدون ، واختلف في الإناث هنا ، فقيل هي الأصنام ، لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة : كالكالات والعزى ، وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد ، وقيل المراد الأصنام ، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث (إلا شيطانا مريدا) يعنى إبليس ، وإنما قال إنهم يعبدونه ، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال ، والمريد هو الشديد العتو والإضلال (لعنه الله) صفة للشيطان (وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) الضمير للشيطان : أى فرضته لنفسى من قولك فرض للجند وغيرهم ، والمراد بهم أهل الضلال (ولأضلنهم) أى أعدم الأمانى الكاذبة (فليبتكن آذان الأنعام) أى يقطعونها ، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها (فليغيرن خلق الله) التغيير هو الخصاص وشبهه وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم ، إذا كان فيه منفعة ، ومنعه بعضهم لظاهر الآية ، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه ، ويبدل على هذا الحديث الذى لعن فيه الواشحات ، والمستوشحات ، والمنتمصات ، والمتفججات للحسن ، والمغيرات خلق الله (بحيضا) أى معدلا ومهربا (وعدا الله حقا) مصدران : الأول مؤكد للوعد الذى يقتضيه قوله سندخلهم جنات ، والثانى مؤكد لوعد الله (ليس بأمانىكم) الآية : اسم ليس مضمرة تقديره الأمر وشبهه ، والخطاب للمسلمين ، وقيل للبشر كين أى لا يكون ما تمنون ، ولا ما تمنى أهل الكتاب ، بل يحكم الله بين عباده ، ويجازيهم بأعمالهم (من يعمل سوءا يجز به) وعيد حتم في الكفار ، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين (ومن يعمل من الصالحات) دخلت من التبعية رفقا بالعباد ، لأن الصالحات على الكمال لا يطبقها البشر (وهو مؤمن) تقييد باشتراط الإيمان ، فإنه لا يقبل عمل إلا به (نقيرا) هو النقرة التى في ظهر نواة التمرة ، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء (واتبع ملة إبراهيم) أى دين

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۖ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۗ وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُلْحَقَةِ ۖ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

الإسلام (حنيفا) حال من المتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلا) أى صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفي ذلك تشریف لإبراهيم، وترغيب في اتباعه (ويستفتونك في النساء) أى يسئلونك عما يجب عليهم في أمر النساء (وما يتلى عليكم) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله، والمتلو عليكم في الكتاب يعنى القرآن (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقراره بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله ما كتب لهن يعنى ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله وترغبون أن تنكحوهن: يعنى لجمالهن وما لهن من غير توفية حقوقهن، فنهأهم الله عز وجل عن ذلك أول السورة في قوله: وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى الآية، وهذه الآية هى التى تليت عليهم في يتامى النساء، والمستضعفين من الولدان: عطف على يتامى النساء، والذى يتلى عليكم في المستضعفين من الولدان وهو قوله: يوصيكم الله في أولادكم، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين أى والذى يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا تقديره: ويأمركم أن تقوموا، أو الخطاب في ذلك للأولياء، والأوصياء، أو للقضاة وشبههم، والذى تلى عليهم في ذلك هو قوله: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية، وقوله: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى غير ذلك (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدم معنى النشوز، وأما الإعراض فهو أخف، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هى أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمسكنى في نسائك ولا تقسم لى وقد وهبت يومى لهائشة (والصلح خير) لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما خير على هذا التفضيل، واللام في الصلح للعهد (وأحضرت الأنفس الشح) معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق والتضييق في النفقة وزهده في المرأة لكبر سنهما أو قبح صورتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه العدل التام الكامل في الأقوال

رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ
أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَوْنَا أَوْ تَعْرَضْنَا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده ، فإنهم لا يستطيعون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلوتواخذني بما لا أملك يعني ميله بقلبه وقيل إن الآية
نزلت في ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده (فتدروها كالمعلقة)
أى لا ذات زوج ولا مطلقة (وإن يتفرقا) الآية : معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد
منهما من فضله عن صاحبه ، وهذا وعد بخير وتأنيس (ولقد وصينا) الآية : إخبار أن الله وصى الأولين
والآخرين بأن يتقوه (ويأت بآخرين) أى بقوم غيركم ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت ضرب يده
على كتف سلمان الفارسي ، وقال : هم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) الآية : تقتضى الترغيب فى طلب
ثواب الآخرة ، لأنه خير من ثواب الدنيا ، وتقتضى أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده ،
فإن ذلك يده لا يبد غيره ، وعلى أحد هذين الوجهين ، يرتبط الشرط بجوابه ، فالتقدير على الأول ، من كان
يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وعلى الثانى من كان يريد ثواب الدنيا
فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (كونوا قوامين بالقسط) أى مجتهدين فى إقامة العدل (شهد الله) معناه
لوجه الله والمرضاته (ولو على أنفسكم) يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هى إقراره بالحق ، ثم ذكر الوالدين
والأقربين ، إذ هم مظنة للتعصب والميل : إقامة الشهادة على الأجانب من باب أولى وأحرى (إن يكن غنيا أو
فقيرا) جواب إن محذوف على الأظهر أى إن يكن المشهود عليه غنيا ، فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له ، وإن كان
فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتفاقا فإن الله أولى بالغنى والفقير ، أى بالنظر إليهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)
أن مفعول من أجله ، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل ، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس ، أو من العدل ،
فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلوا أو تعرضوا) قيل : إن الخطاب للحكام ، وقيل للشهود ،
واللفظ عام فى الوجهين ، واللى هو تحريف الكلام أى تلوا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو
تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن المشهود له بالحق ، فإن الله يجازيكم فإنه خير بما تعملون ، وقرئ إن
تلوا بضم اللام من الولاية : أى إن وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها (آمنوا بالله) الآية خطاب للمسلمين :

الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا
 اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدِيَهُمْ عِنْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ
 ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ
 جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
 نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا
 قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ
 هَؤُلَاءِ وَلَا لِآلِ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * يَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ

معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر ، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان ، وقيل
 خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين : معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه
 وسلم ، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم (لأن الذين آمنوا ثم كفروا) الآية ،
 قيل هي في المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر ، وقيل في اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنيابهم ثم كفروا
 بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أرجح : لأن الكلام من هنا فيهم ، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد
 صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإيمان ، ثم ارتد وازداد كفراً (لم يكن الله ليغفر لهم)
 ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره ، وقد يكون لإضلالهم عقاباً لهم بسوء أفعالهم (وقد نزل عليكم في الكتاب
 الآية : إشارة إلى قوله : وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم وغيرها ، وفي الآية دليل على
 وجوب تجنب أهل المعاصي ، والضمير في قوله معهم يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين
 والمنافقين (الذين يتربصون بكم) صفة للمنافقين : أى ينتظرون بكم دوائر الزمان (لم نستحذ عليكم) أى
 نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحماية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) قال على بن أبى طالب
 وغيره : ذلك في الآخرة ، وقيل السبيل هنا الحجة البالغة (يخادعون الله) ذكر في البقرة (وهو خادعهم)
 تسمية للعقوبة باسم الذنب ، لأن وبال خداعهم راجع عليهم (مذبذبين) أى مضطربين مترددين ، لا إلى المسلمين
 ولا إلى الكفار (سلطاناً مبيناً) أى حجة ظاهرة (لأن المنافقين في الدرك الأسفل) أى في الطبقة السفلى من

مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 شَاكِرًا عَلِيمًا * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِن تَبَدُّوا خَيْرًا
 أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا
 بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
 أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ
 السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا
 الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُسْلِمُونَ مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ
 بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقًا غَلِيظًا * فِيمَا نَقَضِهِم

جهنم ، وهي سبع طبقات وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار (إلا الذين تابوا) استثناء من المنافقين ،
 والتوبة هنا الإيمان الصادق في الظاهر والباطن (ما يفعل الله بعذابكم) المعنى أى حاجة ومنفعة لله بعذابكم
 وهو الغنى عنكم ، وقدم الشكر على الإيمان ، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان
 الشكر سبباً للإيمان : متقدم عليه ، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان ، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا
 واهتماما به ، والشاكر اسم الله ذكر في اللغات (إلا من ظلم) أى إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن
 يدعو على من ظلمه ، وقيل أن يذكر مافعل به من الظلم ، وقيل أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه (إن
 تبدوا خيرا أو تخفوه) الآية : ترغيب في فعل الخير سرا وعلاوية ، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار
 لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار ، وأكذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة (إن الذين يكفرون)
 الآية : في اليهود والنصارى ، لأنهم آمنوا بأنبيائهم ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، ومعنى التفريق
 بين الله ورسوله الإيمان به والكفر برسوله ، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان
 ببعضهم ، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل (والذين آمنوا) الآية : فى أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله (يسألك أهل الكتاب) الآية ، روى أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
 لن تؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل كتاب إلى فلان ، وكتاب إلى
 فلان بأنك رسول الله ، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت ، فذكر الله سؤالهم من موسى ، وسوء أديهم معه
 تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتأسي بغيره ، ثم ذكر أفعالهم القبيحة لبيان أن كفرهم إنما هو عناد ،
 وقد تقدم فى البقرة ذكر طلبهم الرقيا ، واتخاذهم العجل ، ورفع الطور فوقهم ، واعتدائهم فى السبت وغير

مَشَقَّتُهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبُظِّلِمَنَّ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ

ذلك بما أشير إليه هنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ، أزايدة للتأكيد ، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلناهم ما فعلنا ، أو تتعلق بقوله حرمانا عليهم ، ويكون بظلم على هذا بدلا من قوله فيما نقضهم (بهتاننا عظيما) هو أن ربه وامريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) عند الله في جملة قبائحهم قولهم إنا قتلنا المسيح لأنهم قالوا افتخاروا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك ، ولزمهم الذنب ، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقى عليه شبهه ، وهم يعتقدون أنه عيسى ، وروى أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة ، فقال أحدهم أنا فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى ، وقيل بل دل على عيسى يهودي ، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسى إلى السماء حيا ، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال (رسول الله) إن قيل : كيف قالوا فيه رسول الله ، وهم يكفرون به ويسبونونه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهمك والاستهزاء ، والثاني أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم ، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله ، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقييح قولهم إنا قتلناه (وما قتلوه وما صلبوه) رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب (ولكن شبه لهم) فيه تأويلان : أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي ، والآخر أن معناه شبه لهم الأمر أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه ، حتى تغير بحيث لا يعرف ، وقالوا للناس هذا عيسى ، ولم يكن عيسى ، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب (وإن الذين اختلَفوا فيه لفي شك منه) روى أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه ، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ، فاختلَفوا ، فقال بعضهم هو هو ، وقال بعضهم ليس هو ، فأجمعوا أن شخصا قتل ، واختلَفوا من كان (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن العلم بتحقيق الظن تردد ، وقال ابن عطية : هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات ، فإن قيل : كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحدا الاحتمالين ؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك ، ثم لاحتمالهم أمارات فظنوا ، قاله الزمخشري ، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك (وما قتلوه يقينا) أي ما قتلوه قتلا يقينا فأعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف ، وقيل هي مصدر في موضع الحال : أي ما قتلوه متيقنين ، وقيل هو تأكيد للنفي الذي في قوله ما قتلوه أي يتيقن نفي قتله ، وهو على هذا منصوب على المصدرية (بل رفعه الله إليه) أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فيها تأويلان :

أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرُّبُوبُ وَقَدَّحُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ آمُومًا النَّاسِ بِالْبَطْلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

أحدهما أن الضمير في موته لعيسى ، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض
قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا ، وهو دين الإسلام ، والثاني أن الضمير في موته
للكتاب الذي تضمنه قوله وإن من أهل الكتاب التقدير : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى ،
ويعلم أنه نبي قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه ، وقد روى هذا
المعنى عن ابن عباس وغيره ، وفي مصحف أبي بن كعب قبل موتهم ، وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني ،
والضمير في به لعيسى على الوجهين ، وقيل هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ويصدهم) يحتمل أن يكون
بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره صدأ كثيرا ، أو بمعنى صددهم غيرهم ، فيكون
كثيرا مفعولا بالصد ، أي صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله (لكن الراسخون في العلم منهم) هو عبد الله
ابن سلام ، ومخبرق ، ومن جرى مجراهم (المقيمين) منصوب على المدح بإضمار فعل ، وهو جائز كثيرا في
الكلام ، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف ، وفي مصحف ابن مسعود : والمقيمون ، على الأصل
(إنا أوحينا إليك) الآية : رد على اليهود الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من
السماء ، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحى : كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحى من غير إنزال الكتاب
من السماء ، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحججة (ورسلا قد قصصناهم)
منصوب بفعل مضمرا أي أرسلنا رسلا (وكلم الله موسى تكليما) تصريح بالكلام مؤكدا بالمصدر ، وذلك دليل
على بطلان قول المعتزلة إن الشجرة هي التي كلمت موسى (رسلا مبشرين) منصوب بفعل مضمرا أو على البدل
(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أي بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلى رسولا لآمنت
(لكن الله يشهد) الآية : معناها أن الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك ، وسبب
الآية : إنكار اليهود للوحى ، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك ، فقيل لكن الله
يشهد بذلك ، وفي الآية من أدوات البيان التردد ، وهو ذكر الشهادة أولا ، ثم ذكرها في آخر الآية (أنزله

ضَلَّالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَهَّابَةُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عِبَادًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَيَسْحَرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَيَسُدُّ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَّةِ إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ

بعلمه) في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافا للبعثرة في قولهم إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد (يا أيها الناس) خطاب عام، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بعث إلى جميع الناس (فآمنوا خيرا لكم) انتصب خيرا هنا، وفي قوله انتهوا خيرا لكم بفعل مضمير لا يظهر تقديره إيتوا خيرا لكم هذا مذهب سيديويه، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى، وقال الفراء فآمنوا إيمانا خيرا لكم فنصبه على التعت لمصدر محذوف، وقال الكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمان خيرا لكم (وإن تكفروا فإن الله مافي السموات والأرض) أي هو غنى عنكم لا يضره كفركم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك والغل هو الإفراط وتجاوز الحد (وكلمته) أي مكون عن كلمته التي هي كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وروح منه) أي ذوروح من الله، فن هنا لا ابتداء الغاية، والمعنى من عند الله، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم (ولا تقولوا ثلاثة) نهى عن التثليث، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خبر مبتدأ مضمير (له مافي السموات وما في الأرض) برهان على تزيمه تعالى عن الولد، لأنه مالك كل شيء (لن يستنكف) لن يأنف كذلك، ومعناه حيث وقع (ولا الملائكة) فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء، لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه (قد جاءكم برهان) هو القرآن، وهو أيضا نور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا مَاتَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالًا
وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

سورة المائدة

مدنية إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مَحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ
الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَدَّاسِدَ وَلَا آَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَدْتَعُونَ فُضَّلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبا للكفالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكفالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذا عدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأُم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلاله الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمرة عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا : -

سورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ماعقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيل ماعقده الله عليهم من التحليل والتحريم فى دينه ذكر بجملة ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم وما بعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشري : هى الإضافة التى بمعنى من كاتم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا ما يبتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء يلا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لا تحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتصرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لا تحلوا شعائر الله : أى لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلاله الصيد فيه ، وقيل هى ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فعله (ولا الشهر الحرام) قيل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة ، وهى رجب وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فهى الله أن يستحل بأن يغار عليه

فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ
الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هي التي تعلق في أعناق الهدى ، فهي عن التعرض لها ، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدى وهي البذر وجددها بالذكر بعد دخولها في الهدى اهتماما بها وتأكيذاً لأمرها (ولا آمين البيت الحرام) أي قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدمهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر ، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء : عام في المسلمين والمشركون ؛ ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقرب المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الفضل : الربح في التجارة ، والرضوان : الرحمة في الدنيا والآخرة (وإذا حملتم فاصطادوا) أي إذا حملتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالأمر هنا بإباحة يجمع (ولا يجرم منكم شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا) معنى لا يجرم منكم لا يكسب منكم ، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشَنَاٰنُ : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثار لي جرم منكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهأهم الله عن قتلهم ، لأن الله علم أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات ، وفي كل ما يقرب إلى الله . والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبر أعم من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها في البقرة (والمنخنقة) هي التي تخنق بجبل وشبهه (والموقوذة) هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه ، والمتردية هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هي التي نطحتها بهيمة أخرى (وما أكل السبع) أي أكل بعضه ، والسبع كل حيوان مفترس : كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذَكَرْتُمْ) قيل إنه استثناء منقطع ، وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : مامات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذَكَرْتُمْ من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلى ما ذكرتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَتَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير
مصورة وهي الأَنْصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمين مفرد ، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا
بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ما قسم له ، والأزلام هي السهام . واحدها زلم بضم
الزاي وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لا تفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد
الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذي فيه افعل : فعل
ما أراد ، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول
المحرمات المذكورة كلها ، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول في علم الغيب
الذي انفرد الله به فهو كالسكّهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يتس الذين كفروا من دينكم
أى يتسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور
لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم)
هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع
إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (في مخمصة) في مجاعة (غير متجانف لإثم) هذا
بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم في البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة
الوعد (يسألونك ماذا أحل لهم) سببها أن المسلمين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المأكول
وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سأله ماذا يحل لنا من الكلاب فترلت مبينة
للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هي عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة
وعند الشافعي الحلال المستلد ، حرم كل مستقدر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث (وما علمتم من الجوارح)
عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ما علمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا
أحسن ، لأنه لا خلاف فيه ، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب
لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فيمن سواها وما ذهب
الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكليين ، فإنه مشتق من
الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدى بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكليين) أى معلين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب
وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم ويقتضى قوله علمتم ومكليين أنه لا يجوز الصيد
إلا بجراح معلم ، لقوله وما علمتم وقوله مكليين على القول الأول لتأكيد ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحد التعليم

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجراح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجيب
إذا دعي (تعلونون بما علمكم الله) أى تعلونون من الحيلة فى الاصطياد وتأتى تحصيل الصيد ، وهذا جزء
مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعض ، ويحتمل أن تكون لا بداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف
(فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم
تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك
فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد
أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه)
هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا
للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا ونسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على
الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها
على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت
فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل : حلال ،
والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلماناً ارتد
إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ،
واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبايح ،
وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا كل ذبايح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم
فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الاختلاف مبنى على هل هو
من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز ، وإن أريد به ما يحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين
القسم الثانى ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتعصير
الزيت ، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو
الذبايح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رآه داخل فى طعامهم ، هذا إذا كان
استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة ، فلا يجوز أصلا
وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشتري والآلة ، لأنهم يعقدونه
بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة
للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام المحلل ، وقد تقدم أن الإحصان
له أربعة معان : الإسلام ، والتزوج والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا
الكتاب ، وأما التزوج فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لا تحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخُسْرَيْنِ ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه في الكتابيات ، والأخرى في المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فأتوهن أجورهن» ومعنى الأخدان (يأياها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلت في غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة في التيمم ، فقال أسيد بن حضير ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا ويقتضى ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال : الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثاني أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر في هذه الآية أربعة أعضائها اثنين محدودين ، وهما اليدين والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدين إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبنى على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف في الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظامان الناتان في طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه ، لما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤوسكم) اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبويض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافي إنها باه الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا ما مسح لأمسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باه الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفقا مسحا بالسوق والأعناق» (وأرجلكم إلى الكعبين) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدي فيقتضى ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
 بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
 نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَاقِرُ لِلْقَوِيِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ
 نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ
 ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَمَا نَقِضْهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا

حمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور
 لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتناولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على
 العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح
 أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء ، والغسل عندمالك إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعي إمرار
 الماء ، وإن لم يدلك باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها في النساء (ما يريد الله ليجعل
 عليكم من حرج) أي من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله يسر ، وباقي الآية
 تفضل من الله على عباده ورحمة وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذي واثقكم به)
 هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم
 الكلام على نظيرتها في النساء (ولا يجرمنكم) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم
 أيديهم) في سببها أربعة أقوال : الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني النضير من اليهود ، فهم أن يصبوا عليه
 صخرة يقولونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ماورد في الآيات بعد هذا في
 غدر اليهود ، والثاني أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل سيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 وجده في سفر وهو وحده وقال له من يمنعك مني قال الله فأغمره السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث
 الغطفاني ، والثالث أنها فيهم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخرف ، والرابع أنها على
 الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين (اثني عشر نقيبا) النقيب هو كبير القوم القائم بأمرهم (إني معكم)

حَظًّا مَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
 وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَوْ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَامَةٌ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى آفَاطٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ عَالِمِينَ
 إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَالًا يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى نصرى ، والخطاب لبنى إسرائيل ، وقيل للنقباء (يخرفون الكلم) اختلاف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني (ولا تزال تطالع على خائنة منهم) أى على خيانه فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والجزية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتعلق من الذين أخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى (فأغرينا) أى أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (يا أهل الكتاب) فى الموضوعين يعم اليهود والنصارى وقيل لأنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه بما فى كتبهم ، وهى أى لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية: رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق ما يشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد (وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ، وقال الزمخشري المدنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم) رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أيام معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا
يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أى أمراء ، وقيل الملك من له
مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعنى المن والسلوى والغمام وغير ذلك من
الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت
من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الانبياء ، فعلى هذا يكون عاما ، لأن الانبياء فى بنى إسرائيل
أكثر منهم فى سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التى كتب
الله لكم) أى قضى أن تكون لكم (ولا تترتدوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة
والرجوع إلى الطريق الذى جاءوا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة
خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين)
هم العمالقة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أى يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله
أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط
فى العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضى الكفر والاستهانة بالله ورسوله. وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لسنانقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون (لا أملك إلا نفسى وأخى) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بنى إسرائيل ويبدل جهده فى
طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخى عطف على نفسى لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير
فى لا أملك : أى لا أملك أنا إلا نفسى ولا يملك أخى إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أى أخى لا يملك إلا
نفسه (فافرق بيننا) أى فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين
سنة) الضمير فى قال لله تعالى ، وحرم الله على جميع بنى إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم فى هذه
المدة يتيهون فى الأرض أى فى أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم
يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون فى التيه ومات موسى بعده فى التيه أيضا . وقيل
إن موسى وهارون لم يكونا فى التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع بنى إسرائيل
بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعمل فى أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه
وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم
المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أى يتحIRON ، وروى

فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ وَأَتَىٰ عَلَيْهِمُ إِنبَاءُ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا
وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لئن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَمْتَلِنِي مَا أَنَا
بِأَسِطَ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ
اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُرِيَّتُنِي آعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارِى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ

أنهم كانوا يسرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه (فلا تأس) أى لا تحزن
والخطاب لموسى ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان في عصره من اليهود (نبأ بنى آدم) هما
قاييل وهابيل (إذ قربا قربانا) روى أن قاييل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرب
أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلى ، فإذا نزلت نار من السماء
وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع
قاييل فحسده قاييل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدلت بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصى لا يتقبل عمله ،
وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتى
بالقتال لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتى بالقتال لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه
تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما في
شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة
حبة وشهوة ، وإنما هو تخيير في أهون الشرين كأنه قال إن قتلتى ، فذلك أحب إلى من أن أقتلك كما ورد
في الأثر كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله ياثمى وإثمك فعناه ياثم قتلى لك لو قتلتك ،
وياثم قتلك لى ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسابان ما قالا
فهو على البادئ ، وقيل ياثمى : أى تحمل عنى سائر ذنوبى ، لأن الظالم يجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم ، ويأثمك
أى فى قتلك لى ، وفى غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هابيل ، أو استثناء من
كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل
يبحث عن التراب ويوارى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هابيل (سوءة أخيه)
أى عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد الضمير فى أخيه عائد على ابن آدم ، ويظهر
من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بنى آدم (قال ياويلتا) أصله ياويلتى ، ثم أبدل من الياء ألف
وفتحت التاء وكذلك يأسنى . وياحسرتنى (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف فى قاييل
هل كان كافرا أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن فى تلك المدة كافرا لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

هنا وفي الموضوع عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبتنا، وقيل بالنادمين، وهو ضعيف (كتبتنا على بني إسرائيل) أي فرضنا عليهم أو كتبتنا في كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد في الأرض) يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص، فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء. الثانية انتهاك الحرمه والإقدام على العصيان، والثالثة الإثم والعذاب الأخرى قال مجاهد: وعذابه قاتل النفس بجهنم والخلود فيها، والغضب واللعنة والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك، وهذا الوجه هو الأظهر، لأن القصد بالآية: تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كشواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحيائها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضمير لبني إسرائيل. والمعنى تقييح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية: سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فتقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة نزلت في نفر من عكل وعريثة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والمحاربة عند مالك هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد، وقوله: يحاربون الله: تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذلك ضعيف، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون في الأرض فسادا) بيان للحرابة وهي على درجات أذناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصاب ليراه أهل الفساد فينجزروا، وهو قول أشهب، وقيل يصلب حيا، ويقتل على الخشبة، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد: قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسخ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفي من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل ينفي إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل، فالأحسن أن يأخذ

تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا
 فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِائَةَ أَرْضٍ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ
 مُقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ
 مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعي وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن
 قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم
 يقتل ولم يأخذ مالا نفي ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأول التي تقتضي التخيير (خزى في الدنيا) هو
 العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للجارح ، بخلاف سائر
 الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزى في الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين
 تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) قيل هي في المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل
 القدرة عليه وبعدها ، وقيل هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جاءتهم العقوبات
 المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم
 واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة
 على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه
 الوسيلة) أي ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل
 لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما مافي الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد في موضع
 الاثنين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أو تكون الواو بمعنى مع (عذاب
 مقيم) أي دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضي قطع كل سارق
 إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة
 لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أو سيده ، أو من سرق من غير حرز ،
 أو سرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوي
 أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن
 ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة ، وإعراب السارق عند
 سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا
 أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على
 ما مضى ، ويقبل فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه ، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل
 يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية ؟ أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ
 لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ
 فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنَّ جَاءَوكَ فَاحْكُم
 بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ

لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قبل بذلك تقدم
 السرعة على التوبة (يا أيها الرسول) الآية: خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية (من الذين قالوا
 آمنا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفًا على الذين قالوا آمنا، ثم يكون سماعون
 استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا: استئنافًا منقطعًا ما قبله، وسماعون
 راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أى سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه
 وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله لم يأتوك صفة لقوم آخرين، والمراد بالقوم الآخرين يهود خبير،
 والسماعون للكذب بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه، وقصدت به
 وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) نزلت بسبب أن يهوديا زنى يهودية
 فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزانى عندهم فقالوا انجلدهما ونحّم وجوههما. فقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إن فى التوراة الرجم، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها، فجعل أحدهم يده
 على آية الرجم، فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 باليهودى واليهودية فرجما، فعنى قولهم إن أوتيتم هذا فخذوه: إن أوتيتم هذا الذى ذكرتم من الجلد والتحميم
 فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أى ضلالته فى الدنيا أو
 عذابه فى الآخرة (فى الدنيا خزي) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول فى اليهود فكررها
 هنا تأكيدًا، وإن كان الأول فى المنافقين واليهود فهذا فى اليهود خاصة (أكلون للسحت) أى للحرام من الرشوة
 والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تحيير للنبي صلى الله عليه وسلم فى أن يحكم بين اليهود أو يتركهم
 وهو أيضا يتناول الحاكم، وقيل إنه منسوخ بقوله: وأن أحكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية: استبعاد
 لتحكمهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التى يدعون الإيمان بها،
 فعنى ثم يتولون من بعد ذلك أى يتولون عن اتباع حكم الله فى التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا
 عندهم ومعلوما فى قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعنى أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْنَا وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفِينَا عَلَى آثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم
الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به
التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذى هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء
لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت
لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهى لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين
هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية
قاله الزمخشري ، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور فى قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) وما بعده خطابا لليهود ،
ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة فى اليهود : الكافرون ، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى فى
هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين
وغيرهم ، إلا أن الكفر فى حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعى : الكافرون
فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة فى الألواح ،
أوبمعنى الفرض والإلزام ، والضمير فى عليهم لبنى إسرائيل ، وفى قوله فيها للتوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل
النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عما فى التوراة وهو حكم فى شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص
العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد فى ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر
والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى البقرة (والعين بالعين) وما بعده حكم القصاص فى الأعضاء ، والقراءة
بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس
لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثانى العطف على الضمير الذى فى الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون
مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة
التي فى رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص فى الجراح التي لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به
فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له
يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثانى من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجراح بعفو الله عنه
فى ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير فى له على التأويل الأول يعود على من التى هى كناية عن

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
 وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنَاجِيَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
 لَفَاسِقُونَ * أَحْكُمِ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أو المجرورح ، أو الولي ، وعلى الثاني يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على المذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب في العفو ، والتأويل الثاني : بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه (مصداقا لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق في البقرة ، ولما بين يديه : معنى التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنها مقبله ، ومصداقا : عطف على موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه في موضع الحال (ومهيمننا) ابن عباس شاهدا ، وقيل مؤتمنا (عما جاءك من الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أولا تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ابن عباس سيلا وسنة ، والخطاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدلل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وذلك في الأحكام والفروع ، وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله ، والإيمان بالدار الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدلل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه في العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل ، وعكس أبو حنيفة ، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل ، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن احكم بينهم) عطف على الكتاب في قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق في قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله فاحكم بينهم ناسخ لقوله : فاحكم بينهم أو أعرض عنهم : أي ناسخ للتخيير الذي في الآية ، وقيل إنه ناسخ للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أحكم الجاهلية يبعون) تويخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبار عنهم ، وبالتاء خطا بهم (لقوم يوقنون) قال الزمخشري اللام لليان : أي هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يقين لهم أنه لأحسن من الله حكما (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سبها ما الالة عبد الله بن أبي بن سلول ليهود

اليهود والنصرى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الدين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبط أعمالهم فاصبحوا خسرين * يسأها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه آذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم ، ولفظها عام ، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه (فإنه منهم) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحقاق العقوبة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون والمراد هنا عبدالله بن أبى بن سلول ومن كان معه (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم ، ويقول لى رجل أخشى الدوائر (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) الفتح هنا هو ظهور النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق ، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم ناديين) الضمير فى فيصبحوا المنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين (يقول الذين آمنوا) قرئ يقل بغير واو استئناف وإخبار ، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطف على أن يأتي الله ، أو عطف على فيصبحوا (هؤلاء الذين أقسموا) الإشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يخلفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد (حبطت أعمالهم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر (من يرتد منكم عن دينه) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب ، وبنو مدلج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جيلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أباموسى الأشعري ، والأشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس ، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّا أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّن ذَكَرَ مَثُوبَةٌ

، أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أو صاف أبي بكر، ألا ترى قوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكان أبو بكر ضعيفاً في نفسه قوياً في الله ، وكذلك قوله : ولا يخافون لومة لائم : إشارة إلى من خالف أبا بكر ولا مه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أذلة على المؤمنين) كقوله أشداه على الكفار رحماء بينهم ، وإنما تعدى أذلة بعلى ، لأنه تضمن معنى العطف والحنو ، فإن قيل : ابن الراجح من الجزاء إلى الشرط ؟ فالجواب : أنه محذوف تقديره من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولي بلفظ المفرد إفراداً لله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال إنما أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة ، فأعطاه خاتمه ، وقيل هي عاقبة ، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها ، فالواو على القول الأول واو الحال ، وعلى الثاني للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر : معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا ، وقرئ بالخفض عطف على الذين أوتوا الكتاب ، ويعضده قراءة ابن مسعود : ومن الكفار ، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا ناديتم إلى الصلاة) الآية : روى أن رجلاً من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال : حرق الله الكاذب ، فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله ، واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون منا) هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله ، ويجمع كتبه ورسله ، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب ، ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم هـ بهن فلول من قراع الكتاب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذي يؤمن بهم فتلا : آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية ، فلما ذكر عيسى قالوا لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا ، وقيل على ما أنزل ، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلته إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم ، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عند الله من لعنه الله و غَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
 وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ه وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ه لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *
 وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ
 كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ه وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

ذلك) لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسوله ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم ، فالخطاب في أنبئكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مشوبة عند الله) هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعنى اليهود ومن في موضع رفع بخبر مبتدأ مضمرة تقديره هو من لعنه الله ، أوفى موضع خفض على البدل من بشر ، ولا بد في الكلام من حذف مضاف تقديره بشر من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة والخنازير) مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت ، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم (وعبدالطاغوت) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبدا سماعلى وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت ، وقرئ وعابدو عباده ، وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير (شرمكانا) أى منزلة ونسب الشر للكان وهو في الحقيقة لأهله ، وذلك مبالغة في الذم (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت في منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبسين بالكفر ، والمعنى دخلوا كفارا وخرجوا كفارا ، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا : تقريبا للماضى من الحال أى ذلك حالهم في دخولهم وخرجهم على الدوام (بالإثم) الكذب وسائر المعاصى (والعدوان) الظلم (السحت) الحرام (لولا ينهاهم) عرض وتحضيض وتقريع (ليس) اللام في الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ولا تجعل يدك مغلولة : أى لا تبخل كل البخل ، ولا تبسطها كل البسط : أى لا تجرد كل الجود ، وروى أن اليهود أصابهم ستة جهنم فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان الذى قالها فنحاص ، ونسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلَّتْ أَيْدِيهِمْ) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا ، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة ، فإن كان في الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم في الأسر ، وإن كان في الآخرة ، فهو جعل الأغلال في جهنم (بل يدها مبسوطتان) عبارة عن إنعامه وجوده ، وإنما ثبتت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطى بقلنا يديه إذا كان عظيم السخاء (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّةِ النَّعِيمِ ؕ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلِيُذَيِّدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا

الله) إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفائها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد
بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون
على هذا إخبار بغيث ، وبشارة للمسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون
للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل) إقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصرى في لفظ أهل الكتاب
(لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات
والزرع ، وقيل ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم :
كعبدالله بن سلام ؛ وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ
جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد
(وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان :
أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فمعنى إن لم تفعل :
إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتبتها ، ووضع
السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني
وترك الاحتراس (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية ؛ أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا
التوراة والإنجيل) ومن إقامتها الإيمان بحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم)
قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمة وغيرهم
من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا تؤمن بك
ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة (والصابغون) قرأة السبعة بالواو
وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

إِلَيْهِمْ رَسُولًا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسْبُوا الْآتِكُونَ
 فَتَنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
 قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
 فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ
 وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا
 يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ اتَّعْبُدُونَ مِن
 دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
 غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * لَعْنُ الَّذِينَ

تقديره والصابئون كذلك وهو مقدم في نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم
 إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاء
 واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا
 ووصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) قيل إن هذه التوبة رد ملكهم
 ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم يجبر حالهم أبدا ، وقيل التوبة
 بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أوفاعل
 على لغة أكلوني البراغيث والبدل أرجح وأصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم
 (وما للظالمين من أنصار) يحتمل أن يكون من كلام المسيح ، أو من كلام الله (ما المسيح ابن مريم إلا الرسول)
 الآية : رد على من جعله إلهاً (وأمه صديقة) أى بليغة الصدق فى نفسها ، أو من التصديق ، ووصفها بهذه الصفة
 دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا يالهيين لاحتياجهما إلى الغذاء
 الذى لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر ، ومن كان كذلك فليس ياله ، لأن الإله منزه عن صفة الحدوث ، وعن
 كل ما يلحق البشر ، وقيل إن قوله يأكلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو
 إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد
 التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه
 وهما لا يملكان ضرا ولا نفعاً (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) خطاب للنصارى والغلو الإفراط
 وسبب ذلك كفر النصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم) قيل هم أممهم فى دين النصرانية كانوا على ضلال فى عيسى
 وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فِعْلِهِ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ * وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا * وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ إِذْ كُنَّا بِاللَّهِ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَكُنَّا بِمَا تُنزِلُ عَلَيْنَا مِنَ الْبُرْهَانِ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأْتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى الأتري قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضاً (عن منكر) فإن قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (ترى كثيراً منهم) إن أراد أسلافهم ، فالرؤية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى رؤية عين (والنبي وما أنزل إليه) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوا أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أولياء (لتجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين (ولتجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلاً ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جمعهم بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهلبى : نزلت فى وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلاً ، فلما سمعوا القرآن بكوا (بما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمننا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (وما لنا لا تؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو محاجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشري الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوماً من

اللَّهِ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ
فَكَفَّرْتُمُوهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ إِيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ وَأَحْفَظُوا إِيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

الصحابة غاب عاينهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ،
وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم
وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني (ولا تعتدوا) أي لا تفرطوا في التشديد
على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أي تمتعوا بالمتأكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل
 بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم في البقرة (بما عقدتم الإيمان) أي بما قصدتم عقده بالنية ،
وقرئ عقديتم بالتخفيف ، وعقدتم بالآلاف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه
لا يجزى في الكفارة إطعام غني ، فإن أظعم جهلا لم يجزبه على المشهور من المذهب ، واشترط مالك أيضا
أن يكونوا أحرارا مسلمين ، وليس في الآية ما يدل على ذلك (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اختلف في
هذا التوسط هل هو في القدر أو في الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة
مئة بمئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغيرها وسط من الشبع ، وقال الشافعي وابن القاسم : يجزى
المد في كل مكان وقال أبو حنيفة إن غذاهم وعشاهم أجزاء ، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه ،
أو من عيش أهل بلده ؟ فغنى الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى
الأول يختص الخطاب بالكفر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجزى ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال
فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجزى ما تصح به الصلاة ، فالرجل ثوب واحد ، والمرأة قميص وخمار (أو تحرير
رقبة) اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك في كفارة القتل ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، وأجاز
أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب وليس
في اللفظ ما يدل على ذلك (فمن لم يجد) أي من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ،
فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدها ، وهو عندما ملك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في
يومه زيادة (ذلك كفارة إيمانكم إذا حلقتم) معناه إذا حلقتم وخشيتهم أو أردتم الحنث ، واختلف هل يجوز تقديم
الكفارة على الحنث أم لا (واحفظوا إيمانكم) أي احفظوها فبروا فيها ، ولا تحشوا ، وقيل : احفظوها بأن
تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أي لا تنسروها وتناهبها (الخنزير والميسر) ذكر في البقرة (والأنصاب والأزلام)
مذكوران في أول هذه السورة (رجس) هو في اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال
ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص في التحريم والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء

وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بشيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أنتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) فيها تأويلان: أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها، فنزلت الآية معللة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل (إذا ما اتقوا وآمنوا) الآية قيل كرر التقوى مبالغة، وقيل الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به حذرا بما به البأس، وقيل الأولى للزمان الماضي والثانية للحال، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليلوكم الله بشيء من الصيد) أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختره وابتكره كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت وإنما قلله في قوله: بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها (تناله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد: الذي تناله الأيدي الفراعخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أي يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود (فمن اعتدى) أي بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين في الأحرام وفي الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور. وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضي أن جزاء

مَثَلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدَ

الصيد على المتعمد لا على الناسي ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا في قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد في قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسي ، والثاني أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة (جزء مثل ما قتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أي أكرمك ، وقرئ بجزاء بالتونين ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عندما لك والشافعي : أن من قتل صيدا وهو محرم أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ، ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش بقرة ، وفي الغزالة شاة ، فالثلثية على هذا هي في الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه (بحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضي أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء ، ولا خلاف في ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة ، فإنه لا يحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعي : يكتفي في ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى ، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه ، وقال الشافعي يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدى من سوقه من الحل إلى الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة إن اشتراه في الحرم أجزاءه (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذي يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا في كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أي يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شعبهم طعاما ، وقال الشافعي لا يقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد ، واختلف في تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مد يوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مدين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله في الصيام والطعام استغناء بذكره في الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مألوف من

الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دَمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *
 جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدَى وَالْقَلْبَ شِدَّةً لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۖ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
 كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ
 تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ أَنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۖ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحل الله هذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم ، والصيد هنا المصيد ، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحاً أو عذبا ، كالبرك ونحوها ، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر لأن ذلك طعام وليس بصيد ، قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وقال ابن عباس : طعامه مالمح منه وبقي (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بكم للحاضرين فى البحر ، والسيارة المسافرون أى هو متاع ما تدومون به (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا) الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصيد أو الشئ المصيد أو كلاهما ، فنشأ من هذا أن مصادره المحرم فلا يحل له أكله بوجه ، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره ، فإذا اصطاد حلال ، فقبيل يجوز للمحرم أكله ، وقيل لا يجوز إن اصطاده لمحرم ، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك ، وإن اصطاد حرام لمن يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع ، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام ، وقيل أراد العرب خاصة ، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة ، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت لحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر ، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ، ليعلم أنه كان فى عبادة ، فلا يتعرض له أحد بشئ ، فالقلائد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر ، وقيل أراد قلائد الهدى ، قال سعيد ابن جبير : جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشدد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس ، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور (لا يستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤمكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة ، وقال آخر : أين أبى ، قال فى النار ، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أفى كل عام ؟ فسكت ، فأعادوا ، قال لا ، ولو قلت نعم لوجبت ، فعلى الأول تسؤمكم بالإخبار بما لا يعجبكم ، وعلى الثانى تسؤمكم بتكليف ما يشق عليكم ، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها : أى سكت عن ذكرها

مَنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ . مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ

ولم يطالبكم بها كقولہ صلی اللہ علیہ وسلم عفا اللہ عن الزکاة فی الخیل ، وقیل إن معنی عفا اللہ عنها : عفا عنکم فیما تقدم من سؤالکم فلا تعودوا إلیہ (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم) فیہ معنی الوعد علی السؤال : كأنہ قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدی لکم ما یسوءکم ، والمراد بحین ينزل القرآن : زمان الوحي (قد سألتها قوم من قبلکم) الضمیر فی سألها راجع إلی المسئلة التي دل علیها لا تسألوا ، وهي مصدر ، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنی اسرائیل كانوا یستفتون أنبیاءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها ترکوها ففعلوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترک ما أمروا به (ما جعل اللہ من بحیرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت فی الجاهلیة هل تعظم لتعظیم الکعبة والهدی أخبرهم اللہ أنه لم یجعل شیئا من ذلك لعباده : أى لم یشرعه لهم ، وإنما الکفار جعلوا ذلك ، فأما البحیرة : فهي فعیلة بمعنی مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وترکوها ترعى ولا ینتفع بها وأما السائبة فكان الزجل یقول إذا قدمت من سفری أو برئت من مرضی فناقی سائبة ، وجعلها كالبحیرة فی عدم الانتفاع بها ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذکرا وأثی فی بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم یذبجوها ، وأما الحامی فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمی ظهره فلا یركب ولا یحمل علیہ شیء (ولکن الذين کفروا یفترون علی اللہ الکذب) أى یکذبون علیہ بتحریمهم ما لم یحرم اللہ (وأكثرهم لا یعقلون) الذين یفترون علی اللہ الکذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء ، والذين لا یعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ما وجدنا علیہ آمانا) أى یکفینا دین آباتنا (أو لو كان آباؤهم) قال الزنجشیری الواو واو الحال ، دخلت علیها همزة الإنکار ، كأنه قیل أحسبهم هذا وآباؤهم لا یعقلون ، قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت علی واو العطف ، وقول الزنجشیری أحسن فی المعنی (علیکم أنفسکم لا یضرکم من ضل إذا اهتديتم) قیل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ، وقیل إنها خطاب للمسلمین من ذرية الذين حرّموا البحیرة وأخواتها ، كأنه یقول : لا یضرکم ضلال أسلافکم إذا اهتديتم ، والقول الصحیح فیها ماورد عن أبی ثعلبة الخشني أنه قال : سألت عنها رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانہوا عن المنکر ، فإذا رأیتم شحا مطاعا وهوی متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب کل ذی رأى برأیہ ، فعلیک بخویصة نفسک وذر عوامهم ، ومثل ذلك قول عبد اللہ بن مسعود رضی اللہ عنه : لیس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منکم ، فإذا ردّ علیکم : فعلیکم أنفسکم (شهادة بینکم

غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ لَأَنْتَشِرْتُمْ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نُنَكِّتُكُمْ شَهَدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ ۚ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَحَدَهُمَا

إذا حضر أحدكم الموت (حين الوصية ائنان) قال مكي هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابا ، ومعنى ، وحكما ،
ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ،
وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فمرض في الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل مامعه ، وجعله في متاعه وأوصى
الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعوا رحله إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه
وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا لا ندري هذا الذي قبضناه ، فرعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقي الأمر مدة ، ثم عثر على إناء عظيم من فضة ، فقيل لمن
وجد عنده من أين لك هذا ، فقال اشتريته من فلان وفلان ، بعنى الرجلين ، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا خلفا واستحقا ،
فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد في السفر ، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا فهما
ما كذبا ولا بدلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ما ظهر
عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره ائنان التقدير شهادة بينكم شهادة ائنين أو مقيم شهادة بينكم ائنان
إذا حضر أى قارب الحضور ، والعامل في إذا المصدر الذى هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج
جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم
الموت ، فينبغى أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر ، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين
منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم ، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم
أى من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذالم يوجد مسلم ، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله وأشهدوا ذوى
عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا ، وهو قول مالك والشافعى والجمهور وأهى محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على
الوجه في السفر ، وهو قول ابن عباس (إن أنتم ضربتم في الأرض) أى سافرتهم ، وجواب إن محذوف يدل عليه
ما تقدم قبلها ، والمعنى إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة ائنين (تحبسونهما) قال
أبو على الفارسي . هو صفة لآخران ، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد
أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض ، وحلول الموت في السفر ،
وقال الزمخشري تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هي صلاة العصر ، فاللام للعهد ،
لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد
صلاة العصر ، وكان التحليف بعدها معروف عندهم ، وقال ابن عباس هي صلاة الكافرين في دينهما لأنهما
لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) أى يحلفان ؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد
استحلفهما على بن أبى طالب وأبو موسى الأشعري (إن ارتبتم) أى شككتم في صدقهما أو أمانتهما ، وهذه
الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لأنشترى به ثمنا) هذا
هو المقسوم عليه ، والضمير في به للقسم ، وفي كان للقسم له : أى لانتبدل بصحة القسم بالله عرضا من

أَسْتَحَقَّ إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتَنَا أَحَقُّ
 مِنْ شَهِدْتَهُمَا وَمَا اعْتَدِينَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا
 أَنْ تَرُدَّ آيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ
 مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ۚ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
 وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

الدنيا: أى لانحلف بالله كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريبا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى
 أقرابهم (ولا نكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأدائها، وإضافتها إلى الله تعظيما لها (فإن
 عثر على أنهما استحقا إثما) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ماوجب إثما، والإثم الكذب والخيانة
 واستحقاقه الأهلية للوصف به (فأخران يقومان مقامهما) أى اثنان من أولياء الميت، يقومان مقام الشاهدين
 فى اليمين (من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم
 أولياء الميت (الأوليان) تثنية أولى بمعنى أحق: أى الأحقان بالشهادة لمعرفتهما، والأحقان بالمال: لقرابتهما،
 وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان، أو
 بدل من الضمير فى يقومان، ومنع الفارسي أن يسند استحق إلى الأوليان، وأجازه ابن عطية، وأما على قراءة
 استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فالأوليان فاعل باستحق، ومعنى استحق على هذا أخذ المال
 وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيائتهما: أى الأوليان بالتحليف والتعنيف
 والفضيحة، وقرئ الأولين جمع أول، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم، أو منصوبا بإضمار
 فعل، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة (فيقسمان بالله لشهادتنا
 أحق من شهادتهما) أى يخلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق: أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت
 خيائتهما (إنما إذا لمن الظالمين) أى إن اعتدينا، فإنما من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إنما إذا لمن الآثمين
 (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية ومعنى أدنى: أقرب، وعلى
 وجهها أى كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا (أن ترد آيما بعد آيماهم) أى يخافوا أن يخلف غيرهم بعدهم
 فيفتضحوا (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة، وانتصب الظرف بفعل مضمرا أى ماذا أجابكم به الأمم
 من إيمان وكفر وطاعة ومعصية، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم
 وانتصب ماذا أجبتهم انتصاب مصدره، ولو أريد الجواب، ل قيل بماذا أجبتهم (قالوا لا علم لنا) إنما قالوا ذلك
 نادبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس: المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا، وقيل معناه علمنا سائط فى جنب عليك
 ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب، لأن من علم الحفريات لم تخف عليه الظواهر، وقيل ذهبوا عن
 الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار
 (إذ قال الله) يحتتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع، ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
يَأْذِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيْنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ه
إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يُعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *

في إذ مضمرًا ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى
يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها
صفة للهية ، وكذلك الضمير في تكون ، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران فينفخ فيه عائد على
الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو في الموضوعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله
كهية فتقديره في التأنيث صورة ، وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهية
والمذكر يعود على الطائر ، والطين ، وهو بعيد في المعنى (ياذني) كرهه مع كل معجزة رذا على من نسب
الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت)
معطوف على ما قبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحى هنا يحتمل أن يكون وحى إلهام أو وحى كلام
(وأشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الخواريون يا عيسى ابن مريم)
نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم
كانوا لا ينادونه باسمه ، وإنما يقولون يا رسول الله يا نبي الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون
فيه الاعتقاد الصحيح من نسبه إلى أم دون والد ، بخلاف ما اعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا
اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذ الزمخشري ، وقال ما وصفهم الله
بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله
لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أتى على الخواريين في
مواضع من كتابه ، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر ، وقرئ يستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب أي هل تستطيع
سؤال ربك ، وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها ، وقالت كان الخواريون
أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله
يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هي التي
عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل
أن يكون زجرا عن طلب المائدة ، واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه
قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري ، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله
إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشري ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقرير لهم

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ
وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَإِنِّي آعَذِبُهُ عَذَابًا لَا آعَذِبُهُ
أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبِيدُكَ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر
قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أي أكلنا نتشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة
البطن (وتطمئن قلوبنا) أي نعين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التي
تعرض في الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن
إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك (ونكون عليها من الشاهدين) أي نشهد
بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى
إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلي ويدعو ويبكي (تكون لنا
عيدا لأولنا وآخرنا) قيل تتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس .
المعنى تكون مجتمعنا جميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور (وآية منك) أي علامة على صدقي
(قال الله إنني منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ما طلبوا ، ونزلت المائدة عليهم سحابة ، وقيل زيتون وتمر ورماد
وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة
(فمن يكفر بعد منكم فإنني آعذبه عذابا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما
كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبدالله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب
المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار
تبرئة عيسى مما نسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدي لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى
ما قالوا ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانه الآية ، فعلى هذا يكون
إذ قال ماضيا في معناه كما هو في لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (ما يكون لي أن أقول ما ليس
لي بحق) نفي يعضده دليل العقل لأن المحدث لا يكون إلها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبراءة من ذلك
القول ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)
أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال في نفسك مقابلة لقوله في نفسي
وبقية قوله تعظيم الله ، وإخبار بما قال الناس في الدنيا (أن آعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقْتُمْ لَهُمْ جَنَّتْ بَحْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

به (إن تعذبهم فإيهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباد ، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها في حكمة الله تعالى وعزته ، وفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حتى معرض للتوبة ، السؤال الثانى : ما مناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لوقيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل ما يريد ؛ ولا يغلبه غيره ، ولا يتمتع عليه شىء أراده ، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيها فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب ، إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبدالله بن رشيد عن شيخه إمام البغاه فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئناسا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك ، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر ، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد من زيل لرونق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قرأمة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسي والزمخشري

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)

فهرس

الجزء الأول من كتاب التسهيل

	صفحة
خطبة الكتاب	٢
المقدمة الأولى	٤
المقدمة الثانية	١٥
الكلام على الاستعاذة	٣٠
على البسملة	٣٠
سورة أم القرآن	٣٢
سورة البقرة	٣٥
سورة آل عمران	٩٩
سورة النساء	١٢٨
سورة المائدة	١٦٦

(تم الفهرس)

كِتَابُ التَّسْهِيلِ إِلَى
عِلْمِ التَّنْزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن حزمي الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثانى

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

مطبعة دار الكتب العامة الكبرى بأول شارع محمد علي
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
دار الكتب العامة الكبرى بشارع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَجَرِ الْحَبِيبِ

سورة الأنعام

مكية إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية

وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْرُونٌ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ

(سورة الأنعام)

قال كعب : أول الأنعام هو أول التوراة (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا معنى خالق ، والظلمات : الليل والنور النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرها ، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس ، وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة ؛ فإن المخلوق لا يكون لها ولا فاعلا لشيء من الحوادث (ثم الذين كفروا بربههم يعدلون) أي يسوون ويمثلون من قولك عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقربنه ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربههم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض ، والظلمات والنور وكذلك قوله ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحيائهم وأماتهم ، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ، والذين كفروا هنا عام في كل مشرك ، وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور ، وبعبدة الأصنام ؛ لأنهم المجاورون للنبي صلى الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد في أكثر القرآن (خلقكم من طين) أي خلق أباكم آدم من طين (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) الأجل الأول الموت ، والثاني يوم القيامة وجعله عنده : لأنه استأثر بعلمه ، وقيل الأول النوم ، والثاني الموت ، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار ، لترتيب الوقوع ، لأن القضاء متقدم على الخالق (وهو الله في السموات وفي الأرض) يتعلق في السموات بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب ، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر : فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول ، وقيل المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله : وهو معكم أينما كنتم ، والأول أرجح وأفصح ، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة ، وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز ، ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه ، لقوله بعدها : يعلم سركم وجهركم ، وقيل يتعاقب بمحذوف تقديره المعبود في السموات وفي الأرض وهذا المحذوف صفة لله : واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير (وما تأتيتهم من

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ه
الْمُ يَرَوُا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَالَهُمْ يُكْنُونَ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ
مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ
مَا يَلْبَسُونَ * وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ خَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى

آية من آيات ربهم) من الأولى زائدة ، والثانية للتبويض ، أوليان الجنس (بالحق) يعنى ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فسوف يأتيهم) الآية : وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم (الم يروا كم أهلكتنا) حض للكفار على الاعتبار بغيرهم ، والقرن مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون (مكنهم في الأرض) الضمير عائد على القرن ، لأنه في معنى الجماعة (مالم نمكنكم) الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة ، ومدرارا بناء مبالغة وتكثير من قولك دز المطر إذا غزر (فأهلكتناهم بذنوبهم) التقدير فكفروا وعصوا فأهلكتناهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية : إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات ، والمراد بقوله فليسوه بأيديهم لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك ، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقتك ، وما أراني مع هذا أصدقك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) حكاية عن طلب بعض العرب ، وروى أن العاصم بن وائل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ، لو كان معك ملك (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) قال ابن عباس المعنى : لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب ، ففي الكلام على هذا حذف ، وقضى الأمر على هذا تعجيل أخذهم ، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته فقضى الأمر على هذا موتهم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أى لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفاتهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك (ولقد استهزئتم برسول من قبلك) الآية : إخبار قصد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من قومه (خفاق) أى أحاط بهم ، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار (قل سيروا في الأرض) الآية : حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم (ثم انظروا) قال الزمخشري إن قلت : أى فرق بين قوله فانظروا ، وبين قوله ثم انظروا ؟ قلت : جعل النظر سببا عن السير في قوله : فانظروا ، كأنه قال : سيروا لأجل النظر ، وأما قوله فسيروا

نَفْسَهُ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آخِذُ وِلْيَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أكونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصِرْفِ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ

في الأرض ثم انظروا : فعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في المالكين رتبته على ذلك ثم ، لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والأرض قل لله) القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولامن مافي السموات والأرض ، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيباً عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجة عليه (كتب على نفسه الرحمة) أي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه إن رحمتي سبقت غضبي ، وفي رواية تغلب غضبي (ليجمعنكم) مقطوع مما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف ، وقيل هو تفسير للرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم ، وهذا ضعيف لدخول التون الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب (إلى يوم القيامة) قيل هنا إلى بمعنى في وهو ضعيف ، والصحيح أنها للغاية على بابها (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره لا يؤمنون ؛ ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن ، وقال الزمخشري الذين نصب على الذم أوقف بخبر ابتداء مضمرة ، وقيل هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف ، وقيل منادى وهو باطل (وله ما سكن في الليل والنهار) عطف على قوله قل لله ، ومعنى سكن : حل ، فهو من السكنى ، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم ، والمقصود عموم ملكة تعالى لكل شيء (قل أغير الله آخِذُ وِلْيَا) إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التي لا يشاركه غيره فيها (أول من أسلم) أي من هذه الأمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سابق أمته إلى الإسلام (ولا تكونن) في الكلام حذف تقديره وقيل لي : ولا تكونن من المشركين ، أو يكون معطوفاً على معنى أمرت فلا حذف وتقديره أمرت بالإسلام ، ونهيت عن الإشراف (من) يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) أي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله ، وقرئ يصرف بفتح الياء وفاعله الله (وذلك) إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة (وإن يمسك الله بضر) معنى يمسك يصيبك ، والضر المرض وغيره على العموم في جميع المضرات ، والخير : العافية وغيرها على العموم أيضاً ، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى

أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۚ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ
شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ
كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

بالضر والخير ، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين (قل أي شيء أكبر شهادة) سؤال
يقضى جوابا يبنى عليه المقصود ، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شيء لكن ليس كمثل شيء . (قل الله شهيد بيني وبينكم)
يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره ، والآخر أن يكون تمام الجواب عند قوله : قل الله ، بمعنى
أن الله أكبر شهادة ، ثم يتدنى على تقدير هو شهيد بيني وبينكم ، والأول أرجح لعدم الإضمار ، والثاني أرجح لمطابقتها
للسؤال ، لأن السؤال بمنزلة من يقول : من أكبر الناس ؟ فيقال في الجواب ، فلان وتقديره فلان أكبر ، والمقصود
بالكلام استشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادة الله بهذا هي عليه
بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإظهار معجزته الدالة على نبوته (ومن بلغ) عطف على ضمير المفعول
في لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره ، ومن بلغه والمعنى أوحى إلى هذا
القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة ، قال سعيد
ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المعنى : ومن بلغ الحلم وهو بعيد (قل أنتم
لتشهدون) الآية : تقرير للمشركين على شركهم ، ثم تبرأ من ذلك بقوله : لا أشهد ، ثم شهد الله بالوحدانية ، وروى أنها
نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلها آخر (يعرفونه كما يعرفون
أبنائهم) تقدم في البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نعت للذين
آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقم الحجة على الكفار (ومن أظلم) لفظه
استفهام ومعناه لا أحد أظلم (من افتري على الله) وذلك تنصل من الكذب على الله ، وإظهار لبراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مما نسبوه إليه من الكذب ، ويحتمل أن يريد بالافتراء ، على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء
والأولاد (أو كذب بآياته) أي علاماته وبراهينه (أين شركاؤكم) يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ (تزعمون)
أي تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه ، والعامل في يوم نحشرهم محذوف (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة
هنا تحتل أن تكون بمعنى الكفر أي لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه ، وقيل فتنتهم معذرتهم ،
وقيل كلامهم ، وقرئ فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا ، وقرئ بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا (والله
ربنا ما كنا مشركين) جحود لشركهم ، فإن قيل : كيف يجحدونه وقد قال الله ولا يكتمون الله حديثا ، فالجواب
أن ذلك يختف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيكتم قوم ويقر آخرون ، ويكتمون في
موطن ويقرون في موطن آخر ، لأن يوم القيامة طويل ، وقد قال ابن عباس لما سئل عن هذا السؤال إنهم
جحدوا طمعا في النجاة فحتم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا (ومنهم من

أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأُوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ كَذِبٌ يُخَالِفُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ بَلْ بَدَاهُمْ مَأْكَانًا يُخْفُونَ ۖ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

يستمع إليك) الضمير عائد على الكفار ، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أكنة جمع كنان ، وهو الغطاء ، وأن يفقهوه في موضع مفعول من أجله تقديره : كراهة أن يفقهوه ، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالآكنة والوقر مبالغة ، وهي استعارة (أساطير الأولين) أي قصصهم وأخبارهم ، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السهيلي حيث ماورد في القرآن أساطير الأولين ، فإن قائلها هو النضر بن الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فكان يقول حديثي أحسن من حديث محمد (وهم ينهون عنه ويتأون عنه) هم عائد على الكفار ، والضمير في عنه عائد على القرآن ، والمعنى وهم ينهون الناس عن الإيمان ، ويتأونهم عنه أي يبعدون ، والنأي هو البعد ، وقيل الضمير في عنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ينهون عنه ينهون الناس عن إدايته ، وهم مع ذلك يبعدون عنه ، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه : يحمى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يسلم وفي قوله ينهون ويتأون ضرب من ضروب التجنيس (ولو ترى إذ وقفوا على النار) جواب لو محذوف هنا ، وفي قوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع : أي لو ترى لرأيت أمر أشنعاً هائلاً ، ومعنى وقفوا : حبسوا ، قاله ابن عطية ، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار ، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها ، ووضع إذ موضع إذا التحقيق وقوع الفعل حتى ه ماض (بالتين نرد ولا نكذب) قرئ برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمني ، ومثله سيوي به بقولك دعنى ولأعود أى وأنا لأعود ، ويحتمل أن يكون حالاً تقديره نرد غير مكذبين ، أو عطف على نرد ، وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني (بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل) المعنى ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم وقيل هي في أهل الكتاب أى بداهم ما كانوا يخفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هي في المنافقين أى بداهم ما كانوا يخفون من الكفر ، وهذان القولان بعيدان ، فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب ، وقيل إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لثلاث شعور بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة (ولو ردوا لعادوا) إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان ويكون ذلك مما انفرد الله بعلمه (وإنهم لكاذبون) يعنى في قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم بالتين نرد ، لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا) حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأخرى (قال أليس

قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَزِرُونَ . وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ
لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا
وَأَوْذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ . وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ
إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْبًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

هذا بالحق) تقرير لهم وتوبيخ (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يجز لها ذكر ، وقيل الساعة أى فرطنا في شأنها ، والاستعداد لها ، والأول أظهر (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كناية عن تحمل الذنوب ، وقال على ظهورهم ، لأن العادة حمل الأثقال على الظهر ، وقيل إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة ، وروى في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة (ألساء ما يزررون) إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن ، إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثى وهو أشهر في اللغة ، والذى يقولون : قولهم إنه ساحر ، شاعر ، كاهن (فإنهم لا يكذبونك) من قرأ بالتشديد فالمعنى لا يكذبونك معتكدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به ، ومن قرأ بالتخفيف ، فقيل معناه لا يجحدونك كاذبا ، يقال أ كذبت فلانا إذا وجدته كاذبا ، كما يقال أحمده إذا وجدته محموداً ، وقيل هو بمعنى التشديد ، يقال كذب فلاناً وأ كذبه بمعنى واحد ، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون ، ويؤيد هذا ما روى أنها نزلت في أبى جهل فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : إنا لانكفرك بك ولكن نكذب ماجئت به ، وأنه قال للأخنس بن شريق ، والله إن محمد الصادق ، ولكنى أحسده على الشرف (ولكن الظالمين) أى ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية : تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحض له على الصبر ، ووعد له بالنصر (ولامبدل لكلمات الله) أى لمواعيده لرسوله : كقوله ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ، وفي هذا تقوية للوعد (ولقد جارك من نيا المرسلين) أى من أخبارهم ويعنى بذلك صبرهم ثم نصرهم ، وهذا أيضاً تقوية للوعد والحض على الصبر ، وفاعل جاءك محذوف تقديره نبأ أو خلاف ، وقيل هو المجرور (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الآية : مقصودها حمل النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر ، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على إيمانهم ، فقيل له إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بأية يؤمنون بسببها ، فافعل وأنت لا تقدر على ذلك ، فاستسلم لأمر الله ، والنفق في الأرض . معناه منفذ تنفذ منه إلى ماتحت الأرض ، وحذف جواب إن لفهم المعنى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) حجة لأهل السنة على القدرية فلا تكون من الجاهلين (أى من الذين يجهلون أن الله

عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَالسَّكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ
 دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ

لو شاء لجمعهم على الهدى (إنما يستجيب الذين يسمعون) المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون
 ويعقلون (والموتى يبعثهم الله) فيها ثلاث تأويلات : أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم ،
 والبعث يراد به الحشر يوم القيامة ، فالمعنى أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم ، فيبعثهم
 الله في الآخرة ، وحينئذ يسمعون ، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار ، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع
 والثالث أن الموتى على حقيقته ، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة (وقالوا لولا أنزل عليه آية
 من ربه) الضمير في قالوا للكفار ، ولولا لعرض ، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بآية على نبوته ،
 فإن قيل : فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فلم يطلبوا آية ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم لم يعتدوا بما أتى به :
 وكأنه لم يأت بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم ، والآخر أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر
 ولا تفكير (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) جواب على قولهم ، وقد حكى هذا القول عنهم في مواضع من القرآن
 وأجيب عليه بأجوبة مختلفة ، منها ما يقتضى الرد عليهم في طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل
 لا ينبغي كقوله : قد بينا الآيات ، وكقوله : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ومنها ما يقتضى
 الإعراض عنهم ، لأن الخصم إذ اتين عناده سقطت مكالمته ، ويحتمل أن يكون من هذا قوله : إن الله قادر على
 أن ينزل آية ، ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان (ولكن أكثرهم
 لا يعلمون) حذف مفعول يعلمون ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما لا يعلمون أن الله قادر ، والآخر لا يعلمون أن الله
 إنما منع الآيات التي تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد ، فإنهم لورأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب (بجناحيه)
 تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة ، فقد يقال طائر للسعد والنحس (أمم أمثالكم) أى فى
 الخلق والرزق ، والحياة والموت ، وغير ذلك ، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين : أحدهما أنه تنبيه على
 مخلوقات الله تعالى ، فكانه يقول : تفكروا فى مخلوقاته ، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات ، والآخر : تنبيه
 على البعث ، كأنه يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أتم ، وهو أظهر لقوله بعده ، ثم
 إلى ربهم يحشرون (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) أى ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ، والكلام
 على هذا عام ، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاص : أى ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم
 (ثم إلى ربهم يحشرون) أى تبعث الدواب والطير يوم القيامة للجزاء والفصل بينهما (والذين كذبوا الآيات :
 لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم ، وقوله فى الظلمات

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسَمُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمُونِي بِبُرْهَانٍ مِّن دُونِ اللَّهِ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ قَائِلِينَ: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُنذِرُونَ * وَالَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

يقوم مقام الوصف بالعمى (قل أرايتكم) معناه أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أناكم عذاب الله أو أتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك (إن شاء) استثناء أى يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصديكم به إن أراد (وتنسون ما تشركون) يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك (فأخذناهم بالأساء والضراء) كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب (فلولا) هذا عرض وتحضيض وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد (فلما نسوا) الآية: أى لما تركوا الاعتاض بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فأخذهم الله (مبلسون) آيسون من الخير (دابر القوم) آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية (والحمد لله) شكر على هلاك الكفار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ما تقدم من الملاحظة فى أخذه لهم بالشر ليزدجروا أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار (قل أرايتكم) الآية. احتجاج على الكفار أيضا (يايتكم به) الضمير عائد على المأخوذ (يصدفون) أى يعرضون (قل أرايتكم) الآية: وعيد وتهديد، والبغته ما لم يتقدم لهم شعوره، والجهرة ما بدت لهم مخايله، وقيل بغته بالليل، وجهرة بالنهار (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية: أى لا أدعى شيئا منكرا ولا يستبعد، إنما أنا نبي رسول كما كان غيرى من الرسل (الاعمى والبصير) مثال للضال والمهتدى (وأنذر به الذين يخافون) الضمير فى به يعود على ما يوحى والإنذار عام لجميع الناس وإنما خصص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدم فى الكلام ما يقتضى اليأس من إيمان غيرهم فكانه يقول أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مُسْوَأٍ سَوَاءٌ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

(ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من الضمير في يحشروا ، واستئناف إخبار (لعلمهم يتقون) يتعلق بأنذر (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية : نزلت في ضعفاء المؤمنين . كبلال ، وعمار ابن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب وصهيب ، وأمثالهم ، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لا تبعناك ، فنزلت هذه الآية (بالغداة والعشى) قيل هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية ، وقيل هي عبارة عن دوام الفعل ، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة (يريدون وجهه) إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزيك لهم (ما عليك من حسابهم من شيء) الآية : قيل الضمير في حسابهم للذين يدعون ، وقيل للبشر كين ، والمعنى على هذا لا تحاسب عنهم ، ولا يحاسبون عنك ، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم ، والأول أرجح ، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا ، وقوله إن حسابهم إلا على ربي ، والمعنى على هذا أن الله هو الذي يحاسبهم فلا شيء تطردهم (فتطردهم) هذا جواب النفي في قوله ما عليك (فتكون من الظالمين) هذا جواب النهي في قوله ولا تطرد أو عطف على فتطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي ابتلينا الكفار بالمؤمنين ، وذلك أن الكفار كانوا يقولون هؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا ، ونحن أشرف أغنياء وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد على الكفار في قولهم المتقدم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) هم الذين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكراماً لهم وأن يؤمنهم بما بعد هذا (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي حتمها وفي الصحيح : إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي (أنه من عمل منكم سوءاً) الآية ، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح . وهو خطاب للقوم المذكورين قبل ، وحكمها عام فيهم وفي غيرهم والجهالة قد ذكرت في النساء ، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار ، فلما نزلت لا تطردنم عمر على قوله وتاب منه فنزلت الآية ، وقرئ أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستئناف ، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف وبالفتح خبر ابتداء مضمرة تقديره فأمره أنه غفور رحيم ، وقيل تكرار الأولى لطول الكلام (وكذلك) الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد وغير ذلك ، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به ، وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَشِدْتُمْ لِي فِي الْكُفْرِ بِهٖ إِنَّا كَاذِبُونَ ۝ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝ قُلْ لَوْ أَن عَشِدْتُمْ لِي فِي الْكُفْرِ بِهٖ لَقَضَىٰ إِلَيْنَا وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا
وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلَابٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ
مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِقَاضِيٍّ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ *
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ *
ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ * قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ
شِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ

السهيل ، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث (الذين تدعون) أى تعبدون (قد ضلكت إذا) أى إن اتبعت
أهواءكم ضلكت (على بينة) أى على أمر بين من معرفة ربي والهراء فى بينة للبالغة أو للتأنيث (وكذبتم به)
الضمير عائد على الرب أو على البينة (ما عندي ما تستعجلون به) أى العذاب الذى طلبوه فى قولهم : فأمرنا علينا
حجارة من السماء ، وقيل الآيات التى اقترحوها أو الأول أظهر (بقص الحق) من القصص وقرئ يقضى بالضاد المعجمة
من القضاء وهو أرجح لقوله (وهو خير الفاصلين) أى الحاكمين (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضى
الأمر) أى لو كان عندي العذاب على التأويل الأول ، والآيات المقترحة على التأويل الآخر ، لوقع الانفصال
وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات (مفاتيح الغيب) استعارة وعبرة عن التوصل إلى الغيب كما
يتوصل بالمفاتيح إلى ما فى الخزائن ، وهو جمع مفتاح بكسر الميم بمعنى مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفتاح
بالمفتح وهو المخزن (ولا حبة فى ظلمات الأرض) تنبيه بها على غيرها لأنها أشد تغيباً من كل شئ (فى
كتاب مبين) اللوح المحفوظ ، وقيل علم الله (يتوفاكم بالليل) أى إذا نمت ، وفى ذلك اعتبار واستدلال على
البعث الآخرى (ما جرحتم) أى ما كسبتم من الأعمال (يبعثكم فيه) أى يوقظكم من النوم ، والضمير عائد على النهار
لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل (أجل مسمى) أجل الموت (حفظة) جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون
(توفته رسلنا) أى الملائكة الذين مع ملك الموت (ثم ردوا) خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع
الخلق (قل من ينجيكم) الآية : إقامة حجة ، وظلمات البر والبحر : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال
لليوم الشديد مظلم (عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل الذى من فوق لإمطار الحجارة ، ومن تحت
الحسف ، وقيل من فوقكم : تسليط أكبركم ، ومن تحت أرجلكم : تسليط سفلاتكم ، وهذا بعيد (أو يلبسكم شيعاً)

قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهَوًىٰ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَن تَبْسِلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ

أى يخلطكم فرقا مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال ، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو المؤمنين ؟ وروى أنه لما نزلت أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهه ، فلما نزلت من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك ، فلما نزلت أو يلبسكم شيئا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا أهون ، ففضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة (وكذب به قومك) الضمير عائد على القرآن ، أو على الوعيد المتقدم ، وقومك هم قريش (لست عليهم بوكيل) أى بحفيظ ومتسلط ، وفى ذلك متاركة نسختها آية القتال (لكل نبي مستقر) أى فى غاية يعرف عندها صدق من كذبه (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) أى قم ولا تجالسهم (وإما ينسيتك الشيطان) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، والمعنى إن أنساك الشيطان النهى عن مجالستهم ، فلا تقعد بعد أن تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) الذين يتقون هم المؤمنون والضمير فى حسابهم للكفار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم ، وقيل إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين ، لأنهم شق عليهم النهى عن ذلك إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم فى طلب المعاش وفى الطواف بالبيت وغير ذلك ، ثم نسخت بآية النساء ، وهى : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله ، الآية ، وقيل إنها لا تقتضى إباحة القعود (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ، ولكن عليهم تذكيرهم ، ووعظ ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونهم ذكرى ، أو رفع على المبتدأ تقديره عليهم ذكرى ، والضمير فى لعلهم عائد على الكفار : أى يذكرونهم رجاء أن يتقوا أو عائد على المؤمنين أى يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله . الوجه الثانى أن المعنى ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء وإلما هو ذكرى للمؤمنين ، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمرة تقديره : ولكن نهيمهم ذكرى أو مفعول من أجله تقديره إنما هو ذكرى ، والضمير فى لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير (وذو الذين) قيل إنها متاركة منسوخة بالسيف ، وقيل بل هى تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها (اتخذوا دينهم لعبا وهوا) أى اتخذوا الدين الذى كان ينبغى لهم لعبا وهوا لأنهم سخرُوا منا واتخذوا الدين الذى يعتقدونه لعبا وهوا لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون (وذكر به) الضمير عائد على الدين أو على القرآن (أن تبسل) قيل معناه أن تحبس ، وقيل تفضح ، وقيل تهلك وهو فى موضع مفعول من أجله أى ذكر به كراهة أن تبسل نفس (وإن تعدل كل عدل) أى وإن تعط كل فدية

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۖ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ
وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۚ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْتِنِي بِلِقَاءِ رَبِّي وَأَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْكُفَّارِينَ ۚ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا
عَلَيْهِ السَّلَامُ ۚ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مُبِينًا

لا يؤخذ منها (قل أَدْعُوا من دون الله) الآية : إقامة حجة و توبيخ للكفار (ونرد على أعقابنا) أى نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب فى المشى، ثم استعير فى المعانى، وهذه جملة معطوفة على أَدْعُوا، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ (كالذى استهوته الشياطين) الكاف فى موضع نصب على الحال من الضمير فى نرد : أى كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين أو نعت لمصدر محذوف تقديره رداً كر الذى، ومعنى استهوته الشياطين ذهبته به فى مهامه الأرض، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى هوى فى الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى ومثل استدلل بمعنى أذل (حيران) أى ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول فى استهوته (له أصحاب يدعوونه إلى الهدى ائتنا) أى لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعوونه إلى الهدى أى إلى أن يهدوه إلى الطريق، يقولون له ائتنا، وهو قدناه وبعدهم فلا يجيبهم : وهذا كله تمثيل لمن ضل فى الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كان أبوه يدعو إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا برأتى (وأن أقيموا) عطف على نسلم، أو على مفعول أمرنا (قوله الحق) مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمراً، وهو فاعل كن أى حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء (يوم ينفخ فى الصور) ظرف لقوله له الملك كقوله لمن الملك اليوم، وقيل فى إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط (عالم الغيب والشهادة) خبر ابتداء مضمراً (لأبيه آزر) هو اسم أبى إبراهيم، فأعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية، لا للوزن لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبى إبراهيم تاريخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقبه ملازمته له، أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان (نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) قيل إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى يبصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بهامن الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه (وليكون) متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك (فلما جن عليه الليل) أى ستره يقال جن عليه الليل وأجته

فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنْ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنْ بَرِيءٌ وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ

(رأى كوكبا قال هذا ربى) يحتمل أن يكون هذا الذى جرى لإبراهيم فى الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد روى أن أمه ولدته فى غار خوفا من نمرود إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي ، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك (إنى برىء مما تشركون) ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد فى الغار لأن ذلك يقتضى حاجة وردا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبين لهم الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها لإلهالقيام الدليل على حدوثها وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده ، وقوله : هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل لأن ذلك أدهى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم ، ثم أقام عليهم الحجة بقوله . لأحب الأفلين : أى لأحب عبادة المتغيرين لأن التغير دليل على الحدوث ، والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمر على ذلك المنهاج فى القمر وفى الشمس ، فلما أوضح البرهان ، وأقام عليهم الحجة ، جاهرهم بالبراهة من باطلهم ، فقال إنى برىء مما تشركون ، ثم أعلن لعبادته لله وتوحيده له فقال : إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، ووصف الله تعالى بوصف يقتضى توحيده وانفراده بالملك ، فإن قيل : لم احتج بالأقول دون الطلوع ، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال ؟ فالجواب أنه أظهر فى الدلالة ، لأنه انتقال مع اختفاء واجتباب (أتحاجونى فى الله) أى فى الإيمان بالله وفى توحيده والأصل أتحاجونى بنونين وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما فى الآخر ، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية (ولا أخاف مما تشركون به) ما هنا بمعنى الذى ويريد بها الأصنام ، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر ، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرون على شيء (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع بمعنى لكن : أى إنما أخاف من ربى إن أراد بى شيئا (وكيف أخاف مما أشركتم) أى كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شيء وأنتم لاتخافون ما فيه كل خوف ، وهو إشرأكم بالله وأتم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن ، ولاتنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف ، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأى الفريقين أحق بالأمن يعنى فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) الآية : وقيل إن الذين

دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرُ بِهَا هَسُوْلَاءٌ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهٖ قُلْ لَا اسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قِرَاطٍ يُتَدَبَّرُونَ وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَابٌ

آمنوا : استئناف ، وليس من كلام إبراهيم (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (وتلك حججتنا) إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام ، والأول هو الصحيح لذكور لوط وليس من ذرية إبراهيم (داود) عطف على نوحا أي وهدينا داود (وعيسى) فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرية ، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح (ومن آبائهم) في موضع نصب عطف على كلا أي وهدينا بعض آبائهم (فإن يكفر بها هؤلاء) أي أهل مكة (وكلنا بها قوما) هم الأنبياء المذكورون ، وقيل الصحابة ، وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك ، ومعنى توكلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها (أولئك الذين هدى الله) إشارة إلى الأنبياء المذكورين (فبهدهم اقتده) استدلال به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فانفقت فيه جميع الأمم والشرائع ، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها بمن قبله أم لا ؟ والهاء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل ، ولكن من أثبتا فيه راعى ثبوتها في خط المصحف (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب ، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده ، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى أن الذي قالها منهم مالك بن النضير ، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى ، وقيل القائلون قريش ، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مقرين بالتوراة (وعلمتم ما لم تعلموا) الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في

أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ يَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * إِنْ اللَّهُ
فَالِقُ الْهَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا

قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء ، فإن كان لليهود ، فالذي علموه التوراة ، وإن كان لقريش فالذي علموه
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره أنزله الله أو مرفوع
بالابتداء (ولتندبر) عطف على صفة الكتاب (أم القرى) مكة ، وسميت أم القرى ، لأنها مكان أول بيت
وضع للناس ، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق (أو قال أوحى
إلى) هو مسيلة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو النضر بن الحرث
لأنه عارض القرآن واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره : لرأيت أمراً
عظيماً ، والظالمون : من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين ، فتكون اللام للعهد ، وأعم من ذلك
فتكون للجنس (باسطوا أيديهم) أي تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم ، وهذه
عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح (اليوم تجزون) يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت
المتقدم من حيثئذ إلى الأبد (الهون) الذلة (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم ، والأول
يترجح لقوله تركتم ما خولناكم : أي ما أعطيناكم من الأموال والأولاد ، ويترجح الثاني بقوله : وما نرى معكم
شفعاءكم (تقطع بينكم) تفرق شملكم ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء ،
ويكون البين بمعنى الفرقة ، أو بمعنى الوصل ، ومن قرأه بالنصب : فالفاعل مصدر الفعل ، أو محذوف تقديره
تقطع الاتصال بينكم (فالق الحب والنوى) أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويفلق النوى
لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين في النواة والحنطة ، والأول أرجح لعمومه في أصناف
الحبوب (يخرج الحي) تقدم في آل عمران (ويخرج الميت من الحي) معطوف على فالق (فالق الإصباح) أي
الصبح فهو مصدر سمي به الصبح ، ومعنى فلقه أخرجته من الظلمات ، وقيل إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح ،
فالتقدير فاق ظلمة الإصباح (سكناً) أي يسكن فيه عن الحركات ويستراح (حسباناً) أي يعلم بهما حساب
الأزمان والليل والنهار (ذلك تقدير العزيز العليم) ما أحسن ذكر هذين الإسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شيء

بَهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ
 وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
 فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قَنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
 وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ * بَدِيعُ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ

وبقهره ، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء ، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة (في ظلمات البر والبحر) أي في ظلمات الليل في البر والبحر ، وأضاف الظلمة إليها ملابستها لها ، أو شبه الطرق المشبهة بالظلمات (فمستقر ومستودع) من كسر القاف من مستقر فهو اسم فاعل ، ومستودع اسم مفعول ، والتقدير فنكم مستقر ومستودع ، ومن فتحها ؛ فهو اسم مكان أو مصدر ، ومستودع مثله ، والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع ، والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب ، وقيل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها (فأخرجنا به) الضمير عائد على الماء (فأخرجنا منه) الضمير عائد على النبات (خضرا) أي أخضر غضا ، وهو يتولد من أصل النبات من الفراخ (نخرج منه) الضمير عائد على الخضرة (حبا متراكبا) يعني السنبلة لأن حبه بعضها على بعض ، وكذلك الرمان وشبهه (قنوان) جمع قنو ، وهو العنقود من التمر ، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل ، ومن طلوعها بدل ، والطلع أول ما يخرج من التمر في أكامه (دانية) أي قريبة سهلة التناول ، وقيل قريبة بعضها من بعض (وجنات من أعناب) بالنصب عطف على نبات كل شيء وقرئ في غير السبع بالرفع عطف على قنوان (مشتبا وغير متشابه) نصب على الحال من الزيتون والرمان ، أو من كل ما تقدم من النبات ، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد أي من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة ، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا ، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المرید (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أي انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لمنفعة فيه ، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينبع أي ينضج ويطيب (شركاء الجن) نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول ثان ، وقدم لاستعظام الإشراف ، أو شركاء مفعول أول ، والله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك ردا على من عبدتهم ؛ وقيل المراد الجن ، والإشراف بهم طاعتهم (وخلقهم) الواو للحال ، والمعنى الرد عليهم : أي جعلوا لله شركاء ، وهو خلقهم ، والضمير عائد على الجن ، أو على الجاعلين ، والحجة قائمة على الوجهين (وخرقوا له بنين وبنات) أي اختلقوا وزوروا ، والبنين قول النصراني في المسيح ، واليهود في عزيز ، والبنات قول العرب في الملائكة (بغير علم) أي قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل مجرد افتراء (بديع) ذكر معناه في البقرة ، ورفع على أنه خبر ابتداء مضمرا أو مبتدأ وخبره : أنى يكون ، وفاعل تعالى ، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات ، وذلك من وجهين : أحدهما أن

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * قَدْ جَاءَ كُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ * وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ
أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنَبِّجَنَّهُمْ
لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ وَإِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنَقَلَبْ أقدْتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ

الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعال عن الأجناس ، لأنه مبدعها ، فلا يصح أن يكون له ولد
والآخر أن الله خلق السموات والأرض ومن كان هكذا فهو غنى عن الولد وعن كل شيء (فاعبدوه) مسبب
عن مضمون الجملة أى من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده (لا تدركه الأبصار) يعنى فى الدنيا وأما فى
الآخرة ، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله : إلى ربه ناظرة ، وقد جاءت فى ذلك أحاديث صحيحة
صريحة ، لا تحتمل التأويل ، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة عقلا ، لأن موسى
سألها من الله ، ولا يسأل موسى ما هو محال ، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ربه ليلة الإسراء أم لا (وهو يدرك الأبصار) قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك
يتضمن الإحاطة بالشئ والوصول إلى غايته ، فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم ، ولا يقتضى ذلك نفي
الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الأبصار لإحاطة علمه تعالى بالحقائق (اللطيف الخبير) أى لطيف عن
أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شئ ، وهو يدرك الأبصار (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ، وهو
نور القلب ، والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وما أناعليكم بحفيظ (وليقولوا)
متعلق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الآيات (درست) بإسكان السين وفتح التاء درست العلم وقرأته ،
ودارست بالالف أى دارست العلم وتعلمت منه ، ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات
ودبرت (ولنبينه) الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن (وأعرض عن المشركين) إن كان معناه
أعرض عما يدعونك إليه ؛ أو عن مجادلتهم فهو محكم ، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ما أنا
عليكم بحفيظ وبوكيل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا
الله ، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع (قل إنما الآيات عند الله) أى هى بيد الله لا بيدى (وما يشعركم) أى
ما يدريكم ، وهو من الشعور بالشئ ، وما نافية أو استفهامية (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) من قرأ بفتح أنها
فهو معمول يشعركم : أى ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها ، نحن نعلم ذلك وأتم لا تعلمونه
وقيل لازادة ، والمعنى ما يشعركم أنهم يؤمنون ، وقيل أن هنا بمعنى لعل فنقرأ بالكسر فهى استئناف إخبار
وتم الكلام فى قوله وما يشعركم أى ما يشعركم ما يكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على ما يشعركم وأما على القراءة

كَلَّمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدَرُهُمْ فِي طُعِينِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلْسَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِيَ
 وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَالْكَثْرَةُ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
 لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
 فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَهُونَ ۝ وَلَتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَقْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ *
 أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ
 مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ۝ وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝
 إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ
 مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَحْرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ

بالفتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف ومنعه
 شيخنا أبو جعفر بن الزبير ، لما في لعل من معنى التعليل (ونقلب أقدمتهم وأبصارهم) أى نطبع عليها
 ونصدها عن الفهم فلا يفهمون (كما لم يؤمنوا) الكاف للتعليل أى نطبع عليها الإذارات والآيات مثل طبعنا عليهم أول مرة (ولو أننا
 لا يؤمنون به أول مرة ، ويحتمل أن تكون للتشبيه أى نطبع عليها الإذارات والآيات مثل طبعنا عليهم أول مرة (ولو أننا
 نزلنا إليهم الملائكة) الآية : رد عليهم فى قسمهم أنهم لو جاءتهم آية ليؤمنون بها أى لو أعطيناهم هذه الآيات التى
 اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء أى معاينة فضبه على الحال ،
 وقرئ بضمين ، ومعناه مواجهة : كقوله : قدم من قبل ، وقيل هو جمع قبيل بمعنى كفيل ، أى كفلا بتصديق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) الآية : تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي
 لغيره (شياطين الإنس والجن) أى المتمردين من الصنفين ، ونصب شياطين على البدل من عدوا ، إذ هو بمعنى
 الجمع أو مفعول أول ، وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم إلى بعض) أى يوسوس ويلقى الشر (زخرف القول
 غرورا) ما بزينه من القول (ولو شاء ربك ما فعلوه) الضمير عائد على وحيمهم ، أو على عداوة الكفار (فذرهم)
 وعيد (وما يفترون) مافى موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير (ولتصنعى) أى تميل وهو متعلق
 بمحذوف واللام لام الصيرورة (إليه) الضمير لو حيمهم (وليقتروا) يكتبوا (أغير الله) معمول لقول محذوف
 أى قل لهم (وتمت كلمت ربك) أى صحت والكلمات منازل على عباده من كتبه (صدقا وعدلا) أى صدقا فيما أخبر
 وعدلا فيما حكم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه ، والنهى عما ذبح للنصب
 وغيرها ، وعن الميتة وهذا النهى يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به فى قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
 عليه ؛ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام فى سياق تحريم الميتة وغيرها ،

كثيْرًا لِيُضِلُّوْا بِأَهْوَاءِهِمْ بَغِيْرَ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِيْنَ * وَذَرُّوْا ظَهْرَ الْإِيْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِيْنَ
يَكْسِبُوْنَ الْإِيْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوْا يَقْتَرِفُوْنَ * وَلَا تَأْكُلُوْا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اِسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهٗ لَفَسْقٌ وَإِنَّ
الشَّيْطٰنَ لِيُوْحُوْنَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوْكُمْ وَإِنْ اطْعَمُوْهُمُ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُوْنَ * أَوْ مِنْ كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُوْرًا يَمْشِيْ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذٰلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوْا
يَعْمَلُوْنَ * وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا يَمْجُرِمِيْهَا لِيَمْكُرُوْا فِيْهَا وَمَا يَمْكُرُوْنَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ
وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوْا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُوْلَ اللّٰهِ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيَصِيْبُ
الَّذِيْنَ أَجْرَمُوْا صَغَارٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا كَانُوْا يَمْكُرُوْنَ * فَمَنْ يَرِدُ اللّٰهَ أَنْ يَهْدِيْهِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَآءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرُّجْسَ

فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين ، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك ، وقال عطاء : وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب (ومالكم ألا تأكلوا) المعنى أى غرض لكم في ترك الأكل ، مما ذكر اسم الله عليه ، وقد بين لكم الحلال من الحرام (إلا ما اضطررتم إليه) استثناء بما حرم (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لفظ يعم أنواع المعاصي ؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر ؛ وقيل الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد (وإنه لفسق) الضمير لمصدر لا تأكلوا (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) سببها أن قوم من الكفار قالوا إننا نأكل ما قتلناه ، ولأننا نأكل ما قتل الله يعنون الميتة (أومن كان ميتا فأحييناه) الموت هنا عبارة عن الكفر ، والاحياء عبارة عن الايمان ، والنور : نور الايمان ، والظلمات الكفر ؛ فهى استعارات وفي قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهى من أدوات البيان ، ونزلت الآية في عمار بن ياسر ، وقيل في عمر بن الخطاب والذى في الظلمات أبو جهل ، ولفظها أعم من ذلك (كن مثله) مثل هنا بمعنى صفة ، وقيل زائدة ، والمعنى كن هو (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر) أى كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية ، وإنما ذكر الأكابر ، لأن غيرهم تبع لهم ؛ والمقصود تسلية النبي صلى الله عليه وسلم (بجرمها) إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره ؛ وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم ؛ وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية ، لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالاضافة (وقالوا لن تؤمن) الآية : قائل هذه المقالة أبو جهل ، وقيل الوليد بن المغيرة ، لأنه قال أنا أولى بالنبوة من محمد (الله أعلم حيث يجعل رسالته) رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أن الله علم أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل للرسالة ، فخصه بها وعلم أنهم لبسوا بأهل لها فخرمهم إياها ، وفي الآية من أدوات البيان التريد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده في أول كلامه (صغار) أى ذلة (يشرح صدره للإسلام) شرح الصدر ووضيقه وخرجه : ألفاظ مستعارة ومن قرأ حرجا بفتح الراء فهو مصدر وصف به (كأنما يصعد في السماء) أى كأنما يحاول الصعود إلى السماء ، وذلك غير ممكن . فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدد يتصعد ، وقرئ بالتخفيف

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بِمِعْشَرِ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمِعْ بَعْضَنَا بَعْضًا وَبَلِّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلَدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * بِمِعْشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقْرَأُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُذَكِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ

(دار السلام) الجنة ، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله ، فأضافها إليه ؛ لأنها ماله وخلقها ، أو بمعنى السلامة والتحية (ويوم نحشرهم) العامل في يوم محذوف تقديره اذكر ، وتقديره قلنا ، ويكون على هذا عاملا في يوم وفي (بامعشر الجن قد استكبرتم من الإنس) أى أضللتهم منهم كثيرا ، وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكبر الأمر من الجيش (استمتع بعضنا ببعض) استمتع الجن بالإنس : طاعتهم لهم واستمتاع الإنس بالجن كقوله . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال أعوذ بصاحب هذا الوادى يعنى كبير الجن (وبلغنا أجلنا) هو الموت وقيل الحشر (إلا ما شاء الله) قيل الاستثناء من الكاف والميم في ميثاكم فما بمعنى من ، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا من آمن منهم ، وقيل الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذى بين حشرهم إلى دخول النار ، وقيل الاستثناء من النار ، وهو دخولهم الزمهير ، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج ، وإنما هو على وجه الأدب مع الله ، وإسناد الأمور إليه (نولى بعض الظالمين بعضا) أى نجعل بعضهم وليا لبعض ، وقيل يتبع بعضهم بعضا في دخول النار ، وقيل نساط بعضهم على بعض (ألم يأتكم رسل) تقرير للجن والإنس ، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية ، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصة ، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع الثقلين في الخطاب (وشهدوا على أنفسهم) لا تنافى بينه وبين قولهم ما كنا مشركين ، لما تقدم هناك فإن قيل : لم كثر شهادتهم على أنفسهم ؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قالوه هم ، وقوله شهدوا على أنفسهم ذلكهم وتبيح لحالمهم (ذلك) خبر ابتداء مضمرة تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمرة تقديره فعلنا ذلك ، والإشارة إلى بعث الرسل (أن لم يكن) تعليل لبعث الرسل ، وهو في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من ذلك (بظلم) فيه وجهان : أحدهما أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم يندرهم ، فهو كقوله : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، والآخر أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن يندرهم ، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم ، حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ، لأن الله لو أهلك عباده بغير

ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يَذِيبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنْ مَا تُوْعَدُونَ
لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنْ أَعْمَلُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ
الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا
لشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَرَّتْ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ
حَرَّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي

ذنب : لم يكن ظلما عندهم (ولكل درجات) منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب (من ذرية قوم)
أى من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم (اعملوا على مكاتبتكم) الأمر هنا للتهديد ، والمكانة
التمكن (فسوف تعلمون) تهديد (من تكون له) يحتمل أن تكون من موصولة في موضع نصب على المفعولية
أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء (عاقبة الدار) أى الآخرة أو الدنيا ، والأول أرجح لقوله : عقبى الدار
جنات عدن (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الضمير في جعلوا لكفار العرب قال السهيلي
هم حتى من خولان ، يقال لهم الأديم كانوا يجعلون من زروعهم ونمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأنفسهم
ومعنى ذرأ خلق وأنشأ ، ففي ذلك رد عليهم ، لأن الله الذى خلقها وذرأها : هو مالكها لارب غيره (بزعمهم)
أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر ما يقال الزعم فى الكذب ، وقرئ بفتح الزاى وضما
وهما الغتان (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الآية كانوا إذا هبت الريح فحلمت شيئا من الذى لله إلى الذى للأصنام
أفروه ، وإن حملت شيئا من الذى للأصنام إلى الذى لله ردوه وإذا أصابهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا
نصيب شركائهم (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كانوا يقتلون أولادهم بالوآد ويذبحونهم
قربانا إلى الأصنام وشركاؤهم هنامم الشياطين ، أو القائمون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاى من زين
على البناء للفاعل ، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل
بزين ، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل ، وقرأ ابن عباس بضم الزاى على البناء للمفعول ،
ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم فاعله ، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل ، وخفض شركائهم على الإضافة
إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : أولادهم ، وذلك ضعيف فى العربية
وقد سمع فى الشعر ، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون الأولاد (ليردوهم) أى ليهلكوهم وهو من الردى
بمعنى الهلاك (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام ، وهو فعل بمعنى مفعول ، نحو ذبح ، فيستوى
فيه المذكور والمؤنث والواحد والجمع (لا يطعمها إلا من نشاء) أى لا يأكلها إلا من شاءوا وهم القائمون على
الأصنام ، والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) أى لا تتركب ، وهى السائبة وأخواتها (وأنعام

بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ
 وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ
 اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرَةٍ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
 وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ
 الْأَثْنَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
 اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأَثْنَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ لَا أَجِدُ فِي

لا يذكرون اسم الله عليها) قيل معناه لا يمج عليها فلا يذكروا اسم الله بالتلبية ، وقيل لا يذكروا اسم الله عليها
 إذا ذبحت (افتراء عليه) كانوا قد قسموا أنواعهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراءً وكذباً ونصب
 على الحال أو مفعول من أجله ، أو مصدر مؤكد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة) الآية : كانوا يقولون
 في أجنة البهيرة والسائبة ما ولد منها حيافه الرجال خاصة ولا يأكل منها النساء ، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال
 والنساء وأنث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة وذكري حرم حملها على لفظ ما ويجوز أن تكون التاء للبالغة (وحرّموا
 ما رزقهم الله) أي البهيرة والسائبة وشبهها (جنات معروشات) مرفوعات على دعائم وشبهها (وغير معروشات)
 متروكات على وجه الأرض ، وقيل المعروشات ما عرسه الناس في العمران وغير معروشات : ما أنبت الله في الجبال
 والبراري (مختلفاً أكله) في اللون والطعم والرائحة والحجم ، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد (وآتوا
 حقه يوم حصاده) قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين : أحدهما أن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة
 بالمدينة ، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد ، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار ، وقيل حقه ما يصدق
 به على المساكين يوم الحصاد ، وكان ذلك واجباً ثم نسخ بالعشر ، وقيل هو ما يسقط من السنبل ، والأمر
 على هذا للندب (حمولة وفرشا) عطف على جنات ، والحمولة الكبار ، والفرش الصغار : كالعجاجيل والفصان
 وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها ، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها (ثمانية
 أزواج) بدل من حمولة وفرشا ، وسماها أزواجاً ، لأن الذكر زوج للإناث والأناث زوج للذكور (من الضأن
 اثنين) يريد الذكر والأنثى ، وكذلك فيما بعده (قل آله ذكركرين) يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز ،
 ويعني بالاثنتين الأناث من الضأن ، والأناث من المعز ، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر والهمزة للإنكار
 (نبؤني بعلم) تعجيز وتوبيخ (افتري على الله كذباً) يعني في تحريم ما لم يحرم الله ، وذلك إشارة إلى العرب في

مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ محرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فَسَقًا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَآغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
 ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ
 جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
 الْمُجْرِمِينَ * سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ

تحریمهم أشياء كالبحيرة وغيرها (قل لا أجد) الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر ، وقد جاء في السنة بتحريم
 أشياء لم تذكر هنا كالحوم المحرّم فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر ، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت
 على سبب فلا تقتضي الحصر ، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على
 وجه التحريم (أو فسقا) معطوف على المنصوبات قبله ، وهو ما أهل به لغیر الله سماه فسقا لتوغله في الفسق ،
 وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات في البقرة (كل ذي ظفر) هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشري
 وقال ابن عطية : يراد به الإبل والأوز والنعامة ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع أوله ظفر
 وقال الماوردي مثله ، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخالب ،
 وهذا غير مطرد ، لأن الأسد ذو ظفر (إلا ما حملت ظهورهما) يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم (أو الحوايا)
 هي المباخر ، وقيل المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن
 حوايا على هذا فمائل كصحيفة وصحائف ، وقيل واحد حواوية على وزن فاعلة لحوايا على هذا فواعل : كضاربة
 وضوارب ، وهو معطوف على ما في قوله : إلا ما حملت ظهورهما ، فهو من المستثنى من التحريم ، وقيل عطف
 على الظهور ، فالمعنى إلا ما حملت الظهور ، أو حملت الحوايا ، وقيل عطف على الشحوم ، فهو من المحرم
 (أو ما اختلط بعظم) يريد ما في جميع الجسد (وإنما الصادقون) أي فيما أخبرنا به من التحريم ، وفي ذلك تعريض
 بكذب من حرم ما لم يحرم الله (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) أي إن كذبوك فيما أخبرت به من
 التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم ، وهذا كما تقول عند رؤية
 معصية ما أحلم الله : تريد لإمهاله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله (ولا يرد بأسه عن القوم
 المجرمين) أي لا تغتروا بسعة رحمته ، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة (سَيَقُولُ الَّذِينَ
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) الآية : معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله
 ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله له ، وتلك نزعة جبرية ، ولا حجة لهم
 في ذلك ، لأنهم مكلفون بأمرين ألا يشركوا بالله ، ولا يخللوا ما حرم الله ولا يحرموا ما أحل الله ، والإرادة
 خلاف التكليف ، ويحتمل عندي أن يكون قولهم «لو شاء الله» قولا يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن
 ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شيء لو شاء الله ما كان هذا أي يتمنى أن ذلك لم يكن ، ويؤيد هذا أنه
 حكى قولهم بأداة الاستقبال ، وهي السين ، فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة (قل هل

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُوفًا * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلْ مِنْكُمْ شَهِدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَاطُ بِهَا نَحْنُ وَإِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

عندكم من علم) توقيف لهم وتعجز (قل لله الحجة البالغة) لما أبطل حججهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل (هلم) قيل هي بمعنى هات فهي متعدية ، وقيل بمعنى أقبل فهي غير متعدية ، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء ، ومقصود الآية تعجزهم عن إقامة الشهداء (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة ، وقال ابن عباس : هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى (الأتشركوا به شيئاً) قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلاموضع لها من الإعراب ولانافية جازمت الفعل ، وقيل أن مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمر ألا تشركوا ، فلا على هذا نافية ، وقيل أن في موضع نصب بدلا من قوله ما حرم ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك ، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولانافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ، لأن قوله ما حرم ربكم : معناه ما وصاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ذلكم وصاكم به فضمن التحريم معنى الوصية ، والوصية في المعنى أعم من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ، وبوجوب وندب ، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تذكروا اللفظ الخاص وتريد به العموم ، كما تذكروا اللفظ العام وتريد به الخصوص ، إذ تقرر هذا ، فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ، فقال أن لا تشركوا به شيئاً أي وصاكم ألا تشركوا به شيئاً ووصاكم بالإحسان بالوالدين ووصاكم أن لا تقتنوا أولادكم فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر : كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي : كالإشراك وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظاً يجمع الأوامر والنواهي ، لأنها أجملت فيه ، ثم فسرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك ، وإن لم يتأول على ما ذكرناه : لزم في الآية إشكال ، وهو عطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك ، وتحتمل الآية عندي تأويلاً آخر ، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك

أَوْلَادِكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مَحْنٍ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفْ نَفْسًا وَلَا أُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

الواجبات لأن ترك الواجبات حرام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الإملاق الفاقة ، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملاق ، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة ، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه (ما ظهر منها وما بطن) قيل ما ظهر : الزنا ، وما بطن : اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم في جميع الفواحش (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) فسره قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) النهى عن القرب يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال ، فالنهى عن أكله أولى وأحرى ، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمين ماله (حتى يبلغ أشده) هو البلوغ مع الرشد ، وليس المقصود هنا السن وحده ، وإنما المقصود معرفته بمصالحه (لأنكلف نفسا إلا وسعها) لما أمر بالقسط في الكيل والوزن ، وقد علم أن القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه (ولو كان ذا قرى) أى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القاتل ، فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل (وأن هذا صراطى مستقيما) الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة ، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدم أو مفعول من أجله : أى فاتبعوه لأن هذا صراطى مستقيما ، وقرئ بالكسر على الاستئناف ، وبالفتح والتخفيف على العطف ، وهى على هذا مخففة من الثقلة (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه (فتفرق بكم عن سبيله) أى تفرقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة ولذلك شدد البزى (ثم آتينا) معطوف على وصاكم به ، فإن قيل : فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها ثم ، فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصح الترتيب ، وقيل إنها هنا لترتيب الاخبار والقول ، لا لترتيب الزمان (تماما على الذى أحسن) فيه ثلاث تأويلات : أحدها أن المعنى تماما للنعمة على الذى أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذى ، والذى أحسن يراد به جنس المحسنين ، والآخر : أن المعنى تماما أى تفضلا ، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بَلَقَاءٌ رَّبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ اتَّظَرُوا وَإِنَّا مُتَّظَرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُدَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام والذي صفة لعمل موسى ، والثالث تماما أي إكالا على ما أحسن الله به إلى عباده ، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى (أن تقولوا) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا (على طائفتين) أهل التوراة والإنجيل (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف مدارسوا من الكتب فلا حجة علينا ، وأن هنا مخففة من الثقيلة (فقد جاءكم بينة) إقامة حجة عليهم (صدق) أي أعرض (هل ينظرون) الآية : تقدمت نظيرتها في البقرة (بعض آيات ربك) أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها ، حينئذ لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص ، فقوله لا ينفع نفسا إيمانها يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ وقوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) يعني أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ، ثم تاب إذا ظهرت : لم ينفعه لأن باب التوبة يغلق حينئذ (قل اتظروا) وعيد (إن الذين فرقوا دينهم) هم اليهود والنصارى ، وقيل أهل الأهواء والبدع ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وسفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل يارسل الله ومن تلك الواحدة ؟ قال من كان على ما أنا وأصحابي عليه ، وقرئ فارقوا أي تركوا (وكانوا شيعا) جمع شيعه أي متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها (لست منهم في شيء) أي أنت بريء منهم (عشر أمثاله) فضل عظيم على العموم في الحسنات ، وفي العاملين ، وهو أقل التضعيف للحسنات فقد تنتهي إلى سبعائة وأزيد (دينا قيميا) بدل من موضع إلى صراط مستقيم ، لأن أصله هداني صراطا بدليل اهدنا الصراط ، والقيم فيعمل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرئ قيميا بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها ، وهو على هذا مصدر وصف به (ملة إبراهيم) بدل من دينا ، أو عطف بيان (ونسكي) أي عبادتي ، وقيل ذبجي للبهائم ، وقيل حجبي ، والأول أعم وأرجح

لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * لِأَشْرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ * وَلَا تَتَّكِبْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيَّهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ * إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْمَص * كَتَبْنَا نُزُلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَاتَدَّ كُرُونًا *

(ومحياى ووماتى) أى أعمالى فى حين حياتى وعند موتى (لله) أى خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له : أى لا أريد بأعمالى غير الله فيكون نفيًا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيًا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذى تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله أبغى ربا) تقرير وتوبيخ للكفار ، وسيبها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شىء) برهان على التوحيد ونفى الربوبية عن غير الله (ولا تتكسب كل نفس إلا عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة توقعها فى دنياك وأخراك ، فنزلت هذه الآية : أى ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل فى الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أى يخلف بعضهم بعضا فى السكنى فى الأرض أو خلائف عن الله فى أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الامم المتقدمة (ورفع بعضهم) عموم فى المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية ، وسرعة عقابه تعالى : إما فى الدنيا بمن يعجل أخذه ، أو فى الآخرة لأن كل آت قريب ، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضلته ورحمته

(سورة الأعراف)

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة (حرج منه) أى ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك ، وقيل الحرج هنا الشك ، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذروا تذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو مخفوض عطفًا على موضع لتنذروا والذكري (قليلًا ماتد كرون) انتصب قليلًا بتد كرون أى تذ كرون تذ كرا

وَمَنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَلَنَسْتَلِزَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلِزَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِمْ بِعَلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ * وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره : جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء الأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن جاءها بأسنا استنفا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بيانا أو هم قائلون) بيانا مصدر في موضع الحال بمعنى بائتين أى بالليل ، وقائلون من القائلة : أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ، وأوهنا للتنويع (دعواهم) أى ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله بسأل الأمم عما أجابوا به رسلكم ، ويسأل الرسل عما أجابوا به (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) بمعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بهاظلمنا (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (الآتسجد) لازائدة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع المقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس بكفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فيما أغويتني) الفاء للتعليل وهى تنعاق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لى لأغوين بنى آدم ، وما مصدرية ، وقيل استفهامية ويطلبه ثبوت الألف فى مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لا تينهم من بين أيديهم) الآية : أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيف أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمنهم

وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْجُورًا
لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ . وَيَادْ أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا
إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلَّهُمَا بَعْرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ . قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قَالَ أَهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *

الحسنات ، وعن شمائلهم السنيئات (مذموما) من ذامه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أى طرودا حيث وقع
(فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فعنى وسوس لهما : ألقى لهما هذا الكلام (ليبدى لهما ما وورى
عنهما من سوءاتهما) أى ليظهر ماستر من عوراتهما واللام فى قوله ليبدى للتعليل إن كان فى انكشافهما
غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه اليه (الشجرة) ذكرت فى البقرة (إلا أن تكونا
ملكين) أى كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين
بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى حلف لهما إنه لمن الناصحين وذ كرقسم
إبليس بصيغة المفاعلة التى تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته
(ندلاهما) أى أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بعرور) أى غرهما بحلفه لهما لأنهما ظنا أنه لا يخلف كاذبا
(بدت لهما سوءاتهما) أى زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لا يريانها من أنفسهما ، ولا أحدهما
من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يصلان بعضه
ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا
أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هى الكلمات التى تاب الله عليه بها (اهبطوا) وما بعده
مذكور فى البقرة (فيها تحيون) أى فى الأرض (لباسا) أى الثياب التى تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد
أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا)
أى لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله
قميص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به فى الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو
خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ما أنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَبْنِي ۖ أَدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يُرِيكُم
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا
وَجَدْنَا عَلَيْهَا ۖ أَبَاءَنَا وَآلِهَةَ آمُرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ ۗ أَلَمْ نَقُولْ عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ۗ قُلْ
أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۗ فَرِيقًا هَدَىٰ
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۗ يَبْنِي
ۖ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۗ قُلْ مِمَّنْ حَرَّمَ زِينَةَ
اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۗ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ۗ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۗ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ۗ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ

وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوات وخصف الورق عليها ليسين لإنعامه على ما خلق من اللباس
(ينزع عنهما لباسهما) أى كان سبباً في نزع لباسهما عنهما (من حيث لا ترونهم) يعنى في غالب الأمر ، وقد
استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة ، فتحمل الآية على الأكثر جمعا
بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال
والنساء ، ويحتمل العموم فى الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين
أحدهما : تقليد آباءهم ، والآخر : افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية ، والإخلاص
لله ، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أى فى كل مكان سجود أو فى وقت كل سجود والأول
أظهر ، والمعنى إباحة الصلاة فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم : جعلت لى الأرض مسجداً (كما بدأكم
تعودون) احتجاج على البعث الأخرى بالبداة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى ، والثانى منصوب بفعل
مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة ، واحتج به من أوجب ستر العورة فى
الصلاة ، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا
واشربوا) الأمر فيهما للإباحة ، لأن بعض العرب كانوا يجرمون أشياء من المأكل (ولا تسرفوا) أى لا تنكثروا
من الأكل فوق الحاجة ، وقال الأطباء : إن الطب كله مجموع فى هذه الآية ، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من
حرم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمأكل ، وكان بعض العرب إذا
حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة ، ويمزحون الشحم واللبن ، فنزل ذلك رداً عليهم (خالصة يوم القيامة)
أى الزينة والطيب فى الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم ، وفى الآخرة خالصة لهم دون غيرهم ، وقرئ خالصة بالنصب
على الحال ، والرفع على أنه خبر بعد خبر ، أو خبر ابتداء مضمر (والإثم) عام فى كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ، يَبْنِي أَدَمَ إِمَامًا يَأْتِينَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي
فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ
مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ، قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي
النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
فَأْتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ، وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ
لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ يَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ، لَهُمْ مِّنْ
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ نَفْسًا
إِلَّا وَسِعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ يَّجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للنأ كيد ، ولزمتها
النون الشديدة المؤكدة ، وجواب الشرط فن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب)
أى يصل اليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا
النار فى جملة أمم أو مع أمم (آداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم
الرؤساء والقادة ، وأخراهم الاتباع والسفلة ، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم
لأنهم أضلوه ، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابهم ، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا : أى
قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل
فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من
قول أولاهم لأخراهم أو من قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال : أحدهما :
لا يصعد عمائمهم إلى السماء ، والثانى لا يدخلون الجنة ، فإن الجنة فى السماء ، والثالث لا تفتح أبواب السماء
لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلبج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب
الإبرة ، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً ، فلا يدخلونها أبداً (مهاد) فراش (غواش)
أغطية (لأنكف نفساً إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة
ما فى الوسع والطاقة (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لآخيه فى الدنيا نزع منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا
 أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رُثِمُوها بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
 حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذَنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ
 عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا
 بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ . وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
 أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ
 قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا

في الجنة وصاروا إخوانا أحياء ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لنحقق وقوعه في المستقبل
 حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع
 في الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغير ذلك (هدانا
 لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجب من الإيمان والتقوى (أن تلكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ،
 وأن سلام : يحتمل أن يكون أن في كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضمير أو حرف عبارة وتفسير
 المعنى القول (ما وعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول
 الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أي أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أي بين الجنة والنار أو بين أصحابها
 وهو أرجح لقوله : ف ضرب بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور
 الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم
 يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فنعوا من الجنة
 لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أي يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض
 وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب
 الجنة أن سلام عليكم) أي سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أي أن أصحاب
 الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد (وإذا صرفت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف
 أي إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعني من الكفار
 الذين في النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للسال أو كثرتهم
 (وما كنتم تستكبرون) أي استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية
 وما في قوله ما أغنى ، استفهامية أو نافية (أهلؤا الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار
 والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعاب
 بهم فظهر خلاف ما قالوا ، وقيل هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
 أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ
 فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
 مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
 قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
 أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تَفْسُدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا
 الجنة ، أو خطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة
 فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فالיום ننساهم) أي نتركهم (كأنسوا) الكاف
 للتعليل (وما كانوا) عطف على كانوا : أي لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعني القرآن (فصلناه
 على علم) أي علمنا كيف فصله (إلا تأويله) أي هل ينتظرون إلا عاقبة أمره ، وما يؤول إليه أمره بظهور
 ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق
 (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله :
 ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى
 استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكليف ، فإن السلامة في التسليم ، والله در مالك بن
 أنس في قوله للذي سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقدروى مثل
 قول مالك عن أبي حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى
 الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أي يلحق الليل بالنهار ،
 ويحتمل الوجهين ، هكذا قال الزمخشري ، وأصل اللفظة من الغشاء أي يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه
 فتغطي ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثا) أي سريعا ، والجملة في موضع الحال من الليل أي يطالب الليل النهار
 فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ،
 والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير
 منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر في موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية
 من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هور رفع الصوت بالدعاء والتشطط

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ

فيه (واعوه خوفا وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال الله تعالى يرجون رحمة
ويخافون عذابه فإن ، موجب الخوف معرفة ساطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم
ثوابه ، قال تعالى نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله
رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ، لاعتدلا إلا أنه يستحب
أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند
حضور الموت لقر له صلى الله عليه وسلم ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى ، واعلم أن الخرف على ثلاث
درجات الأولى أن يكون ضعيفا يحظر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر ، فوجود هذا كالعدم
والثانية أن يكون قويا فيروى فيروى من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط
والياس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس في الخرف على ثلاث مقامات : نخرف العامة من
الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء
على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود
والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ،
والناس في الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام
خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب
وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي أولانه صفة
موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أي ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن
الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد في القرآن جمعها
إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد في الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»
وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر في موضع
الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف
من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء في موضع النون وهو من البشارة (بين يدي رحمته) أي قبل المطر
(أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (بلد ميت) يعني لانبات
فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلناه الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء
ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع
ذلك في القرآن في مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريمة من الأرض
الجيد التراب (والذي خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (ياذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنسك

لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكَدًا كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَسَكُنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أبلغكم رسالت ربّي وأنصح
 لكم وأعلم من الله مالا تعلمون ۖ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجلٍ منكم لينذركم ولتتقوا
 ولعلكم ترحمون ۖ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً
 عَمِينَ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَسَكُنِي
 رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أبلغكم رسالت ربّي وأنا لكم ناصح أمين ۖ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم
 على رجلٍ منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا
 آلاء الله لعلكم تفلحون ۖ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا تَعِدُنَا إِن

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للبعنى الذى قبلها فى المطر ،
 أو تكون تمثيلاً للقلوب ، فقول على هذا الطيب . قلب المؤمن ، والخبث : قلب الكافر وقيل هما للفهم والبليد
 (من إله غيره) قرأ الكسائى بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم
 عظيم) يعنى يوم القيامة أو يوم هلاكهم (الملا) أشرف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل
 ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فنقول ما عندى ثمرة فتمم بالنفى (أبلغكم)
 قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف ، (أعلم من الله
 مالا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهمزة الإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف
 عليه محذوف ، كأنه قال أ كذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان
 رجل منكم (فى الفلك) متعلق بجمع والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع
 أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهو دا بدل منه أو عطف
 بيان ، وكذلك أخاهم صالحا وما بعده ، وما هو مثله حيث وقع (الملا الذين كفروا) قيدنا بالكفر لأن فى
 الملا من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فىهم مؤمن ، فأطلق لفظ
 الملا (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحي أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعد قوم
 نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أو جعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم
 ستون ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) استبعدوا توحيد

كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيئَاتٍ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلُ مِنْ رَبِّكُمْ شَيْءٌ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَقَّ الْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُهُ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ كَفَرَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَنِيَّاءَ مِنْكُمْ آيَةً فَذَرُّواهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بُسُوءًا فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ فَتَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحُونَ الْجِبَالَ يَبُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ الْآلَاءِ اللَّهُ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَالِحُ أَتُنَبِّئُ إِتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ *

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلونني في أسماء سميتوها) يعنى الأصنام : أى تجادلونني في عبادة مسميات أسماء ، فى الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتوها أتم وأباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أرسيتوها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل : فالجدال على القول الأول فى عبادتها ، وعلى القول الثانى فى تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثانى : التسمية (داب) ذكر فى الأنعام (بينه من ربكم) أى آية ظاهرة وهى الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير خلل ، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم تنجحت ولدا فأمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أى معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجربور فى موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها (وبوأكم فى الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا وأتمم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذى أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنيون قصورا فى الأرض البسيطة (وتنتحون الجبال بيوتا) أى تتخذون بيوتا فى الجبال ، وكانوا يسكنون القصور فى الصيف ، والجبال فى الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قبيصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذى آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون اثلا يكون اعترافا برسالته (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّ نَصِيحَتِ لَكُمْ وَأَكِن لَّا تَحِبُّونَ النَّصِيحِينَ * وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَّةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَتَمُّ قَوْمٌ مَّسْرِفُونَ ۗ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۗ فَانجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۗ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَ تَكْوِيمٌ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِهِ وَتُبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكثُرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَآ أَنفَةً مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتُمْ بِهِ وَطَآ أَنفَةً لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فاتوا منها (جاثمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضر ، أو يكون بدلا من لوط (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبويض أو للجنس (فما كان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتزهون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا ، أو من الباقين من أتربها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بق ، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطرا) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين فى القرآن آية شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن ، فبعث شعيب بينهم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هونى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به للصراط أوله (تبغونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أولتعودن فى ملتنا) أى

كُنَّا كَاهِنِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنَّ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنْ كُنْتُمْ إِذًا تَخْسِرُونَ * فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثَمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَكْفُرُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَآخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَآخَذْنَاهُمْ بِمَا

ليكون أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيباً ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار إليه ، والثانى قاله الزمخشري وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا في الخطاب بالعود للجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا في ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (أولاً لو كنا كاهنين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود في ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كاهنون (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم) أى إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تباً من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأديب مع الله وإسناد الأمور إليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعاً وتاديباً مع الله تعالى واستسلاماً لأمره كقول بينا صلى الله عليه وسلم «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» مع أنه قد علم أنه يثبت (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا في ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالبأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى بدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختباراً لهم في الحالتين (حتى عفاوا) أى كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لأبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا يقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أو أمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَاعِمُونَ * أَوْ أَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمَّنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا التَّوْمُ الْخُسْرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ
الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ *
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعُ يَدَهُ إِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا

قرأ بإسكان الواو فهي أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التويع كما دخلت
على الفاء في قوله أفأمنوا مكر الله : أي استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أو لم يهد) أي أو لم يدين (للذين
يرتئون الأرض) أي يسكنوها (أن لو نشاء) هو فاعل أو لم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) تطف
على أصبناهم لأنه في معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الرمخشرى أن يكون عطفا على يرتئون الأرض أو
على ما دل عليه معنى أو لم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير
لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على الأقول على الله إلا الحق) من قرأ على بالتشديد على أنها
ياه المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول
على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول
خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفي المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء فعنى الكلام
رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثاني أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدى بعلى (قد جئتمكم
ببينة من ربكم) أي بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معي بني إسرائيل) أي
خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم ، وذلك أنه لما توفي يوسف عليه السلام غلب
فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسى أربعة أعاما (ونزع يده فإذا هي بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد
الادمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا
وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (لناظرين) مباغلة في وصف
يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر

لَسَاحِرٌ عَظِيمٌ ۝ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأَمَّرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
 حَاشِرِينَ * يَا تُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَظِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ الْقَوَا
 فَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
 فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝ وَأَلْقَى
 السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ
 لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عظيم) حكى هذا الكلام هنا عن الملاء وفي الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هو وهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه
 كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال
 أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بنى إسرائيل وكانوا خداما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها
 (فإذا تأمرون) من قول الملاء أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر
 وهو ضد النهى (أرجه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فعناه أخرهما حتى ننظر فى
 أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت
 الهمزة ، أو يكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرهما فلغتان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها
 الوصل مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا
 محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام
 ومن قرأه يهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أو استفهاماً حذفته منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ،
 طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعى لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن
 المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً ونقربكم ، واختلف فى عدد السحرة إختلافاً متبايناً
 من سبعين رجلاً إلى سبعين ألفاً وكل ذلك لأصل له فى صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين)
 خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤا هم بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء
 موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم)
 أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألقى عصاك) لما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً على قدر
 الحبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (ما يافكون) أى ماصوروا من إفسادهم وكذبهم
 وروى أن الثعبان أكل كل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة
 أن ذلك ليس من السحر ، وليس فى قدرة البشر ، فأمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لاقطنن أيديكم) الآية :

وَأَرْجَلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَتَّقِمُ مِّنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَءَاهْتِكَ قَالِ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ *
قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشُّرَمَاتِ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ * فَإِذَا
جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لِنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِمَّا يَنْظُرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَتَأْتِيَنَّكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ،
وقد ذكر معنى من خلاف في العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا
(وما نتقم منا إلا أن آمننا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا في الأرض) أى يخرّبوا ملك فرعون
وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منضوب بإضمار أن بعد الواو (وآهتك) قيل
إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما بعدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فأهتك
على هذا هي تلك الأصنام ، وقرأ على بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وإهتك : أى عبادتك والتذلل
لك (إن الأرض لله) لتعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفي قوله « ويستخلفكم في الأرض »
وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح في
قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنيين أى الجذب والقحط
(فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا
جاءهم الجذب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة فإذا وتعريف
الحسنة وإن تصبهم سيئة فإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر
فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد ، وذكره إذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة يان لأنها تقتضى
الشك ونكرها للتعليل (إلا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبتهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند
الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمي به ما يصب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى
من الشؤم . مهما هي ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هي اسم بسيط
غير مركب ، والضمير في به يعود على مهما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، أو على وجه التهمك
(فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون
وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۚ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ آجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ ۚ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مِشْرَاقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝ وَجَوَّزْنَا بِنِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۚ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَابِعٌ مِّمَّا فِيهِ وَبَطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۚ وَإِذْ أُنجَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ كُفْرٍ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُفْرٍ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۚ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَا فِيهَا بِعَشْرِ فِئِمِّ مِيقَاتُ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قمل هي صغار الجراد، وقيل البراغيث، وقيل السوس، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف، فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم (والضفادع) هي المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذاتكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيخرج ما يلي القبطي دما، وما يلي الإسرائيلي ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهتما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتماذوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك أو يتعلق بادع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك (في اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارك الأرض ومغارها) الشام ومصر (باركنا فيها) أي بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) أي تمت لهم واستقرت، والكلمة هنا ما قضى لهم في الأزل، وقيل هي قوله: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض (وما كانوا يعرشون) أي يبنون، وقيل هي الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثاني من العريش (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) أي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتداء خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور في البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة والعشر بعدها هي العشر الأول من ذي الحجة، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة (ميقات ربه) أي ما وقت له من الوقت لمناجاته

أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرٰنِي إِلَّا بِالْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ
جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنِّي
أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسٰلَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنٰكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوٰحِ

في الطور (اخلفني) أى كن خليفتي على بنى إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرني) لما سمع موسى كلام الله
طمع في رؤيته ، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما * إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا ، وأنها لو كانت محالاً لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء
عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزمخشري طلب موسى الرؤية بوجهين : أحدهما
أنه إنما سأل ذلك تبكيته لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة ؛ فقال موسى
ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرني أنظر إليك : عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا
وكلا الوجهين بعيد ، والثاني أبعد وأضعف ، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال
لن تراني) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن تراني ، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأجعل للجبل الذى هو
أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن تراني أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق
أنت ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثلا لموسى ، وقال قوم المعنى سأجعل لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله
قوله فلما تجلى ربه للجبل فإذا تقرر هذا ، فقوله تعالى لن تراني نفى الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه
إنما جعل علة النفي عدم إطاقة موسى الرؤية لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان في الجواب زجر
وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية
الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأماني الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة في مسألة الرؤية تنازع
طويل ، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى
مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول لقولك ضربت الأمير ، والدك والدق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ
دكاه بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقى أكثره ، وقيل تفتت حتى صار غبارا ، وقيل
ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبنت إليك) معناه تبنت من
سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه
المبالغة في السبق إلى الإيمان (اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو عموم يراد به الخصوص ،
فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم
نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (فخذ ما آتيتك) تأديبا أى انفع بما أعطيتك من
رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له في الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ونخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ساوركم دار الفاسقين .
 سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
 سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
 غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون * واتخذ
 قوم موسى من بعده من حليهم مجلا جسد له خوار الم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا
 ظالمين * ولما سقط في أيديهم وراوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
 الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبن أسفاً قال بئسما خلقتموني من بعدي اعجلتم أمر ربكم

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شيء) عموم يراد به الخصوص
 فيما يحتاجون إليه في دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شيء ، وموضع كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة
 بدل منه (نخذها بقوة) أي بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن
 منه كالتصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أي دار فرعون وقومه
 وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أفقرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة
 ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الورثة ، وهي على هذا مصدر لقوله
 وأورثناها بني إسرائيل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها
 القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والصرف يراد به حذم عن فهمها وعن الإيمان بها
 عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل الصرف منعهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر
 إلى المفعول به أي ولقاؤهم الآخرة ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل
 (من بعده) أي من بعد غيبته في الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حلئ نحو ثدى وثدى ، وقرئ
 بكسر الحاء الإتيان وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم ما يزين به من الذهب والفضة (جسداً)
 أي جسماً دون روح ، وانتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامري قد قبض
 قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فمذفه في العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل
 في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (لم يروا أنه لا يكلمهم) رد عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد
 في عبادته (اتخذوه) أي اتخذوه لها ، فحذف المفعول الثاني للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى
 (سقط في أيديهم) أي ندموا يقال سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفاً) شديد
 الحزن على ما فعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلقتموني) أي قتم قسامي ، رفاعل
 بئس مضمرة يفسره ما واسم المذموم محذوف ، والمحاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث
 عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يسكفوا الذين

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ
بِئِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ۝
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ
رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ
مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجلمت أمر ربكم) معناه أعجلمت عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم
لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما
لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجرّه إليه) لأنه
ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى، وإيمادعاه بأفه، لأنه أذعى
إلى العطف والحنق، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيهاً بخمسة
عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبنى (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أولا تجد على في نفسك
ما تجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب في الآخرة وذلة في الدنيا (ولما سكت
عن موسى الغضب) أى سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري قوله مثل كأن الغضب كان
يقول له ألقى الألواح وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما يذسخ منها، والنسخة
فعلته بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرويا تعبرون، وقال
المبرد تتعاق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى
الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم، وقيل إنما
أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم
الصاعقة بظلمهم، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر لقوله ثم بعشناكم من بعد موتكم
(لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد مانوا
قبل ذلك، لأنه خاف من تشييب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون
قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإناعبيدك
وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت
أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين
أخذتهم الرجفة (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أتهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْعَافِرِينَ * وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

طلبوا الرؤبة والذين عبدوا العجل ، فعنى هـنا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة (إن هي إلا فتنك) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا هدنا إليك) أى تبنا ، وهذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنما هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئاً مما توهم الجهال فيه من الجفاء فى قوله : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافاً لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسین وفتح الهزمة من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف (ورحمتى وسعت كل شيء) يحتمل أن يريد رحمة فى الدنيا فيكون خصوصاً فى الرحمة وعموماً فى كل شيء لأن المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصاً فى كل شيء ، لأن الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموماً فى الرحمة ، وفى كل شيء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهى بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهى أيضاً مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلى دينهم على جميع الأديان ، وممكن لهم فى الأرض ما لم يمكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصيص للإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لما قال الله ورحمتى وسعت كل شيء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبي الأمي) أى الذى لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجملة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبتطلون ، قال بعضهم : الأمي منسوب إلى الأمم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعمته وصفه ولذا ذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أن فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأقربين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق لا تجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو و تصفح ، ولن أقبضه حتى أفيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيوننا عمياً ، وآذاننا صماً ، وقلوبنا غلغلاً

ومن ذلك ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إن الملك نزل على إبراهيم فقال له : في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل وأنا أباركه وأميته وأكبره وأعظمه بماذا ماذ ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك في التوراة إن الرب تعالى جاء في طور سيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعنى بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ماذ كر من بجي الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما في كتاب شعيا خطابا لمكة : قومي فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخلل الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملك إلى ضوه طلوعك ، ارفى بصرك إلى ماحواك ، وتأملى إليهم مستجمعون عندك ، وتحمج اليك عساكر الأمم وفي بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلات الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلص أمته

ومن ذلك في التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراء لها ملك فقال لها يا هاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتي سارة ، فقال لها ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدن ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوفة اليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذي وعدا به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوفة اليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا في التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم ، وأي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرهم

ومن ذلك في التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثني عشر عظيما ، وأجعله لامة عظيمة

ومن ذلك في الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله وهو ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ، وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك في التوراة : مولده بمكة أو مسكنه بطيبة وأميته الحمادون ، وبيان ذلك أن أمته يقرؤن الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعاني ، فقال يا بني : قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أني حبست عنك ورقتين فهما ذكر نبي يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتبعه ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوفة التي ترى وطينت عليهما ، فلا تعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا ، فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقض المأتم حتى أنظر ما في الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوفة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لاني بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتندلل بالتكبير السننهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأترزون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها وتراحهم بينهم تراحم نبي الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت في نفسي : والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا فكشفت ما شاء الله حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبينى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة فقلت في نفسي إنني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتس السبيل إليه فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت في نفسي لعله لم يكن الذي كنت أظن ، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصياهم وبرهم ووفاهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسي بالدخول في دين الإسلام ، فوالله إنني ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فردها على أدبارها أو نلغنها كما لغنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي ، فما كان شيء أحب إلي من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمومنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متبادلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال إني والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التي وسعت كل شيء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إلى مقر بالإسلام مصدق ،
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله وأنه الذي بشره عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأخذه هرقل
لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف أنه النبي الذي بشره عيسى ابن مريم ،
ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرج البخاري ومسلم
من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ،
فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمي ولو خلصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث
زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس
من قريش في التجارة إلى الشام ، قال فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا يطربق قد قبض على عنقي فذهبت
أنازعه فقيل لي لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلني كنيسة فإذا نراب عظيم ملق فجاءني بزئيل ومجرقة فقال
لي أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ،
فقال أئتني على ما أرى ما نقلت شيئا ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت وائكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى
ثم وثبت إلى المجرقة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريت في التراب وخرجت على وجهي لا أدري
أين أسير فسرت ببقية يومى وليلى من العد إلى الهاجرة فانهيت إلى دير فاستظلت بفنائها فخرج إلى رجل
منه فقال لي يا عبد الله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابي ، فقال لي ما أنت على طريق وإنك لتتظر بعيني
خائف ، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمنى ، ثم صعد في النظر
وصوبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ماعلى الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة
التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب ، فقال لي ما اسمك فقلت عمر
ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لي على ديري هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلى
صنيعة فلا تكررها ، فقال إنما هو كتاب في رق ، فإن كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شيء فكتب
له على ديره وما فيه ، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إلى ثم أوقف أتانا فقال لي أتراها فقلت نعم ، قال سر
عليها فانك لا تمر بقوم إلا سقوها وعافوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنا فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون
بها كذلك حتى ترجع إلى قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربت
مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب
دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء مالا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحدثه فلما فرغ
منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين
ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف
يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ،
أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوم يهودى من يهود عمان
فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَاتِمُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ

رسول الله، قال عمرو اللهم نعم، فقال اليهودي لئن كان حقا ما نقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبي صلى الله عليه وسلم مات فيه. ثم خرج فأخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبهم أبو بكر الصديق فقال لهم من أنتم؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنتسمع كلامه، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّموه، فقالوا وهل نقدر على كلامه، كما أردنا فنبتسم أبو بكر، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لأبي بكر من أنت أيها الرجل، فقال أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله، فقال لهم كيف تتحدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (بأمرهم بالمعروف وبنهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يحدونه، أو تفسير لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل (ويجل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي المستلذات إلا ما حرّمه الشرع منها كالخنزير والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم إصرهم) وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل الأنفس في التوبة؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحرّم الشحوم وتحرّم العمل يوم السبت وشبه ذلك (وعزروه) أي منعه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذي أنزل معه) هو القرآن أو الشرع كله، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إني رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة فأعراب جميعا حال من الضمير في إليكم (الذي له ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمّر (يؤمن بالله وكلماته) هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين نزل غيرهم في عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في عصره (وقطعناهم) أي فرقناهم (أسباطا) السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب وانتصابه على البدل من اثنتي عشرة لاعلى التمييز فإن تمييز اثنتي عشرة

بِعَصَاكَ الْحَجْرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ
الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ
اٰسْكِنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَيِّدِ
الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ۚ وَسَأَلَتْهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا
اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا، وقال الزمخشري على التمييز، لأن كل قبيلة أسباطا لاسبط (فانبجست) أي انفجرت إلا أن
الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزويني الانبجاس: أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) وما بعده إلى قوله
بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة (تنبيه) وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين
سورة البقرة في قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ فلنا ادخلوا، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو
وفكلوا بالفاء، فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، وعللها شيخنا
الاستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرر بتعليقات منها قوية وضعيفة وفيها
طول فتركناها لطولها (واسألهم) أي أسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هي إيلياء،
وقيل هي طبرية، وقيل مدين (حاضرة البحر) قرية منه أو على شاطئه (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون
حد الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل
اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم
السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت، وتغيب عنهم في سائر
الأيام، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى شرعا ظاهرة قريبة منهم
يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيتهم منصوب بיעدون، أو بدل من إذ يعدون (وإذ قالت أمة
منهم لم تعدون قوما) الآية: افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن
ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكنت وانزلت، فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية
وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم، فقالت الناهية نهامهم معذرة
إلى الله ولعلهم يتقون، فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت
لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئيس) أي شديد، وقرئ بالهمز وتركه، وقرئ على وزن فاعيل وعلى وزن
فيعل وكلها من معنى البؤس (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعِثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ آمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ
 وَيَلُونَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * نَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ
 هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا
 عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ

خاسئين) ذكر في البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولاً بعذاب شديد فعتوا بذلك فسخوا قرده ، وقيل فلما عتوا
 تكرر لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيدان بمعنى الإعلام
 (ليبعثن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهو انهم في جميع البلاد (وقطعناهم في
 الأرض) أى فزقناهم في البلاد ، ففي كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من
 أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحاً من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم
 (نخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من
 حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا
 (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون
 المغفرة وهم يعوّدون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كتبهم
 في قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف
 عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب
 الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام
 الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ تقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه
 فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم في البقرة تفسير الظلة وخذوا
 ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية :
 في معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد
 بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة
 وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إجمادهم
 في الدنيا وأما إجمادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكانه أشهدهم
 على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار
 به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل
 وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا
مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَآتَىٰ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد
خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بني آدم حسبما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا)
قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف
نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفي ، ولذلك قال ابن
عباس في هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لرؤية الله
وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بني آدم باعترافهم (أن
تقولوا يوم القيامة) في موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من
قولهم ، وقرئ بالتاء على الخطاب لبني آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها)
قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين دعا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك
على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من السكنعانيين
اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال السكنعانيين وهم الجبارون : سأوا من بلعم أن
يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى
فآيات التي أعطيا على هذا القول : هي اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل
كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاصي : هو أمية بن أبي الصلت ، وكان قد أوتي علما وحكمة
وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن
أبي الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها
كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده (ولكنه أخلد
إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثل كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب ،
وذلك غاية في الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء
القوم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب ، ومعنى
إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل
حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۖ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ
كَانُوا يَظْلُمُونَ ۚ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ
كَأَلْفِ نَعِيمٍ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۖ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۖ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بَصَّحْتُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ

كما أن لهث الكلب على كل حال وقيل إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته
ولهذه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لهته وكصفة الرجل
المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا ، وإن تركوا لم يهتدوا ، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات
فلم تففعهم ، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم)
الآية : قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون
النار بكفرهم ، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء في قوله هؤلاء للجنة ولأبالي ، وهؤلاء للنار ولأبالي (لا يبصرون
بها) ليس المعنى نفي السمع والبصر جملة ، وإنما المعنى نفيها عما ينفع في الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة . وسبب نزول الآية : أن أبا جهل
لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة ، والرحمن أخرى ، فقال يزعم محمد أن الإله واحد وهما هو
يعبد آلهة كثيرة ، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد ، والحسنى مصدر وصف
به أو تانيث أحسن وحسن أسماء الله هي أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أي سموه بأسمائه ، وهذا
إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى ، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث ، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا
وأما ما لم يرد وفيه مدح لا تتعلق به شبهة ، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن
الأشعري وغيره ، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث ، وقد ورد في كتاب
الترمذي عدتها أعني تعيين التسعة والتسعين ، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة
إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو موقوفة على أبي هريرة ، وإنما الذي ورد في الصحيح كونها
تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم
ولا تتعرضوا لهم ، فالآية على هذا منسوخة بالقتال ، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله : وذروني
والمكذبين ، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم في أسماء الله : هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه ،
وقيل تسميته بما لا يليق ، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز (ومن
خلقنا أمة) الآية روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذه الآية لكم ، وقد تقدم مثلها لقوم موسى
(سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أي نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجِيبُهَا لَوْ قُتِلَ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسُئَلُونَكَ كَأَنَّكَ كَافٍ فِي عِزِّهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إن كيدى متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) يعنى بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفي عنه ما نسب له المشركون من الجنون ، ويحتمل أن يكون قوله ما بصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله : أو لم يتفكروا ثم ابتدأ لإخبار الاستئنافا لقوله ما بصاحبهم من جنة ، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعنى نظر استدلال (ما خلق الله) عطف على الملكوت ويعنى بقوله من شئ : جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجاهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة ، وهى عطف على الملكوت ، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى ، وأجلهم يعنى موتهم ، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب ، فيذبحى لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأى حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش ، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان : متى ، ومرساها : وقوعها وحدوثها ، وهى من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما علمها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لا يجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها ، فهو من الجلاء ضد الخفاء ، واللام في لوقتها ظرفية : أى عند وقتها ، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله (ثقلت في السموات والأرض) فى معناه ثلاثة أقوال : الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها ، والثانى ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبدل الأرض ، والثالث معنى ثقلت : أى ثقل علمها أى خفي (يسألونك كأنك حفي عنها) الحفي بالشئ هو المهتبل به المعنى به ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفي بعلها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم ، فعنها على هذين القولين يتعلق يسألونك ، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب ، واستدلال على عدم علمه (وما مسنى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير ، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصبنى ما قدر لى من الخير والشر ، وقيل إن قوله وما مسنى السوء : استئنافا لإخبار ، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى بأبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُنْتُمْ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

وأذرعهم ، وخص بهم البشارة والندارة ، لأنهم هم الذين يذنبون بها ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أى نذير للكافرين ، والأقول أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى حواء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاهما) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أى خف عليها لم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المنى فى فرجها (فمرت به) قيل معناه استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا صالحا سالما فى بدنه (فلما آتاها صالحا جعلناه شركاء فيما آتاها) أى لما آتاها ولدا صالحا كطلبا : جعل أولادهما شركاء بالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاها : أى فيما آتى أولادها وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعيني وسميت ما فى بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتني فى ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسميها عبد الحارث طمعا فى حياته ، فقوله جعلناه شركاء فيما آتاها : أى فى التسمية لا غير ، لافى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضى براءة آدم وزوجه من قليل الشرك كثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود فى تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجته وجعلناه شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية ردة على المشركين من بنى آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعنى أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدى أو إلى أن تهدى ، لأنها جمادات (سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون) تأكيد وبيان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتهم؟ فالجواب إن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فبهرنا

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ اللَّهُمَّ أَرَجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُونَ * إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
 الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى
 لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ *

بجملة إسمية لتقتضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن
 آلهتهم عباد؛ فكيف يعبد العبد مع ربه (فادعوهم فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (أم لهم أرجل يمشون بها)
 وما بعده: معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك: لا يكون
 إلهاً، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام، لأن المشركين
 مقرون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش، ولا تبصر، ولا تسمع، فلزمته الحججة، والهمزة في قوله «ألم»
 للاستفهام مع التوبيخ، وأم في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة (قل
 ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد على، ولا تؤخروني،
 فإنكم وأصنامكم لا تقدرتون على مضرتي، ومقصد الآية الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على
 المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لا يقدر على شيء ثم أفصح بذلك
 في قوله (إن ولي الله) الآية: أى هو حافظي وناصرى منكم فلا تضروني ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على
 مضرتي، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب، وبأنه يتولى الصالحين، وفي هذين الوصفين استدلال على
 صدق النبي صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين
 والصالح لا بد أن يكون صادقا في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
 نصركم) الآية: رد على المشركين، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون) يحتمل أن يريد الأصنام
 فيكون تحقيراً لهم، ورداً على من عبدها، فإنها جمادات لا تسمع شيئاً، فيكون المعنى كالذى تقدم، أو يريد
 الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعنى سماعاً ينتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم
 (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله ينظرون مجاز، وقوله لا يبصرون
 حقيقة، لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئاً، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا
 يبصرون مجازاً على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من
 الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم، لئلا ينفروا فالعفو على هذا يعنى السهل
 والصفح عنهم، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر * خذ العفو منى تستديمى مودتى *
 والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس فى أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة،
 فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو
 الجارى بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى
 لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانِهِمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتَهُمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لا أدري حتى أسأل ؛ ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهي على هذا نابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغك من الشيطان نزع) نزع الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي أو تحريك العصب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إن للشيطان لمة والمملك لمة ، ومن قرأ طائف بالالف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف ييا سا كنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كيت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعم كل ما يذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم في الغي) الضمير في إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول في يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير في إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أن الكفار يمدونهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفي الغي يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله ، أو في الشيطان (ثم لا يقصرون) أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أو لا يقصر الكفار عن غيهم ، وفي الآية من إدراك البيان لزوم ما لا يلزم بالالتزام الصادق قبل الراء في مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير في لم تأتهم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفي معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحي أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتخويرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أي يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي معناه لا اخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثاني (هذا بصائر) أي علامات هدى والإشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الإنصات المسأوربه هو لقراءة الإمام في الصلاة ، والثاني أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثاني أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَالْأَصَالُ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۝

سورة الأنفال

مدينة لإمان آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (لعلمكم ترحون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ عطف متغاير أي حالة أخرى، وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والأصل) أي في الصباح والعشي والأصل جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم في العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلى الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس النعمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أي الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أي اتفقوا واتفقوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وسامت أخلاقنا، فزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أي الكاملون بالإيمان فانما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلت قلوبهم) أي خافت وقرأ أبو بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أي قوى تصديقهم ويقينهم

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِتَطْمَئِنَّ

خلافاً لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن زيادته إنما هي بالعمل (لهم درجات) يعنى فى الجنة (كما أخرجك ربك) فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة تنفيل الغنائم كحالهم فى حالة خروجك للحرب ، والثانى أن يكون فى موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر فى قوله الأنفال لله والرسول أى استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك ، والثالث أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك (من بيتك) يعنى مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى كرهوا قتال العدو ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ، ومعها أربعون راكباً فأخبر بذلك جبريل صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا فى عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريش ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقال له سعد بن عباد : امض لما شئت فإننا متبعوك وقال سعد بن معاذ والذى بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) كان جدالهم فى لقاء قريش بايثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أوالاً وأقل رجالاً ؛ وتبين الحق : هو إعلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنهم ينصرون (كأنما يساقون إلى الموت) تشبيهه لحالهم فى إفراط جزعهم من لقاء قريش (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) يعنى قريش أو عيرهم ، والعامل فى إذ محذوف تقديره إذ كروا (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة عبارة عن السلاح . سميت بذلك لحديثها ، والمعنى تحبون أن تلقوا الطائفة التى لا سلاح لها وهى العير (أن يحق الحق) يعنى يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر (ليحق الحق) متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك وليس تكراراً للأول لأن الأول مفعول يريد ، وهذا تعليل لفعل الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة ، وبالحق الثانى الإسلام . فيكون المعنى أن نصرهم ، ليظهر الإسلام ، ويؤيدهذا قوله : ويبطل الباطل أى يبطل الكفر (إذ تستغيثون ربكم) إذ بدل من إذ يعدكم : وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمير واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر (بمدكم) أى مكثركم (مردفين) من قولك ردفه إذا تبعه ، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضاً ، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول ، ومن قرأه بالكسر فهو

بِهِ قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضا فمنهم تابعون ومتبوعون (وما جعله الله) الضمير عائد على الوعد ، أو على الإمداد بالملائكة (إذ يغشيكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر ، أو بما عند الله من معنى النصر ، أو بإضمار فعل تقديره اذكر ، ومن قرأ يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول والثاني ، والمعنى يغطيكم به فهو استعارة ، من الغشاء ، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أي ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أي أمناً ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) تعديد لنعمة أخرى ، وذلك أنهم عدمو الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقيل بعد وصولهم ، فأنزله الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليظهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وينا رسول الله فكيف نبقى بلا ماء ، فأنزله الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (ويربط على قلوبكم) أي يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير في به عائد على الماء ، وذلك أنهم كانوا في رملة دهمة لا يثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق ، وسهل المشي عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحى) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فثبتوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوروا بصور بنى آدم أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين (سألت في قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لشيت المؤمنين ، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل (فاضربوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أول المؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أي على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبج ، والضرب فيها يطير الرأس ، وقيل المراد الرؤوس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة (كل بنان) قيل هي المفاصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر في اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الإشارة إلى ما أصاب

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ
 الْآدْبَارَ . وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَذُوقْ بَأْسَ الَّذِي بَغَضَ مِنْ اللَّهِ وَمَا لَهُ
 فِي جَهَنَّمَ مِنْ مِثْلِ الْعَصِيرِ . فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَالْكَانَ اللَّهُ رَمِيًّا وَلِيَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ * إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ
 الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ
 الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ تَسْمِعُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

الكفار يوم بدر ، والباء للتعليل ، وشافوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلكم فذوقوه) الخطاب هنا
 للكفار ، وذلك مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب ، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : فذوقوه ،
 كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم على تقدير رفعه ، أو نصبه ، أو مفعول معه ، والواو
 بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل في لقيتم ، ومعناه متقايبي الصفوف والأشخاص ،
 وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوهم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثل المسلمين
 حسبما يذكروه في موضعه (ومن يولهم يومئذ) أي يوم اللقاء في أي عصر كان (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفرار
 عدوه أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخداع في الحرب (أو متحيزا إلى فئة) أي منحازا إلى جماعة من
 المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف في التحيز إلى المدينة ،
 والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا ، ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أنافة لكل مسلم ،
 وهذا إباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله ومن يولهم ، وقال
 الزمخشري انتصب على الحال والإلغوا ، ووزن متحيز متفعلا ، ولو كان على متفعل لقال متحوز ، لأنه من حاز يحوز
 (فلم تقتلوهم) أي لم يكن قتلهم في قدر تكمل لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وباللائحة (ومارميت
 إذ رميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار
 فانهزموا ، فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة (بلاء حسنا) يعني الأجر والنصر والغنيمة (موهن) من
 الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب للكفار
 قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذي دعا بذلك أبو جهل
 فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم ، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى
 النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (فقد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح
 هنا بمعنى الحكم : أي قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب
 للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تنتهوا) أي
 ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أي إن تعودوا إلى الاستفتاح
 أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ بِكُمْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرَضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
خَاصَّةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَآوَأْنَاكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقْنَاكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْاٰخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمُكْرِمِينَ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ

بالطاعة (وأتم تسمعون) أى تسمعون القرآن والمواعظ (كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) هم الكفار
سمعوا بأذانهم دون قلوبهم فسمعهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والمقصود أن الكفار
شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فانهم جدوا في القتال مع المشركين (لما
يحْيِيكُمْ) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل يميته، وقيل يصرف
قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة) أى لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم،
وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن
الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في تصيين لأنه بمعنى النهي (إذ أتم قليل) الآية: أى حين كانوا
بمكة وآواكم بالمدينة، وأيدكم بنصره في بدر وغيرها (لا تخونوا الله) نزلت في قصة أبي لبابة حين أشار إلى
بني قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها
عام (وتخونوا أماناتكم) عطف على لا تخونوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل
وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة (وإذ يمكر بك الذين
كفروا) عطف على إذ أتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس
في صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنونك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت في النضر بن
الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت
مثل هذا، وقيل هى فى سائر قريش (أساطير الأولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية:
قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

اللَّهِ لِعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۚ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الَّامِتُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۚ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُ فِئْرَةً جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۚ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ

هو الحق ، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما وانتصب الحق لانه خبر كان وقال الزمخشري معنى كلامهم جحود أى إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم) إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، وبقي الآخر ، وقيل الضمير فى يعذبهم للكفار ، وفى وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أى شئ يمنع من عذابهم وهم يصدون أى يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة فى موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاء تصديا) المكاء التصفير بالفم ، والتصديا التصفيق باليد . وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلواتهم (ينفقون أموالهم) الآية نزلت فى إنفاق قريش فى غزوة أحد وقيل لأنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب فانه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أى يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون فى الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغيب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب والخبيث هنا الكفار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ما أنفقه الكفار ، والطيب ما أنفقه المؤمنون ، واللام فى ليميز على هذا تتعلق بـ يغلبون ، وعلى الأول يحشرون (فيركمه) أى يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن ينتهوا) يعنى عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعنى إلى القتال (فقد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وما جرى للأمم السالفة (حتى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر ، وهو كقولته صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

وَلَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّقِيءِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبِ اسْفَلَ
مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ
وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِكُمْ لَئِيْلًا لِّمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
وَلِتُنزَعَهُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُهُمْ إِذْ تُقِيمُ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا
وَيَقْلَلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ
فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا فِتْنَةً يَسْتَوُونَ
وَيَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) لفظه عام يراد به الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخمس : وهو ما أخذ
على وجه الغلبة بعد القتال ، ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ما أخذ من كان يبلا داخل الحرب من غير
إيجاف ، وما طرحه العدو خوف الغرق ، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذه منه حاجته، ويصرف سائره في مصالح
المسلمين وهي التي التي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (فإن الله خصه) الآية: اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف
فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهم لله في عمارة الكعبة ، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين ،
وقيل للوالي بعده : وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل
وقال الشافعي على خمسة أسهم ، ولا يجعل لله سهمًا مختصا ، وإنما بدأ عنده بالله ، لأن الكل ملكه ، وقال أبو حنيفة
على ثلاثة أسهم : لليتمى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وقال مالك الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذه منه كفايته ويصرف
الباقى في المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) راجع إلى ما تقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة
الخمس ، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليه القرآن
والنصر (يوم الفرقان) أى التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (التقى الجمعان) يعنى المسلمين والكفار (إذ أنتم
بالعدوة الدنيا) العامل في إذ التقى والعدوة شفير الوادى ، وقرئ بالضم والكسر وهما الغتان ، والدنيا القرية من المدينة
والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعنى العير التي كان فيها أبو سفيان ، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي
صلى الله عليه وسلم ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد)
أى لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقتلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم
مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه (لهلك من هلك عن بينة) أى يموت من مات يبدر عن إعدار وإقامة الحججة عليه ويعيش من
عاش بعد البيان له ، وقيل لهلك من يكفر ويحى من يؤمن ، وقرئ من حى بالإظهار والإدغام وهما الغتان (إذ يريكم الله)
الآية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لقتلتم) أى
جبتهم عن اللقاء (وإذ يريكم وهم) الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ريحكم)

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ آتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۝ كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فِيمَا تَثَقَفُومُ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝ وَلَا يُحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ لَا يَعْبُرُونَ ۝ وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

أى قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى كفار قريش حين خرجوا لبدر (بطرا) أى عتوا وتكبرا (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية : لما خرجت قريش الى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك فقال لهم إني جار لكم من قومي وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر (نكص) أى رجع إلى وراه (إني أرى ما لا ترون) رأى الملائكة تقاتل (يقول المنافقون) الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعلى بن أمية بن خلف والعاصي بن أمية بن الحجاج وكانوا قد أسلخوا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة (غز هؤلاه دينهم) أى اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به (ولوترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ذلك فيمن قتل يوم بدر (وأدبارهم) أى إستاههم، وقيل ظهورهم (وذوقوا) هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون مابعد من قول الملائكة أو يكون مستأنفا (ذلك بأن الله) تقديره عند سيويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغير نعمة على عبده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي (كدأب) ذكر في آل عمران (الذين عاهدت منهم) يريد بنى قريظة (فشردهم من خلفهم) أى أفعالهم من النعمة ما يزرع غيرهم (وإنما تخافن من قوم خيانة) أى نقضا للعهد (فانبذ إليهم) أى رد العهد الذى بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم (على سواء)

مَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

من تحليل الغنائم لهم (فيما أخذتم) يريد به الأسرى وفداؤهم ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل عذاب ما نجمانه غيرك يا عمر (فكلوا مما غنمتم) إباحة للغنائم ولفداء الأسارى (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) أى إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية ، قال العباس في نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما لا يقدر أن يحمله ، فقال قدأعطاني الله خيرا مما أخذ منى ، وأنا أرجو أن يغفر لى (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا لم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهى ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استنصروكم) لما نفي الولاية بين المؤمنين والتناصر ، وقيل هى ولاية الميراث الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين : إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض) إلاها مركة من إن الشرطة ولا النافية والضمير في تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذى في قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النصر الذى في قوله فعليكم النصر ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعد لهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .

سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائة

برآءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا
أنكم غير معجزي الله وإن الله مخزي الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن
الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر

(سورة براءة)

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاضحة : لأنها كشفت أسرار المنافقين ، وانفقت المصاحف والقراء
على إسقاط البسملة من أولها ، واختلف في سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيه بمعاني الأنفال
وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما في السبع الطوال
وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال علي بن
أبي طالب البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة
التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير
الكلام براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا براءة ،
وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله عاهدتم ، لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم
هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محددة ، فمنهم من وفى
فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له
عهد (فسيحوا في الأرض) أى سيروا آمنين أربعة أشهر وهى الأجل الذى جعل لهم ، واختلف في وقتها فقيل
هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هى من عيد
الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده على بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة
براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير معجزي الله) أى لا تفوتونه (وأذان) أى إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله
من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع
الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل
أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجل ، وكانت أياما كثيرة (أن الله بريء من المشركين)
تقديره أذان بأن الله بريء ، وحذفت الباء تخفيفا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان فى معنى القول
(ورسوله) ارتفع بالعطف على الضمير فى برىء ، أو بالعطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف
وقرئ بالنصب عطف على اسم إن ، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز
على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) أى التوبة من الكفر (إلا الذين

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
 أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
 حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
 فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ
 أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
 عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا
 عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * أَشْرَوْا بِأَيْتِ
 اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *
 وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ *

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا أنسلخ الأشهر الحرم) يعني الأشهر الأربعة التي جعلت لهم ، فمن قال إنها
 شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب ، وسميت حرما تغليبا
 للأكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثاني : فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ (فاقتلوا المشركين حيث
 وجدتموهم) ناسخة لكل موادة في القرآن وقيل إنها نسخت أيضا فيما منا بعد وإمفاد ، وقيل بل نسختها
 هي فيجوز المنة والقداء (وخذوهم) معناه الأسر ، والأخيد هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على
 الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة
 والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، والآية في معنى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم
 «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وبقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» (فخلوا سبيلهم) تأمين لهم (وإن
 أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أي استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم
 أم لا (ثم أبغى مأمته) أي إن لم يسلم فردّه إلى موضعه ، وهذا الحكم ثابت عند قوم ، وقال قوم نسخ بالقتال
 (كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد
 الحرام) قيل المراد قريش ، وقيل قبائل بني بكر (فما استقاموا) مازلفية (كيف) تأكيد الأولى ، وحذف
 الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أي لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القرابة ، وقيل
 الخلف ، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من قضى له بالإيمان (أمة الكفر) أي رؤساء أهله قيل لهم
 أبو جهل لعنه الله ، وأميه بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحكى ذلك
 الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قدماء قبل نزول هذه السورة ، والأحسن أنها على العموم (لا إيمان

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوْا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ فِي أُولَئِكَ يَوْمٍ كَثِيرٍ عَذَابًا عَظِيمًا ۝
 ۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱
 ۴۷۲
 ۴۷۳
 ۴۷۴
 ۴۷۵
 ۴۷۶
 ۴۷۷
 ۴۷۸
 ۴۷۹
 ۴۸۰
 ۴۸۱
 ۴۸۲
 ۴۸۳
 ۴۸۴
 ۴۸۵
 ۴۸۶
 ۴۸۷
 ۴۸۸
 ۴۸۹
 ۴۹۰
 ۴۹۱
 ۴۹۲
 ۴۹۳
 ۴۹۴
 ۴۹۵
 ۴۹۶
 ۴۹۷
 ۴۹۸
 ۴۹۹
 ۵۰۰
 ۵۰۱
 ۵۰۲
 ۵۰۳
 ۵۰۴
 ۵۰۵
 ۵۰۶
 ۵۰۷
 ۵۰۸
 ۵۰۹
 ۵۱۰
 ۵۱۱
 ۵۱۲
 ۵۱۳
 ۵۱۴
 ۵۱۵
 ۵۱۶
 ۵۱۷
 ۵۱۸
 ۵۱۹
 ۵۲۰
 ۵۲۱
 ۵۲۲
 ۵۲۳
 ۵۲۴
 ۵۲۵
 ۵۲۶
 ۵۲۷
 ۵۲۸
 ۵۲۹
 ۵۳۰
 ۵۳۱
 ۵۳۲
 ۵۳۳
 ۵۳۴
 ۵۳۵
 ۵۳۶
 ۵۳۷
 ۵۳۸
 ۵۳۹
 ۵۴۰
 ۵۴۱
 ۵۴۲
 ۵۴۳
 ۵۴۴
 ۵۴۵
 ۵۴۶
 ۵۴۷
 ۵۴۸
 ۵۴۹
 ۵۵۰
 ۵۵۱
 ۵۵۲
 ۵۵۳
 ۵۵۴
 ۵۵۵
 ۵۵۶
 ۵۵۷
 ۵۵۸
 ۵۵۹
 ۵۶۰
 ۵۶۱
 ۵۶۲
 ۵۶۳
 ۵۶۴
 ۵۶۵
 ۵۶۶
 ۵۶۷
 ۵۶۸
 ۵۶۹
 ۵۷۰
 ۵۷۱
 ۵۷۲
 ۵۷۳
 ۵۷۴
 ۵۷۵
 ۵۷۶
 ۵۷۷
 ۵۷۸
 ۵۷۹
 ۵۸۰
 ۵۸۱
 ۵۸۲
 ۵۸۳
 ۵۸۴
 ۵۸۵
 ۵۸۶
 ۵۸۷
 ۵۸۸
 ۵۸۹
 ۵۹۰
 ۵۹۱
 ۵۹۲
 ۵۹۳
 ۵۹۴
 ۵۹۵
 ۵۹۶
 ۵۹۷
 ۵۹۸
 ۵۹۹
 ۶۰۰
 ۶۰۱
 ۶۰۲
 ۶۰۳
 ۶۰۴
 ۶۰۵
 ۶۰۶
 ۶۰۷
 ۶۰۸
 ۶۰۹
 ۶۱۰
 ۶۱۱
 ۶۱۲
 ۶۱۳
 ۶۱۴
 ۶۱۵
 ۶۱۶
 ۶۱۷
 ۶۱۸
 ۶۱۹
 ۶۲۰
 ۶۲۱
 ۶۲۲
 ۶۲۳
 ۶۲۴
 ۶۲۵
 ۶۲۶
 ۶۲۷
 ۶۲۸
 ۶۲۹
 ۶۳۰
 ۶۳۱
 ۶۳۲
 ۶۳۳
 ۶۳۴
 ۶۳۵
 ۶۳۶
 ۶۳۷
 ۶۳۸
 ۶۳۹
 ۶۴۰
 ۶۴۱
 ۶۴۲
 ۶۴۳
 ۶۴۴
 ۶۴۵
 ۶۴۶
 ۶۴۷
 ۶۴۸
 ۶۴۹
 ۶۵۰
 ۶۵۱
 ۶۵۲
 ۶۵۳
 ۶۵۴
 ۶۵۵
 ۶۵۶
 ۶۵۷
 ۶۵۸
 ۶۵۹
 ۶۶۰
 ۶۶۱
 ۶۶۲
 ۶۶۳
 ۶۶۴
 ۶۶۵
 ۶۶۶
 ۶۶۷
 ۶۶۸
 ۶۶۹
 ۶۷۰
 ۶۷۱
 ۶۷۲
 ۶۷۳
 ۶۷۴
 ۶۷۵
 ۶۷۶
 ۶۷۷
 ۶۷۸
 ۶۷۹
 ۶۸۰
 ۶۸۱
 ۶۸۲
 ۶۸۳
 ۶۸۴
 ۶۸۵
 ۶۸۶
 ۶۸۷
 ۶۸۸
 ۶۸۹
 ۶۹۰
 ۶۹۱
 ۶۹۲
 ۶۹۳
 ۶۹۴
 ۶۹۵
 ۶۹۶
 ۶۹۷
 ۶۹۸
 ۶۹۹
 ۷۰۰
 ۷۰۱
 ۷۰۲
 ۷۰۳
 ۷۰۴
 ۷۰۵
 ۷۰۶
 ۷۰۷
 ۷۰۸
 ۷۰۹
 ۷۱۰
 ۷۱۱
 ۷۱۲
 ۷۱۳
 ۷۱۴
 ۷۱۵
 ۷۱۶
 ۷۱۷
 ۷۱۸
 ۷۱۹
 ۷۲۰
 ۷۲۱
 ۷۲۲
 ۷۲۳
 ۷۲۴
 ۷۲۵
 ۷۲۶
 ۷۲۷
 ۷۲۸
 ۷۲۹
 ۷۳۰
 ۷۳۱
 ۷۳۲
 ۷۳۳
 ۷۳۴
 ۷۳۵
 ۷۳۶
 ۷۳۷
 ۷۳۸
 ۷۳۹
 ۷۴۰
 ۷۴۱
 ۷۴۲
 ۷۴۳
 ۷۴۴
 ۷۴۵
 ۷۴۶
 ۷۴۷
 ۷۴۸
 ۷۴۹
 ۷۵۰
 ۷۵۱
 ۷۵۲
 ۷۵۳
 ۷۵۴
 ۷۵۵
 ۷۵۶
 ۷۵۷
 ۷۵۸
 ۷۵۹
 ۷۶۰
 ۷۶۱
 ۷۶۲
 ۷۶۳
 ۷۶۴
 ۷۶۵
 ۷۶۶
 ۷۶۷
 ۷۶۸
 ۷۶۹
 ۷۷۰
 ۷۷۱
 ۷۷۲
 ۷۷۳
 ۷۷۴
 ۷۷۵
 ۷۷۶
 ۷۷۷
 ۷۷۸
 ۷۷۹
 ۷۸۰
 ۷۸۱
 ۷۸۲
 ۷۸۳
 ۷۸۴
 ۷۸۵
 ۷۸۶
 ۷۸۷
 ۷۸۸
 ۷۸۹
 ۷۹۰
 ۷۹۱
 ۷۹۲
 ۷۹۳
 ۷۹۴
 ۷۹۵
 ۷۹۶
 ۷۹۷
 ۷۹۸
 ۷۹۹
 ۸۰۰
 ۸۰۱
 ۸۰۲
 ۸۰۳
 ۸۰۴
 ۸۰۵
 ۸۰۶
 ۸۰۷
 ۸۰۸
 ۸۰۹
 ۸۱۰
 ۸۱۱
 ۸۱۲
 ۸۱۳
 ۸۱۴
 ۸۱۵
 ۸۱۶
 ۸۱۷
 ۸۱۸
 ۸۱۹
 ۸۲۰
 ۸۲۱
 ۸۲۲
 ۸۲۳
 ۸۲۴
 ۸۲۵
 ۸۲۶
 ۸۲۷
 ۸۲۸
 ۸۲۹
 ۸۳۰
 ۸۳۱
 ۸۳۲
 ۸۳۳
 ۸۳۴
 ۸۳۵
 ۸۳۶
 ۸۳۷
 ۸۳۸
 ۸۳۹
 ۸۴۰
 ۸۴۱
 ۸۴۲
 ۸۴۳
 ۸۴۴
 ۸۴۵
 ۸۴۶
 ۸۴۷
 ۸۴۸
 ۸۴۹
 ۸۵۰
 ۸۵۱
 ۸۵۲
 ۸۵۳
 ۸۵۴
 ۸۵۵
 ۸۵۶
 ۸۵۷
 ۸۵۸
 ۸۵۹
 ۸۶۰
 ۸۶۱
 ۸۶۲
 ۸۶۳
 ۸۶۴
 ۸۶۵
 ۸۶۶
 ۸۶۷
 ۸۶۸
 ۸۶۹
 ۸۷۰
 ۸۷۱
 ۸۷۲
 ۸۷۳
 ۸۷۴
 ۸۷۵
 ۸۷۶
 ۸۷۷
 ۸۷۸
 ۸۷۹
 ۸۸۰
 ۸۸۱
 ۸۸۲
 ۸۸۳
 ۸۸۴
 ۸۸۵
 ۸۸۶
 ۸۸۷
 ۸۸۸
 ۸۸۹
 ۸۹۰
 ۸۹۱
 ۸۹۲
 ۸۹۳
 ۸۹۴
 ۸۹۵
 ۸۹۶
 ۸۹۷
 ۸۹۸
 ۸۹۹
 ۹۰۰
 ۹۰۱
 ۹۰۲
 ۹۰۳
 ۹۰۴
 ۹۰۵
 ۹۰۶
 ۹۰۷
 ۹۰۸
 ۹۰۹
 ۹۱۰
 ۹۱۱
 ۹۱۲
 ۹۱۳
 ۹۱۴
 ۹۱۵
 ۹۱۶
 ۹۱۷
 ۹۱۸
 ۹۱۹
 ۹۲۰
 ۹۲۱
 ۹۲۲
 ۹۲۳
 ۹۲۴
 ۹۲۵
 ۹۲۶
 ۹۲۷
 ۹۲۸
 ۹۲۹
 ۹۳۰
 ۹۳۱
 ۹۳۲
 ۹۳۳
 ۹۳۴
 ۹۳۵
 ۹۳۶
 ۹۳۷
 ۹۳۸
 ۹۳۹
 ۹۴۰
 ۹۴۱
 ۹۴۲
 ۹۴۳
 ۹۴۴
 ۹۴۵
 ۹۴۶
 ۹۴۷
 ۹۴۸
 ۹۴۹
 ۹۵۰
 ۹۵۱
 ۹۵۲
 ۹۵۳
 ۹۵۴
 ۹۵۵
 ۹۵۶
 ۹۵۷
 ۹۵۸
 ۹۵۹
 ۹۶۰
 ۹۶۱
 ۹۶۲
 ۹۶۳
 ۹۶۴
 ۹۶۵
 ۹۶۶
 ۹۶۷
 ۹۶۸
 ۹۶۹
 ۹۷۰
 ۹۷۱
 ۹۷۲
 ۹۷۳
 ۹۷۴
 ۹۷۵
 ۹۷۶
 ۹۷۷
 ۹۷۸
 ۹۷۹
 ۹۸۰
 ۹۸۱
 ۹۸۲
 ۹۸۳
 ۹۸۴
 ۹۸۵
 ۹۸۶
 ۹۸۷
 ۹۸۸
 ۹۸۹
 ۹۹۰
 ۹۹۱
 ۹۹۲
 ۹۹۳
 ۹۹۴
 ۹۹۵
 ۹۹۶
 ۹۹۷
 ۹۹۸
 ۹۹۹
 ۱۰۰۰

لهم) أى لا إيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لا إيمان بكسر الهمزة (لعلهم ينتهون) يتعلق بقاتلوا (وهموا بإخراج الرسول) قيل يعنى إخراجهم من المدينة حين قاتلوه بالحدق وأحد ، وقيل يعنى إخراجهم من مكة إذ اتشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وهم بدهوكم أول مرة) يعنى إذ أتيهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمكة (يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأسر وفى ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استثناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم) الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ، (يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليجة) أى بطانة (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد ، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم فى التلبية لا شريك لك إلا شريك هو لك (أجعلتم سقاية الحاج) الآية : سبها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن منبه افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندى مفاتيحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال على لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة

هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَدْيَنَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِمَّا الْمَشْرُكُونَ بَحْسًا فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (فتربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قيل يعني فتح مكة ، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على موطن أو منصوب بفعل مضمرة ، وهذا أحسن لوجهين : أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثيرتم مختص بحنين ، ولا يصح في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك ، والآخر أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات ، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكر (إذ أعجبتكم كثيرتم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا ، فقال بعضهم : لن تغلب اليوم من قلة فأراد الله إظهار عجزهم فقر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقي على بغلته في نفر قليل ، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهدت الوجوه ، ونادى بأصحابه فرجعوا إليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة في السير (بما رحبت) أي ضاقت على كثرة اتساعها وما هنا مصدرية (وأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) يعني الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إمما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام ، فأجمع العلماء على ذلك ، وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد ، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلها الشافعي عامة في الكفار خاصة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره . وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره (بعد عامهم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس ، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم عيلة) أي فقرا ، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة يخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها ، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله ، فأسلمت العرب كلها وتمادى جناب الأطمعة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عذير ابن الله ، وقول النصارى

أَتُوا الْكُتُبَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۚ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ
 الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَا اللَّهَ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا
 آجَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *
 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإيهم لا يقولون بالمعاد والحساب
 (ولا يجرمون ما حرم الله وسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق)
 أى لا يدخلون فى الإسلام (من الذين أتوا الكتاب) بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء
 على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنواهم سنة أهل
 الكتاب ، واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ، وقدرها عند
 مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يد)
 فيه تاويلان : أحدهما دفع الذمى لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمتل بها كقولك يدأ بيده ، الثانى عن استسلام
 وانقياد كقولك ألقى فلان بيده (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة
 قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، و نعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم
 يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينسكروها
 حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرا وحده فعلها لهم فقالوا ما علم
 الله عزير التوراة إلا أنه ابنه ، وعزير مبتدأ ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمى لا ينصرف وقيل بل
 هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نونه فجعله عربيا (وقالت النصارى المسيح
 ابن الله) قال أبو المعالى : أطلقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن
 معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد فى ذلك ، والثانى أنهم لا حاجة لهم فى ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى
 كقولك لمن تكذبه هذا قول بلسانك (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) معنى يضاهون يشابهون ،
 فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة
 بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم
 من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيل
 معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا آجبارهم و رهبانهم أربابا) أى
 أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم (والمسيح) معطوف على الآجبار والرهبان (وما أمروا إلا ليعبدوا
 إلهًا واحدًا) أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفئوا نور الله) أى يريدون
 أن يطفئوا نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وما جاء به من عبادة الله وتوحيده (بأفواههم) إشارة

إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا
 جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ
 اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ
 أَنْفُسَكُمْ وَقَتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَالِمُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
 يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّوْنَهُ عَامًا وَيَحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ
 أَعْمَلَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ
 إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنْفِرُوا

إلى أفواهم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا (ليظهره على الدين)
 الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق
 والمغرب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس
 بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكتزون الذهب والفضة) ورد في الحديث أن كل من
 آذيت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وقال أبو ذر وجماعة من الزهاد كلما فضل عن حاجة
 الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى ، وقيل هي الفضة ، واكتفى
 في ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد (يوم يحمى) العامل في الظرف أليم أو محذوف (عليها) الضمير يعود
 على ما يعود عليه ضمير ينفقونها (اثنا عشر شهرا) هي الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذوالحجة ، وكان الذي
 جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ ، وقيل في
 القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هي رجب وذوالقعدة وذوالحجة
 والمحرم (ذلك الدين القيم) يعني أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب
 قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الضمير في قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لامرها
 وتغليظا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها ، وقيل الضمير للثلاثي عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول
 أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أي قاتلوا في الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال
 من الفاعل أو المفعول (إنما النسئ) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب
 حروب وإغارات ، وكانت محزمة عليهم في الأشهر الحرم فيشوق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام ويحرمون
 شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل في العام أربعة أشهر محرمة (يحلونه عاما
 ويحرمونه عاما) أي تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العام حقيقة (ليؤطوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا
 عدد الأشهر الحرم وهي أربعة (فيحلوا ما حرم الله) يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم (ما لكم إذا قيل لكم

يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا خُرُوجَنَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لِكُلِّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَافِرِينَ *

انفروا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبرك (انما قلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم ، وأصل انما قلتم ثنا قلتم (إلا تنفروا يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب في الدنيا والآخرة (إلا تنصروه فقد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ، فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أتم فسننصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين ، فدل بقوله نصره الله على نصره في المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعني خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة ، وأسند إخراجهم إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه (ثاني اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعني أبا بكر (إن الله معنا) يعني بالنصر والالطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبي بكر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها الرسول عليه السلام (وأيدته بجنود لم تروها) يعني الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحضها (وكلمة الله هي العليا) قيل هي لا إله إلا الله ، وقيل الدين كله (انفروا خفافا وثقالا) أمر بالتنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الغني والثقل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقل الشيخ ، وقيل الخفيف النشط ، والثقل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كان عرضا قريبا) الآية : نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فنقلت عنهم فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه (بعدت عليهم الشقة) أي الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه له ، وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصحابك الله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنوه في العقود ، فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم ، فحينئذ كان يقعد

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلَلَكُمْ يَيْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِي الْأَفِي الْفِتْنَةَ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصَبَّكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَاسْتَوَكِلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا

العاصي والمنافق ويسافر المطيع (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية : لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أى شككت، ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس (ولو أرادوا الخروج) الآية . أى لو كانت لهم نية في الغزو والاستعداد له قبل أو انه (انبعاثهم) أى خروجهم (ثببطهم) أى كسر عزهم وجعل في قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدین) أى مع النساء والصبيان وأهل الأعداء ، وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء (لو خرجوا فيكم ما زادكم إلا خبالا) أى شرا وفسادا (ولا وضعوا) أى أسرعوا السير، والإيضاح سرعة السير ، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنيمة (خلالكم) أى بينكم (يبغونكم الفتنة) أى يحاولون أن يفتنوك (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم (لقد ابغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين (وقلبوا لك الأمور) أى دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سعيهم (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) لما دعا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين : ائذن لي في القعود ولا تفتني برؤية بنى الأصفر فإنى لأصبر عن النساء (ألا في الفتنة سقطوا) أى وقعوا في الفتنة التي فروا منها (إن تصبك حسنة تسؤهم) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى ما قدر وقضى ، وهذا رد على المنافقين (قل هل ترصدون بنا إلا إحدى الحسينين) أى هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت في سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن (بعذاب من عنده) المصائب وما ينزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعنى القتل (فترصدوا) تهديد (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَخْلَفُونَ بِاللَّهِ إِيْمَانَهُمْ لِمَنْكُمُ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَخْفَىٰ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأَ أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُمْ مَن يَلْتَمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذًا هُمْ يُسَخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَبَاءِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذن

فاحتاج إلى جواب : والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعاً أو كرها ، والطوع والكره عموم في الإنفاق أى لن يتقبل على كل حال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم ، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل ما منعهم ، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قيل العذاب في الدنيا بالمصائب ، وقيل ما ألزموا من أداء الزكاة (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويخلفون بالله إنهم لمنكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى ما يلجأ إليه من المواضع (أو مغارات) هى الغيران فى الجبال (أو مدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أو سرب فى الأرض (يجمحون) أى يسارعون (ومنهم من يلتزم فى الصدقات) أى يعيبك على قسمتها والآية فى المنافقين كالتى قبلها وبعدها ؛ وقيل فى ذى الخويصرة الذى قال عدل يا محمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وويلك إن لم أعدل فمن يعدل الحديث ، (ولو أنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيما هو خير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة فى هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها فى هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ، فله أن يجعلها فى بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيباً فى الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أو سقط للاستغناء عنهم (وفى الرقاب) يعنى العبيد يشترطون ويعتقون (والغارمين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولا سرف (وفى سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترط منها آلات الحرب واختلف هل تصرف فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

قُلْ أَذِنُ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ جِبَادِ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَنَارَ جَهَنَّمَ خَلْدًا فِيهَا ذَلِكَ الْحَزْنُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تَنْبِئُهُمْ
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَزِرُّوا إِنَّا لِلَّهِ نَخْرُجُ مَا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبَلَمْ يَأْتِكُمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذَّبُ
طَائِفَةً بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمُسْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

حقاً محدوداً : ونصبه على المصدر ، فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب
أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله
ومنهم من يلزمك في الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبي) يعنى من المنافقين وإذا تبهم للنبي صلى الله عليه
وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل ما يقال له ويصدق ، ويقال إن قائل هذه المقالة هو
نبيل بن الحارث وكان من مرءة المنافقين وقيل عتاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير والحق (ويؤمن
للمؤمنين) أى يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل إلى وتعدى يؤمن بالله بالباء
(ورحمة) بالرفع عطف على أذن ، وبالخفض على خير (يخلفون) يعنى المنافقين (والله ورسوله أحق أن يرضوه)
تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية للدلالة الأولى عليها ، وقيل
إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد (من يجادل الله) يعنى من يعادى ويخالف (فإن له) إن هنا مكررة
تأكيداً الأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهى في موضع خبر مبتدأ مخذوف (يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم) يعنى في شأنهم سورة على النبي صلى الله عليه وسلم والضمار في عليهم وتنبههم وقلوبهم
تعود على المنافقين ، وقال الزمخشري إن الضمير في عليهم وتنبههم للمؤمنين ، وفي قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر
(قل استهزؤا) تهديد (إن الله يخرج ما تحذرون) صنع ذلك بهم في هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض
ونلعب) نزلت في وداعة بن ثابت بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيئات هيئات ،
فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نعف عن طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه مخضن تاب
ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفي لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله)
أى غفلوا عن ذكره (فنسيتهم) تركهم من رحمته وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل في الشر أن يقال أوعد ،
وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعنى المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين
والكاف في موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ، أو في موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِمَ كَالَّذِي خَاضُوا أَوْلَاسِكَ حَبَطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَاسِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ هـ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَاسِكَ سِيرِحُهُمْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هـ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبئسَ الْمَصِيرُ هـ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا

من قبلكم (وخضتم) أى خلطتم وهو مستعار من الخوض فى الماء ، ولا يقال إلا فى الباطل من الكلام (كالذى خاضوا) تقديره كالخوض الذى خاضوا ، وقيل كالذين خاضوا ، فالذى هنا على هذا بمعنى الجميع (ألم يأتهم) الآية : تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبيّنات) أى بالمعجزات (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية (جنات عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعظمها ، وقال الزمخشري هو اسم علم (ورضوان من الله أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل ما ذكر وذلك معنى ما ذكر فى الحديث إن الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون ياربنا أى شىء تزيدنا ؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم ، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق ، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد الرحمة والرأفة ، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك (يخلفون بالله ما قالوا) نزلت فى الجلاس بن سويد ، فإنه قال إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقراه عليه فحلف أنه ما قاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ما تقدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب (وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إيمانهم ، لأنهم كانوا يقولون بأسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم (وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس يقتل من بلغ تلك الكلمة عنه ، وقيل هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل الآية نزلت فى عبد الله بن أبى بن سلول ، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمى كلبك يا كلك ، وهم بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (وما نقموا إلا أن أغناهم الله) أى ما عابوا إلا الغنى الذى كان حقه أن يشكروا عليه ، وذلك فى الجلاس أو فى عبد الله بن أبى (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
 آتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَ وَلَنَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ *
 فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
 وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *
 فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا
 لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

الجلال وحسن حاله (ومنها من عاهد الله) الآية : نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وذلك أنه قال يارسول الله ادع
 الله أن يكثر مالي فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير
 لا تعطيقه ، فأعاد عليه حتى دعا له فكثرت ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة ، فنزلت فيه
 الآية فجاء بركاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه ، وقال إن الله أمرني أن لا أخذ زكاتك
 ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمرو ولا عثمان (بخلوا به) إشارة إلى منعه الزكاة (فأعتبهم نفاقا) عقوبة على العصيان
 بما هو أشد منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاته على النفاق (الذين يلزمون المطوعين) نزلت في المناققين حين تصدق
 عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق
 بكثير (والذين لا يجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدررون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت في أبي عقيل تصدق
 بصاع من تمر ، فقال المناققون إن الله غنى عن صدقة هذا (فيسخرون منهم) أى يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية
 للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين . أحدهما أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ،
 ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة المناققين ، والآخر أن يكون تخيير
 كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح لقول رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرني فاخترت ، وذلك حين قال عمر أتصلى على عبد الله بن أبي وقدة نهاك الله
 عن الصلاة عليه (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم الله
 عن بدر وأقعدهم عنه ، وفى هذا تحقير وذم لهم ، ولذلك لم يقل المتخلفون (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف
 رسول الله) أى بعده حين خرج إلى تبوك ، بخلاف على هذا ظرف ، وقيل هو مصدر من خلف فهو
 على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا في الحر) قائل هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه
 السفر إلى تبوك في الحر (فليضحكوا قليلا وليسكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة
 بقائهم فيها وبكأؤم الكثير في الآخرة ؛ وقيل هو بمعنى الأمر أى يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويكون كثيرا

يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا
مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ
رَسُولِهِ أُسْتَذْنِكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ
لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ عَلَيْهِمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ

في الدنيا لما وقعوا فيه (إلى طائفة منهم) إنما يقل اليهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف (لن يخرجوا
معي أبدا) عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ (أول مرة) يعني في غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أي مع القاعد
وهم النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول ، وصلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه
وسلم لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فبذ ثوبه ، وتلا عليه : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية ،
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (وإذا أنزلت سورة) قيل يعني براءة والأرجح
أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنتك أولو الطول منهم) أي أولو الغنى والمال الكثير
(لكن الرسول) الآية أي إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تعم منافع الدارين وقيل
هي الحور العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعتذرون) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء في الذال ونقلت
حركتها إلى العين واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر في
الامر إذا قصر فيه ولم يجد فوزه على هذا المفعولون وروى أنها نزلت في قوم من غفار (وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا في دعواهم الإيمان
(سيصيب الذين كفروا منهم) أي من المعتذرين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع للحرج
عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذ تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان
وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت في بني مقرن وهم ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم وقيل في عبد الله بن مغفل المزني (إذا نصحوا لله) يعني بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

مَا أَحْمَلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَنَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَىٰ * رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْتَدِرُونَ
إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضُوا
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً * بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ
فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَارِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَ قُرْبَةً لَهُمُ سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّابِقُونَ
الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمِنَ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَآخَرُونَ

للغزو (ماعلى المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف
واللوم (ولاعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتى
وهم البكاؤون ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لأجد ما أحملكم) أو تولوا إذا
رجعتم يعني من غزوة تبوك (لن تؤمن لكم) لن نصدقكم (من أخباركم) نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني
تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادي من العرب (وأجد أن
لا يعلموا حدود ما أنزل الله) يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم (ومن
الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) أى تنقل عليهم الزكاة والنفقة فى سبيل الله ثقل المغرم الذى ليس بحق
عليه (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر بكم مصائب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أو دعاء (وصلوات الرسول)
أى دعواته لهم وهو عطف على قربات أى يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل
نزلت فى بنى مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى للقبليتين وقيل من شهد بدرًا وقيل من حضر بيعة الرضوان
(والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل فى ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق)
أى اجترأوا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار
وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق (وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خذ
من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا
أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم * وقل اعملوا فسيري الله عملكم
ورسوله والمؤمنون وستردون إلى علم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * وآخرون مرجون
لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم * والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً
بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلاّ الحسنى والله يشهد إنهم

اعترفوا بذنوبهم) الآية: قيل إنها نزلت في أبي لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيئ نصيحته لبني قريظة وقيل هو ان
تخلف عن تبوك من المؤمنين فعلمهم الصالح ما سبق لهم وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك وروى أنهم ربطوا
أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هي عامة
في الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة)
قيل نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا
فنزلت هذه الآية وأخذت أموالهم وقيل هي الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم
وتزكّيهم بها) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير في خذ
(وصلّ عليهم) أي ادع لهم (سكن لهم) أي تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة
نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير في يعلموا للنايبين
من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة
دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل
هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرئ مرجئون بالهمز
وتركوهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجداً) قرئ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون
أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار،
وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجئين أنهم
الثلاثة الذين خلفوا (ضراراً وكفراً) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه فحسداهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف
فبنوا مسجداً آخر مجاوراً له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء وذلك هو الضرار الذي قصدوا وسألوا
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه في هذه الآية (وتفريقاً بين
المؤمنين) أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي انتظارا
لمن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان
من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة

لَكَذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّهِ رِجَالٌ يَجْبُونَ أَنْ
يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَنْ أُسِّسَ بِنِيَانِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مِنْ أُسِّسَ بِنِيَانِهِ عَلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكُّوعُونَ
الْخَائِبُونَ

فحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام
ليستصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد
والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى الصلاة
وذكر الله فأكذبهم الله فى ذلك (لا تقم فيه أبداً) نهى عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر
بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء ، وقيل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقدرى ذلك
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت
فى الأنصار على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد المدينة ، ونزلت فى بنى عمرو بن عوف
خاصة على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفن أسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير أم أسس بنيانه على شفا جرف هار) الآية : استفهام بمعنى التقرير ، والذى أسس
على التقوى والرضوان : مسجد المدينة أو مسجد قباء ، والذى أسس على شفا جرف هار : هو مسجد الضرار ،
وتأسيس البناء على التقوى والرضوان : هو بحسن النية فيه ، وقصد وجه الله ، وإظهار شرعه ، والتأسيس
على شفا جرف هار : هو بفساد النية ، وقصد الرياء ، والتفريق بين المؤمنين ، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه
البديع ، ومعنى شفا جرف : طرفه ، ومعنى هار : ساقط أو واهى ، بحيث أشنى على السقوط ، وأصل هار :
هائر ، فهو من المقلوب ، لأن لأمه جعلت فى موضع العين (فانهار به فى نار جهنم) أى طاح فى جهنم ، وهذا
ترشيح للجواز ، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذى هو من شأن الجرف ، وقيل إن ذلك حقيقة ،
وأنه سقط فى نار جهنم وخرج الدخان من موضعه ، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله
وسلم أمر بهدمه فهدم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبية فى قلوبهم) أى لا يزال فى قلوب أهل مسجد الضرار
ريبية من بنيانه : أى شك فى الإسلام بسبب بنيانه ، لاعتقادهم صواب فعلهم : أو غيظ بسبب هدمه (إلا أن
تقطع قلوبهم) أى إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت فى بيعة العقبة
وحكمها عام فى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله إلى يوم القيامة ، قال بعضهم ما أكرم الله ، فإن أنفسنا هو خلقها ،
وأموالنا هو رزقها ، ثم وهبها لنا ، ثم اشترانا منا بهذا الثمن الغالى ، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون فى سبيل الله)
جملة فى موضع الحال بيان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع : البائع فيه

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *
 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسِينُوا فِي سُبُلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكٌ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
 وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ
 بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتِ عَلَيْهِمْ
 أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ

رب العلا والثلث جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) وما بعده : أوصاف
 للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ،
 ويقال ساح في الأرض : أى ذهب (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت في شأن
 أبي طالب فإنه لما امتنع أن يقول لا إله إلا الله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
 والله لا استغفرن لك ما لم أنه عنك ، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
 استأذن ربه أن يستغفر لآمه فنزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت
 الآية (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) المعنى لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم
 لأبيه ، فإن ذلك لم يكن إلا لوعده تقدم ، وهو قوله سأستغفر لك ربى (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل
 تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر ، وقيل لأنه نهى عن الاستغفار له (لاواه) قيل كثير الدعاء ، وقيل موقن ،
 وقيل فقيه ، وقيل كثير الذكر لله ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وما كان الله ليضل قوما) الآية : نزلت
 في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيدهم أى ما كان
 الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (في ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة
 هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم)
 يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج في تلك الغزوة لمارأوا من الضيق والمشقة ، وفي كاد
 ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا
 يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلفوا
 عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد للخيانة ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 عتب عليهم ، وأمر أن لا يكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله
 توبتهم ، وقدرى حديثهم في البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

خلفوا عن قبول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتدروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله فى الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ما كان لأهل المدينة) الآية : عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التى تحملها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تعليل لما يجب من عدم التخلف (ظمأ) أى عطش (ولانصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى جوع (ولا يطؤون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نيلا) عموم فى كل ما يصاب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية فى البعوث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينبغي خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها ، وقيل هى ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هى فى طلب العلم ومعناها : أنه لا تجب الرحلة فى طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تخصيص على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقهوا فى الدين) إن قلنا إن الآية فى الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير فى يندروا وفى رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية فى السرايا ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تقعد فى المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير فى رجعوا فهو للفرقة التى خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدرج ، وقيل لأنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَأَعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَفَسَّخْنَا مِنْ يَمِينِنَا أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
 إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
 رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
 يَذَكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
 بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
 رَحِيمٌ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝

عمها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا) أى
 من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أياكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى
 عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة
 عند نزول كل سورة (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والنفاق
 والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أوزادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون
 أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما
 يكشف من سرائرهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف
 بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خرفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم
 إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد)
 أى هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد
 الانصراف بالأبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم
 لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، والخطاب
 للعرب أولقرش خاصة أى من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته وأولبني آدم كلهم: أى من جنسكم
 وقرى من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه ما عنتم) أى يشق عليه عنتكم ، والعنت : هو ما يضرهم
 فى دينهم أو دنياهم وعزيز صفة للرسول ، وما عنتم فاعل بعزير ، وما مصدرية أو ما عنتم مصدر ، وعزيز خبر مقدم
 والجملة فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤوف رحيم) سماه
 الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا فقل حسبي الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستعن بالله وتوكل عليه
 وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة

سورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ آيَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِمَّنْ شَفِيعٌ إِلَّا مَنْ بَعَدَ ۚ إِنَّهُ ذَا لِكَمٍّ اللَّهُ بِكُمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

سورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أي أحكمه الله (أ كان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمزة للانكار، وعجبا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحى، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يعث الله رجلا (قدم صدق) أي عمل صالح فرموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا سحر مبين) يعنون ما جاءه من القرآن، وقرئ لساحر يعنون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبرا مستأنفا (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أَدْعُوكُمْ إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين (ممن شفيع إلا من بعد إذنه) أي ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقا) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يبدؤه في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبداءة دليل على العودة (ليجزى) تعليل للعودة وهي البعثة (بالقسط) أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور (وقدره منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره في منازل (والحساب) يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أي

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيِّتَ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعَوْهُمْ فِيهَا
سَبِّحْكَ اللَّهُمَّ وَحَمِّدْكَ فِيهَا وَسَلِّمْ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
أَسْتَعْبَاهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضَّرُّ دَعَا نَجْوَاهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْمِهِ كَذَلِكَ زَيْنُ
لِّلسُّرِّينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلْفًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ . وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا بُرِّئْنَا مِنْهُ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَاتَلَتْهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ

ما خلقه عبثا ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من المخلوقات (إن الذين لا يرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا
يخافون ، وقيل لا يرجون حسن لقاءنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لا يرجون : لا يتوقعون أصلا ، ولا يخطر
ببالهم (ورضوا بالحياة الدنيا) أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيهم (واطمأننوا بها) أي سكنت أنفسهم عن
ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى ، فيكون من عطف
الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أي يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم
في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أي دعائهم (ولو يعلم الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أي لو يعلم الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا ،
ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت في الذين قالوا : إن كان هذا هو
الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب في ضمنه نهى لمن يدعو الله
عند الضر ، ويفعل عنه عند العافية (لجنبه) أي مضطجعا ، وروى أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض
كان به (ولقد أهلكنا القرون) إخبار ضمنه وعيد للكفار (لننظر) معناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة
به (وإذا تنلى عليهم) يعني على قريش (قل لو شاء الله مالتوته عليكم) أي مالتوته إلا بمشيئة الله ، لأنه من عنده
وما هو من عندي (ولا أدراكم به) أي ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أي بقيت بينكم
أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنزَلْ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَاتَنْظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا مَكْرُونَ * هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِين بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَجَبْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَلْبِئْهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

تنصل من الافتراء على الله وبيان إبراهته صلى الله عليه وآله وسلم مما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) بيان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير في يعبدون لكفار العرب ، وما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الأصنام (ويقولون هؤلا شفعلونا عند الله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) رد عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام ، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض ، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء فقوله أتنبئون الله تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم في البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها ، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فانتظروا) أى انتظروا نزول ما اقترحتموه (إني معكم من المنتظرين) أى منتظر لعقابكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية في الكفار وتضمنت النهي لمن كان كذلك من غيرهم ، والمكرهنا الطعن في آيات الله وترك شكره ، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرًا مشاكلة لفعالهم ، وتسمية للعقوبة باسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث في جرين للفلك ، والضمير في بهم للناس ، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة ، وهو يسمى الالتفات ، وجواب إذا كنتم : قوله جاءها ربيع عاصف ، وقوله دعوا الله ، قال الزمخشري هو بدل من ظنوا ، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره : وذلك

الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝
 وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَمَا مَآءٌ أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُكُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

متاع، أو يكون خبر إنما بغيركم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماه أنزلناه من السماء) معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فناؤها وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكاله (مما يأكل الناس) كالزرع والفواكه (والأنعام) يعنى المرعى التى ترعاها من العشب وغيره (أخذت الأرض زخرفها) تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلى والثياب (قادرين عليها) أى متمكنون من الارتفاع بها (أتاها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح، والصر، وغير ذلك (جعلناها حصيدا) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كأن لم تغن) كأن لم تنعم (والله يدعو إلى دار السلام) أى إلى الجنة، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب، وقيل السلام هنا اسم الله: أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهدايا خاصة بمن يشاء (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعائة، والأول أصح لوروده فى الحديث وكثرة القائلين به (قتر) أى غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوفا على الذين أحسنوا، ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها (ما لهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلمًا) من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلمًا على هذه القراءة: حال من الليل، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء، فمظلمًا صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا (تبلوا كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تلو بتاين بمعنى تتبع أو تقرأه فى المصاحف (قل من يرزقكم) الآية: احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة

تَعْمَلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ *
 وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانُوا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيْنَا فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ *
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتُخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَدِئًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَآوَعَ أُمَّتُكُمْ بِهِ آ لَشَّنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ * ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقَضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ *
 إِلَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ مَآ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ *

أى يستمعون القرآن ، وجمع الضمير بالحمل على معنى من (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لاسيما إذا انضاف إلى الصم عدم العقل (أفأنت تهدي العمى) المعنى أتريد أن تهدي العمى ، وذلك لا يكون لاسيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصرة ، والصم والعمى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبسوا إلا ساعة) تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور (ويتعارفون بينهم) يعنى يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير فى يلبسوا (وإما نرينك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم . والمعنى إن أريناك بعض عذابهم فى الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك بإلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتب الأخبار ، لا لترتيب الأمر ، قاله ابن عطية ، وقال الزمخشري : ذكرت الشهادة والمرادفة : ضاها وهو العقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (بإذ جاء رسولهم) قيل مجيئه فى الآخرة للفصل ، وقيل مجيئه فى الدنيا وهو به (ويقولون متى هذا الوعد) كلام فيه استبعاد واستخفاف (بيانا) أى بالليل (ماذا يستعجل منه الجحشرون) المعنى أى شئ يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أتاكم ، والجملة متعلقة بأرأيتم (أتم إذا وقع آتم به) دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وعانيتموه آتمتم به الآن ، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به (ويستنبئونك أحق هو) أى يسألونك هل الوعد حق أو هل الشرع والدين حق ، والأول أرجح ، لقوله وما أنتم بمعجزين : أى لا تفوتون من الوعد (قل إى) أى نعم (ظلمت) صفة لنفس أى لوهلك الظالم الدنيا لا افتدى بها من عذاب الآخرة (وأسروا الندامة) أى أخفوها

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۗ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظُنُّوا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِلَّا إِنْ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

في نفوسهم ، وقيل أظهرها (هو عظة من ربكم) يعنى القرآن (وشفاء لما في الصدور) أى يشفى ما فيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء في قوله فبذلك تأكيذا والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل الله أذن لكم) متعلق بأرايتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم واقترانهم ثبت اقترانهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم (وما تكون في شأن) الشأن الأمر ، والمخاطب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وجميع الخلق ، ولذلك قال في آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء (وما تتلوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ماتلوا شيئا من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والأول أرجح ، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجده (وما يعزب) ما يغيب (مقال ذرة) وزنها والذرة صغار النمل ، قال الزمخشري ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت في سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختف الناس في معنى الولي اختلافا كثيرا ، والحق فيه ما فسر الله بعد هذا بقوله . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفا لثلاث ينقطع مما قبله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أما بشرى الآخرة فهى الجنة اتفاقا ، وأما بشرى الدنيا فهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح ، وقيل ما بشر به في القرآن من الثواب (لا تبدل الكلمات الله)

لَكَلَّمَتْ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ۝ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أٰتُوا عَلٰى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلٰى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ۝ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ

أى لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبده (ولا يحزنك قولهم) يعنى ما يقوله الكفار من التكذيب (إن العزة لله) إخبار فى ضمنه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسليية له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مانافية وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون تو كيدا ، والمعنى ما يتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثانى أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، والمعنى أى شىء يتبعون على وجه التحقيق لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والعامل فى شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والنهار مبصرا) أى مضيئا تبصرون فيه الأشياء (قالوا اتخذ الله ولدا) الضمير للنصارى ولما قال إن الملائكة بنات الله (هو الغنى) وصف يقتضى نفي الولد والرد على من نسب إليه ، لأن الغنى المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد (له ما فى السموات وما فى الأرض) بيان وتأكيد للغنى ، وبقى الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم (متاع فى الدنيا) تقديره لهم متاع فى الدنيا (نوح) روى أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أى صعب وشق (مقامى) أى قيامى لو عظمكم والكلام معكم ، وقيل معناه ، كانى يعنى نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (وأجمعوا) بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذ اعزم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاؤكم) أى ماتعبدون من دون الله وإعرا به مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لا يـكـن أمركم عليكم غمة) أى لا يكون قصدكم إلى هلاكى مستورا ولكن مكشوفاً تجاهرونى به وهو من قولك غم الهلال إذا لم يظهر ، والمراد بقوله أمركم فى الموضوعين إهلاكم نوح عليه السلام ، أى لا تقصروا فى إهلاكم إن قدرتم على ذلك (ثم اقضوا إلى) أى انفذوا فيما تريدون ، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائى لكم إلى الله فاصنعوا بى غاية ما تريدون وإنى لا أبالى بكم أتوكلى

كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ
مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ سُحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحْرُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوتَنِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ۝
فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ الْقَوْمَا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ
سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ
إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الْمُتْسِرِّينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ ايَقُومِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وثقتى به سبحانه (وجعلناهم خلائف) أى يخلفون من هلك بالفرق (ثم بعثنا من بعده رسلا) يعنى
هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أسحر هذا) قيل إنه معمول أتقولون ، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف
لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم : إن هذا السحرمبين ، فكيف يستفهمون عنه ، وقيل إنه من كلام موسى
تقرير أو توبيخ لهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق
لما جاءكم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا السحرمبين ، فلما تم الكلام ابتداء موسى
توبيخهم بقوله : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبى جعفر ابن الزبير
رحمه الله (لتلفتنا) أى لتصرفنا وتردنا عن دين آباؤنا (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك ، والخطاب لموسى
وأخيه عليهما السلام (ما جئتم به السحر) ماموصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرئ آ لسحر بالاستفهام
فأعلى هذا استفهامية ، والسحر خبر ابتداء مضمرة (وبحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو
إخبار من الله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان
من بنى إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من
قوم فرعون ، وروى فى هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه ، وهذا بعيد ، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ،
ولأن الضمير ينبغى أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون وملئهم) الضمير يعود على الذرية
أى آمنت الذرية من بنى إسرائيل على خوف من فرعون وملئهم لأن الأكبر من بنى إسرائيل
كانوا يمتعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون ، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال
ربعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) بدل من فرعون (لعال فى الأرض) أى

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَبِحَنَاءٍ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَ الْقَوْمَ مَكًّا بِمِصْرَ يَبُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاستَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَوُزَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدِينِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ۝ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَايِعَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَفَاخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ

متكبر قاهر (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أي لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوء لقومك بمصر يبوأ) أي اتخذ لهم بيوتاً للصلاة والعبادة، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوء. ثم خاطب معهما بنو إسرائيل في قوله واجعلوا، فالجواب أن قوله تبوء من الأمور التي يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (وبشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر، وقيل اللام لام كى وتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أي أهلكها (واشدد على قلوبهم) أي اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشد، ودعاء بلفظ النفي (قال قد أجيبت دعوتكم) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه، (فاستقيما) أي اثبتا على ما أتيا عليه من الدعوة إلى الله (فاتبعهم فرعون) أي لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الزمخشري، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) يعنى الله عز وجل، وفي لفظ فرعون مجهولة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله (آلان وقد عصيت قبل) أي قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطراب وذلك لا يقبل منك (ننجيك) أي نبعذك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أي على موضع مرتفع (بيدك) أي بجسدك جسدا بدون روح، وقيل بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرفها والحذوف في موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلفك آية) أي لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل (مبوا صدق) منزلا حسناً وهو مصر والشام (فاختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم في دينهم وقيل اختلافهم في أمر محمد صلى

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَوْنُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَاهَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعْنَعُهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ۚ ثُمَّ نَجَّيْنَا رُسُلَنَا

الله عليه وسلم (فإن كنت في شك) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد غيره ، وقيل ذلك كقول القائل لابنه : إن كنت ابني فبرني مع أنه لا يشك أنه ابنه ، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم ، فأمره بسؤالهم ، قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، وقال الزمخشري إن ذلك على وجه الفرض والتقدير ، أى إن فرضت أن تقع في شك فاسأل (بما أزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر ، وقيل يعنى ما تقدم من أن بنى إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤون التوراة والانجيل ، قال السهيلي هم عبد الله بن سلام ومخبرق ومن أسلم من الأجار ، وهذا بعيد ، لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على الإطلاق أولى (فلا تكونن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حققت كلمة ربك) أى قضى أنهم لا يؤمنون (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للنحضيض بمعنى هلا ، وقرئ في الشاذ هلا ، والمعنى هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها : إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون (الإاقوم يونس) استثناء من القرى ، لأن المراد أهلها ، وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ، ويجوز أن يكون متصلا ، والجملة في معنى النفي كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم يونس ، وروى في قصصهم أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب ، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم (ومتعناهم إلى حين) يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمة للإنكار أى أتريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله ، وقيل المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف (انظروا) أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه لا يؤمن ، وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي (فهل ينتظرون) الآية : تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

الْإِنَّمِ يَتَذَكَّرُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ الْآحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝
 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنَّ قَلْبَكَ
 لَإِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَئِنَّ آخِرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابِ
 إِلَى أُمَّةٍ مُعَدَّةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُهَا إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝
 وَلَئِنَّ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَتِنَا إِنَّهُ لَيَنْسَوْنَ كُفُورَهُمْ * وَلَئِنَّ أَذْقَنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مُسْتَهْلِكَةٍ لَيَقُولَنَّ
 ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *
 فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَائُوحٍ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلِ عَلَيْهِ كِتَابًا مَوْجَاءً مَعَهُ مَلَكٌ إِمَّا

للناس وهو فعل مستقبل حذف منه إحدى التامين (عذاب يوم كبير) يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر
 (الإنهم يتذكرون صدورهم ليستخفوا منه) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون
 إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة، والضمير في منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم، وقيل إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل، وقيل هو عبارة عن إعراضهم
 لأن من أعرض عن شيء انتهى عنه وانحرف والضمير في منه على هذا يعود على الله تعالى أي يريدون أن
 يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما في قلوبهم (الآحين يستغشون ثيابهم) أي
 يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في حين يعلم ما يسرون، وقيل المعنى يريدون أن
 يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون يعلم استثناء (وما من دابة في الأرض
 إلا على الله رزقها) وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال على الله بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل،
 لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان، لأنه لما وعد به صار واقعا
 لا محالة لأنه لا يخاف الميعاد (ويعلم مستقرها ومستودعها) المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة
 وقيل المستقر المكان في الدنيا والمستودع القبر (وكان عرشه على الماء) دليل على أن العرش والماء كانا
 موجودين قبل خلق السموات والأرض (ليبلوكم) أي ليختبركم اختباراً تقوم به الحججة عليكم، لأنه كان
 عالماً بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليلوكم بخلق (سحر مبين) يحتمل أن يشيروا إلى القرآن، أو إلى القول
 بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السحر (ولئن أخرنا عنهم العذاب) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة
 (إلى أمة معدودة) أي إلى وقت محدود (ليقولن ما يجبسه) أي أي شيء يمنع هذا العذاب الموعود به، وقولهم
 ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف (ولئن أذقنا) الآية: ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر
 ويتكبر عند النعم، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء
 على هذا متصل، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)

أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورٍ مِّثْلَهُ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ
 اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
 الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ

الآية : كان الكفار يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بكبر أو يأتي معه ملك ،
 وكانوا يستمزقون بالقرآن فقال الله تعالى له : فاعلك تارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من
 أجل استهزائهم ، أولئك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كبر أو جاء معه ملك ، والمقصود
 بالآية تسليية النبي صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ، ولا يبالي بهم ، وإنما قال ضائق ، ولم يقل
 ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ
 والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون افتراه) أم هنا منقطعة بمعنى بل
 والهمزة والضمير فى افتراه لما يوحى إليه (قل فاتوا بعشر سور مثله) تحداهم أولا بعشر سور فلما بان
 عجزهم تحداهم بسورة واحدة فقال فاتوا بسورة من مثله ، والمائة المطالبة فى فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة
 لعشر سور ، وذلك مقابلة لقولهم افتراه ، وليست المائة فى الافتراء (وادعوا من استطعتم) أى استعينوا
 بمن شئتم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مخاطبة من الله
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين : أى إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن
 فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا على معنى درموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينابه ، والثانى أن يكون خطابا من
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة
 ولا قدر جميعكم عليه : فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا أقوى من الأول لقوله : فهل أتم مسلمون ، ومعنى بعلم
 الله : بإذنه ، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب وقوله فهل أتم مسلمون لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء
 إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن
 (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية : نزلت فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة
 إذ هم لا يصدقون بها ، وقيل نزلت فى أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبا ورد
 فى الحديث فى القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعيرهم النار ،
 والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها)
 نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق ، والضمير فى فيها يعود على الدنيا
 والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم (وحبط ما صنعوا فيها) الضمير فى فيها هنا يعود على الآخرة إن
 تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا (أفمن كان على بينة من ربه) الآية معادلة لما
 تقدم ، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه ، والمراد بمن كان على بينة من ربه :
 النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك : أولئك يؤمنون به ، ومعنى البينة البرهان العقلى والأمر

رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ
 الْأَحْزَابِ فَلَنَارٌ مَّوْعِدَةٌ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
 رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *
 أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ
 مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيانِ
 مِثْلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتْلُكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا

الجلي (ويتلوه شاهد منه) الضمير في يتلوه للبرهان وهو البينة ولمن كان على بينة من ربه ، والضمير في منه
 للرب تعالى ، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو
 القرآن ، فيزيد وضوحه وتعظيم دلالاته ، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علي بن أبي طالب (ومن قبله
 كتاب موسى) أي ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدم ، وقد قيل
 أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا (ومن الأحزاب) أي من أهل مكة (ويقول الأشهاد)
 جمع شاهد كأصحاب ، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى
 الحضور ، فيراد به كل من حضر الموقف (ويبغونها عوجاً) أي يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج
 (لم يكونوا معجزين) أي لا يفلتون (يضاعف لهم العذاب) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة
 لأولياء (ما كانوا يستطيعون السمع) الآية : ما نافية والضمير للكفار ، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون
 ولا يبصرون كقوله : ختم الله على قلوبهم الآية ، وقيل غير ذلك ، وهو بعيد (لا جرم) أي لا بد ولا شك
 (آخبتوا) أي خشعوا وقيل أنابوا (مثل الفريقين) يعني المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير
 والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين
 بمثلين ، وتمثيل للكافرين بمثلين ، وقيل التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، فالواو لعطف الصفات
 فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو
 من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أرادنا)
 جمع أرذل وهم سفلة الناس ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَيَّيْنَاكُمْ مِنْ فَضْلِ بَلِّ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ . قَالَ يَقَوْمِ أَرَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِنْ رَبِّي وَرَبِّي
 رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
 اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ وَلَسَكُنِّي أَرْضُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ
 إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَدَّكُرُونَ . وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
 تَزَيَّيْتُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَنْبَغِي لَنُوحٍ أَنْ يَدْعُوَهُمْ لِيَكْفُرُوا
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالُوا إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ *
 وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يَشْكُرُونَ * وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ

والجاء ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا ، وقيل
 لأنهم كانوا حاكمة وحجامين ، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أرادوا في أفعالهم لقول نوح : وما علمي بما
 كانوا يعملون (بأدى الرأي) أي أول الرأي من غير نظر ولا تدبير ، وبأدى منصوب على الظرفية : أصله
 وقت حدوث أول رأيهم ، والفاعل فيه اتبعوك على أصح الأقوال ، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر
 ولا تشبث ، وقيل هو صفة لبشرنا مثلنا : أي غير مثبت في الرأي (وما زَيَّيْنَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ) أي من مزية
 وشرف ، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بينة من ربِّي) أي على برهان وأمر جلي ، وكذلك في قصة
 صالح وشعيب (وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) يعني النبوة (فعميت عليكم) أي خفيت عليكم ، والفاعل على هذا البينة
 أو الرحمة (أنزلناكموها) أي أنكروهم على قبولها قهرا وهذا هو جواب رأيهم : ومعنى الآية أن نوحا عليه
 السلام قال لقومه أرايتم إن هداني الله وأضلكم أجبركم على الهدى وأنتم له كارهون (لا أسألكم عليه مالا)
 الضمير في عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارِدُ الَّذِينَ آمَنُوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملاقوا
 ربهم) المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم (من ينصُرني من الله إن طردتهم) أي من يدفع عنى عقاب الله إن
 ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) الآية : أي لا أدعي مالا ليس لي فتسكرون قولي (تزدري) أي
 تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به ، والمراد بالذين تزدري أعينهم ضعفاء المؤمنين (إني إذألمن الظالمين)
 أي إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا ، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال
 هو المخاصمة والمراجعة في الحججة (فأتنا بما تعدنا) أي بالعذاب (ولا ينفعكم نصحي) الآية : جزاء قوله إن
 أردت أن أنصح لكم ، هو ما دل عليه قوله نصحي وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم : هو ما دل عليه
 قوله لا ينفعكم نصحي ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحي إن نصحت لكم ، ثم استأنف
 قوله هو ربكم ، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط (أم يقولون افتراه) الآية : الضمير في يقولون
 لكفار قريش ، وفي افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، هذا قول جميع المفسرين ، واختار

قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنًا وَلَا تَهْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آثِنٍ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح ، وفي افتراءه لنوح ثلاثا يترض ما بين قصة نوح بغيرها وهو بعيد (إجرامى) أى ذنبى (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (واصنع الفلك بأعيننا) أى تحت نظرنا و-فظنا (ووحيا) أى وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أى لا تشفع لى فيهم ، فإنى قد قضيت عليهم بالغرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه ، أو قال إن تسخروا (فسوف تعلمون) تهديد ومن يأتيه منصوب بتعلمون (عذاب يخزيه) هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار (حتى إذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك (وفار التنور) أى فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة ، والمراد بالتنور الذى يوقد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل بغير تنوين فعمل احمل في اثنين ومن قرأ بالتثنية عمل احمل في زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد (وأهلك) أى قرابتك ، وهو معطوف على ما عمل فيه احمل (إلا من سبق عليه القول) أى من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك ابنه الكافر وامراته (ومن آمن) معطوف على أهلك ، أى احمل أهلك ومن آمن من غيرهم (وما آمن معه إلا قليل) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية (وقال اركبوا فيها) الضمير في قال لنوح ، والخطاب لمن كان معه ، والضمير في فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجودى يوم عاشوراء (بسم الله مجراها ومرساها) اشتقاق مجراها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو الثبوت . أو من وقوف السفينة ، ويمكن أن يكون ناظرين للزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان ، ويكون العامل فيه ما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قبله ، والجملة كلام واحد ، والوجه الثانى : أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله في موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أى إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجرى بالسفينة قال بسم الله فتجرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف (وهي تجرى بهم في موج كالجبال) روى أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ يُبْنِي أَرْكَبَ مَعْنًا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ
يَعَصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ ٥
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكُمْ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ *
قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥
قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسْتَعْتِبُكَ ثُمَّ يَمَسُّهُمُ مِنَّا عَذَابٌ

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وأين كان الموج كالجبال على هذا ، وصوبه الزمخشري ، وقال كانت تجرى
في موج كالجبال قبل التطبيق ، وقيل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان
له ثلاث بنون سوادوهم سام وحام ويافث ، ومنهم تناسل الخلق (في معزل) أي في ناحية (لاعاصم اليوم من أمر
الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لاعاصم
إلا الراحم وهو الله تعالى ، والثاني أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أي من رحم
الله . فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم
ذاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لاعاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه
والاستثناء على هذين منقطع (ابلعي ماءك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلى) أي أمسكى عن المطر
وروى أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أي نقص (وقضى الأمر) أي تم وكمل (واستوت
على الجودي) أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل (وقيل بعداً) أي هلاكاً ، وانتصب على
المصدر (ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون
بعده (قال رب إن ابني من أهلي) أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أي ليس من
أهلك الذين وعدتني بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزمخشري : لم يكن ابنه ولكنه خاتمه أمه ، وكان لغير رشده
وهذا ضايف ، لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل
غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجات ابنه ،
والثاني أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن
يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر ووصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائي وعمل ، بفعل
ماض وغير صالح بال نصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أي
لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمي ذراهه سؤالاً ،
ولا سؤالاً فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إنني أعظك أن تكون من الجاهلين) أن في موضع
مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

الْيَوْمِ * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقَابَةَ
 لِلذَّالِقِينَ * وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَقَوْمِ
 لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ۖ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ
 اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي
 وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلُ
 بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۖ وَمَا جَاءَ أَمْرُنَا بِجِئَانَةٍ

ملاطفة ولا كرام (اهبط بسلام منا) أي اهبط من السفينة بسلاحة (وعلى أمم من معك) أي بمن معك في السفينة
 واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرية من معك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن على هذا لا بداه
 الغاية ، والتقدير على أمم ناشئة من معك ، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس (وأمم سمنتمهم) يعني تمتعهم
 مناع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة (تلك من أنباء الغيب) إشارة إلى القصة ، وفي الآية دليل على أن
 القرآن من عند الله لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي (إن أتمم إلا مفترون) يعني
 في عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدرارا) السماء هنا المطر ومدارارا بناء تكثير من الدر يقال دزالمطر
 واللبن وغيره ، وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، وروى أن عادا كان حبس
 عنهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع
 عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أي
 بمعجزة ، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية
 نظرية (عن قولك) أي بسبب قولك (إن نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء) معناه ما نقول إلا أن بعض
 آلِهتنا أصابك بجنون لما سببتنا ونهيتنا عن عبادتها (فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز
 أي لا تقدرن أنتم ولا آلِهتكم على شيء ، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم ، فقال إني
 توكلت على الله الآية (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي هي في قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية
 تمثيل لذلك ، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق (إن ربي على صراط مستقيم) يريد
 أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حق ، فالاستقامة تامة (فإن تولوا فقد أبلغتكم) أصل تولوا هنا
 تولوا لأنه فعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط ،
 وقد كان الإبلاغ قبيل التولي ؟ فالجواب : أن المعنى إن تولوا فلا عتب على لاني قد أبلغتكم رسالة
 ربي (ولا تضرونه شيئا) أي لا تنقصونه شيئا : أي إذا أهلككم واستخلف غيركم (ولما جاء أمرنا) إن قيل

هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِّنَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَتِلْكَ آيَاتُ الَّتِي بَيَّنَّا رِبِّهِمْ وَعَصُوا رِسَالَاتِهِ
وَاتَّبَعُوا أَمْرًا كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ
لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ . وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ . قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا
أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَنظُرُكَ بِمُتَعَبٍ . قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ . وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ لَمَتَّعُوا
فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ، كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا
إِلَّا إِنْ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لَثْمُودٍ . وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلِّمْ فَلَبِثْنَا

لم قال هنا وفي قصة شعيب ولما بالواو وقال في قصة صالح ولوط فلما بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري أنه
وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجاء بالفاء التي تقتضي التسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد
بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو (ونجيناهم من عذاب غليظ) يحتمل أن
يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد
بالثاني أيضا الريح، وكرره لإعلاما بأنه عذاب غليظ، وتعديدا للنعمة في نجاتهم (وعصوا رسله) في جميع
الرسول هنا وجهان: أحدهما أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان
بالله وعلى توحيده، والثاني أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (ألا
إن عادا كفروا ربهم) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وتكرار اسم عاد (ألا بعدا) أي هلاك
وهذا دعاء عليهم واتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن
المراد أنهم أهل لذلك (لعاد قوم هود) بيان لأن عادا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم (هو
أنشأكم من الأرض) لأن آدم خالق من تراب (واستعمركم فيها) أي جعلكم تعمرونها، فهو من العمران
للأرض، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء (قد كنت فينا مرجوا) أي كنا نرجو أن نتفجع بك
حتى قلت ما قلت، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل في ديننا (في داركم) أي بلدكم (ثلاثة أيام) قيل إنها الخميس
والجمعة والسبت، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد (ومن خزي يومئذ) معطوف على
نجينا أي نجيناهم من خزي يومئذ (جاثمين) ذكر في الأعراف (كان لم يغنوا فيها) أي كأن لم يقيموا فيها
والضمير للدار، وكذلك في قصة شعيب (ولقد جاءت رسلنا) الرسل هنا الملائكة (إبراهيم بالبشرى)

جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ۖ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطَ ۖ
 وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۚ قَالَتْ يَوِليُّ آلِ دَاوُدَ وَإِنَّا عَاجِلُونَ ۖ هَذَا
 بَعْلِي شَيْخَانِ ۖ هَذَا لَشَيْءٍ عَجِيبٍ ۚ قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۖ
 فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُحَدِّثْنَ فِي قَوْمِ لُوطَ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۖ
 يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأْتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مُرْدُودٍ ۖ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
 لُوطًا سِيبًا ۖ بِهِمْ وَصَاقٍ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ ۖ قَالَ يَبْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَعْفِ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۖ

بشروه بالولد (قالوا سلاماً) . نصب على المصدر والعمل فيه فعل مضمرة تقديره سلمنا عليكم سلاماً (قال سلام) تقديره
 عليكم سلام وسلام عليكم ، وهذا على أن يكون بمعنى النحية ، وإسمارفع جوابه ليدل على إثبات السلام ، فيكون
 قد حياهم بأحسن مما حيوه ، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة ، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب ، ورفع
 الثاني لأنه في معنى الخبر (فالبث أن جاء) أي مالبث بحيثه بل عجل ومانافية وأن جاء فاعل لبث (بعجل حنيد) أي
 مشوي ، وفعل هنا بمعنى مفعول (نكرهم) أي أنكرهم ولم يعرفهم ، يقال نكرو وأنكرو بمعنى واحد (وأوجس منهم
 خيفة) قيل إنه لم يعرفهم تخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه ، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا
 بما يخاف فأمروه بقولهم لا تخف (وامرأته قائمه) قيل قائمه خلف الستر ، وقيل قائمه في الصلاة ، وقيل قائمه تخدم
 القوم ، واسمهاسارة (فضحكت) قيل معناه حاضت وهو ضعيف ، وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا
 من أي شيء ضحكت ، فقيل سرورا بالولد الذي بشرت به ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن
 بعد الخوف ، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها بإسحاق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى ، لأنها كانت
 بأمره (ومن وراء إسحاق يعقوب) أي من بعده وهو ولده ، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ ، وبالفتح
 معطوف على إسحاق (قالت يا ويلتا) الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم ، وكذلك في يالهي ويا أسنى ويا عجبا ، ومعناه التعجب
 من الولادة ، وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم)
 يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أي أهل بيت إبراهيم ، وهو منصوب بفعل مضمرة على الاختصاص أو منادى
 (حميد) أي محمود (مجيد) من المجود وهو العلو والشرف (أيجادنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع في موضع الماضي
 أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفا والجواب محذوف ، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع
 العذاب عن قوم لوط ، وقد ذكر في اللغات (حلیم) وفي براءة أوأه (بالإبراهيم أعرض عن هذا) أي قلنا يا إبراهيم
 أعرض عن هذا يعني عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعد إيمانهم (ولما جاءت رسلنا لوطا سيبا) الرسل هم الملائكة ومعنى
 سيبا سبهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عصيب) أي شديد (وجاء قومه يهرعون
 إليه) أي يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده ، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث (من
 قبل كانوا يعملون السيئات) أي كانت عاداتهم إتيان الفواحش في الرجال (قال يا قوم هؤلا بناتي) المعنى قتر وجوهن ،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۚ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۚ
 قَالُوا يَا لَوِطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُ إِتَانُهُ
 مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۚ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
 عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ۚ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدَةٌ ۚ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
 يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۚ وَيٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

وإنما قال ذلك لبقى أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة رثيا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهاكمة
 والهة ، واسم امرأة نوح والقة (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) أي مالنا فيهم أرب (ولمك لتعلم
 ما نريد) يعنون نكاح الذكور (قال لو أن لي بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانت لي قدرة على دفعكم
 لفعلت ، ويحتمل أن تكون لو للتعنى (أو آوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألقا ، والمراد بالركن الشديد
 ما يابجا إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله
 أخي لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إننا رسل ربك) الضمير في قالوا
 للملائكة ، والضمير في لن يصلوا القوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ (فأسر بأهلك) أى
 اخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن ، وقرئ فأسر بوصل الألف وقطعها ، وهما لغتان
 يقال سرى وأسرى (بقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلتفت منكم أحد) نهوا عن الالتفات لثلاث تنفطر
 أكبادهم على قريتهم ، وقيل يلتفت معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالنصب
 استثناء من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهلها ، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد ،
 وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفت وقالت يا قوم ما فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى
 وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح بقريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا
 الآن ، فقالوا له أليس الصبح بقريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير للمدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت
 مدائن قوم لوط واقبلها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة (وأَمْطَرْنَا
 عَلَيْهَا حِجَارَةً) أى على المدائن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء ،
 وأما من كان في المدائن فهلك لما قلبت (من سجيل) قبل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الأجر المطبوخ
 وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أعجمى (منضود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك)
 معناه معلمة بعلامة ، روى أنه كان فيها بياض وحمرة ، وقيل كان في كل حجر اسم صاحبه (وماهى من الظالمين
 ببعيد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم
 لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للمدائن ، فالعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله فولقد أتوا على القرية
 التى أمطرت مطرا سوء ، وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم بخير) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ . بَقِيَتْ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ . وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ . قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتُهُ كَثِيرًا مَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ . قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذْتُمُوهُ رَبًّا يَوْمَ تَظْهَرُ يَا إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ . وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَمَلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ . وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

يوم محيطة) يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا (بقيت الله خير لكم) أي ما أبقاء الله لكم من رزقه و نعمته (أصلانك تأمرك) الصلاة هي المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» والمعنى أصلانك تأمرك أن تترك عبادة الأوثان، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان، وأن نفعل عطف على أن تترك (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهمك والاستهزاء، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقني منه رزقا حسنا) أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب أرايتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره: أرايتم إن كنت على بينة من ربي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولي عنه وأنت قاصده (وياقوم لا يجرمنكم شقائي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أي لا يكسبكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، و شقائي فاعل، وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهاالكين إليهم، ويحتمل أن يراد ببعيد في البلاد (مانفقه) أي مانفهم (وإننا لتركنا ضعيفا) أي ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل نحيل البدن، وقيل أعمى (ولولا رهطك لرجمناك) ال رهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب (أرهطى أعز عليكم من الله) هذا توخيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعداء دونه فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب أن تهازئهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراهكم ظهريا) الضمير في اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا يعاب به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب (اعملوا على مكاتكم) تهديد ومعنى مكاتكم تمكينكم في الدنيا وعزكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه) عذاب الدنيا والآخرة (وارتقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي

الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاشمين ، كأن لم يغنوا فيها الأبعد المدين كما بعدت ثمود ، ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين ، إلى فرعون وملأه فاتبوعا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ، يتقدم قومه يوم
القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود ، واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ،
ذلك من أنباء القرى انقصة عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلوا أنفسهم فما أغنت عنهم
الآلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيد ، وكذلك أخذ ربك
إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذته ألم شديد ، إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم
يجمع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره إلا لاجل معدود * يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم
شقي وسعيد * فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها مادامت السموات والأرض
إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات
والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ * فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد

بالمعجزات (وسلطان مبين) أي برهان بين (يقدم قومه) أي يتقدم قدمهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه
على الضلال والكفر (فأوردتهم النار) الورد هنا بمعنى الدخول ، وذكره بلفظ الماضي لنحقق وقوعه
(ويوم القيامة) عطف على في هذه فإن المراد به في الدنيا (بئس الرفد المرفود) أي العطية المعطاة (قائم وحصيد)
باق ودائر (فما أغنت عنهم آلهتهم) حجة على التوحيد ونفي الشريك (تنبيد) أي تخسير (يوم يجمع له الناس)
أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب ، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت
الجمع لذلك اليوم ، لأن لفظ يجمع أبغ من لفظ يجمع (يوم مشهود) أي يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت)
العامل في الظرف لاتكلم أو فعل مضمر ؛ وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشري يعود على الله
تعالى كقوله «أو يأتى ربك» ويمضه عود الضمير عليه في قوله ياذه (فمنهم شقي وسعيد) الضمير يعود على أهل
الموقف الذين دل عليهم قوله لاتكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس ، والشهيق رده ، وقيل الزفير
صوت المحزون ، والشهيق صوت الباكى ، وقيل الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر (خالدين فيها مادامت
السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا ، والآخر أن
يكون عبارة عن التأييد كقول العرب ملاح كوكب وماناح الحمام وشبه ذلك مما يقصده الدوام (إلا ماشاء
ربك) في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال : قيل إنه على طريق التأدب مع الله كقوله إن شاء الله ، وإن كان الأمر
واجبا ، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار ، ويكون الذين شقوا على هذا يعم الكفار والمذنبين ،
وقيل استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث
دون الثاني (غير مجذوذ) أي غير مقطوع (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) المرية الشك والإشارة إلى عبدة

أَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحِهِمْ غَيْرَ مَقْرُوصٍ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِنَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ لَنَا مِنْهُمْ لَنِي شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ . وَإِنْ كَلَّمَا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصُرُونَ . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلَّذِينَ كَرِهُوا أَنْ يُضَيِّعَ أَعْرَابُهُمْ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَعْرَابَ الْمُحْسِنِينَ * فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أُنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ

الأصنام أى لا تشك فى فساد دين هؤلاء (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أى هم متبعون لا بائهم تقليدا من غير برهان (وإننا لموفون نصيحتهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن وبخفيفها ، وإعمالها عمل الثقيلة ، والتنوين فى كل عوضا من المضاف إليه يعنى كلهم ، واللام فى لما موطنه للقسم ، ومازائدة ، وليوفينهم خبر إن ، وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية ، ولما بمعنى إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم ولا تتركوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار ، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم (ثم لا تنصرون) مستأنف غير معطوف ، وإنما قال ثم لبعده النصر (وأقم الصلاة) الآية : يراد بها الصلوات المفروضة ، فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام ، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس ، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل ، روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة ؛ فنزلت الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين السائل ، فقال هاأنذا ؛ فقال قد غفرك ، فقال الرجل ألى خاصة أول المسلمين عامة ، فقال بل للمسلمين عامة ، والآية على هذا مدنية ، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم للرجل مستدلًا بها ، فالآية على هذا مكية كسائر السورة ، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات ، وأولى كل ما تقدم من وعظ ووعيد (فلولا) تخصيص بمعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا من أنجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا من أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض ، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم النفي كأنه قال : ما كان فيهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالمهم ، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجدل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا خلاف

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَبْنَئِي لَكَ تَقْصُصُ رُءُوبِكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

بينهم في الإيمان (ولا يزالون مختلفين) يعني في الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص وما بدل من كلا (وجاءك في هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدهم وإقامة حجة عليهم

سورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعني القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعدد، أو يكون متعددا بمعنى أنه أبان الحق أي أظهره (اعلمكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير في قبله للقصص أي من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه إذ ذكر المضمرة، أو القصص (يا أباي) أي يا أبي والتاء للبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لي ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب في المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته تخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يجتارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَفَدَّكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ آيَاتٍ لِلسَّائِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنْ آبَانَا لِنِي ضَلَّلَ مُبِينٌ ۝ أَقْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحُلُ لَكُمْ
وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيْبَتِ الْجَبِّ
يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنُصْخِحُونَ * أَرْسَلَهُ
مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي
غِيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عَشَاءً يَسْأَلُونَ قَالُوا
يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف
أو أمر وافر يشاء أن يسأله عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (ليوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو
أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبه) أى جماعة
نقدر على النفع والضرر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن أبانا لني ضلال مبين)
أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يحل لكم وجه أيبكم) أى لا يشارككم غيره
في محبته لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قاتل
منهم) هو يهوذا ، وقيل روبييل (غيايت الجب) غوره وماغاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين
يسيرون في الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لا تأمن على
يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرتع)
من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه
بالإسكان ، فهو من الرتع وهو الإقامة في الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ،
ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين
وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة
بالخيل (واجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو
(وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير في إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب
والأول هو الصحيح ، (وهم لا يشعرون) في موضع الحال من لتنبئهم أى لا يشعرون حين تنبئهم فيكون
خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبي صلى الله
عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينما يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقاتنا (ولو كنا
صادقين) أى لاتصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تهمنا ، وقيل معناه لاتصدقنا وإن

وَجَاءَ عَلَىٰ قَيْصِهِ بَدْمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ .
 وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَلِلَّهِ عِلْمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .
 وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ . وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَةَ أَكْرَمَىٰ
 مِثْلَهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعَلِّمَهُ مِمَّا تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ
 وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَا يَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ . وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، والأول أظهر (وجاءوا على قيصه بدم كذب
 أي ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطنوا قيصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه
 في قيصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قيصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سوّلت) أي زينت (فصبر
 جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أهمل ، أو خبر مبتدأ تقديره شأنى
 صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (واردهم) الوارد هو الذى
 يستقى الماء لجماعة ، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد
 فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال
 يا بشرى) أي نادى البشرى كقولك يا حسرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يا بشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى
 كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل في الجب
 تعلق به يوسف فيئذ قال يا بشرى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول
 ليوسف أي أحرقه من الرفقة ، أو قالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أي باعوه ، والضمير
 أيضا الذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأبهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (ثمن بخص)
 أي ناقص عن قيمته ، وقيل البخص هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أخذوه
 أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلي اسمه قطفير (من
 مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودى عليه في السوق
 حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره)
 في عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره ، والثانى أنه يعود
 على يوسف أي يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان
 عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هي الحكمة والنبوة (وراودته التي هو في بيتها عن
 نفسه) أي طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة وهي زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها
 كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وفتح التاء
 وضمها ، والمعنى في ذلك كله واحد ، وحركة التاء للبناء ، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت

مَوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَبَّهَا بَرَهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ
مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أولادى
اشتراه ، لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغي لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن ،
ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهم بها) أ كثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها
التأليف ، فمنهم مفرط ومفرط ، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذى أرادت
وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله
ولزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضر به على امتناعه وهمها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو
بعيد يردده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمها ليدفعها ، وهذا
أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهمها كذا
لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على
قلبه لم يطعمها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى
برهان ربه ، ولا يقدر هذا فى عصمة الأنبياء لأنهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من
هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان
ربه لخاطها ، وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه ، وقد قيل إن هم بها ، هو الجواب ، وهذا ضعيف
لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون
فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهيه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل
رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياة منه ، فقال أنا أولى أن أستحي من الله (كذلك لنصرف) الكفاف فى
موضع نصب متعلقة بفعل ضمير ، التقدير ثبتناه مثل ذلك التثبيت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل
ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم
الله لطاعته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه
إلى الباب فقصده هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد
وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدَّتْ
قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ) أى قطعت من وراء ، وذلك أنها قبضت قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ خلفه لترده فتمزق القميص ، والقد القطع
بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدازوجها عند الباب (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا
إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء
كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه
بدعواها وما جزاء يحتمل أن تكون مانافية أو استفهامية (قال هى راودتني عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

أَهْلَهَا إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنْ كَيْدِكُنْ عَظِيمٌ ۝ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا
 وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۝ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ
 قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمَاءً
 كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا في المهدي فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراهة
 يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ،
 أو ضمننت الشهادة معنى القول (إن كان قبيصه قد من قبل فصدقت) لأنها كانت تدافعه فتقد قبيصه من قبل (وإن
 كان قبيصه قد من دبر فكذبت) لأنها جذبت به إلى نفسها حين فرز منها فقدت قبيصه من دبر (فلما رأى قبيصه قد من
 دبر) فاعل رأى زوجها أو الشاهد (إنه من كيد كن) الضمير للأمر أو لقولها ماجزاه (يوسف أعرض عن
 هذا) أى اكنمه ولا يتحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف
 إشارة إلى تقيبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد (من
 الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغليباً للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى
 أنهم خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن
 وامرأة الحاجب (فتاها) أى خادها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شفاف قلبها وهو
 غلافه ، وقيل السويدياء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسماع مكرها
 لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشيته عليها (وأعدت لهن متكاً) أى أعدت لهن
 ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكاً بسكون التاء وتنوين الكاف ،
 وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل
 كان لحما (وقالت اخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظم
 شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر
 إليه وبهتت من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لا يشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براهة وتنزيه : أى
 تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد بالنصب بها
 على أن تكون فعلا ، وأما هنا فقال أبو على الفارسي إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على
 لام الخبر وهو اللام فى قوله لله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذف منها الألف على قراءة الجماعة
 والحروف لا يحذف منها شيء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك
 ولا أدرى ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال
 الزمخشري إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزهه قال وإنما حذف منه

بَشْرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيْسَجِنَنَّهُ حَتَّىٰ آخِرِينَ * وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانَهُ إِلَّا نَبَاتِكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَصْحَابِي السِّجْنَ * أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهَا أَنْتُمْ وَإِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْآلَاءُ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَٰكِن

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ما هذا بشرا) أخرجته من البشر وجعلته من الملائكة مبالغة في وصف الحسن (إن هذا إلاملك كريم قالت فذلكن الذي لمتني فيه) تويخ لمن على اللوم (فاستعصم) أي طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أي أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أي ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير في لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه في ذلك (رأوا الآيات) أي الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتیان) أي شابان، وقيل هنا محذوف لا بد منه وهو فسجنوه، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إني أعبس الرؤيا، وكذلك سأله الفتیان عن مناهما، وقيل إنهما استعملها ليجرباه، وقيل رأيا ذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمي العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هي لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه في تأويل الرؤيا، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) الآية: تقتضى أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان: أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبيل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا (ذلكما مما علمني ربِّي) روي أنهما قالاه من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم، فقال: ذلكما مما علمني ربِّي (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله علمني ربِّي أو يكون استنثافا (يا صاحبي السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه، كأنه قال يا صاحبي في السجن (أرباب متفرقون) الآية: دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما الحججة رغبة في إيمانهما (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتم مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَصْحَبِي السَّجْنُ أَمَا أَحَدٌ كَمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
 مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا إِذْ كَرِنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَانْسَاهُ الشَّيْطَانُ
 ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كَلْهَنُ سَبْعَ عَجَافٍ
 وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَقْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ
 أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ .
 يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كَلْهَنُ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
 لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمراً) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذ كرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجاغيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن ، وقيل الضمير للذى نجما منهما وهو الساقى أى نسي ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده ، والرّب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أو لاثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادماً له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمئة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (الرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات ، واحده ضغث ، فإن قيل : لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجما منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لا بد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصدق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فى من رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أو كلتن سبع عجاف فعجب كيف علتهن وكيف وسعت فى بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا ،

مَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكِنَّ إِذْ رَأَوْتَنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ * قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّسْنُ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السماء بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه ، وهو مصدر في موضع الحال (فما حصدم فذروه في سنبله) هذا رأى أورشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبق فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبق بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة ، وهي أن يتركوه في سنبله ذير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أي لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعنى سبع سنين ذات شدة وجوع (بأكلن ما قدمتم لهن) أي تأكلون فيهن ما اخترتم من الطعام في سنبله ، وأسندالاً كل إلى السنين مجازا (بما تحصنون) أي تخزنون وتخبثون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أي يمتطرون ، أو من الغوث : أي يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أي يعصرون الزيتون والعنب والسهم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتوني به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى عليه وعقله ، فقال ائتوني به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجين ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعى إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيالذمام زوجها وسترأها ، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن (قال ما خبطكن) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المرادة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها (قلن حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء (لأن حصحص الحق) أي تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير في يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أي ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للعزيز أي لم أخنه في زوجته في غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسي) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف ،

النفس لأمانة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم * وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما
كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على آثر الأرض إني حفيظ عليهم * وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولا جبر الآخرة
خير للذين آمنوا وكانوا يتقون * وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم
والقصد ، وقاله في عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأمانة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس
ثلاثة أنواع : أمانة بالسوء ، ولوامة وهي التي تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا مارحم ربي) استثناء من النفس
إذ هي بمعنى النفوس أي الأنفس المرحومة وهي المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذي ، ويحتمل أن تكون
ظرفية أي إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسي) أي أجعله خاصتي وخلصتني قال أولا ائتوني به فلما تبين
له حاله قال أستخلصه لنفسي (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أي فلما رأى حسن كلامه وعرف
وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، والمكين من التمكين ، والأمين من الأمانة (قال اجعلني
على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب
منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز
للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله
خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك
(إني حفيظ عليهم) صفتان تعبان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليهم بالألسن ،
واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره
وإذا كان في ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) الإشارة بذلك إلى ما تقدمت من جميل صنع
الله به ، وروى أن الملك ولاه في موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن
امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر
في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدرهم في السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها ، ثم بالحلي ، ثم
بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم اعتقهم ورد عليهم أملاكهم (نصيب
برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر في قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله
بنسب ذلك ولاجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر
ومطيع وعاص ، وأن المحسن لا يتبدل من أجره في الدنيا ، فالأول في المشيئة ، والثاني واقع لا محالة ،
ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفي الآية إشارة إلى أن يوسف
عذبه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في
بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنسكروه
لبعد العهد به وتغيير سنة أولائه كان مثلما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سأهم

بجهازهم قال اتوني باخ لكم من ايكم الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين * فان لم تاتوني به فلا
 كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سناود عنه اياه وانا لفاعلون * وقال لفتينه اجعلوا بضاعتهم في
 رحلهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون * فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يابانا منع منا
 الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحفظون * قال هل امنكم عليه الا كما امتكم على اخيه من قبل قاله
 خير حفظا وهو ارحم الراحمين * ولما فتحو امتعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يابانا مانبغى هذه
 بضاعتنا ردت إلينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير * قال لن ارسله معكم حتى
 توتون موثقا من الله لتأتني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل * وقال يني
 لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
 وعليه فليتبوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث امرهم اوبهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة
 في نفس يعقوب قضاها وانه لدو علم لما علمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون * ولما دخلوا على يوسف

عن احوالهم ، واخبروه انهم تركوا اهلهم ، فحينئذ قال لهم اتوني باخ لكم من ايكم وهو بنيامين شقيق
 يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذي باع
 منهم (خير المنزلين) أي المضيفين (وإنا لفاعلون) أي نفعل ذلك لا محالة (وقال امتيانه) جمع قتي وهو الخادم
 سواء كان حرا أو عبدا (اجعلوا بضاعتهم في رحلهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منها بها الطعام في
 أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة
 (لعلهم يرجعون) أي لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم
 بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي فهو خوف من منع
 في المستقبل (نكتل) وزنه نفتل من الكيل (مانبغى) ما استفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمعنى أي شيء
 نطلبه بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانافية ونبغى من البغى : أي لا تعدى
 على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير اهلنا) أي نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهم
 إذ كان يوسف لا يعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغية
 صاحبه حتى يأتي والبعير الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الاحمال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم
 حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أي قليل عنده
 أو سهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى توتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتني به جواب اليمين (إلا
 أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابني لا تدخلوا من باب واحد) خاف عليهم
 من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ما كان يغني عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

«أوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون . قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم . قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين * قالوا فاجزأوه إن كنتم كاذبين . قالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه كذلك تجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا

لا يدفع ما قضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم (أوى إليه أخاه) أي ضمه (قال إني أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه ، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أي لا تحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى ما فعلوا بيوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أي لا تبالي بما تراه من تحبلى في أخذك (جعل السقاية في رحل أخيه) السقاية هي الصواع ، وهي إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام ، وكان من فضة ، وقيل من ذهب ، ويقصد بجعله في رحل أخيه أن يحتمل على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أي نادى مناد (أيتها العير) أي أيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أي لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أي ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع ، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) أي استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من دياتهم في دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزأوه إن كنتم كاذبين) أي قال فتيان يوسف ما جزأه أخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير في قوله جزأوه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه) المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزأه السارق أن يستعبد ، ويؤخذ في السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزأوه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهي شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزأوه ، والجملة خبر جزأوه الأول ، والوجه الثاني : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره جزأوه أخذ من وجد في رحله وتم الكلام . ثم قال فهو جزأوه أي هذا الحكم جزأوه (وكذلك تجزي الظالمين) من كلام إخوة يوسف أي هذا حكمنا في السراق ، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدي (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنت الصواع في هذا الموضوع لأنه سقاية ، أولان الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أي صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي في شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزأه السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم في هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعني الرفعة بالعلم بدليل ما بعده (وفوق كل ذي علم عليم) أي

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۖ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلٍ فَأَسْرَهَا
يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالِ انْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۖ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِيخًا كَبِيرًا
يُخَذُّونَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ۖ إِنَّا إِذَا لَطَلْنَا مَن
فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالِ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ
فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۖ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ
فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۖ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)
الضمير في قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا إلى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيسامين ، فقد سرق
أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعزة عن أنفسهم ،
ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته
رَبته ، فأراد والده أن يأخذها منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها
فاستعبده بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت ، والثاني أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ
الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرهما يوسف في نفسه) قال الزمخشري الضمير للجمله التي بعد ذلك
وهي قوله أنتم شر مكانا ، والمعنى قال في قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التي وجد في
نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقاتلتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أي لسوء
أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أباشيخا كبيرا) استعظافا
وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه (فخذ أحدها مكانه) على وجه الضمان والاسترها ، والانتقاد ، وهذا
هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أي أحسنت إلينا فيما فعلت
معنا من قبل أو على الإطلاق (راسيتسوا) أي يتسوا (خلصوا نجيا) أي انفردوا عن غيرهم يناجى بعضهم بعضا ،
والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم في السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم في الرأي
وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) تحتمل ما ، وجوها : الأول أن تكون زائدة ،
والثاني أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم في يوسف ، والثالث
أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذي
وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى آبائكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق)
قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائي سرق بضم السين وكسرو تشديد الراء أي نسبت له السرقة
(وما شهدنا إلا بما علمنا) أي قولنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب
حافظين) أي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع في رحله من غير علمه وقال
الزمخشري المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقة وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۚ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونََّا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۚ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُزْجَاةٍ فَآوِفْ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۚ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ

أى ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزخشرى ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير : يعنون الرفقة ، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي والاول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هي مصر (قال بل سوات لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سوات الآية (بهم جميعا) يعنى يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذى قال لن أرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال يا أسفى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثانى والثالث ، الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ولأن مصيبتة كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ، فقييل إنه عمى ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأعطى أجر مائة شهيد ، وماساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أى كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ، ولا يشكو إلا لله وقيل بمعنى مفعول كقولهم : إذ نادى وهو مكظوم ، أى مملوء القلب بالحزن ، أو بالغىظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتؤ) أى لا تفتؤ ، والمعنى لا تزال ، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أى مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) رذ عليهم فى تنفيذهم له : أى إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه (يابنى اذهبوا) يعنى إلى الأرض التى تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر ، وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقى هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيسوا من روح الله) أى من رحمة الله (إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو ألهم على إخوتهم (بيضاة مزجاة) يعنون الدراهم التى جاؤا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضاً

الغفور الرحيم * فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يسأبت هذا تأويل رؤيتي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وإخواني إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم * رب قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وأحقني بالصلحين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين * وكآين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم

الدعاء يستجاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهي فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالآبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت ، وسُمي الخالة على هذا أما (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذي في قوله آمنين (رفع أبويه على العرش) أى على سرير الملك (وخروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بي) يقال أحسن إليه وبه (أخرجني من السجن) إنما لم يقل أخرجني من الجب لوجهين : أحدهما أن في ذكر الجب خزي لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقيرا لهم والآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعد من النعم بحيثهم للحاضرة (نزغ الشيطان) أى أفسد وأغوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من التبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفني مسلما) لما عدد النعم التي أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاه بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت لديهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تأكيداً لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يمكرون) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسألهم عليه من أجر) أى لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت في كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل في أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سبيلي) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى وحيجة واضحة (أنا ومن اتبعني) أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً) رد على من أنكروا أن يكون النبي من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء (من أهل القرى) أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولاً من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استيأس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيؤمنوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضمير ان فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (في قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعني القرآن (ولكن تصديق الذي بين يديه) تقدم معناه في البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أي آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتاب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذي أنزل إليك) يعني القرآن وإعراجه مبتدأ وخبره الحق (بغير عمد) أي بغير شيء تقف عليه لإفادة الله (ترونها) قيل الضمير للسماوات وترونها على هذا في موضع الحال أو استئنافاً

كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الايت لعلكم بقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لايت لقوم يتفكرون * وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايت لقوم يعقلون * وان تعجب فعجب قولهم اءذا كنا ترابا انا لني خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الاغفل

وقيل الضمير للعمد أى ليس لها عمد مرتبة فيقتضى المفهوم من أن لها عمدا لا ترى وقيل إن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا ، وقال الجمهور لا عمد لها البتة فالمراد نفي العمدة ونفي رؤيتها (ثم استوى على العرش) ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر ، فإن العرش كان قبل خلق السموات ، وتقدم الكلام على الاستواء في الاعراف (يدبر الامر) يعنى أمر الملكوت (يفصل الآيات) يعنى آيات كتبه (مد الارض) يقضى أنها بسيطة لا مكورة ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير لأن كل قطعة من الارض ممدودة على حدتها ، وإنما التكوير لجملة الارض (رواسي) يعنى الجبال الثابتة (زوجين اثنين) يعنى صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضى الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين ، لأن دلالة غيرهما من باب أولي ، وقيل إن الكلام تم في قوله من كل الثمرات ثم ابتداء بقوله جعل فيها زوجين يعنى الذكر والأنثى والأول أحسن (يغشى الليل النهار) أى يلبسه إياه فيصير له كالغشاء ، وذلك تشبيه (قطع متجاورات) يعنى قطع متلاصقة ومع تلاصقها ، فإن أرضها تتنوع إلى طيب ووردي وصلب ورخو ، وغير ذلك ، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر (صنوان وغير صنوان) الصنوان هى النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد وغير الصنوان المفرق فردا فردا ، وواحد الصنوان صنو (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذى تسقى به : دليل على القدرة والإرادة ، وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة (وإن تعجب فعجب قولهم) أى إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه ، فإن الذى قدر على إنشائه ما ذكرنا من السموات والارض والثمار قادر على إنشائه الخلق بعد موتهم (أنذا كنا ترابا انا لني خلق جديد) هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث ، واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التى فيها استفهامان ، وهى أحد عشر موضعا ، أولها هذا ، وفي الإسراء موضعان ، وفي المؤمنين موضع ، وفي النمل موضع ، وفي العنكبوت موضع ، وفي الم السجدة موضع ، وفي الصافات موضعان وفي الواقعة موضع ، وفي النازعات موضع ، فهم من قرأ بالاستفهام فى الأول والثانى ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول فقط وهو نافع ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط ، وأصل الاستفهام فى المعنى ، وإنما هو عن الثانى فى مثل هذا الموضع ، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار ، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا ، فمن قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط فهو على الأصل ومن قرأ بالاستفهام فى

فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ

الأول ، فالقصد بالاستفهام الثاني ، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد (وأولئك الأغلال في أعناقهم) يحتمل أن يريد الأغلال في الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ، فيكون مجازاً يجرى مجرى الطبع والحتم على القلوب (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أي بالنقمة قبل العافية ، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف (وقد خلت من قبلهم المثالات) جمع مثلة على وزن تمرة وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلاً ، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم أفلا يخافون مثل ذلك (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل يريد مغفرته لمن تاب ، والأول أظهر هنا (ويقول الذين كفروا) الآية : اقترحوا نزول آية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نزول ملك معه أو شبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها ، وذلك منهم معاندة (إنما أنت منذر) أي إنما عليك إنذارهم ، وليس عليك أن تأتيهم بآية إنما ذلك إلى الله (ولكل قوم هاد) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادي الله تعالى ، فالمعنى إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء ، والوجه الثاني أن يريد بالهادي النبي صلى الله عليه وسلم ، فالمعنى إنما أنت نبي منذر ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر . الثالث روى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وأنت يا علي الهادي (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى) كقوله يعلم مافي الأرحام ، وهي من الجنس التي لا يعلمها إلا الله ، ويعنى يعلم هل هو ذكر أو أنثى أو تام أو خداج أو حسن أو قبيح ، أو غير ذلك (وما تغيض الأرحام وما تزداد) معنى تغيض تنقص ، ومعنى تزداد من الزيادة ، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكبر وقيل للولد فالغيض السقط ، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر ، ويحتمل أن تكون مافي قوله ما تحمّل وما تغيض وما تزداد : موصولة أو مصدرية (سواء منكم من أسر القول ومن جهر) المعنى إن الله يسمع كل شيء ، فالجهر والإسرار عنده سواء وفي هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضاً مطابقة (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) المعنى سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو في غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف في سره بالفتح : أي في طريقه ووجهه ، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما ، وقيل إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
 مِنْ وَالٍ ۚ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ۚ وَيَسْبِغُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلِئِكَةُ مِنْ
 خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَجَالِ ۚ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبُغُهُ وَمَا دُعَاءُ
 الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمَهُم بِالْغُدُوءِ وَالْأَصَالِ ۚ

واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال وسارب ، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن
 هو سارب بتكرار من كما قال ، من أسر القول ومن جهر به ، إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول
 ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن
 هو مستخف لا على مستخف وحده (له معقبات) المعقبات هنا جماعة الملائكة ، وسميت معقبات لأن
 بعضهم يعقب بعضاً ، والضمير في له يعود على من المتقدمة ، كأنه قال لمن أسر ومن جهر ، ولمن استخفي
 ومن ظهر له معقبات ، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق
 (يحفظونه) صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات
 (من أمر الله) صفة للمعقبات أي معقبات من أجل أمر الله أي أمرهم بحفظه ، وقرئ بأمر الله ، وهذه
 القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة
 الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعم (حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 بالمعاصي فيقتضى ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النعم إلا بالذنوب (يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الخوف
 يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة ، والطمع في المطر الذي يكون معه (السحاب الثقال) وصفها
 بالثقل ، لأنها تحمل الماء (ويسبح الرعد بحمده) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسيح ، وقد جاء في الأثر
 أن صوته زجر للسحاب ، فعلى هذا يكون تسيحه غير ذلك (ويرسل الصواعق) قيل إنه إشارة إلى الصاعقة
 التي نزلت على أربد الكافر وقتلته حين هم بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه عامر بن
 الطفيل واللفظ أعم من ذلك (وهم يجادلون في الله) يعنى الكفار ، والواو للاستئناف أو للحال (شديد
 المحال) أي شديد القوة ، والمحال مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه مفعول ، وقيل معناه شديد المكر من
 قولك : محل بالرجل إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله
 في المواضع التي وردت في القرآن (له دعوة الحق) قيل هي لا إله إلا الله ، والمعنى أن دعوة العباد بالحق
 لله ودعوتهم بالباطل لغيره (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) يعنى بالذين : ما عبدوا من
 دون الله من الأصنام وغيرها ، والضمير في يدعون للكفار ، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم
 (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط
 إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ولا يبالغ فيه على هذا أبداً لأن الماء حماد لا يعقل المراد ، فكذلك

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ
 عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
 زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا
 الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

الأصنام ، والضمير في قوله وما هو للماء ، وفي بياغته للقم (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا
 وكرها) من لا تقنع إلا على من يعقل فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن فإذا جعلنا السجود بمعنى
 الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عام في الجميع : من شاء منهم ومن أبى ، ويكون طوعا لمن أسلم وكرها لمن
 كره وسخط ، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد ، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن
 طوعا ، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر (وظلالهم) معطوف على من والمعنى أن الظلال
 تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قل لله) جواب عن السؤال
 المتقدم ، وهو من رب السموات والأرض ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة ، لأنه أمر واضح
 لا يمكن جحدده ولا المخالفة فيه ، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله : أفأخذتم من دونه أولياء (قل هل يستوى
 الأعمى والبصير) الأعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للؤمن (الظلمات) الكفر (والنور) الإيمان ، وذلك كله
 على وجه التشبيه والتمثيل (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أم هنا بمعنى بل والهمزة ،
 وخلقوا صفة لشركاء ، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاءهم خلقا كخلق الله فحملهم ذلك واشتباهاه بما خلق
 الله على أن جعلوا إلهاء غير الله ، ثم أبطل ذلك بقوله «قل الله خالق كل شيء» ، فحصل الرد عليهم (أنزل من السماء ماء
 فسالت أودية بقدرها) الآية : هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثل الحق وأهله بالماء الذي
 ينزل من السماء تسيل به الأودية ، وينتفع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفير وغيرها
 من المعادن التي ينتفع بها الناس ، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرى به السيل
 ويريد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيت ، وليس في الزبد منفعة ، وليس له دوام (بقدرها) يحتمل
 أن يريد ما قدر لها من الماء ، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها (زبد رابيا)
 الزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه والرابي المنتفخ الذي ربي ومنه الربوة (ومما يوقدون) المجرور في موضع
 خبر المقدم ، والمبتدأ زبد مثله : أى ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل (ابتغاء حلية أو متاع)
 الذي يوقد عليه ابتغاء الحلي : هو الذهب والفضة ، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس
 والصفير وشبه ذلك ، والمتاع ما يستمتع الناس به في مرافقتهم وحوالجتهم (يضرب الله الحق والباطل) أى
 يضرب أمثال الحق والباطل (جفاء) يجفاه السيل أى يرمى به (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) يريد
 الخالص من الماء ومن تلك الأحجار (للذين استجابوا لربهم الحسنى) الذين استجابوا هم المؤمنون ، وهذا

لرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۖ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابُ ۚ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصُلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۗ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْعَنَةُ ۖ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۗ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَصْلِي

استثناف كلام ، والحسنى الجنة ، وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا ، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم مافي الأرض الآية فيوقف على الأمثال ، وعلى الحسنى ، وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب ، والحسنى مصدر من معنى استجابوا : أى استجابوا الاستجابة الحسنى ، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا ، والمعنى : يضر الله الأمثال للطائفتين ، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له (سوء الحساب) أى المناقشة والاستقصاء (أفمن يعلم) تقرير . والمعنى أسوأ من آمن ومن لم يؤمن ، والأعنى هنا من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لأنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأبى جهل لعنه الله (يصلون ما أمر الله به أن يوصل) القرابات وغيرها (ويدرءون بالحسنة السيئة) قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن ، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرءون بها السيئات كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقيل إن هذه الآية نزلت في الأنصار ، ثم هي عامة في كل مؤمن اتصف بهذه الصفات (عقبي الدار) يعنى الجنة ، ويحتمل أن يريد بالدار : الآخرة وأضاف العقبي إليها لأنها فيها ، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا ، وأضاف العقبي إليها لأنها عقبتها (جنات عدن) بدل من عقبي الدار أو خبر ابتداء مضمير تفسير العقبي الدار (ومن صلح) أى من كان صالحاً (سلام عليكم) أى يقولون لهم سلام عليكم (بما صبرتم) يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعاقب سلام أى ليسم عليكم بما صبرتم (والذين ينقضون عهد الله) إلى آخر الآية أو صاف مضافة كما تقدم وقيل لأنها في الخوارج ، والأظهر أنها في الكفار (سوء الدار) يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع (وفرحوا بالحياة الدنيا) لإخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا لذلك حقرها بقوله وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ، أى قليل بالنظر إلى الآخرة (قل إن الله يضل من يشاء) خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية أى قد جاءكم محمد

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۚ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجَبَ ۚ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَلَوُنَّ
 عَلَيْهِمُ النَّارَ أُورُشِيمًا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ * وَلَوْ
 أَنَّ قُرْءَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا
 مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۚ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فعميت عنها ، وطلبت غيرها وتماديتم على الكفر لأن الله يضل من
 يشاء مع ظهور الآيات وقد يهدى من يشاء دون ذلك (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من
 من أناب ، أو خبر ابتداء مضمرة والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثان ، أو مبتدأ (طوبى) مصدر من طاب
 كبشرى ومعناها أصابت خيراً وطيباً ، وقيل هي شجرة في الجنة ، وإعرابها مبتدأ (كذلك أرسلناك)
 السكاف تتعلق بالمعنى الذى فى قوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وهم يكفرون بالرحمن) قيل إنها نزلت
 فى أبى جهل وقيل نزلت فى قريش حين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، فكتب الكتاب بسم الله
 الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن ، وهذا ضعيف ، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة
 إنما أنكروا فيها التسمية فقط ، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم (متاب) مفعول
 من التوبة وهو اسم مصدر (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال) الآية : جواب لو محذوف تقديره لو أن قرأنا
 على هذه الصفة من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به ، فالمعنى كقوله لا يؤمنوا
 ولو جاءتهم كل آية ، وقيل تقديره : ولو أن قرأنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذى هو غاية فى التذكير
 ونهاية فى الإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً ، وقيل هو متعلق بما قبله
 والمعنى ، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال (أفلم ييأس) معناه أفلم يعلم وهى لغة هو وزن
 (ولا يزال الذين كفروا) يعنى ككفار قريش (قارعة) يعنى مصيبة فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ،
 أو غزوات المسلمين إليهم (أو تحل) الفاعل ضمير القارعة . والمعنى إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم ،
 وقيل التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (حتى يأتى وعد الله)
 هو فتح مكة ، وقيل قيام الساعة (ولقد استهزيت) الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث
 وقع (فأمليت) أى أهملتهم (أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت) هو الله تعالى أى حفيظ رقيب على عمل كل
 أحد ، والخبر محذوف تقديره : أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره ، ويدل على ذلك قوله
 أم جعلوا لله شركاء (قل سموهم) أى اذكروا أسماءهم (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الأرض) المعنى أن الله لا يعلم

تَنْبُوهُنَّ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيَّنَّهُنَّ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ه
 مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عَتَمِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَتَمِي الْكَافِرِينَ
 النَّارُ ه وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ
 أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ه وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تُبْعَثَ أَهْوَاهُمْ بَعْدَ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً
 وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ه يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمْرٌ

لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء ، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم ، وتعبدون الباطل ،
 وذلك كقولك : قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم (أم بظاهر من القول) المعنى
 أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم
 (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك (مثل الجنة) هنا وفي القتال صفتها وليس بضرب
 مثل لها والخبر عند سيويه محذوف مقدم تقديره فيما يتلى عليكم صفة الجنة ، وقال الفراء الخبر مؤخر وهو تجرى
 من تحتها الأنهار (أكلها دائم) يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها والأكل بضم الهمزة المأكول ، ويجوز فيه
 ضم الكاف وإسكانها ، والأكل بفتح الهمزة المصدر (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليكم) يعني
 من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه وقيل يعني المؤمنين والكتاب على هذا القرآن
 (ومن الأحزاب) قيل هم بنو أمية ، وبنو المغيرة من قريش والأظهر أنها في سائر كفار العرب ، وقيل هم اليهود
 والنصارى لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم ، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه
 (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المنكرين ، ورد عليهم كأنه قال إنما أمرت بعبادة
 الله وتوحيده ، فكيف تنكرون هذا (مأب) مفعول من الأوب وهو الرجوع ، أي مرجعي في الآخرة
 أو مرجعي بالتوبة (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر أو يحتاج إلى
 ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية ، فالمعنى لست بيدع في ذلك ، بل أنت كمن تقدم من الرسل (وما كان
 لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) رد على الذين اقترحوا الآيات (لكل أجل كتاب) قال الفراء لكل كتاب
 أجل بالعكس وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس أي لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ
 (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قيل يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ، ويثبت منها ما يشاء ، وقيل هي في
 آجال بني آدم ، وذلك أن الله تعالى قدر في ليلة القدر وقيل في ليلة النصف من شعبان بكتب أجل من يموت في ذلك
 العام فيمحوه من ديوان الأحياء ، ويثبت من لا يموت في ذلك العام ، وقيل إن المحو والإثبات على العموم في جميع
 الأشياء ، وهذا ترده القاعدة المتقرر أن القضاء لا يبدل ، وأن علم الله لا يتغير ، فقال بعضهم المحو والإثبات

الْكِتَابِ * وَإِنْ مَأْنُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ * أَوْ لَمْ يَرَوْا
أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ يُعَقِّبْ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَ اللَّهُ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ *

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا آيتي ٢٨ و ٢٩ فدينيتان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ *
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بَلِسَانَ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ * وَهُوَ الْعَزِيزُ

في كل شيء إلا في السعادة والشقاوة الآخروية ، والآجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب ، وهو اللوح
المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها (وإن ما نرينك) إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها ،
فإنما ، (أُولَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الإتيان هنا بالقدرة والأمر ، والأرض أرض الكفار
ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها والمعنى أُولَمْ يَرَوْا ذَلِكَ فَيَخَافُوا أَنْ نَمَكِّنَكَ مِنْهُمْ ، وقيل الأرض
جنس ، ونقصها يموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك (لا معقب لحكمه) المعقب الذي يكر
على الشيء فيبطئه (فأنه المكسر جميعا) تسمية للعقوبة باسم الذنب (وسيعلم الكافر) تهديد ، والمراد بالكافر الجنس
بدليل قراءة الكفار بالجمع ، وعقبى الدار الدنيا والآخرة (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أمره الله أن يشهد
الله على صحة نبوته وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك (ومن عنده علم الكتاب)
معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به ، وقيل المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى
الذين يدلون صفته صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل ، وقيل المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن
ودلالته على النبوة ، وقيل المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب ، ويضعف هذا ، لأنه عطف صفة على
موصوف ، ويقويه قراءة ومن عنده بمن الجارة وخفض عنده

سورة إبراهيم عليه السلام

(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والظلمات الكفر والجهل ، والنور الإيمان
والعلم (يا ذنر بهم) أي بأمره وهو إرساله (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من إلى النور (الله) قرئ بالرفع وهو مبتدأ
أو خبر مبتدأ مضمرة ، وبالحذف بدل (يستحبون) أي يؤثرون (ويبغونها) قد ذكر (باسان قومه) أي بلغتهم وكلامهم (أن)

الْحَكِيمِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي
ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لئنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلئنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَهَنَ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا
لِنَجْنِئُكَ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ
مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

أخرج) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن (وذكرهم بأيام الله) أي عقوباته للأمم المتقدمة ، وقيل إنعامه على
بنى إسرائيل ، واللفظ يعم النعم والنقم ، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت في أيام ، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا
ويوم كذا (ويذبجون أبناءكم) ذكرها بالواو ، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعم من ذلك ثم جر الذبح
كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر في البقرة بغير واو تفسير للعذاب (وإذ تأذن ربكم) من كلام موسى ،
وتأذن بمعنى أذن أي أعلم كقولك تواعد وأوعد وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به (لئن شكرتم لأزيدنكم)
هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال ، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في
الآخرة أو منهما (ولئن كفرتم) يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان والاول أرجح لمقابله
بالشكر (لا يعلمهم إلا الله) عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونا بين ذلك كثيرا (فردوا أيديهم في أفواههم)
فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الضمائر لقوم الرسل ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظا من
الرسول كقوله، عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، أو استهزاء وضحكا : كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه ،
والثاني أن الضمائر لهم ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت ، والثالث أنهم
ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ، وردا لقولهم (أفي الله شك) المعنى أفي وجود الله شك أو أفي
إلهيته شك ، وقيل في وحدانيته ، والهمزة للتقرير والتوبيخ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة ، ولذلك وصفه
بعد بقوله : فاطر السموات والأرض (من ذنوبكم) قيل إن من زائدة ، ومنع سيبويه زيادتها في الواجب
وهي عنده للتبعيض ، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام ، ويبقى ما يذنب بعده
في المشيئة فوَقعت المغفرة في البعض ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر كهذا الموضع ،
والذي في الأحقاف وسورة نوح وجاء للمؤمنين بغير من كالذي في الصف (ويؤخركم إلى أجل مسمى)
قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة : معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم ، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت ، وهذا بناء على قولهم بالأجلين ، وأهل السنة يأبون هذا ، فإن الأجل عندهم واحد محتوم ،

فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۖ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ
هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ ۖ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۖ مَنْ وَرَأَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسْقُ
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَأَىٰ جَهَنَّمَ
غَلِيظًا ۖ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ

(قالوا إن أتمم إلا بشر مثلنا) يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة أو يكون
إحالة لنبوة البشر ، والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم فأتونا بسُلطان مبین ولقول الرسل ، ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده أي بالتفضيل بالنبوة (وما لنا ألا نتوكل على الله) والمعنى أى شئ يمنعنا من
التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إن قيل لم كرر الأمر؟ فالجواب عندي أن قوله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسُلطان مبین أى حجة ظاهرة ، فتوكل الرسل في ورودها
على الله ، وأما قوله فليتوكل المتوكلون : فهو راجع إلى قولهم ولنصبرن على ما آذيتونا أى نتوكل على الله
في دفع أذاكم وقال الزمخشري إن هذا الثاني في معنى الثبوت ، على التوكل (أو لتعودن في ملتنا)
أو هنا بمعنى إلا أن ، أو على أصلها ، لوقوع أحد الشيتين ، والعود هنا بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في
كلام العرب ولا يقتضى أن الرسل ، كانوا في ملة الكفار قبل ذلك (خاف مقامى) فيه ثلاثة
أوجه هنا وفي لمن خاف مقام ربه في الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب في القيامة والثاني : أن معناه
قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافى وخاف ربه ، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات
(واستفتحوا) الضمير للرسل أى استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم (جبار) أى قاهر أو متكبر
(عنيذ) مخالف للانقياد (من ورائه) في الموضوعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه
هنا أمامه وهو بعيد (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى ، وإنما ذكر هذا السقى
تجريدا بعد ذكر جهنم ، لأنه من أشد عذابها (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يتكلف جرعه وتصعب عليه
إساعته ونفى كاد يقتضى وقوع الإساعة بعد جهد ، ومعنى يسيغه يبتلعه (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يجد
الماء مثل ألم الموت وكرهته من جميع الجهات (وما هو بميت) أى لا يراح بالموت (مثل الذين كفروا) مذهب
سيبويه والفراء فيه كقولهما في مثل الجنة التي في الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم
والخبر عند الفراء الجملة التي بعده ، والمثل هنا بمعنى الشبيه (أعمالهم كرماد) تشبيها بالرماد في ذهابها وتلاشيها
(في يوم عاصف) أى شديد الريح والعصوف في الحقيقة من صفة الريح (لا يقدرن مما كسبوا على شئ)

شَيْءٌ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ البَعِيدُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفُؤُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مَغْنُونٌ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقْضَى الْأَمْرَ لِلَّهِ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْذَنُ رَبَّهُمْ لِمَ يَأْذَنُ رَبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمِثْلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . أَلَمْ

أى لا يرون له منفعة (وبرزوا لله) أى ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور ، وقيل معناه صاروا بالبراز ، وهى الأرض المتسعة (تبعاً) جمع تابع أو مصدر وصف به بالغة ، أو على حذف مضاف (من عذاب الله من شىء) من الأولى لليبان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاقلة المخشرى ، والأظهر أن الأولى لليبان ، والثانية زائدة والمعنى هل أتم دافعون أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله (محيص) أى مهرب حيث وقع ، ويحتمل أن يكون مصدراً أو اسم مكان (وقال الشيطان) يعنى إبليس الأقدم ، روى أنه يقوم خطيباً بهذا الكلام يوم القيامة أو فى النار يقوله لأهلها (لما قضى الأمر) إن كان كلام إبليس فى القيامة بمعنى قضى الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة وإن كان فى النار فعنى قضى الأمر حصل أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة (إلا أن دعوتكم) استثناء منقطع (ما أنا بمصرخكم وما أتم بمصرخي) أى ما أنا بمفخيمكم وما أتم فمخين لي (بما أشركتمون) ما مصدرية : أى ياشرككم لي مع الله فى الطاعة (من قبل) يتعلق بأشركتمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتهم ، والأول أظهر وأرجح (إن الظالمين) استئناف من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس (يأذن ربهم) يتعلق بأدخل أو بخالدين ، والأول أحسن (كلمة طيبة) ابن عباس وغيره هى لا إله إلا الله وقيل كل حسنة (كشجرة طيبة) هى النخلة فى قول الجمهور ، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما تصف بتلك الصفات (وفرعها فى السماء) أى فى الهواء ، وذلك عبارة عن طولها (تؤتى أكلها كل حين) الحين فى اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به قرينة تحده ، وقيل فى كل حين كل سنة لأن النخلة تطعم فى كل سنة ، وقيل غير ذلك (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر ، وقيل كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) هى الحنظلة عند الجمهور ، واختار ابن عطية أنها غير معينة (اجتثت) أى اقتلعت وحقيقة

تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ۗ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ
 أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا
 مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَلٌ ۗ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ
 لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن
 تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِن الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي
 وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۗ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۗ
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ
 النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۗ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ

الاجنثاء أخذ الجثة، وهذا في مقابلة قوله أصلها ثابت (بالقول الثابت) هو لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة
 (في الحياة الدنيا) أي إذا فتنوا لم يزلوا (وفي الآخرة) هو عند السؤال في القبر عند الجمهور (بدلوا نعمة الله
 كفرا) نعمة الله هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ودينه: أنعم الله به على قريش فكفروا بالنعمة
 ولم يقبلوها، والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم) أي من أطاعهم واتبعهم (دار البوار)
 فسرنا بقوله جهنم (يقيموا الصلاة وينفقوا) هي جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقديره إن تقل لهم
 أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا (ولا خلل)
 من الخلة وهي المودة (إن الإنسان) يريد الجنس (البلد آمنا) ذكر في البقرة (واجنبني) أي امنعني، والماضي
 منه جنب، يقال جنب وجنب بالتشديد، وأجنب بمعنى واحد (وبني) يعني بني من صلبى وفيهم أجيدت دعوتهم
 وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام (ومن عصاني) يعني من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه،
 فهو الذي يصح أن يدعى له بالمغفرة ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن
 الخلق (أسكنت من ذريتي) يعني ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر غارت منها سارة زوجة إبراهيم
 ثم له مع أمه من الشام إلى مكة (بواد) يعني مكة، والوادي ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء (عند بيتك المحرم)
 يعني الكعبة فيما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم
 أنه سيبني هناك بيتا (ليقيموا الصلاة) اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كي وتتعلق بأسكنت
 وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلا (تهوى إليهم) أي تيسر بجد وإسراع ولهذا
 الدعوة حبيب الله حج البيت إلى الناس على أنه قال من الناس بالتبويض، قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس
 لحجته فارس والروم (وارزقهم من الثمرات) أي ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع وأجاب الله دعوتهم

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ * وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطَعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مَخْلَفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ

بجمل مكة يجي إليها ثمرات كل شيء (وما يخفى على الله) الآية: يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، أو حكاية عن إبراهيم (وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاماً، وروى أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحق (ربنا وتقبل دعاء) إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فعنى القبول: الاستجابة، وإن أراد بالدعاء العبادة، فالقبول على حقيقته (ربنا اغفر لي ولوالدي) قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله حسبا ورد في برامة (ولا تحسبن الله غافلا) هذا وعيد للظالمين وهم الكفار على الأظهر، فإن قيل لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لغيره، فإن كان لغيره فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسب أن الله غافلا، وتأويل ذلك بوجهين: أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده، والآخر أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فقصد الكلام الوعيد لهم (تشخص فيه الأبصار) أي تحذ النظر من الخوف (مهطعين) قيل الإطاع الإسراع، وقيل شدة النظر من غير أن يطرف (مقنعي رؤسهم) قيل الإقناع هو رفع الرأس، وقيل خفضه من الذلة (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يطفون بعيونهم من الحذر والجزع (وأفئدتهم هواء) أي منحرفة لا تعي شيئا من شدة الجزع فشبهها بالهواء في تعريفه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم (يوم يأتيهم العذاب) يعني يوم القيامة، واتصاف يوم على أنه مفعول ثان لأنذر، ولا يجوز أن يكون ظرفا (أولم تكونوا) تقديره يقال لهم أولم تكونوا الآية (مالك من زوال) هو المقسم عليه، ومعنى من زوال أي من الأرض بعد الموت أي حلفتكم أنكم لا تبعثون (وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) إن هنا نافية، واللام لام الجحود، والجبال يراد بها الشرائع والنبوات شبهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى تحقير مكرهم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة؛ وقرأ الكسائي تزول بفتح اللام ورفع تزول، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى تعظيم مكرهم أي أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال، ولكن

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانَ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ *

سورة الحجر

مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ * ذَرُّهُمْ يَا كُلُّوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ

الله عصم ووقى منه (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله) يعنى وعد النصر على الكفار ، فإن قيل هلا فال يخلف رسله وعده ، ولم قدم المفعول الثانى على الأول ؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق ، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص (يوم تبدل الأرض غير الأرض) العامل فى الظرف ذوا انتقام أو محذوف ، وتبدل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي هكذا ورد فى الحديث الصحيح (والسموات) تبدلها بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقرها وقيل تبدل أرضا من فضة ، وسماء من ذهب وهذا ضعيف (وترى المجرمين) يعنى الكفار (مقرنين فى الأصفاذ) أى مربوطين فى الأغلال (سرايلهم) أى قمصهم والسربال القميص (من قطران) متعلق بمحذوف أى جعل الله فيه ذلك وهو الذى تهبأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد ، فلذلك جعل الله قص أهل النار منه (ليجزى) يتعلق بمحذوف أى فعل الله ذلك ليجزى (هذا بلاغ) إشارة إلى القرآن أر إلى ما تضمنته هذه السورة (ولينذروا) معطوف على محذوف تقديره لينصحوابه ولينذروا (وليدكر أولو الألباب) أى هذا الذكراولى العقول وهم أهل العلم رضى الله عنهم

سورة الحجر

(تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة ، وعطف القرآن عليها ، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات (ربما) قرئ بالتخفيف والتثنيدهما لغتان ، وما حرف كافة لرب ، ومعنى رب التقليل ، وقد تكون للتكثير ، وقيل إن هذه منه ، وقيل إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهم كقوله : قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، وقد يعلم ما أتم عليه ، وقيل إن معنى التقليل فى هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة ولا تدخل إلا على الماضى (يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قيل إن ذلك عند الموت ، وقيل

معلوم ۰ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۰ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۰
 لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلْأِئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۰ مَا نَنْزِلُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ
 نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۰ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ۰ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۰ وَلَوْ فَتَحْنَا
 عَلَيْهِمُ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ۰ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۰

في القيامة ، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح لحديث روى في ذلك (ذره) وما بعده
 تهديد (كتاب معلوم) أى وقت محدود (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) الضمير فى قالوا
 لكفار قريش ، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف ، أى بزعمك ودعواك (لو ما تأتينا
 بالملائكة) لو ما عرض وتحضيض ، والمعنى أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه (ما نزل
 الملائكة إلا بالحق) رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح ، التى
 يريد بها الله ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل الحق هنا العذاب (وما كانوا إذا منظرين) إذا حرف
 جواب وجزاء ، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار ، الذين اقترحوا نزولهم ، لأن
 من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يجعل له العذاب ، وقد علم الله ، أن هؤلاء القوم يؤمن
 كثير منهم ، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الذكر هنا هو القرآن
 وفى قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستخفافهم فى قولهم : يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك أكد
 بنحن واحتج عليه بحفظه ، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى فى غيره من الكتب ، فتولى الله
 حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب ، فإن حفظها
 موكل إلى أهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب الله (فى شيع الأولين) الشيع جمع شيعه وهى الطائفة
 التى تنسب لمذهب أو رجل (كذلك نسلك فى قلوب المجرمين) معنى نسلك ندخله ، والضمير فى نسلك
 يحتمل أن يكون للاستهزاء الذى دل عليه قوله به يستهزئون أو يكون للقرآن أى نسلك فى قلوبهم فيستهزؤا به ،
 ويكون قوله كذلك تشبيهاً للاستهزاء المتقدم ، ولا يؤمنون به تفسيراً لوجه إدخاله فى قلوبهم ، والضمير
 فى به للقرآن (وقد خلت سنة الأولين) أى تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى
 هاكوا بذلك ، فى الكلام تهديد لقريش (ولو فتحننا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
 أبصارنا) الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل الضمير فى ظلوا وفى يعرجون للملائكة
 وفى قالوا للكفار ، ومعنى يعرجون يصعدون ، والمعنى أن هؤلاء الكفار لوراوا أعظم آية لقالوا إنها
 تخييل أو سحر ، وقرئ سكرت بالتشديد والتخفيف ، ويحتمل أن يكون مشتقاً من السكر ، فيكون
 معناه أجزت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۖ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ
السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مَبِينٌ ۖ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۖ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۖ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ *
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۖ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ۖ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۖ وَالْجَنَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۖ وَإِذْ
قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۖ فإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا
لَهُ سَاجِدِينَ ۖ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ

من النظر (بروجا) يعنى المنازل الاثني عشر (إلا من استرق السمع) استثناء من حفظ السموات فهو في موضع نصب (من كل شيء موزون) أى مقدر بقدر، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة، والأول أعم وأحسن (ومن لستم له برازقين) يعنى البهائم والحيوانات ومن مطوف على معاش وقيل على الضمير فى لكم، وهذا ضعيف فى النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوى فى المعنى أى جعلنا فى الأرض معاش لكم وللحيوانات (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) قيل يعنى المطر، واللفظ أعم من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل ذلك تمثيل، والمعنى وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه (بقدر معلوم) أى بمقدار محدود (وأرسلنا الرياح لواقح) يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حمت فهى لافحة وألقحت الريح الشجر فهى ملقحة ولواقح جمع لافحة، لأنها تحمل الماء أو جمع ملقحة على حذف الميم الزائدة (ولقد علمنا المستقدمين) الآية: يعنى الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذى ذكر بعد ذلك فى قوله وإن ربك هو يحشرهم لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل يعنى من استقدم ولادة وموتاً ومن تأخر، وقيل من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) الإنسان هنا هو آدم عليه السلام، والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل أى يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار (من حمأ مسنون) الحمأ الطين الأسود، والمسنون المتغير المنتم، وقيل إنه من أسن الماء إذا تغير، والتصريف يرد هذا القول، وموضع من حمأ صفة لصلصال: أى صلصال كائن من حمأ (والجان خلقناه) يراد به جنس الشياطين، وقيل إبليس الأول، وهذا أرجح لقوله من قبل وتناست الجن من إبليس وهو للجن كآدم للناس (السموم) شدة الحر (خالق بشرا) يعنى آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحى) يعنى الروح التى فى الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أى من الروح

أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا
فَائِكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَاَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا آغَوَيْتَنِي لِأَزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جِزَاءٌ مُقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
جَنَّتِ وَعْيُونَ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ * آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى أَسْرَمٍ مُتَقَبِّلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ
فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّهَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئْهُمْ
عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ *
قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ * قَالَ وَمَنْ

الذي هو لى وخلق من خاقي ، و تقدم الكلام على سجود الملائكة فى البقرة (ف اخرج منها) أى من الجنة أو من السماء (قال رب) يقتضى لإقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله فى أمره بالسجود لآدم (إلى يوم الوقت المعلوم) اليوم الذى طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة ، وقيل الوقت المعلوم الذى أنظر إليه هو يوم النفخ فى الصور النفخة الأولى حين يموت من فى السموات ومن فى الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلامنه ومغالطة إذ سأل ما لا سبيل إليه لأنه لو أعطى ما سأل لم يمت أبداً لأنه لا يموت أحد بعد البعث فلما سأل ما لا سبيل إليه : أعرض الله عنه ، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى (فيما أغويته) الباء للسببية أى لأغوينهم بسبب إغوائك لى ، وقيل للقسمة كأنه قال بقدرتك على إغوائى لأغوينهم ، والضمير لندرية آدم (قال هذا صراط على مستقيم) القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوى ومخلص (إلا عبادك) يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس ، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعاً (وإن جهنم لم وعدهم) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) روى أنها سبعة أطباق فى كل طبقة باب ، فأعلاها للمذنبين من المسلمين والثانى لليهود ، والثالث للصارى ، والرابع للصائبين والخامس للمجوس ، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (ادخلوها) تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة (إخواناً) يعنى أخوة المودة والإيمان (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة (نصب) أى تعب (نبيء عبادى) الآية : أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاؤا إلى إبراهيم بالبشرى (وجلون) أى خائفون ، والوجل الخوف (لا توجل) أى لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) هو إسحاق (قال أبشرتونى على أن مسنى الكبر) المعنى أبشرتونى بالولد مع أنى قد كبر سنى ،

يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ . قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ .
 إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا أَمْرًا تَقَدَّرْنَا مِنْهَا لِمَنْ الْغَابِرِينَ . فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ
 إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ . قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ . وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَاسْرُ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ . وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
 الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ . وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ . قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضُرُوبٌ فَلَا
 تَفْضَحُونَ . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ . قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ .
 لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ . فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَاقِلَهَا وَآمَطْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

وكان حينئذ اثنان مائة سنة، وقيل أكثر (فهم تبشرون) قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره أو على وجه الاستبعاد، ولذلك قرئ تبشرون، بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهي نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) أي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) دليل على تحريم القنوط، وقرئ يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان (قالوا خطبكم) أي ما شأنكم، وبأى شيء جئتم (إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (إلا آل لوط) يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعاً لوصف القوم بالأجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في المجرمين، فيكون متصلاً كما أنه قال إلى قوم قد أجزوا وكلهم إلا آل لوط فلم يجرموا (إلا أمراته) استثناء من آل لوط، فهو استثناء من استثناء وقال الزنخشي إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجورهم، وذلك هو الذي يقتضيه المعنى (قدرنا إنها لمن الغابرين) الغابر يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذهاب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما تقول خاصة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله (قوم منكرون) أي لا نعرفهم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه (واتبع أدبارهم) أي كن خلفهم أي في ساقهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا أقدامه، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم (ولا يلتفت منكم أحد) تقدم في هود (وامضوا حيث تؤمرون) قيل هي مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان (وقضينا إليه ذلك الأمر) هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى إلى لأنه ضمن معنى أو حيناً وقيل معناه أعلنه بذلك الأمر (أن دابر هؤلاء مقطوع) هذا تفسير لذلك الأمر، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط (مصباحين) في الموضوعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح (وجاء أهل المدينة يستبشرون) المدينة هي سدوم واستبشار أهلها بالأضياف طمعاً أن ينالوا منهم الفاحشة (قالوا ولم تنهك عن العالمين) كانوا قد نهوه أن يضيف أحداً (قال هؤلاء بناتي) دعاهم إلى تزويج بناته ليقب بذلك أضيافه (لعمرك) قسم والعمر الحياة، ففي ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله أقسم بحياته، وأقيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره مخدوف تقديره لعمرك قسمي واللام للتوطئة (إنهم لفي

مَنْ يَجِيلُ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ كَانَ
 أَصْحَابُ الْآيَةِ لَظَّالِمِينَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَّيِّبِينَ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ . وَآتَيْنَاهُمُ
 آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ . فَآ
 أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ
 فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ .
 لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَقُلْ إِنِّي أَنَا

سكرتهم يعمهون) الضمير لقوم لوط ، وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ، ويعمهون أى يتحIRON (فأخذتهم
 الصيحة) أى صيحة جبريل وهى أخذه لهم (مشرقين) أى داخلين فى الشروق وهو وقت بزوغ الشمس ،
 وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم فى هود (للمتوسمين) أى للمتفرسين ، ومنه فراسة المؤمن ، وقيل
 للمعتبرين ، وحقبة التوسم النظر إلى السيمة (وإنها بسبيل مقيم) أى بطريق ثابت يراه الناس والضمير للمدينة
 المهلكة (وإن كان أصحاب الآيكة لظالمين) أصحاب الآيكة قوم شعيب والآيكة الغيضة من الشجر لما كفروا
 أضرمها الله عليهم نارا (وإنها لبإمام ميبين) الضمير فى إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ، فالإمام
 على هذا الطريق : أى إلهما بطريق واضح يراه الناس ، وقيل الضمير للوط وشعيب أى إنهما على طريق
 من الشرع واضح والأول أظهر (أصحاب الحجر) هم ثمود قوم صالح ، والحجر وادهم وهو بين المدينة
 والشام (المرسلين) ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفى ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب
 واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد ، والثانى أنه أراد الجنس
 كقولك فلانا يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة ، وما كان فيها من
 العجائب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) النحت النقر بالمعاويل وشبهها فى الحجر والعود وشبه ذلك
 وكانوا ينقرون بيوتهم فى الجبال (آمنين) يعنى آمنين من تهم بيوتهم لوثاقها ، وقيل آمنين من
 عذاب الله (إلا بالحق) يعنى أنها لم تخلق عبثا (فاصفح الصفح الجميل) قيل إن الصفح الجميل هو الذى
 ليس معه عقاب ولا عتاب ، وفى الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف (ولقد آتيناك سبعا من المثانى)
 يعنى أم القرآن لأنها سبع آيات ، وقيل يعنى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران ، والنساء ،
 والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ، والأول أرجح لوروده فى الحديث ،
 والمثانى مشتق من التثنية وهى التكرير ، لأن الفاتحة تكرر قراءتها فى الصلاة ، ولأن غيرها من السور
 تكرر فيها القصص وغيرها ، وقيل هى مشتقة من الثناء ، لأن فيها ثناء على الله ، ومن يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ
 للتبويض أو لبيان الجنس ، وعطف القرآن على السبع المثانى لأنه يعنى ما سواها من القرآن فهو عموم
 بعد الخصوص (لا تمدن عينيك) أى لا تنظر إلى ما متعناهم به فى الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع المثانى
 والقرآن العظيم ، فلا تنظر إلى الدنيا ، فإن الذى أعطيناك أعظم منها (أزواجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار

النذير المبين . كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لننزلنهم أجمعين . عما كانوا يعملون . فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر فسوف يعلمون . ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَمَّا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (للمؤمنين) والجناح هنا استمارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أندر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين ، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين ، واختلف فى المقتسمين ف قيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فافقسموا إلى قسمين ، وقيل هم قريش اقتصموا أبواب مكة فى الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر ، ويقول الآخر هو ساحر ، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء ، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من المضه وهو السحر ، والعضه الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ولا مها على القول الأول واو وعلى الثانى هاء (فوربك لنسئلنهم أجمعين) إن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله فى يومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزئين) يعنى قوماً من أهل مكة أهل الكهف الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ، والأسود بن عبدالمطلب ، والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس ، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير ، وقيل الذين قتلوا بيد كآبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمىة بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم ، والأول أرجح ، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت .

سورة النحل

(أئى أمر الله) قيل يعنى القيامة ، وقيل النصر على الكفار ، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا ، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر وآثره ، وروى أنها المنزلة وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۚ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۚ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۚ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا
بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ * وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاءَتْ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُوسَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أي بالنبوة وقيل بالوحي (خلق الإنسان من نطفة) أي من نطفة
المنى ، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه
والثاني يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار والأول أعم (لكم فيها دفء) أي ما يتدفأ به ، يعني
ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب ، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده
ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعني شرب ألبانها والحلث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل
أن يريد بالمنافع ماعدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر
الأكل لأنه لأعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعني حين
تردونها بالعشى إلى المنازل ، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعي ، وإنما قدم تريحون على
تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع ويطونها بالأذى وضروعها حافلة (وتحمل أثقالكم
يعني الامتعة وغيرها وقيل أجساد بني آدم (إلى بلد) أي إلى أي بلد توجهتم ، وقيل يعني مكة (بشق الأنفس)
أي بمشقة (لتركبوها وزينة) استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ، لكونه
علل خلقها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع تركبوها
(ويخاق ما لا تعلمون) عبارة على العموم أي أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها ، وكل ما ذكر في هذه الآية شيئاً
مخصوصاً فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أي على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث
الرسول والمراد بالسبيل هنا الجنس ، ومعنى القصد القاصد الموصل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة
إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير في منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر : الخارج عن
الصواب : أي ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل
أو يكون في موضع خبر لشراب ، أو صفة لسماء (ومنه شجر) يعني ما ينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون)
أي ترعون أنعامكم (وما ذرأ لكم في الأرض) يعني الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفاً ألوانه) أي

يَذَكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ
مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِيَّاكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَأَجْرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة
يقال مخزت السفينة ، والمخرشق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو
معطوف على لناكلوا (والقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم) الرواسى الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت ، وأن
تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله
الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن
عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل
على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق
(وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية
هو نصب على المصدر أى لعلمكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء
بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل : قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج
عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون : فمن المراد بهم؟ فالجواب
أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لمن يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصوا ،
قال ذلك الزمخشري (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم
من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى
هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن
لا يخلق ، وفيها أيضا تعدد نعمة على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك
بقوله إن الله لغفور رحيم : أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضعافها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير
عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال : إلهكم إله واحد (أموات
غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها بمن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب
موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون للأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ،
وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكراة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

المُتَكَبِّرِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءُ مَا يُزْرُونَ . قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنِيَهُمْ مِنَ
الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ
تَتَوَلَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *
فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِّسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

وقيل إن لاني لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى ماسطره
الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ،
وحديثي أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو
أن تكون الاستفهامية في وضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذى ، وفي أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم)
اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ،
ويحتمل أن تكون الأمر (بغير علم) حال من المفعول في يضلونهم ، أو من الفاعل (فأنى الله بنيانهم من القواعد)
الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمرود ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه
الله وخر سقفه عليه ، وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبيان
والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائى) توبيخ للشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على
زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فنقرأ بكسر النون فالمفعول
ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال
الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال
من الضمير المفعول في توفاهم (فألقوا السلم) أى استسلموا اللبوت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل
قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب
اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب في نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى
قد كنتم تعلمون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير
الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين
وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففي ذلك اعتراف بأن
الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلاوجه
لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ،
والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ، لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا في الرفع ، لأن
تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلِنَعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ۝ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَاعْمَلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ * إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بِلَىٰ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذي قالوا ، وقيل هي استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيرا (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمرة ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو مضمرة تقديره لهم جنات عدن (هل ينظرون) أى ينتظرون ، والضمير للكفار وإلا أن تأتيتهم الملائكة يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى قيام الساعة أو العذاب فى الدنيا (فأصابهم سيئات ماعملوا) أى أصابهم جزاء سيئات ماعملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزئون ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أى أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده ، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك فى الآخرة على وجه التمنى فإن له لو تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لمسار أو العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يجرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدى من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أى لا يهدى غير الله من يضلله (الله وقرئ يهدى بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدى الله من قضى بإضلاله) (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه فى معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أى أنه يبعثه (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضاً على

أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لِآخِرَةِ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
 إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
 إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَاهِمٌ مُعْجِزِينَ ۚ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
 رَحِيمٌ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۚ

البعث ، فان الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيعظم الله لبيين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا
 لشيء الآية : برهان أيضاً على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا في الله) يعني الذين
 هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت في أبي جندل بن سهيل
 وخبره مذکور في السير في قصة الحديدية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوئهم في الدنيا
 حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهي المدينة التي استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أي نبوئهم
 تبوئة حسنة وقرئ لشبوئهم بالثاء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن
 يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجالات) رد على من استبعد أن يكون الرسول من
 البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعني أحبار اليهود والنصارى أي لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر
 (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً
 ويوحى أو بتعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) يحتمل أن يريد لتبين
 القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل في هذا ما بينته السنة من
 الشريعة (أفأمن الذين مكرروا السيئات) يعني كفار قریش عند جمهور المفسرين ، والسيئات تحتمل وجهين :
 أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أي المعاصي فيكون مكرروا يتضمن معنى عملوا ، والآخر أن
 يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم في
 تقلبهم) يعني في أسفارهم (فمأهم بمعجزين) أي بمفاتيح حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان
 أحدهما أن معناه على تنقص أي ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم
 جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره ، وقد كان
 عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف في الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص في لغتنا ،
 والوجه الثاني أنه من الخوف أي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك ، فأخذهم بعد أن توقعوا العذاب
 وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله) معنى الآية
 اعتبار بانتقال الظل ، ويعنى بقوله ما خلق الله من شيء : الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ۖ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۗ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيتَى فَارْهَبُونَ ۗ وَلَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاً أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۗ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ
فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ۗ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۗ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفيؤ من الشيء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال ربيعة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفيه ، ولا يقال قبله إلا ظل ، ففي لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفيؤ وضع ينتقل أو يميل والضمير في ظلالة يعود على ما أو على شيء (عن اليمين والشمال) يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الأيمان ، واستعارنا الأيمان والشمال للأجرام ، فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة الإنسان (سجد الله) حال من الظلال ، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلالة إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شيء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام واختلف في معنى هذا السجود ، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أي صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) بحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معاً لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بياناً لما في الأرض خاصة وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري (والملائكة) إن كان قوله من دابة بياناً لما في السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة في ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصاً لهم بالذكر وتشريفاً وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فمطعمهم على ما قبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة وهو بيان نفي الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) ووصف الإلهين باثنين تأكيداً وبياناً للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون في الكلام تأكيد (فإياي فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياي مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واصباً) أي واجبا وثابتاً ، وقيل دائماً ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلاً بما قبله : أي كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجارون) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعملون ، فعلى هذا يبتدئ بها ، وقيل هي لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي ، وذلك بعيد في المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فسوف تعلمون * ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تكفرون * ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من
القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من
دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله
ما يكرهون وتصف السننهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون * تالله لقد
أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم * وما أنزلنا عليك

آتيناهم ، أو كفر الجحود والشرك لقوله برهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع في الدنيا ، وذلك أمر على وجه
التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) الضمير في يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون
للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لا يعلمون الأصنام ، والضمير في لا يعلمون للكفار
أى لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير في لا يعلمون للأصنام أى الأشياء غير عالمه
وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك
بقوله (سبحانه ولهم ما يشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعنى بذلك الذكور من الأولاد ،
وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولا بفعل مضمرة
تقديره ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ، وأن يكون معطوفا على البنات على أن هذا يمنع البصريون ، لأنه من
باب ضربتى وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم)
إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد
عبارة عن العبوس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر في يوسف (يتوارى من القوم) أى
يستخفى من أجل سوء ما بشر به (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التى
بشر بها على هوان وذللها ، أو يدفنها في التراب حية ، وهى الموهودة ، وهذا معنى يدسه في التراب (مثل السوء) أى صفة
السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (والله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الغنى
عن كل شئ والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يؤاخذ) يعنى لو يعاقبهم في الدنيا (بظلمهم) أى بكفرهم ومعاصيهم
(ماترك عليها) الضمير للأرض (من دابة) يعنى بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ،
وقد ورد ذلك فى الأثر ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من
الكذب ، والحسنى هنا قيل هى الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط :
أى متجاوزون الحد فى المعاصى ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أى معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد
من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

الْكِتَابِ إِلَّا لَتَبِينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبِ ۝ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يردُّ إِلَىٰ أَرْضِهِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمها لغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير للأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنت فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى مافى السكرش من الغدد ، والمعنى أن الله يخاق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لا ابتداء الغاية (سائغا للشربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكر) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المانع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام ، ووحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أنه مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنى آدم من الأجاج والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيا أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب (ثم كلى من كل الثمرات) عطف كل على اتخذي ، ومن للتبعيض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشبهها (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكة وخلقه (ذلالا) أى مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى منقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شىء ، نكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه

العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير * والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا
برأدي رزقهم على ما ملكت أيمنهم فهم فيه سواء أفبئعتم الله يبحدون * والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالأطل يؤمنون وبنعمت الله هم
يَكْفُرُونَ * ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون
فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن
رزقته منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله

وسلم أن رجلاً جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال اسقه عسلاً ، فذهب ثم رجع فقال قد
سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل
(إلى أذل العمر) أى إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حده خمسة وسبعين عاماً ، وقيل ثمانون ،
والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) اللام لام الصيرورة
أى يصير إذا هرم لا يعلم شيئاً بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن
قلة العلم لغلبة النسيان ، وقيل المعنى لثلاث يعلم زيادة على علمه شيئاً (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)
الآية في معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أتم لاتسوقون بين أنفسكم وبين
ماليكم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدى شركاء لى ، والآخر أنها عتاب وذم
لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما
تلبسون ، والاول أرجح (أنعمت الله يبحدون) الجحد هنا على المعنى الاول إشارة إلى الإشراف بالله ،
وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس المالك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجاً) يعنى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقكم ، أو يريد أن حواء خلقت
من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بنى آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد
البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة فى اللغة الخدمة
(ويعبدون من دون الله) الآية : تويخ للكفار ، ورد عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لاتملك لهم رزقا ،
وانتصب رزقا لأنه مفعول يملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فأعراب
شيئاً مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فأعراب شيئاً بدل منه (ولا يستطيعون)
الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية ، ونفى الاستطاعة بعد نفي الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله
مثلاً عبداً مملوكاً) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعباد المملوك الذى لا يقدر على شيء ، والله
تعالى له الملك ، ويده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر
على شيء لأن بعض العبيد يقدر على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة
موصوفة ، والمراد بهان هو حر قادر كأنه قال وحرّاً رزقناه ليطاق عبداً ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ
وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ
بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ

يستون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكر الله على بيان هذا المثل
ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل لله
تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل
إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كل على مولاه)
الكل الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل الأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر
الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا
بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت
فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرهما إتباعا للكسرة قبلها (في جوق السماء) أى
في الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى
مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من
القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم
هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن
أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للعز والبقر (أثنا) اثنا
متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى
إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفتى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالات)
أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر
وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما بقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى
بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر) السراويل هى الثياب من
القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ،
وقيل لأن ذكر أحدهما يعنى عن ذكر الآخر (وسراويل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بِاسْمِكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا
شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكٰذِبُونَ ۝
وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ *
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثُوا فَتَخْذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشرافهم
به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد
عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم فى الاعتذار (ولاهم يستعجبون) أى
لا يسترضون، وهو من العتبي بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) (يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى
النظر: أى لا ينظر الله إليهم) (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير فى القول للمعبودين والمعنى أنهم
كذبوهم فى قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا
يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون
تكذيبهم لهم فى تسميتهم شركاء لله، لا فى العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا
(زدناهم عذاباً فوق العذاب) روى أن الزيادة فى العذاب هى حيات وعقارب كالبعال تلسعهم (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك فى حقوق الله تعالى
وفى حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية فى كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء، صدر آتى
بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك فى العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماماً به (وينهى عن الفحشاء)
قيل يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك (والمسكر) هو أعم من الفحشاء، لأنه يعنى جميع المعاصى (والبغى) يعنى
الظلم (ولا تقضوا الأيمان) هذا فى الأيمان التى فى الوفاء بها خيراً، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه
وليفعل الذى هو خير منه، كما جاء فى الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان فى حق غيره،
أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى رقيباً ومتكفلاً، وفائتكم بالعهد، وقيل إن هذه الآية نزلت

من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتستأنن عما كنتم تعملون . ولا تتخذوا آيمنتكم دخلاً بينكم فبذل قدم بعد ثبوتها وتدوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم . ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون * من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حيوته طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون . فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون . وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل

في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلاً قوياً ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ربيعة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بالمرأة غير معينة (أنكأ) جمع نكح وهو ما ينكح أى ينقض ، وانتصاه على الحلال (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) الدخول الدغل ، وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أن في موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون أمة ، ومعنى أربى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يبلوكم الله به) الضمير للأمر بالوفاء ، أو لسكون أمة هي أربى من أمة ، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولاً (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر ، وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل في قدم واحدة فكيف في أقدام كثيرة (وتدوقوا السوء) يعنى في الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) الثمن القليل عرض الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكح لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الاتفاح في الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى يفتى (فلنجينه حياة طيبة) يعنى في الدنيا ، قال ابن عباس هي الرزق الحلال ، وقيل هي القناعة ، وقيل هي حياة الآخرة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة ، لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شد قوم فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة ، وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والباه سببية (وإذا

نَزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
 إِنَّمَا يَلْعَلُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ۝ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝
 مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

بدلنا آية (كان آية) التبديل هنا الذسخ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله
 لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح
 للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق فى أوامره ونواهيته
 وأخباره، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان
 بكه غلام أعجمى اسمه يعيش، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر ياسر، فكان النبي صلى الله عليه
 وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قریش هذان يعلمان محمدأ (لسان الذى يلحدون إليه
 أعجمى) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام، ويلحدون من ألد إذا مال، وقرئ بفتح الياء من لحد، وهما
 بمعنى واحد، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذى أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمى اللسان؛ وهذا القرآن عربى
 فى غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتى به أعجمى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا فى حق
 من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله: إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون، فاللفظ عام يراد به الخصوص،
 كقوله: إن الذين كفروا سواء عليهم ما أذنتهم الآية، وقال ابن عطية: المعنى إن الذين لا يهديهم الله
 لا يؤمنون بالله ولكنه قدم فى هذا الترتيب وأخرتهما بتقبيح أفعالهم (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
 بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر: يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله
 فلا يكذب عليه (وأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله: أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم
 لا يبالون بالوقوع فى المعاصى، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر
 بالله) الآية: من شرطية فى موضع رفع بالابتداء، وكذلك من فى قوله من شرح، لأنه تخصيص من الأول، وقوله فعليهم
 غضب: جواب عن الأولى والثانية، لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جواباً للثانية، وجواب الأولى محذوف يدل عليه
 جواب الثانية، وقيل من كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ فى قوله أولئك هم الكاذبون، أو من
 الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية،
 وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال
 فعذرهم الله، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تسامح
 به من القول، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: كيف تجرد قلبك، قال أجدته
 مطمئناً بالإيمان، قال فأجبهم بلسانك، فإنه لا يضرك، وهذا الحكم فى من أكره بالنطق على الكفر،
 وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم
 وكذلك قال مالك: لا يلزم المسكره يمين ولا طلاق ولاعتق ولا شئ فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من

غَضِبَ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُغْفِرَ رَحِيمٌ . يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامَنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعلى عذابهم بعثت : أحدهما إشارته الحياة الدنيا ، والأخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) قرأه الجمهور فتنبوا بضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا فى عمار وشبهه من المعذنين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالحضرمي وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك تأكيداً ، والضمير فى بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لا عن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية ، قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى ببوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتغالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمِ وَالْحَمِ الْخَزِيرِ وَمَا أَهَلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا تَقُولُوا
 لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
 شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ .
 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
 فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل
 فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا
 حرام بدل من الكذب وما في قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون
 ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) يعني عيشهم في الدنيا أو
 انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني قوله في الأنعام
 حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا
 ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس
 وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكامله وجمعه لصفات
 الخير كقول الشاعر: فليس على الله بمستنكر . أن يجمع العالم في واحد . والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله
 إنى جاعلك للناس إماما، قال ابن مسعود والامة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف (وآتيناه في
 الدنيا حسنة) يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفوقون عليه، وقيل يعني المال والأولاد (لمن الصالحين) أى من
 أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه
 (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضى
 بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلفوا فيه هو ما ذكر
 والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلفوا فيه: هو أن منهم من حرم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم
 الله بالمسخ قرده، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت
 إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشري، وتقضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع
 إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هى الكلام الذى يظهر
 صوابه، والموعظة هى الترغيب والترهيب، والجسدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

الْحَسَنَةَ وَجَدَلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۚ

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضى مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملائمة من الكفار وأما العصاة فهى فى حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة فى الحقيقة إنما هى الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتهم بمعنى أصبتهم عقبي : كقوله فى الممتحنة فعاقبتهم بمعنى غنمتهم فيكون فى الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرتنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقضى ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فىمن ظلمه رجل فى مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانتة فى القدر الذى ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أذ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تحزن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا نذب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والضمير راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبي صلى الله عليه وسلم فى خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فإذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما فى هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التى فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أى لا تنأسف لكفرهم (ولا تك فى ضيق مما يَمْكُرُونَ) أى لا يضق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كبيت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعوته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذى أشار له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .

سورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠

فقدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد الفصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۗ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

سورة الإسراء

(سبحان الذي أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لغتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعديا أى أسرى الملائكة بعبيده وهو بعيد ، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا (ليلا) إن قيل : ما فائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في الإعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) يعني بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل ، وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أى بلد المسجد الحرام ؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي يابلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حيثئذ مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة ، واختلف العلماء في كيفية الإسراء ، فقال الجمهور : كان بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، فحجة الجمهور أنه لو كان مناما لم تنكره قريش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانئ له لا تخبر بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، وإنما يقال الرؤيا في المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينا أنا بين النائم واليقظان وذكر الإسراء ، وقال في آخر الحديث فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس ، وهو الذي أنكرته قريش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الأنبياء في السموات (الذي باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء ، والآخر : كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أى لنرى محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكله الله تعالى حسبا ورد في أحاديث الإسراء ، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دوني وكيلا) أى

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا * ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۗ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۗ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۗ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ

ربا تكونون إليه أمركم ، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء ، وفي نداءهم بذلك تल्पف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هي مفعول تتخذوا ، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعنى بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافت ، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كما عبداشكورا) أى كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أى كونوا أشاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل فى وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذى كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (لتفسدن فى الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للمقضى ، وهى فى موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن ، والجملة فى موضع معمول قضينا ، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعان علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا فى المرة الأولى بعث الله عليهم عباده لينتقم منهم على أيديهم ، واختلف فى هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل يختصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أى ترددوا بينهما بالفساد ، وروى أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة . وخرّبوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ويعنى رجوع الملك إلى بنى إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقلل يختصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أى أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثانى بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان ، ففیه تجنيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام فى قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) يعنى إذا أفسدوا فى المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للاتقام منهم فالآخرة صفة للبرة ، ومعنى يسوءوا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام كى وهى تتعلق ببعثنا المحذوف للدلالة الأول عليه ، وقيل هى لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس (وليتبروا) من التبار ، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ماعلوا) ما مفعول ليتبروا : أى يهلكوا ماغلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ماظرفية أى يفسدوا مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبنى إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبنى إسرائيل : أى إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا آرَدْنَا أَن نَّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا كُفْرًا

عقابكم ، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأمهت يقتلونهم ويدلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجننا وهو من الحصر ، وقيل أراد به ما يفرش وييسط كالحصير المعروف (يهدى للتي هي أقوم) أى الطريقة والحالة التي هي أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (يدع الإنسان بالشر دعاه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبيت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولاً) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتسكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلماً ، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلاً من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معاشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شىء فصلناه تفصيلاً) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان أُلزِمناه طائرهُ فى عنقه) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائرهُ ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقي الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عنقه أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسيباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنوب أحد ، والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تدميراً . وكم أهلكننا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خيراً بصيراً . من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشأ لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلا ثم هد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً . لا تجعل مع الله الهاء آخر فتقعد مذموماً مخذولاً . وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . وأخفص

نبعث رسولا) قيل إن هذا في حكم الدنيا أي أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإغفار إليهم بإرسال رسول إليهم ، وقيل هو عام في الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوماً في الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كذا ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى ، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) في تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون في الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا ، والثاني أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أي قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرتنا واختاره أبو علي الفارسي ، وأما على قراءة أمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرتنا ، وأما على قراءة أمرنا بتشديد الميم ، فهو من الإمارة أي جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم في الدنيا (حق عليها القول) أي القضاء الذي قضاه الله (وكم أهلكننا من القرون) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة) الآية : في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظاً من الدنيا بقرنين أحدهما تقييد المقتدر المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحوراً) أي مبعداً أو مهاناً (وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (كلا نمد) انتصب كلا بنمد وهو من المسدد ومعناه يزيدهم من عطاءنا (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطاء ربك) يعني رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصي لمن أراد الدنيا ، والأول أظهر (محظوراً) أي ممنوعاً (فضلنا بعضهم على بعض) يعني في رزق الدنيا (لا تجعل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين (مذموماً) أي يذمه الله وخيار عباده (مخذولاً) أي غير منصور (وقضى ربك) أي حكم وألزم وأوجب أو أمر ، وبدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود وهو وصى ربك (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن عندك) هي إن الشرطية دخلت عليهما ما الموكدة وجوابها فلا تقل لهما أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبرا أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك : أي في بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول كروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ
الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَسْتَبْغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مَحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
إِمَّا يَكُنْ مِنْ رِزْقِهِمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْهُمْ كَانُوا خَطَايَا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذْهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر عن الإنسان، فهي الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى الأيقال
لها ما فوق ذلك، ويجوز في أف الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما توينها فهو للتنكير (ولا
تتهربا) من الانتهاز وهو الإغلاظ في القول (واخفص لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة في معنى التواضع
لها والرفق بهما، فهو كقوله اخفص جناحك للدومنين، وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح
الذليل، ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه
الصالحين، وقيل المسبحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، فحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه)
خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل هو خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتى
قرابته حقه من بيت المال، والأول أرجح (وإما تعرض عنهم) الآية: معناه إن أعرضت عن ذوى القربى
والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيه، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سأله
أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياء منه، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم
الله وأعطاكم الله وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاه رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله
يحتمل أن يتعلق بقوله «وإما تعرض عنهم» والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه، فيعطيه
إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (قل لهم قولا ميسورا) أي ابتغ رحمة ربك بقول
ميسور والرحمة على هذا هي الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة في معنى غاية البخل
كأن البخل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة في معنى غاية الجود
فهي الله عن الطرفين: وأمر بالتوسط بينهما: كقوله «إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (ملوما) أي يلومك
صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه،
أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء (محسورا) أي منقطاً بلك لاشيء عندك وهو من قولهم حسر
السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء
ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر في
الأنعام (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من

كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا . أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتنصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها في معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبه ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل ولىه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئى فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل ، أو لولى المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقرّبوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقرّبوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، وبصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة ، هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئى بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ما ليس به علم) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من فقرته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مراحا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية ، وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروها نعت

وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنشَاءً إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۖ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۚ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاصْبِرْ لَهُ وَخِشْيَةَ الرَّسُولِ وَمَنْ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۚ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَاعَىٰ أَدْبُرَهُمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِحُجُوبٍ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ فَاصْبِرُوا أَوْ أَتُخَلَّفُوا

لسيئة أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم: خصمكم (قولا عظيما) أي عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سيلا) هذا احتجاج على الوحانية ، وفي معناه قولان: أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لا بتغوا سيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عباده ، والآخر لا بتغوا سيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية: اختلاف في كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أي بما تدل عليه صنعته من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) في معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرأ ، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المعيات ، وقيل معناه سائر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات في إضلالهم (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه إذا ذكرت في القرآن وحداية الله تعالى فز المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفورا مصدر في موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير في به عائد على ما : أي نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحورا) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهي الرثة : أي بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أي مثوك بالساحر، والشاعر، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سيلا) إلى الهدى؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

مَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۚ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنِ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۚ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۚ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فناءهم ، والرفات الذي بلى حتى صار غبارا أو فتاتا ، وقد ذكر في الرعد اختلاف القراء في الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقد رنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيي عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أي كونوا في الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم : أي لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندهم من ذلك وأبعد عن الحياة لقد رنا على بعثكم (فسينغضون إليك رؤوسهم) أي يحركونها تحريك المستبعد للشيء والمستعزى (ويقولون متى هو) أي متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده في موضع الحال أي حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للشركيين ، ثم نسيخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة في إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعتم من دونه) قيل يعني الملائكة ، وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجونه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل في يدعون ضمير للكفار ، وفي يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير في يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل في قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هي ما يتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغى الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره : أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّمِيَّ الَّذِي أُرِينَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ

بالاجتهاد في طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأبهم أقرب إلى الله (مخذورا) من الخذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والقضاء الذي لا بد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجرع ، والكوفة بالترك ، والأندلس بالخيل ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل المرشحين بها في ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيلية وطبالة وغيرها بأخذ الروم لها (في الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التى يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكتهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لثلاثا يكذبوا فيها ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل في موضع نصب وأن كذب في موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبئها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذ كر إذأوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سبحانه يجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضى وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس فى منعك وحمایتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) اختلف فى هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان فى اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان فى المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامهزيمة الكفار وقتلهم بيدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل فى سنة الحديدية فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى فى المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن فى جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة فى النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم فى القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها فى أصل الجحيم (ونحو فهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تميز أو حال من من أو من مفعول خلقت (قال أرايتك

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۝ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْتَفْزَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ رَبِّكَ وَكِيلًا ۝ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا بَلَغَ مِنْكُمْ إِلَى الْبَرِّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَافُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ

هذا الذي كرمته على) الكاف من أرايتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرايت ، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته على أي فضلته وأنا خير منه فاختر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرايتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني (لاحتنك ذريته) معناه لا ستولين عليهم ولا قودنهم وهو مأخوذ من تخنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتفقد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزحشري ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء ، وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخليه ، ويحتمل عندي أن يكون معناه للطرده والإبعاد (فن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، وليدخل إبليس معهم (جزاء موفورا) مصدر في موضع الحال والموفور المكمل (واستفز) أي اخدع واستخف (بصوتك) قيل يعني الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصي (وأجلب عليهم) أي هول ، وهو من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشى على رجله فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إنله من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المنتصرفون في الشر (وشاركهم في الأموال والأولاد) مشاركته في الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك ، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاء بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدم) يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن عبادي) يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى ربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (يزجي لكم الفلك) أي يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها (الضر في البحر) يعني خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فلجأت إليه حيث تدون غيره . فكيف تبعدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

يُعِيدُكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْتِكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا

أى كفورا بالنعم ، والإنسان هنا جنس (أفأنتم) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجوتم من البحر فأنتم الخسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ريحا شديدة ترمى بالحصاب (وكيللا) أى قائما بأمركم وناصر الكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما يلقى أى يكسره (تديعا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة (بإمامهم) قيل يعنى بنبيهم ، يقال يأمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم (ولا يظلمون قتيلا) القتل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قتيلا ولا كثيرا ، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعنى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه ، قال سيبويه . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن لما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لافى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنوك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سبها أن قريشا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدينة (لتفتري علينا غيره) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذا لا تخذوك خيلا) أى لو فعلت ما أرادوا منك لا تخذوك خيلا (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) لولا تدل على امتناع شئ لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقارنة النبي صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفي الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فاتقى الركون إليهم ومقاربتة ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبي صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لِيَسْتَفْزُوَنَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ سَنَةٌ مِنْ قَدْرٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۚ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۖ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۖ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسِئًا * قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

من مقاربة الركون ، ولولم يشبهه الله لكانت مقاربه للركون إليهم شيئاً قليلاً ، وأما منع التثنية فلم يكن قليلاً ولا كثيراً ، ولا قارب ذلك (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلاً) أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلاً فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى المدينة لأجل إذية قريش له ولأصحابه لم يقوا بعد ذلك إلا قليلاً ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر ، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام فى قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أى تشهد ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن للتبويض ، والضمير فى به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالنفل هنا للخروج عن الشيء كالترحل والتأثم : فى الخروج عن الإثم والترح (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاماً على الظرف (وقل رب أدخلني مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل فى القبر ، والمخرج إلى البعث ، واختار ابن عطية أن يكون على العموم فى جميع الأمور (سلطاناً نصيراً) قيل معناه حجة تنصرنى بها وتظهر بها صدق ، وقيل قوة ورياسة تنصرنى بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من للتبويض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفى القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقابه والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

عَلِمَ بِنَ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ
 وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتُوكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ۖ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِن فَضْلَهُ كَانَ
 عَلَيْكَ كَبِيرًا ۖ قُلْ لَئِن أُجْتَمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۖ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُفَجَّرَ
 الْأَنْهَارُ خَلَلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَازِجْمَةٍ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ

إنما يراد الكافر لأنه هو الذي يعرض عن الله (ونآى بجانبه) أى بعد ذلك تأكيد وبيان للإعراض ،
 وقرئ ناه وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويستلونك عن الروح)
 السائلون اليهود ، وقيل قريش بإشارة اليهود ، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم ، وقد يقال فيه
 النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح
 من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش أسألوه
 عن الروح ، فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبيّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ،
 وقال ابن بريده : لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس
 والروح ، وليس فى أقوالهم فى ذلك ما يعول عليه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) خطاب عام لجميع الناس ، لأن
 عليهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم
 بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فحوناها من الصدور والمصاحف
 وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا : أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك
 فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته وردّه بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) (يحتمل أن
 يكون استثناء متصلا فمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناء منقطع بمعنى أن رحمة ربك
 تمسكه عن الذهاب) (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) (عجز الخلق
 عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التى لم يمكن الناس يعلونها ،
 ولا يصلون إليها ، ثم جاءت فيه على الكمال ، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه
 إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيرا) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من
 كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة ، والبراهين القائمة ، والحجج الواضحة ، وهذا يدل على أن إعجاز
 القرآن بما فيه من المعانى والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود ، واتصب
 بقوله أبى لأنه فى معنى النفي (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول
 هم أشرف قريش طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات ، وهى التى
 ذكرها الله فى هذه الآية ، وقيل إن الذى قاله عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، وكان ابن عمه النبي صلى الله تعالى
 عليه وعلى آله وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين ، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

بَيْتٍ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۚ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّقُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْتَدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَبِكَا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَثًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ أَجْلَالًا رِيبَ فِيهِ فَابْتَغُوا فِي السَّمَوَاتِ الْأَكْفُورَةَ ۚ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِيَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ الْمَسْحُورَ ۚ

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة، وقرئ بالإسكان: أى قطعاً واحداً (قبيلة) قيل معناه مقابلة ومعابنة وقيل ضامناً شاهداً بصدقك، والقابلة في اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربي) تعجب من اقتراحاتهم، أو تنزيه لله عن قولهم تأتى بالله، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أى إنما أنا بشر، فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنار سول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) المعنى أن الذي منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان في الأرض ملائكة) الآية: معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكاً، ولكنهم بشر، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين في الأرض (شهداء بيني وبينكم) ذكر في الأنعام (عمياً وبكياً وصماً) قيل هي استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل هي حقيقة وأنهم يكونون عمياً وبكياً وصماً حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه في اللغة سكن لها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لها بدلوا أجساداً آخر، ثم صارت ملهية أكثر مما كانت (وقالوا أنذا كنا عظاماً) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام في الاستفهامين (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خالقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فثائه، والرؤية في الآية، رؤية قلب (أجلالاً ريب) فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهر أو مضمراً فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر، وأتم تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمرة (خزائن رحمة ربي) أى الأموال والأرزاق، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول أمسكتم محذوف، وقال الزمخشري

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَاثَرٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَشُورًا ۝
فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ جُنَّا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ ۝ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝ قُلْ ءَامَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلَّذِينَ ءَاتُوا
الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝

لامفعول له لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل بمسك ، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى (تسع آيات) بينات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، ورفق البحر وقد عمد فيها رفع الطور فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عمد فيها أيضا السنون ، والنقص من الثمرات ، روى أن بعض اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشى بيريء إلى السلطان ليقنته ، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تنفذوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعلبيكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت (فاستل بنى إسرائيل) أى أسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشري إن المعنى قلنا لموسى أسأل بنى إسرائيل من فرعون أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله أسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : أسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذ جاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آبائهم الأقدمون والعامل في إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمرة ، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف (مسحورا) هنا وفي الفرقان : أى سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مشورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا بقوله . وإني لأظنك يا فرعون مشورا (فأراد أن يستفزمهم من الأرض) أى أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعنى أرض الشام (لفيفا) أى جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه فى الموضوعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الأول كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق فى إخباره وأوامره ونواهيته (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمرة يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل فى قراءته ، وقيل على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكثراث بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أولم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۚ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا *

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعنى المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون الأذقان) أى لناحية الأذقان كقولهم خنز للدين وللغم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاه (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بالله يارحم ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاءه إلى واحد وهما يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد ، وأنه مخير في الدعاء بأى الأسمين شاء ، والدعاء فى الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدى زيدا لا بمعنى النداء (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، ومازائدة للتأكيد والضمير فى به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أى هذين الأسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فوضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال ، وهو فى المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الأسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافة هى الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فى الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولي من الذل) أى ليس له ناصر يمنع من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنى عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبرى أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولي من الذل رد على الصابئين فى قولهم لولا أولياء الله لذل الله تعالى الله عن قولهم ، علوا كبيرا (كبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

شَدِيدًا مِّنْ لَّدَنهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كَثُرَتْ فِيهِ أَبْدَانُهُ وَيُنذِرُ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بِمُنَاجَاةِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحسن
وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هذا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل
لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيما) أى مستقيما ، وقيل قيما على الخاق بأمر الله تعالى ، وقيل قيما على سائر
الكتب بتصديقها ، وانصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزخشرى ذلك للفصل بين
الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمير تقديره جعله قيما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل
أوبقيما ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبي صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثانى وهو الناس
كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أى من عنده ، والضمير
عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كثر فيهم) أى دائمين ، وانصابه على الحال من الضمير في لهم (وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم فى عيسى واليهود لقولهم فى عزيز وبعض العرب لقولهم فى
الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انصب على التمييز على
الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير فى كبرت (فلعلك باخع نفسك) أى قاتلها
بالحزن والأسف ، والمعنى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم
من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل
فيه باخع نفسك (إننا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى ما يصلح للزينة كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار
وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لنتخبرهم أيهم أزهد فى زينة الدنيا (إننا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا) المعنى إخبار بفساد الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التى لا نبات فيها : أى
سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التى لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت
أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر
آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلهم ، وقيل هو لوح رقت فيه أسماءهم
على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت يازاه الكهف ، وقيل الجبل
الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لأدرى ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه
الاختصار ما لا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما
مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا
من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمْرًا رَشَدًا ۖ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ أَحْسَىٰ الْمَلْبُوثَ
أَمْدًا ۖ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَئِن نَدَعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَإِذْ عَزَلْتَ مُوسَىٰ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۖ وَتَرَىٰ

عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد أتى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بدرهم كانت لهم ففجأ لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك في الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذي بالاندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، رقيب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس ، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، ومما يبعد ذلك ما روى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التي في غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذي ذكر الله في أصحاب الكهف (فضر بنا على آذانهم في الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزمخشري : المعنى ضربنا على آذانهم حجبا بأثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التفاضل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوبنا عزهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لو دعونا من دونه إله القلنا قولا شططا ، والشطط الجور والتعدي (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) تخصيص بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة يذنه على عبادة غير الله (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزوا على الفرار بدينهم (وما يعبدون) عطف على المفعول في اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم ما يعبدون (إلا الله) أى ما يعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومه يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود «وما يعبدون

الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضَلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّتْ مِنْهُمْ رُجْبًا وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ

من دون الله (فأووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل في إذا عترتموهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقتنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى وتتكلم على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرهما ما يرتقى به وينتفع (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتزوج ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرما ، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعل ، ولذلك لا تصيبهم الشمس ، والأول أظهر لقوله « ذلك من آيات الله ، (وهم في فجوة منه) أى في موضع واسع ، وذلك مفتوح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حججها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان ليكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بحملته (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا وفي قوله أيقاظا ورقودا مطابقة ، وهى من أدوات البيان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته ، وهم لا ينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة ، وقيل من سبع سنين إلى مثلها (وكلبهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كلبا لأحدكم بصيده ، وقيل كان كلبا لراع فرأى عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى باب الكهف ، وقيل عتبه وقيل البناء (ولمئت منهم رجبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لا تستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما آمنناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند عليها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدكم على جواز الوكالة ، فإن قيل : كيف

برزق منه وليتلف ولا يشعرن بكم أحداً إن يظهروا عليكم يرحمكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا إذا أبداً وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وإن الساعة لأربب فيها إذ يتنزعون بينهم
أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيينا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً * سيقولون
ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قل ربي أعلم
بعدهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراءاً ظهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً * ولا تقولن لشيء

اتصل بعث أحدهم بتذكرة مدة لبثهم؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم
بذلك فغزوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابشروا أحدكم (إلى المدينة) قيل لأنها طرسوس (أزكى طعاماً) قيل
أكثر، وقيل أحل، وقيل إنه أراد شراء زبيب، وقيل تمر (وليتلطف) في اختفائه وتحيله (إن يظهروا
عليكم يرحمكم) أي إن يظهروا بكم يقولكم بالحجارة، وقيل المعنى يرحمكم بالقول، والأول أظهر (وكذلك
أعتزنا عليهم) أي كما أمتناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب
الكهف: أي أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور
(إذ يتنازعون بينهم أمرهم) العامل في إذ أعتزنا أو مضمرة تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا
قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء، وقيل تنازعوا هل تحشر
الأجساد أو الأرواح بالأجساد، فأراه الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا) أي على باب كهفهم لإمياطس آثارهم أولي حفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم وأخذ تربتهم تبركا، وإما
ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعني الولاية وقيل يعني المسلمين لأنهم
كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان في زمان
النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف (رجماً بالغيب)
أي ظناً وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي (سبعة وثامنهم كلهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها
هنا وفي قوله: سبع ليال وثمانية أيام، وفي قوله في أهل الجنة وفتحت أبوابها، وفي قوله في براءة وناهون عن
المنكر، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله: جاعزيد وفي يده سيف قال الزمخشري
وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلهم صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف
الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلهم، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلهم، وقال ابن عطية دخلت الواو في آخر
إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام، وكذلك دخلت السين في
قوله سيقولون الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أي لا يعلم
عدتهم إلا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب، قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم
كلهم، لأنه قال في الثلاثة والخمسة رجماً بالغيب، ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلهم (فلا تمار فيهم إلا مراءاً
ظاهراً) لا تمار: من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج، والمعنى لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب
الكهف إلا مراءاً ظاهراً أي غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُنُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشْدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك
عن السؤال (ولا تقوان لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن
رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح
فهو نبي فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوما فأوجف به
كفار قريش وتكلموا في ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة
الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليلها ،
فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم
الذى بعد يومه خاصة ، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقوان لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا
أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من
الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقوان . والمعنى لا تقوان ذلك القول إلا أن يشاء الله
أن تقول إن شاء الله ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول
بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشري ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى
(واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثنى بعد مدة إذا نسيت الاستثناء
أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع
إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليذكرك
مانسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره
في كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر
الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن
يقوله ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في
الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال
الصالحات لما هو أرشد من خير أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا
نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعا) في هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما فى قراءة ابن مسعود :
وقالوا لبثوا في كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم في هذا
العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل في قوله فضر بنا على آذانهم
في الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد
أخبر بمدة لبثهم ، فأخبره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضَ أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا وَحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ أَوْلَيْتُكَ لَهُمْ جَنَّتْ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضراءَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِينًا

الإخبار ، واتصّب سنين على البدل من ثلاثمائة أو عطف بيان ، أو على التمييز وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أبصره وأسمع) أى ما أبصره وما أسمعته ، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات (المهم) الضمير لجميع الخالق أو المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك في حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لا مبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتجدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قد قالوا له اطرده هؤلاء نجاسك نحن ، نزلت الآية (بالغداة والعشى) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، وقال الزمخشري يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة في موضع الحال فهى متصلة بما قبلها ، وهى فى معنى تعليل الفعل المنهى عنه فى قوله ولا تعد عينك عنهم : أى لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عينه بن حصين الفزارى ، والأظهر أنها مطلقه من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففى ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق فى اللغة ما أحاط بالشئ كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار ، وقيل دخان (كالهمل) وهو دردى الزيت إذ انتهى حره روى ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ما أذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شئ يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنما لا نضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لا نضيع الخبر ، وأولئك استئناف ، ويقوم العموم فى قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان

فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا . وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
 أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا * كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَاتٍ أَكَلَهَا وَلَمْ تَظَلْمْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَرْنَا خِلْمَهُمَا
 نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
 لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
 مِنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا *
 لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ

وعلى رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار ، وهو ما يجعل في اليد ، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة
 جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة
 والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقرا الذين أرادوا طردهم : أى
 مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين ، وهما أخون من بنى إسرائيل : أحدهما مؤمن ، والآخره كافر :
 ورثا مالا عن أبيهما ، فاشترى الكافر بماله جنتين ، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر
 بفقره فأهلك الله مال الكافر ، وروى أن اسم المؤمن تملیخا ، واسم الكافر فطروس ، وقيل كانا شريكين
 اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل ،
 ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم التاء والميم أصناف المال من الذهب
 والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس وقتادة ، وقيل هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله
 إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا ، وأما بفتح التاء والميم ، فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى
 الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه في الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا ، لأنه
 إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره
 وإما بمقابلته لأخيه ، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال بأظن أن تبید هذه أبدا) يحتمل
 أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات ، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة
 أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطاً في الاعتزاز وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان
 هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى : لأجدن في الآخرة خيراً من جنتى في الدنيا ، وقرئ خيراً منها
 بضمير الاثنين للجنتين ، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أ كفرت بالذى خلقك من تراب)
 أى خلق منه أبك آدم ، وإنما جعله كافراً لشكك في البعث (سواك رجلا) كما تقول سواك إنسانا ،
 ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة فى أن لم يكن أنثى (لكننا هو الله ربى) قرأ الجمهور
 بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل ، والأصل على هذا لكن أنا ، ثم أقيت حركة الهمزة على
 الساكن قبلها ، وحذفت ثم أدغمت النون فى النون ، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف فى الوصل والوقف ،
 ويتوجه ذلك بأن تكون لحقتهما نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا ، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ه هُنَالِكَ الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ه وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشْرَنَّهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ه وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ جَعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ه وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تخصيص (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمراً مهلكاً كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غار إذا هاب وهو مصدر وصف به (وأحيط بشمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وبفتحها من الموالة والمودة (وخير عقباً) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطاً : أى ملتفاً ببعضه ببعض من شدة تكاثفه (فأصبح هشيماً) أى متفتتاً ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فناؤها بالزرع فى فنائه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئى زينتنا بالثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحلها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشري إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفاً) أى صفوفاً فهو أفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً أتم منها ثمانون صفاً (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

مَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ الظَّالِمِينَ بَدَلًا . مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا . وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَذَعَبُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا . وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُونَ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُوعًا . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعني صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإبادة إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أي خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (فسق عن أمر ربه) : أي خرج عن ما أمر به ، والفسق في اللغة الخروج (أفتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ ووعظ ، وذرية إبليس هم الشياطين ، واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي معناها ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائي) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أي مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير في بينهم المشركين وشركائهم (فظنوا أنهم مواعقوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أي معدلا ينصرفون إليه (جدلا) أي مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضى سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النظر ابن الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المسافع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة ، وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة ومعنى قبلا معاينة وقرئ بضممتين وهو جمع قبيل : أي أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أي ليبطلوا (وما أنذروا هزوا) يعني العذاب وما رصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكْتَهَ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَّ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا * وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ بَيْعَةَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمْضِيَ حُقُبًا
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِتَيْنَا غَدَاةً نَا لَقَدْ لَقِينَا
مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحسكي عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موثقا) أى ملجأ يقال وثل الرجل إذا لجأ (رتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكتناهم وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لقتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبي الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره وبدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما في بني إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكمل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا للدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة في الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة وجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق (أو أمضى حقبًا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسي الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أذكره وأتخذ سبيله في البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا . فوجدنا عبدا من
 عبادنا آتينا به رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما . قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلّمني مما علّمت
 رُشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله
 صابرا ولا أعصي لك أمرا . قال فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا حتى

بشيء (فاتخذ سبيله في البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار في البحر فقيل إن الحوت كان ميتا ملوحا ثم
 صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين
 الحياة مامت قط شيئا إلا حي وفي الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو
 المسلك في جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى
 وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ماورد في الحديث (فلما جاوزا) أي جاوزا الموضع الذي وصفه
 وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر
 فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لقائه آتنا غداءنا (نصبا) أي تعبنا (قال رأيت إذ أوينا إلى الصخرة) قال
 الزمخشري رأيت هنا بمعنى أخبرني ثم قال ، فإن قلت ما وجه التثام هذا الكلام فإن كل واحد من رأيت وإذ أوينا
 وإني نسيت الحوت لا متعلق له ؟ فالجواب أنه لما طاب موسى الحوت ذكر يوشع مارأي منه وما اعتراه من نسيانه
 فدهش ففلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال رأيت مادها في إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف
 بعض الكلام (نسيت الحوت) أي نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت
 (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله في البحر عجبا) يحتمل أن يكون
 هذا من كلام يوشع أي اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أي تعجب
 هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله في البحر ثم ابتدأ التعجب فقال
 عجبا وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أي فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل (فارتدا
 على آثارهما قصصا) أي رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لتلا يخرجوا عن الطريق (فوجدنا عبدا من
 عبادنا) هو الخضر (آتينا به رحمة) يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي وقيل إنه ليس بنبي ولكنه
 ولي وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي واختلف أيضا هل مات أو هو
 حي إلى الآن ويذكر كثيرا من الصالحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) في الحديث أن
 موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأني بأرضك السلام قال له
 من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك
 عن السفر إلى هنا قال بلى ولكني أحببت لفادك وأن أتعلم منك قال إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه
 أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا (قاله موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملامظة وتواضع
 وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها
 والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمني أو حال من الضمير في أتبعك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُخْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَاقْتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفي الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكرأ (فانطلقا) يعنى بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضىء الصورة فاقطلع الخضر رأسه ، وقيل ذبحه ، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم ، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشري إن قلت لم قال خرقها بغير فاء ، وقال فقتله بالفاء ؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا ، فإن قيل لم خولف بينهما ؟ فالجواب : أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يباغ فعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص ، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرأ وهو أبلغ من قوله إمرا ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس فى قوله أولا ألم أقل لك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للفتنة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لَدُنِّي عُذْرًا) أى قد أعذرت إلى فأتت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية ، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسببة (استطعا أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقض) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقض ووزن ينقض ينفعل وقيل يفعل بالتشديد كيجهر (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسح يده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه أجرا أى طعاما تأكله (قال هذا فراق بيني وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبني ، على أن قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا ، ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبيت هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب ، وقال الزمخشري الأصل هذا فراق

فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا . وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ
نَخَشِينَا أَنْ يُرَهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا . وَأَمَّا
الْجِدَارُ فَكَانَ لْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ

بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث ، الذي أوجب الفراق ، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل إنهم تجار ولكنهم قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم ، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم في لجج البحر ، وقيل كانوا إخوة عشرة منهم خمسة عالمون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لاقدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين ، أي يمسون السفينة (وكان وراهم) قيل معناه قدامهم ، وقرأ ابن عباس أمامهم ، وقال ابن عطية إن وراهم على بابه ولكن روعى به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضي (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة ، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن يدد وهذا يقتدر إلى نقل صحيح ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر في المعنى عن ذكر غصبا لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافرا ، وروى أنه كان يفسد في الأرض ، (نخشينا أن يرهقهما) المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا ، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع في القرن من عسى ولعل ، وإنما هو في حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانا وكفرا ، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملها حبه على اتباعها أو يضر بهما لمخاطبته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أي غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أي طهارة وفضيلة في دينه (وأقرب رحما) أي رحمة وشفقة ، فقيل المعنى أن يرحمهما ، وقيل : يرحمهما (لغلامين يتيمين) اليتم من فقد أبويه قبل البلوغ ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصريم ، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم ، وقيل كان علما في صحف مدفونة ، والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله ، وأسند الخضر إلى نفسه في قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت فهو يشفين » فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا ، واختلف في قوله فأردنا أن يبدلها هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله ، (وما فعلته عن أمري) هذا دليل على نبوة الخضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويستلونك عن ذي القرنين) السائلون اليهود ، أو قريش بإشارة اليهود ، وذو القرنين هو الإسكندر الملك ، وهو يوناني وقيل رومي وكان رجلا صالحا ، وقيل كان نبيا ، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِثَةَ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا
 أَن تَعَذَّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ۞
 وَأَمَا مِنْ ءَامِنٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
 مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۞ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞
 ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَا الْقَرْنَيْنِ
 إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ

لم سمى ذو القرنين ف قيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب
 وكأنه حاز قرني الدنيا (إنا مكنا له في الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناه من
 كل شيء سبباً) أى علماً وفهماً ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو
 قدرة أو غير ذلك (فأتبع سبباً) أى طريقاً يوصله (وجدها تغرب في عين حمثة) قرئ بالهمز على وزن فعلة
 أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمثة وقال
 معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأتما أعلمها منى ، ولكن أجد في
 التوراة أنها تغرب في ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية
 ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمثة وتكون حارة لحرارة الشمس
 فتكون جامعة للموضعين ، ويجمع معنى القراءتين (قلنا يا ذا القرنين) استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي لأن هذا
 القول وحى ويحتمل أن يكون بالهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) كانوا
 كفاراً يخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأمر
 وجعله حسناً بالنظر إلى القتل (قال أمان ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فن تهادى على الكفر
 قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذاباً نكراً عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى)
 المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسراً) وعدهم بأن يبسر عليهم (وجدها تطلع على
 قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم
 ليس لهم ببيان إذ لا تحمّل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية
 الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى
 أوردى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيماً لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم ستراً كما
 جعلنا لكم من المباني والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوماً كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب
 الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ بالفتح
 والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقه الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من
 دونهما قوماً) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولاً) عبارة عن بعدلسانهم عن السنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ءَاتُونِي زَبْرًا حديد حتى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
الصدفَيْنِ قَالَ انفخوا حتى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۚ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا
لَهُ نَقَبًا ۚ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ وَتَرَكَنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ
يُمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُمْ جَمْعًا ۚ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۚ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ
فِي غُطَاةٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۚ أَخَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِّن دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا ۚ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۚ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أرنحوها (يا جوج وما جوج) قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط
القصر (مفسدون في الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا إما كلون بني آدم (فهل نجعل لك
خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام في ضمنه عرض ورجبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج
وقدرتي بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أوالا ليقم بها السد (قال ما مكني فيه ربى خير) أى ما بسط الله
لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأبدان وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا
حصيبا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصدفين) أى بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أى أوقدوا
النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل
البيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما استطاعوا أن يظهروه)
أصل استطاعوا استطاعوا حذف التاء تخفيفا والضمير فى يظهر وه لالسدت، ومعنى يظهر وه يعلوه ويعسعدوا
على ظهره فالمعنى أن يا جوج وما جوج لا يقدر أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا يتقبوه لقوته (قال هذا
رحمة من ربى) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى مبسوطا مسوى
بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم
القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير
فى قوله بعضهم على هذا ليا جوج وما جوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج
عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى
الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت
أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى
من دونى أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد
مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعدنا) أى يسرنا (نزلا) ما يسر للضيف والقادم عند
نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله «كانت لهم جنات الفردوس نزلا»، ويحتمل
أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَاهُ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَأَتَتْهُمُ الرَّسُلُ مِنْهُمْ هُزُوا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لِنَفْعِ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۖ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۖ

ولقائه وقيل في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم وفي قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنبس وهو الذي يسمى تجنبس التصحيف (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنت الفردوس) هي أعلا الجنة حسبما ورد في الحديث ولفظ الفردوس أعجمي معرب (حولا) أي نحو لا وانتقلا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس وهي المعلومات فغنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جرى به بحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أي زيادة والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول ، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين والله أعلم

﴿ تمّ الجزء الثاني ، ويليه الجزء الثالث ﴾

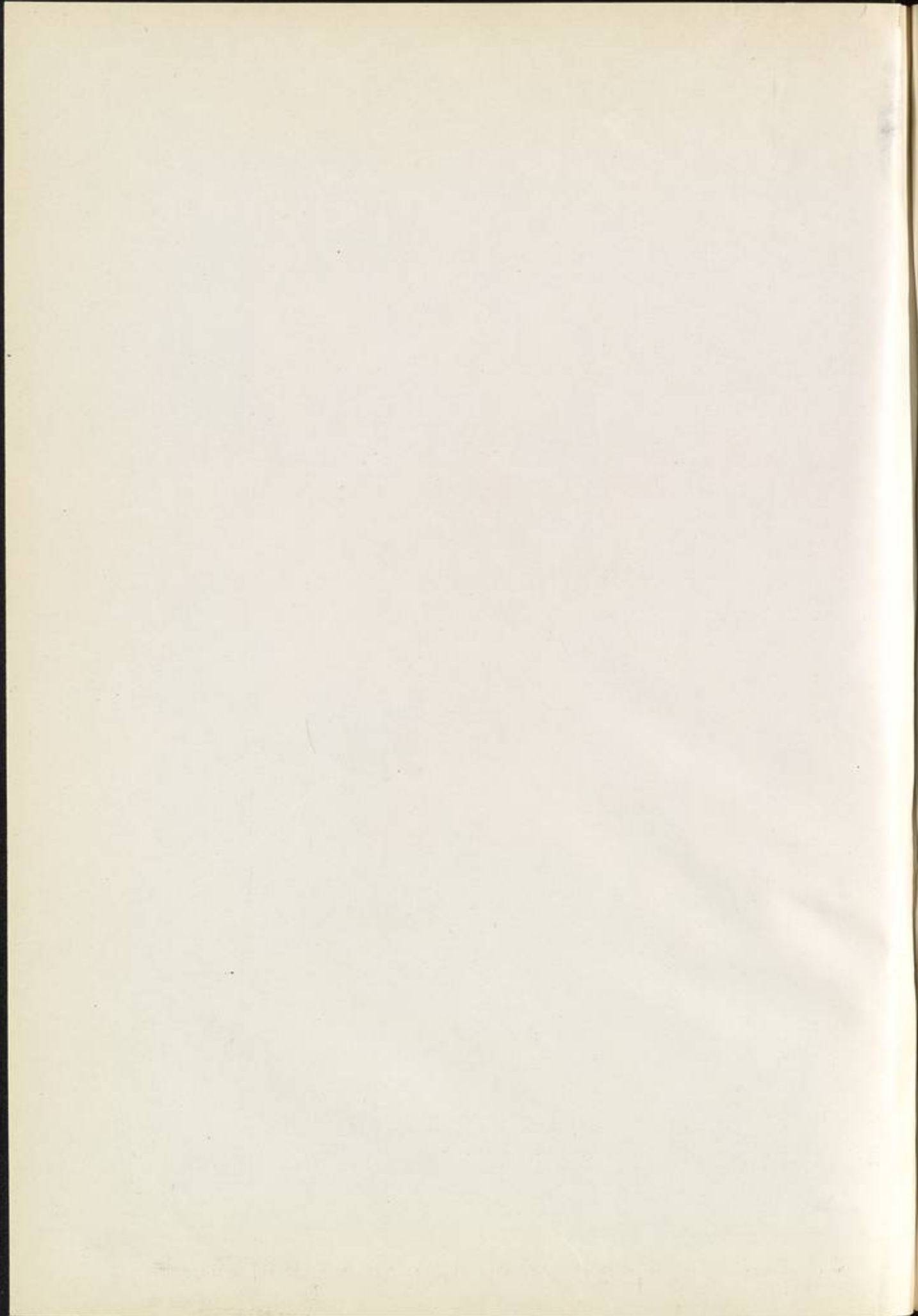
﴿ وأوله سورة مريم ﴾

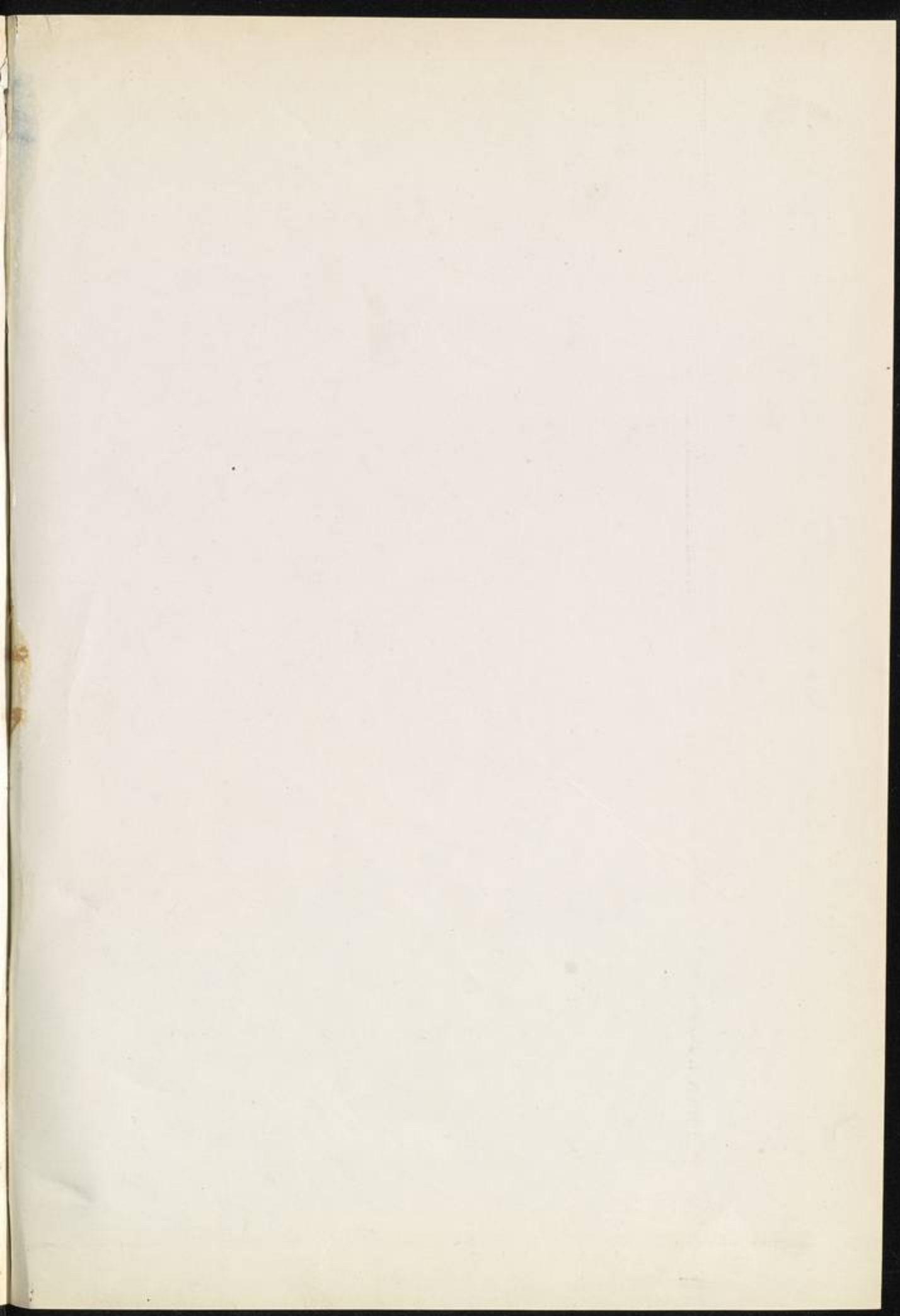
فهرس

الجزء الثاني من كتاب التسهيل

	صفحة
سورة الأنعام	٢
» الأعراف	٢٨
» الأنفال	٦٠
» التوبة	٧٠
» يونس عليه السلام	٨٩
» هود عليه السلام	١٠٠
» يوسف عليه السلام	١١٤
» الرعد	١٢٩
» إبراهيم عليه السلام	٣٧١
» الحجر	١٤٣
» النحل	١٤٩
» الإسراء	١٦٦
» الكهف	١٨١

(تمّ الفهرس)





كِتَابُ التَّسْبِيحِ

لِعِلْمِ التَّنْزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن حزمي الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثالث

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

طلبه من المكتبة الجزائرية الكبرى بأول شارع محمد علي بجزيرة
باصبريا : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
ميدان المكتبة الجزائرية الكبرى بجزيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم

مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فدينيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • كَهَيْعَصَ • ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا • إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا • قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبَّ شَقِيًّا • وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا • يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا • يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا • قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادى بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبده زكريا) وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له (إذ نادى ربه) يعني دعاه (نداء خفيا) أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أي ضعف (واشتعل) استعارة للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم، فاستجب لي في هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإني خفت الموالي) يعني الأقارب قبل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده (من ورائي) أي من بعدي (عاقرا) أي عقيما (فهب لي من لدنك وليا) يعني وارثا يرثني، وقيل يعني وراثته المال، وقيل وراثته العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: نحن معاشر الأنبياء لانورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضيا) أي مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول (سميا) يعني من سمى باسمه، وقيل مثيلا ونظيرا، والأول أحسن هنا (أني يكون لي غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعل له بقدره الله عليه، وتعجب منه

أمرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تنك شيئاً * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً . فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . ليحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صيباً * وحناناً من لدنا وزكوة وكان تقياً * وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً * وسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً * واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنى يكون لى غلم ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً . فحملته فانتبذت به

لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو فى سن من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ (عتياً) قيل يبسا فى الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة فى الكبر (كذلك) الكاف فى موضع رفع أى الأمر كذلك تصديقاله فيما ذكر من كبره وعمم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ قال ربك ، وقيل إن الكاف فى موضع نصب يقال ، وذلك إشارة إلى مهمم يفسره : هو على هين (اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأته (سويا) أى سليماً غير آخرس وانتصاه على الحال من الضمير فى تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سوياً يرجع إلى اللبالي أى مستويات (فأوحى إليهم) أى أشار ، وقيل كتبه فى التراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبحوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة فى اللغة الصلاة ، وقيل قولوا سبحان الله (ياحيى) التقدير قال الله ليحيى بعد ولادته (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) أى فى العلم به والعمل به (وآتيناه الحكم صيباً) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحناناً) قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدرى ما الحنان (وزكاة) أى طهارة ، وقيل ثناء كما يزكى الشاهد (واذكر فى الكتاب مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أى اعتزلت منهم وانفردت عنهم (مكناً شرقياً) أى إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق (أرسلنا إليها روحنا) يعنى جبريل ، وقيل عيسى ، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذى تمثل لها باتفاق (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) لمآرات الملك الذى تمثل لها فى صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بنى آدم ، فقالت له هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عني ، فإني أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقياً اسم رجل معروف بالشرعندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاماً زكياً) الغلام الزكى هو عيسى عليه السلام ، وقرئ ليهب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذى أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى (ولم أك بغياً) البغى هى المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغى فاعول (ولنجعل آية) الضمير للولد واللام

مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى الْجِذْعِ النَّخْلَةَ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا
 مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزَى إِلَيْكِ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا *
 فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
 إِنْسِيًّا فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمَلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا
 وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا فَآشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (خملته) يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال
 ابن عباس حملته وولده في ساعة (مكانا قصيا) أي بعيدا ، وإنما بعدت حياه من قومه أن يظنوا بها
 الشر (فأجاءها) معناه ألقاها وهو منقول من جاء بهمة التعدية (المخاض) أي النفاس (إلى جذع النخلة)
 روى أنها احتضنت الجذع أشددة وجع النفاس (قالت ياليتني مت) إنما تمت الموت خوفا من إنكار قومه وظنهم
 بها الشر ووقوعهم في دمه واتي الموت جائز في مثل هذا ، وليس هذا من تمنى الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه
 (وكنت نسيا) النسي الشيء الحقيق الذي لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسرهما (فناداها من تحتها) قرئ من بفتح الميم
 وكسرهما ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل لأنه كان تحتها كالمقابلة ،
 وقيل كان في مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزني) تفسير للنداء ، فإن مفسرة (سريا) جدولا وهي ساقية من ماء
 كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعني عيسى فإن السرى الرجل
 الكريم (وهزى إليك بجذع النخلة) كان جذعا يابساً خلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدلت
 بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز
 النخلة ، والباه في مجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط
 النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجنى معناه الذي طاب وصلاح ، لأن يجتنى
 (فكلى واشربي) أي كلى من الرطب ، واشربي من ماء الجدول ، وهو السرى (وقرى عينا) أي طيبي نفسا
 بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم أو من تيسير المأكول والمشروب (فإما ترين) هي إن الشرطية دخلت
 عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت الرحمن صوما)
 أي صمتا عن الكلام ، وقيل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت صيانة
 لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فأخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل
 بالإشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (فأتت به قومها) لما رأته الآيات : علمت أن الله سيدين عذرها
 فجاءت به من المكان القصي إلى قومها (شيئا فريا) أي شنيعا وهو من القرية (ياأخت هارون) كان هارون
 عبدا من بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة فقبل لها أخته بمعنى أنها شبهه ، وقيل كان أخاها من
 أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك
 أخو بني فلان أي واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا
بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ
وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا نَحْنُ نُرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

بين زمانهما دهرًا طويلا (فأشارت إليه) أي إلى ولدها ليتكلم وصممت هي كما أمرت (كان في المهد
صديا) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها (آتاني الكتاب) يعني
الإنجيل ، أو التوراة والإنجيل (مباركا) من البركة وقيل نفاعا ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك
(وأوصاني بالصلاة والزكاة) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب
(وبرا) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تسلم بهذا الكلام وهو في المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على
عادة البشر ، وفي كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلني
نبيا (والسلام على) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى ، فهو كقولك : رأيت رجلا
فأكرمت الرجل ، وقال الزنجشري : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال
السلام كله على لا عليكم ، بل عليكم ضده (قول الحق) بالرفع خبر مبتدأ تقديره هذا قول الحق أو بدل
أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمرة أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم (فيه
يمترون) أي يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى (وأن الله
ربي) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، وبكسرهما لا ابتداء الكلام ،
وقيل هو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن
مريم وأن الله ربي وربكم والاول أظهر (فاختلف الأحزاب) هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب اليهود
والنصارى ، لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافا شديدا فكذبته اليهود وعبدته النصارى ، والحق خلاف
أقوالهم كلها (من بينهم) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم (من مشهد
يوم عظيم) يعني يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما سمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في
الدنيا في ضلال مبين (يوم الحسرة) هو يوم يوقى بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود
لاموت ويا أهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لاعلى الظرفية
(وهم في غفلة) يعني في الدنيا فهو متعاق بقوله في ضلال مبين أو بأنذرهم (صديقا) بناء مبالغة من الصدق أو من

النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسراييل ومن هدينا واجتبيينا إذا تتلى عليهم آيت الرحمن خروا سجدا وبكيا . تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا . جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا . لا يسمعون فيها لغوا إلا سلما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا . وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا * رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا * ويقول الإنسان أإذا مات لسوف أخرج حيا * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم

وخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات ، وفي حديث الإسراء وإنه في السماء الرابعة ، وقيل يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته ، والأول أشهر ورجحه الحديث (أولئك) إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكريا إلى إدريس (من النبيين) من هنا للبيان ، والتي بعدها للتبعض (من ذرية آدم) يعني نوحا وإدريس (ومن حملنا) يعني إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (ومن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيا) جمع باك ووزنه فاعول (تخلف من بعدهم خلف) يقال في عتب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك ، فقيل النصراري لأنهم خلفوا اليهود ، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل (أضاعوا الصلوة) قيل تركوها ، وقيل أخرجوها عن أوقاتها (يلقون غيا) الغي الخسران ، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غي (إلا من تاب) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع (بالغيب) أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم (مأتيا) وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ، لأن الوعد هو الذي يأتي وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها (لغوا) يعني ساقط الكلام (الإسلاما) استثناء منقطع (بكرة وعشيا) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي ، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل ، وقيل المعنى أن الرزق يأتهم في كل حين يحتاجون إليه ، وعبر عن ذلك بالنكرة والعشى على عادة الناس في أكلهم (وما ننزل إلا بأمر ربك) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عني واشتقت إليك فقال إني كنت أشوق ولكنني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي له ما قدما وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وقيل ما بين أيدينا : الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين وقيل ماضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية (وما كان ربك نسيا) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك ، والأول أظهر (هل تعلم له سميا) أي مثيلا ونظيرا

يَكُ شَيْئًا فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ه ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ه وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ه ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ه قُلْ

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى (ويقول الإنسان أنذامات لسوف أخرج حيا) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبو بن خاف ، وقيل أمية بن خلف والهمزة التي دخلت على أنذامات للإنكار والاستبعاد ، واللام في قوله لسوف : سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل) احتجاج على صحة البعث ، ورد على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية (لنحشرنهم والشياطين) يعنى قرناه من الشياطين الذين أضلوه ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه (جثيا) جمع جاث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الدليل الخائف (ثم لنزعن من كل شيعه) الشيعة : الطائفة من الناس التي تنفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى نبأ بالآ كبر جرما فالآ كبر جرما (أيهم) اختاف في إعرابه ، فقال سيديويه هو مبنى على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة ، وكان التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء (أولى بها صليا) الصلى : مصدر صلي النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب (وإن منكم إلا واردة) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تحمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أتم لها واردون ، وأوردهم النار ، وقيل الورد بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ما مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال (حتما) أى أمرا لا بد منه (ثم ننجي الذين اتقوا) إن كان الورد بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا يكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والندى المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا المؤمنيين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا في الدنيا ، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار في قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا (هم أحسن) قال الزمخشري هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم (أثنا) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام في المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثنائة (ورثيا) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرثى اسم المرثى ، وقرئ بتشديد

مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِذَا الْعَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةَ فَيَسْعَلُونَ مَنْ
 هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا * وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
 وَخَيْرٌ مَّرَدًّا * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
 عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَزَعْنَاهُ مَقْعَدَهُ وَبِئَاتِنَا فَرْدًا * وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى
 الْكَافِرِينَ تَؤْزَمُهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا * يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا * وَنَسُوقُ
 الْجُرْمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا *

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التنعم بالمشارب
 والمآكل ، وقرأ ابن عباس زيا بالزاي (فليمددله الرحمن مدا) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء
 أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيذا (حتى) هنا غاية المدد في الإضلال (إما العذاب) يعنى عذاب الدنيا (شر مكانا
 وأضعف جندا) في مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا (والباقيات الصالحات) ذكر في الكهف (خير مردا
 أى مرجعا وعاقبة) (أفأريت الذى كفر) هو العاصى بن وائل (وقال لأوتين مالا وولدا) كان قد قال ابن
 بعثت كما يزعم محمد ليكون لى هناك مالا وولدا (أطلع الغيب) الهمزة الإنكار ، والرد على العاصى في قوله
 (كلا) رذله عن كلامه (سنكتب ما يقول) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل (ونمدله
 من العذاب مدا) أى زيدله فيه (ونزعه ما يقول) أى نزع الأشياء التى قال إنه يؤتاها في الآخرة ، وهى المال
 والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولده هشام وعمرو رضى الله عنهما (ويأتينا
 فردا) أى بلا مال ولا ولد ولاولى ولا نصير (سيكفرون بعبادتهم) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى
 عبادتهم للعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للعبودين ، وفى عبادتهم
 للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ويكونون عليهم ضدا) معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم
 فيصير العز الذى أملوه ذلة ، وقيل معناه أعداء (أرسلنا الشياطين على الكافرين) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك
 تعدى بعلى (تؤزهم أزا) أى تزجهم إلى الكفر والمعاصى (فلا تعجل عليهم) أى لا تستبطن عذابهم وتطلب
 تعجيله (إنما نعد لهم عذابا) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفسهم (وفدا) قيل معناه ركبانا ، ومعنى
 الوفدة لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكروهون ، لأن العادة لإكرام الوفود (وردنا)
 معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يبرده إلا للعطش (لا يملكون الشفاعة) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ،
 والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعاً بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين
 فلا استثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أولا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ
 عهدا ، أو يكون الضمير للقرىين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ
وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ
أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وِدًّا ۚ فَإِنَّمَا يَسِرَّنْهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۚ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ
هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا *

سورة طه

مكية إلا آتيتي ١٣ و ١٣١ فدينتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۚ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِّنْ

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة . وهذا
أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم في الموقف حين ينفردها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيتا إذا) أى شيتا صعبا (يتفطرن
منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولدا (هدا) أى انهدا (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (للرحمن
ولدا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) رد على مقالة
الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدهم ولدا له ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن
(سيجعل لهم الرحمن ودا) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى
على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتك (قوما لدا) جمع ألد ، وهو الشديد
الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قريش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى
أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقريش

سورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى
أول سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت
قدماه ، فنزلت الآية تخفيفا عنه ، فالشقاء على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر
الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه
القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من
موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنس ، ويصح أن ينتصب
بفعل مضمرة تقديره أنزلناه تذكرة (تنزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمرة وما أنزلنا وبدأ السورة
بلفظ المتكلم فى قوله ما أنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تنزيلا من خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا
 بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .
 وَهَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ
 أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *
 وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ
 آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يُصَدِّقُ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى *

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه في الأعراف (الثرى) هو في اللغة التراب
 الندى، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه
 يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفي، والأخفى ما في النفس، وقيل السر ما في
 نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الاسماء الحسنى) تكلمنا عليها في الأعراف (وهل أتاك) لفظ
 استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل
 بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدم بزناده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصده إليها
 فناداه الله، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجذوة من النار تكون على رأس
 العود والقصبه ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك)
 قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون
 أمر بخلعها ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر
 (طوى) فى معناه قولان: أحدهما أنه اسم الوادى، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان
 وترك صرفه على أنه بقعة، والثانى أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أى قدس الوادى مرة بعد
 مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (وأقم الصلاة لذكرك) قيل المعنى لتذكرك فيها، وقيل لأذكرك بها،
 فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل، وقيل معنى لذكرك: عند ذكرك كقوله
 أقم الصلاة لدلوك الشمس: أى عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
 استدل بالآية: على وجوب الصلاة على الناس إذا ذكروا (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه،
 فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول محتل، وذلك أن
 المعروف فى اللغة أن يقال: أخفى بالالف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور
 لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك فى الشاذ، وقال الزمخشري قد جاء فى بعض اللغات أخفى
 بمعنى خفى: أى أظهر، فلا يكون هذا القول محتلا على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها
 وقيل إن المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار
 فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن

وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَآرِبُ أُخْرَىٰ ۚ
 قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَىٰ ۚ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۗ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۚ وَاضْمِمْ
 يَدَكَ إِلَىٰ اجْنَاْحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ آيَةٌ أُخْرَىٰ ۚ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۚ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۖ وَاجْعَلْ
 لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ۖ كَيْ نَسْبَحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ
 كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۗ * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ۗ * وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۗ * إِذْ أَوْحَيْنَا
 إِلَىٰ أُمِّكَ مَائُوحِيًّا ۖ أَنْ اقْذِيفِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ فَيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد ، حتى أنه كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآية (بما تسعى) أى بما تعمل (فلا يصدنك عنها) الضمير للساعة : أى لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد ، والخطاب لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناه تهلك ، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب فى جواب لا يصدنك (وما تلك يمينك يا موسى) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله فى العصا من قلبها حية فعنى السؤال تقرير أنها عصا فيتين له الفرق بين حالها قبل أن يقبلها ، وبعد أن قلبها ، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام (وأهش بها على غنمى) معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم (مآرب) أى حوائج (حية تسعى) أى تمشى (سيرتها الأولى) يعنى أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة ، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أى تحت الإبط ، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهى بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك ، وأن تكون صفة الآيات ويختلف المعنى على ذلك (أشرح لى صدرى) إن قيل لم قال أشرح لى ويسر لى ، مع أن المعنى يصح دون قوله ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لسانى) العقدة هى التى اعترته بالجمرة حين جعلها فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجز به ، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيرا) أى معينا ، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أى ظهري والمراد القوة ومنه فأزره أى قواه (قال قد أوتيت سؤالك) أى قد أعطيتك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا إلى أمك) يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك ، أو وحي لهام كقوله : وأوحى ربك إلى النحل (مايوحى) لإبهام يراد به تعظيم الأمر (أن أقذفيه فى التابوت فأقذفيه فى اليم) الضمير الأول لموسى والثانى للتابوت أو لموسى واليم البحر ، والمراد به هنا النيل ، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأمر

وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي ۚ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَوَقَّلتَ نَفْسًا فَانْجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدِيرًا يَمْوَسِي ۚ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۚ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۚ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۚ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ ۚ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَىٰ ۚ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسِي ۚ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۚ

بذبح كل ولد ذكر يولد لهم ، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقى التابوت في البحر ففعلت ذلك ، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل ، فرأى التابوت فأمر به فسبق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك (يأخذه عدو لي وعدو له) هو فرعون (محبة مني) أي أحببتك ، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه ، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له ، وقوله مني : يحتمل أن يتعلق بقوله ألقى ، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف (ولتصنع علي عيني) أي تربي ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ ، والعامل في لتصنع محذوف (إذ تمشي أختك) العامل في إذ تصنع أو ألقى ، أو فعل مضمرة تقديره ومننا عليك (فتقول هل أدلكم على من يكفله) كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة ، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه (وقتلت نفسا) يعني القبطي الذي وكره ففضى عليه (فنجيناك من الغم) يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول (وفتناك فتونا) أي اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة ، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة ، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر ، ثم من القصاص بالقتل ، والفتون : يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة (فلبثت سنين) يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب (جئت علي قدر) أي بميزات محدود قدره الله لنبوتك (واصطنعتك لنفسى) عبارة عن الكرامة والتقريب أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني (ولا تنيا) أي لا تضعنا ولا تقصرا ، والوني هو الضعف عن الأمور والتفكير فيها (أن يفراط) أي يعمل بالشر (فأرسل معنا بني إسرائيل) أي سرحهم ، وكانوا تحت يد فرعون وقومه ، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بني إسرائيل (ولا تعذبهم) كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم (قد جئناك بآية) يعني قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء ، وإنما وحدهما وهما آيتان ، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد (والسلام علي من أتبع الهدى) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة (قال فمن ربكما ياموسى) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه ، لأنه الأصل في النبوة وأخوه تابع له (الذي أعطى كل شيء خلقه) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه نخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، وكل شيء

قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى . كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى . مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَفِيهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى . وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى . قَالَ أَجْتِنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى . فَلَنَاتَيْنَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى . قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَإِنَّ يَحْشُرَ

مفعول ثان ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أى أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقه وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن (ثم هدى) أى هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعليهم كيف ينتفعون به (قال فما بال القرون الأولى) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى بحاجة ومناقضة لموسى : أى ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى فى قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول وروغاناً عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام فى شأنها ، فقال عليها عند ربى ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعاً إلى الكلام الأول (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) أى فراشاً ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لاعلى وجه الحقيقة ولاعلى وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لا يمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه (وسلك لكم فيها سبلاً) أى نهج لكم فيها طرقاً تمشون فيها (فأخرجنا) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتداء كلام الله (فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) أى أصنافاً مختلفة (كلوا وارعوا أنعامكم) المعنى أنها تصالح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن فى ذلك فكانه أمر به (لأولى النهى) أى العقول واحداً نهية (منها خلقناكم) الضمير للأرض يريد خلقه آدم من تراب (وفيها نعيدكم) يعنى بالدفن عند الموت (ومنها نخرجكم) يعنى عند البعث (أريناه آياتنا) يعنى الآيات التى رآها فرعون وهى تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة فى قوله آياتنا تجرى مجرى التعريف بالعهد : أى آياتنا التى أعطينا موسى كلها ، وإنما أضفها الله إلى نفسه تشريراً (فأجعل بيننا وبينك موعداً) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكاناً سوى ، ولكن يضعف بقوله موعداً يوم الزينة ، لأنه أجاب بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكاناً سوى ، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعف ذلك بقوله مكاناً وقوله يوم الزينة ، فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكاناً باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعداً ومكاناً مفعولين لقوله اجعل ، ويضابقه قوله يوم الزينة

النَّاسُ ضُحِيٍّ ۖ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنِيَ ۚ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَيْكُمُ اللَّيْلُ فَأَنقَرُوا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ۚ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۚ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ۚ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَفْتُمُوهَا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنْ أَسْعَىٰ ۚ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۚ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ
وَ عَصِيصُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ ۚ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُّوسَىٰ ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ *
وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِمَّا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۚ فَالْقَى السَّحْرَةَ
بُجْدًا قَالُوا أَمَّا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۚ قَالَ أَمْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لامن طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن
كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا في مكان وإن
كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه منزعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ، وبطابقه
قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعداكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب
وذلك يطابق أن يكون المرعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى في القرب
منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين
وضمها ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على
الزينة ، فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند
اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحتكم) معناه يهلككم ،
يقال سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران)
قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان
بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ما روى
في الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ
وخبر في موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن في هذه الآية ببلغة بنى الحرث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال
النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهب بطريقكم المثلث)
أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل
بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لاحقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة في سعى الحبال والعصى
هى أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم
وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحس الزئبق بجر النار أو الشمس سال ، وهو في حشو الحبال
والعصى فحملها فتخيل للناس أنها تمشى فأتى موسى عصاه فصارت ثمانا فابتلعها (إمما صنعوا كيد

فَلَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۚ قَالُوا
لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ
إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ إِنَّهُ مِن بَيْنِ يَدَيْ رَبِّهِ مُجْرِمٌ
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۚ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۚ
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۚ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ
أَسْرَ بَعَادَىٰ فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۚ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَغَشِيَهُمْ
مِنَ السَّمَاءِ غَاشِيَةٌ ۚ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۚ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَيْتُمْ مِّنْ عُدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۚ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ۚ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۚ
وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۚ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۚ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

ساحر) ما هنا موصولة وهي اسم إن وكيد خبرها (آمننا برب هارون وهوسى) قدم هارون لتعدل رؤس
الآى (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ما جاءنا من البيئات ،
وقيل هى واو القسم (هذه الحياة) نصب على الظرفية أى إنما قضاؤك فى هذه الدنيا (إنه من يأت ربه
بجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة ، وقيل هو من كلام الله (أن أسر
بعادى) يعنى بنى إسرائيل ، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابساً ،
وهو مصدر وصف به (لاتخاف دركا ولا تخشى) أى لاتخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى
الغرق فى البحر (ماغشيهم) إيهام لقصد التهويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يعنى عن
قوله وما هدى ، فالجواب أنه بالغة وتأكيد ، وقال الزمخشري هوتهم بفرعون فى قوله . وما أهدىكم لإسبيل
الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون ، وقيل هو خطاب لمن كان
منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لما أهلك
الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه ، والطور هو
الجبل ، واختلف هل هذا الطور هو الذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته ، أو هو غيره (ونزلنا عليكم المن
والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك ، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى (وإنى لغفار لمن
تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت
المعتزلة لا يغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح ، ويحتمل
أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صالحاً ، (وما أجعلك عن

قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قَوْمك يا موسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله ، وطلباً لرضاء ، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى : ما أعجلك عن قومك ، وإنما سألت الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم باتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين : أحدهما أن قومه على أثره : أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب ، والثاني أنه إنما تقدم طلباً لرضا الله (وأضلهم السامري) كان السامري رجلاً من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى ، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة ، وكان ساحراً منافقاً (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها (أسفا) ذكر في الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يعنى ما وعدهم من الوصول إلى الطور (أفضال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توبيخ لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامري فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقاتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم ، واعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد ، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزاراً من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزاراً لثقلها ، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلى القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم ، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري : اجمعوا هذا الحلى في حفرة حتى يحكم الله فيه ، ففعلوا ذلك وأوقد السامري ناراً على الحلى وصاغ منه عجلاً وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري ، ولذلك قال لموسى قد قتنا قومك من بعدك (فقذفناها) أى قذفنا أحمال الحلى في الحفرة (فكذلك ألقى السامري) كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام ، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء موانا صار حيواناً فألقاها على العجل فخار العجل أى صاح صياح العجول . فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلى في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب (جسداً) أى جسماً بلا روح ، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنى) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بنى إسرائيل والفاعل موسى : أى نسى موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه في الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثانى : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل على هذا السامري : أى نسى دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً) معناه لا يرد عليهم كلاماً إذا

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يُقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَسَكِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۚ قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۚ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ قَالَ يَبْتُومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ۚ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۚ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ

كلوه وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهي مصدرية (قال يهارون مامنك إذ رأيتم ضلوا ألا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنك أن تتبعني في المشي إلى الطور ، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتلهم بمن لم يعبد (قال يا ابن أم) ذكر في الأعراف (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني في الزجر والقتال ولو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تتبعني بعضهم دون بعض ففرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور (ولم ترقب قولي) يعني قوله له : اخلفني في قومي وأصلح (قال فما خطبك ياسامري) أي قال موسى ماشأئك ولفظ الخطب يقتضي الانتهاز ، لأنه يستعمل في المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت ما لم يروه يعني جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول» وإنما سمي جبريل بالرسول ، لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير ، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة : إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك في الشاذ (فنبذتها) أي ألقيتها على الحلي ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار (فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ، ومكاملته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس : أي لا تماسة ولا إذابة ، وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحلي له والذي مسه فصار هو يبعد عن الناس وصدار الناس يبعدون عنه (وإن لك موعدا) يعني العذاب في الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظلت) أصله ظلت ، حذف إحدى اللامين والأصل في معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلا ونهاراً (لنحرقنه) من الإحراق بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ، لأن الذهب لا يفتنى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفن في اليم نسفا) أي نلقيه في البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا . إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا * كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا . مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا . يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا . يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا . وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبني إسرائيل (كذلك نقص عليك) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وأنباء ما قد سبق : أخبار المتقدمين (ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) يعنى إعراض تكذيب به (وزرا) الوزر فى اللغة الثقل ، ويعنى هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » ، أو الذنوب لأنها سبب العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشري ساء تجرى مجرى بئس ، ففعلها مضمرة يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمرة يعود على الوزر (يوم ينفخ فى الصور) أى ينفخ الملك فى القرن ، وقرئ تنفخ بالنون أى بأمرنا (زرقا) أى زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من العمى (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) أى يقول بعضهم لبعض فى السر إن لبثتم فى الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم فى القبور (يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) أى يقول أغلبهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره (ينسفها ربى) أى يجعلها كالغبار ثم يفرقها (فيذرها قاعا صفصفا) الضمير فى يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ، والقاع الصفصف : المستوى من الأرض الذى لا ارتفاع فيه (لا ترى فيها عوجا) المعروف فى اللغة أن العوج بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما قاله بالكسر مبالغة فى نفيه ، فإن الذى فى المعانى أدق من الذى فى الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية فى نفي العوج من كل وجه (ولا أمتا) الأمت : هو الارتفاع اليسير (يتبعون الداعى) يعنى الذى يدعو الخلق إلى الحشر (لا عوج له) أى لا يعوج أحد عن اتباعه والمشى نحو صوته ، أو لا عوج لدعوته لأنها حق (همسا) هو الصوت الخفى (لا تنفع الشفاعة إلا من) أذن له الرحمن) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن فى موضع نصب بتنفع ، وهى واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن فى أن يشفع له ، وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع (ورضى له قولاً) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام فى له بمعنى لأجله ، أى رضى قول الشافع لأجل المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضى له قوله فى الشفاعة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضميران

ظُلْمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ
عَزْمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۖ وَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۖ
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآبِي ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا
سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ
وَهَدَى ۖ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۖ قَالَ رَبِّ لِمَ

جميع الخلق ، والمعنى ذكر في آية الكسرى (ولا يحيطون به علما) قيل المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندى أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله
على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلا بما شاء هناك ولم يستثن
هنا (وعنت الوجوه) أى ذلت يوم القيامة (ولا هضمًا) أى بخسا ونقصا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أى
تذكرا ، وقيل شرفا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى إذا أقرأك جبريل
القرآن فاستمع إليه واصر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ،
وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى
تفسر له المعاني ، والأول أشهر (عهدنا إلى آدم) أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (فنى) يحتمل أن يكون
النسيان الذى هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذرا لآدم أو يريد النك ، وقال ابن عطية : ولا يمكن غيره ،
لأن الناسى لا عقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى
لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولا ، والمقصود
بالكلام ، وقيل لأن الشقاء في معيشة الدنيا يختص بالرجال (لا تظما فيها ولا تضحى) الظما هو العطش ، والضحى
هو البروز للشمس (بخصفان) ذكر في الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة (اهبطا
خطاب لآدم وحواء (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليهما ما الزائدة وجوابها فمن اتبع (فلا يضل
ولا يشقى) أى لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة (معيشة ضنكا) أى ضيقة ، فقيل إن ذلك فى الدنيا ، فإن
الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر
الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك فى البرزخ ، وقيل فى جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى . أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى . وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى . فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى . وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى . وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحَ عَلَيْهَا لِنَسْأَلَكَ رِزْقًا نَحْنُ

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر (فنسيها وكذلك اليوم تنسى) من البرك لان الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهد لهم) معناه أفلم يبين لهم ، والضمير لقريش والفاعل بهد مقدر تقديره أولم يهد لهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشري الفاعل الجملة التى بعده ، وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مسألتهم) يريد أن قريشا يمشون فى مسألتهم عاد وثمود ، ويعاينون آثارها كهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق ، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما : أى واقعا بهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما وإنما أخره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ، وقيل المراد به أجل الموت ، وقبل القيامة (وسبج) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أو قول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله والحمد لله ، تملأن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ، والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناه الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر الصبح فى ذلك تأكيداً للأمر بها ، وسمى الطرفين أطرافاً لحد وجهين : إما على نحو فقد صغت قلبك ، وإما أن يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناه الليل ساعاته ، واحداً لى (ولامتدنت عينيك) ذكر فى الحجر ومد العينين هو تطويل النظر فى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمحل على الذم ، أو يضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولاً ثانياً ، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجاً على تقدير ذوى زهرة أو ينتصب على الحال (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم (لانسألك رزقا) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

نَزَّلْنَاكَ وَالْعَقَبَةَ لِلتَّقْوَى * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لِمَ تَأْتِيهِمْ بَيْنَةٌ مَافِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ
وَنُخْزَى * قُلْ كُلٌّ مَتْرَبٌ فَتَرَبُّصُوا فَسْتَعْلَبُونَ مِنْ أَحْسَبِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمِنْ أِهْتَدَى *

سورة الأنبياء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ
مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَأَهْيَأَ قُلُوبَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم
أَفْتَاتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا

نزلتك ، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله ، ويتلو هذه الآية
(أولم تأتتهم بينة مافي الصحف الأولى) البينة هنا البرهان ، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما
من كتب الله ، والضمير في قالوا وفي أولم تأتتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجاهم
الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان مافي التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا شيء
تطلبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص مافي الصحف
الأولى ، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكنا
هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ،
ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أي قل كل واحد منا ومنكم
منتظر لما يكرون من هذا الأمر (فتربصوا) تهديد (الصراط السوي) المستقيم

سورة الأنبياء عليهم السلام

(قرب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه
من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها ولأن كل آت قريب
(ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) يعني بالذكر القرآن ، ومحدث : أي محدث النزول (وأسروا النجوى الذين ظلموا)
الواو في أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء
ذلك على لغة من قال أكلوني البراغيث ، وهي لغة بني الحارث بن كعب ، وقال سيديويه لم تأت هذه اللغة في القرآن
ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل
هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذي تناجوا به ،
والبشر المذكور في الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربّي يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم
أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجمهور

أَضَعَتْ أَحْلَامَ بِلِ أَقْرَبِهِ بَلِ هُوَ شَاعِرٌ فُلْيَاتِنَا بَيَّةٌ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ . مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
 أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *
 وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ . ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
 وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً
 وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْسَاءِ إِذَاهُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَاتَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ
 فِيهِ وَمَسَكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا بُولَدَتَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَلَّكَ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ
 حَصِيدًا خَالِدِينَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ

فصل به ذكر السر وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أي أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة
 ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم (كما أرسل الأولون) أي كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا
 محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكتها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن
 الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكتها ، ثم قال (أفهم يؤمنون) أي أن حالهم في عدم
 الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك
 ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد ؛ وأهلكناها في
 موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً) رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم
 والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا (أهل الذكر)
 يعني أحبار أهل الكتاب (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أي ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين ، ووجد
 الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفي الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل
 الطعام (ومن نشاء) يعني المؤمنين (فيه ذكركم) أي شرفكم وقيل تذكيركم (قصمنا) أي أهلكتنا ، وأصله من
 قصم الظهر أي كسره (من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هي قرية باليمن يقال لها حضور
 بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم
 لأن كم للكثير ، فلا يريد قرية معينة (يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب
 وركضوها لتسرع الجرى أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة (لاتركضوا) أي
 قيل لهم لاتركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم ، أو رجال بختصر إن كانت القرية المعينة قالوا
 ذلك لهم خداعاً ليرجعوا فيقتلوه (أنرفتم) أي نعمتم (لعلمكم تسألون) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم
 ومساكنكم لعلمكم تسألون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسألون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم
 وهذا أيضاً تهكم (قالوا يا ويلنا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم (حصيداً خالدين) شبهوا في هلاكهم
 بالزرع المحصود ، ومعنى خالدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار (لآعين) حال منفية أي ما خلقنا السموات

لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذها لوأ لا نتخذناه من لدنا) اللهم في لغة الين: الولد، وقيل المرأة، ومن لدنا: أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولدأ لا نتخذناه من الملائكة، لا من بنى آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن الله بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين، وقال الزمخشري المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذها لوأ لكان ذلك في قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفي كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام في أضداد ذلك (فيدمغه) أي يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعني الملائكة (ولا يستحسرون) أي لا يعيون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق ينشرون والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدر أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بألهة في الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة، وإلا بمعنى غير، فاقضى الكلام أمرين أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله إلا الله، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لولم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليل على التمانع الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضاً محال، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد. وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لحظة واحدة (لا يسئل عما يفعل) لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يسئلون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرر هذا الإنكار استعظاماً للشرك. ومبالغة في تقييده لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع

هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ . وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ . وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُّعْرِضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ .

(هاتوا برهانكم) تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة (هذا ذكر من معي و ذكر من قبلي) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضى الإشراف بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) الآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلإله إلا الله (عباد مكرمون) يعنى الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البتوة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذى غير الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا (لا يسبقونه بالقول) أى لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأذبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أى لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة فى الآخرة أو فى الدنيا وهى استغفارهم لمن فى الأرض (مشفقون) أى خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذى قال إنى إله هو إبليس لعنه الله (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق ببعضه ببعض الذى لا صدع فيه ولا فتح ، والفتح الفتح فليل كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقها الله سبعا سبعا والرؤية فى قوله أو لم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان ويعنى بالماء المنى وقيل الماء الذى يشرب لأنه سبب حياة الحيوان ، ويدخل فى ذلك النبات باستعارة (رواسي) يعنى الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (بفجاء) يعنى الطرق الكبار ، وإعرا به عند الزمخشري حال من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعنى فى طرقهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أى حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعنى الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل فى فلك يسبحون) التنوين فى كل عوض عن الإضافة أى كلهم فى فلك يسبحون يعنى الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح فى الفلك فالجملة فى موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كل ويسبحون جمع ، فكيف يعنى الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهى كثيرة

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهَمُّ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَانَ هُمْ كَفَرُوا * خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ . وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

قاله الزمخشري وقال القزويني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في تلك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فلسكه، وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى تلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يحرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في تلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سببها أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشتموا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشر والخير) أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذي يذكركم آلِهتكم) أي يذكركم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح، والجملة تفسير للهمزة أي يقولون أهذا الذي (وهم يذكرون الرحمن هم كافرون) الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذلك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى يذكرون الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم (خلق الإنسان من عجل) خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة المبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله ذات طئنة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتي) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لو يعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا (بل تأتيتهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أي تفجؤهم (ولاهم ينظرون) أي لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزيت) الآية تسلية بالتأسي (فخاق) أي أحاط (من يكفوكم) أي من

رَبِّهِمْ مَعْرُضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّْا يُصْحَبُونَ * بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ * قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حُسَيْنٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلتَّقِيينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

يحفظكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لا عترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم يقوم عليهم الحجة إن أجابوا ، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيه ذكر الله ، وقال الزمخشري معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الإنكار والنفى ، وذلك أنه لما سألهم عن يكلوهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره (ولا هم منا يصحبون) الضمير للكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) أى متعناهم بالنعم والعافية فى الدنيا فظغوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب بيل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم (نثقصها من أطرافها) ذكر فى الرعد (ولا يسمع الصم الدعاء) إشارة إلى الكفار ، والصم استعارة فى إفراط إعراضهم (نفحة) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لوراوا أقل شيء من عذاب الله لا ذعنوا واعترفوا بذنوبهم (و نضع الموازين القسط) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام ، إمصحف الأعمال ، أو ماشاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء (ليوم القيامة) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو الحكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشري هو كقولك كتبت الكتاب لست خلون من الشهر (مثقال حبة) أى وزنها والرفع على أن كان تامة ، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمرة (الفرقان) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة (وهذا ذكر) يعنى القرآن (رشده) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك (من قبل) أى قبل موسى وهارون ، وقيل آتيناه رشده قبل النبوة (وكنا به

التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُوَ لَآئِن يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

عالمين) أى علمناه أنه يستحق ذلك (التماثيل) يعنى الأصنام وكانت على صور بنى آدم (وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد من غير دليل (قالوا أجتنا بالحق) أى هل الذى تقول حق أم مزاح ، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل ، وعن اللعب بالجملة الإسمية ، لأنه أثبت عندهم (فطرهن) أى خلقهن ، والضمير للسموات والأرض ، أو التماثيل ، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذاً) أى فتاتاً ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدموم فى يده (لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شىء ، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة ، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكروهم) أى يذكروهم بالذم وبقوله لا كيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى ، وقيل خبر ابتداء مضمرة ، وقيل رفع على الإهمال ، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله ، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزخشرى (لعلهم يشهدون) أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبيخبتهم وإقامة الحججة عليهم ، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس ياله ولم يقصد الإخبار المحض ، لأنه كذب ، فإن قيل : فقد جاء فى الحديث إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات : أحدها قوله فعله كبيرهم ، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضاً تبيخبتهم وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شىء أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين ، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رؤوسهم) استعارة لانقلابهم برجعوهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل ، والمعاندة (فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ،

وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفْ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا الهتكم إن كنتم فاعلين ۖ قلنا ينار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ۖ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرسين ۖ وبجئته ولو طأ إلى الأرض التي بركنا فيها للعالمين ۖ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ۖ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ۖ ولو طأ آتينا حكماً وعلماً وبجئته من القرية التي كانت تعمل الخبيث إنهم كانوا قوم سوء فسقين ۖ وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ۖ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ۖ ونصرته من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ۖ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين ۖ ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم ، وغاية المسكارة والمعاندة في جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون : إقرارهم على أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رؤسهم حقيقة : أي أطرفوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة (أف لكم) تقدم الكلام على أف في الإسراء (قالوا حرقوه) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغاب عليه بالظلم (قلنا ينار كوني برداً وسلاماً) أي ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختار كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها ما فيها من الحر ، والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلاً ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لو لم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه (إلى الأرض التي باركنا فيها) هي الشام خرج إليها من العراق ، وبركتها بخصبها وكثرة الأنياب فيها (نافلة) أي عطية ، والتنفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاء بغير سؤال ، فكأنه تبرع ، وقبل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لي من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول (يهدون بأمرنا) أي يرشدون الناس بإذننا (ولو طأ) قيل إنه انتصب بفعل مضمير يفسره آتينا والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحاً وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضاً ، وقيل بفعل مضمير تقديره إذ كر (آتينا حكماً) أي حكماً بين الناس : أو حكماً (من القرية) هي سدوم من أرض الشام (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في الجنة أو في أهل رحمتنا (نادى من قبل) أي دعا قبل إبراهيم ولو طأ (من الكرب) يعني من الغرق (ونصرناه من القوم) تعدي نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معنى نجينه أو أجرناه (وداود وسليمان) كان داود نبياً ملكاً ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاماً (في الحرث) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيها (إذ نفشت) رعت فيه بالليل

وَعَلْمًا وَسَخْرًا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالِ يُسَبِّحَنَّ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَعَالِينَ ۝ وَعَلَيْتُهُ صَنْعَةَ لِبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(الحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين ، وقيل لداود وسليمان خاصة ، على أن يكون أقل الجمع
اثنان (ففهمناها سليمان) تخاصم إلى دواود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته
فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة
الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب ، فأخبراه بما حكم به أبوه ، فدخل عليه فقال يا بني الله لو حكمت
بغير هذا كان أرفق للجميع ، قال وما هو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ
صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، فإذا أكل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها ، والأرض
بزرعها إلى ربها ، فقال له داود : وفقت يا بني ، وقضى بينهما بذلك ، ووجه حكم سليمان أنه جعل الاتفاح بالغنم
يأزاء ما فات من الزرع ، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، ويحتمل أن يكون
ذلك إصلاحا لاحكما ، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحى أو اجتهاد فن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد
للأنبياء ، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه ، وقد اختلف في جواز الاجتهاد
في حق الأنبياء ، وعلى القول بالجواز اختلف ، هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله ففهمناها سليمان : أنه كان
باجتهاد نخص الله به سليمان ففهم القضية ، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود ،
وأما حكم إفساد المواشى الزرع في شرعنا ، فقال مالك والشافعي : يضمن أرباب المواشى ما أفسدت
بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك ، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان ، لأن النفس لا يكون
إلا بالليل ، وقال أبو حنيفة : لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم : العجاء جرحها
جبار (وكلا آتيناها حكما وعلما) قيل يعني في هذه النازلة ، وأن داود لم يخطئ فيها ، ولكنه رجع إلى ما هو
أرجح ، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب ، وقيل بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة ، وعلى
هذا القول فإنه أخطأ فيها ، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان
هذا التسبيح قول سبحان الله ، وقيل الصلاة معه إذا صلى ، وقدم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أغرب إذ
هي جماد (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا ، وقال ابن عطية : معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود
استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعني دروع الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، وقال ابن عطية
اللبوس في اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أي لتقيمكم في القتال وقرئ بالياء
والتاء والنون ، فالنون لله تعالى ، والتاء للصنعة ، والياء لداود أو لللبوس (فهل أتمم شاكرون) لفظ استفهام ،
ومعناه استدعاء إلى الشكر (وسليمان الریح عاصفة) عطف الریح على الجبال ، والعاصفة هي الشديدة فإن قيل :
كيف يقال عاصفة وقال في صرخاء أي لينة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع في جريها
كالعاصف فجمعت الوصفين ، وقيل كانت رخاء في ذهابه ، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع
في الرجوع ؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني أرض
الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه نخص في الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (يغرضون له) أي

عَلَمِينَ ۝ وَمَنْ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۝ وَيُوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ أَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ وَادْخُلْنَا هَمَّ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ

يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار (عملا دون ذلك) أقل من الغوص كالبيضان والخدمة (وكنالهم حافظين) أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره ، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه ، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم ، وقيل من بني إسرائيل ، وكان له أولاد و مال كثير فأذهب الله ماله فصبر ، ثم أهلك الأولاد فصبر ، ثم ساطت البلاء (١) على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمته وابه ، فحينئذ دعا الله تعالى ، على أن قوله مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريحا بالدعاء ، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة أرحمه ، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب (فكشفنا ما به من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم في الدنيا وقيل في الآخرة ، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم ، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أي رحمة لا يوب ، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى مع العابدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا ، وقيل نبي بعث إلى رجل واحد ، وقيل رجل صالح غير نبي ، وسمى ذا الكفل : أي ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل للسبع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام ، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه (إذ ذهب مغاضبا) أي مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيسكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت ، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أي ظن أن نصيب عليه ، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه ، وقيل هو من القدر والقضاء : أي ظن أن لن نصيب عليه بعقوبة ، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى في الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية ، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات ، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدّة ظلمته كقوله وتركهم في ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن ، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجينا من الغم) يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البر (وكذلك ننجي المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذي النون مادعا بهامكروب إلا استجيب له (لا تذرني

(١) المراد بالبلاء المرض الذي أصابه وهو مرض باطنى لا تنفر منه الطباع البشرية لعصاة الأنبياء من ذلك

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ * وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ . إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون * وَتَقَطَّعُوا أَعْمُرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ . وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتُمَا بِأُجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَمَّ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . وَقَاتَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَتَمَّ لَهَا وَرُدُّونَ * لَوْ كَانَ هَدْمًا لَّآءِ الْهَتَّةِ

فرداً) أى بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقنى وارثاً أنت خير الوارثين ، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعنى ولدت بعد أن كانت عقيماً ، واسم زوجته أشياع ، قاله السهيلي (يسارعون في الخيرات) والضمير الأنبياء المذكورين (رغبا ورهبا) الرغب الرجاء ، والرهب الخوف ، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي ، والرهب أن ترفع ظهورها (والى أحصنت فرجها) هى مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أى أعفته عن الحرام والحلال ، كقولها لم يمسنى بشر (فنفخنا فيها من روحنا) أى أجرنا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها ، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذى في الجسد ، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو لذلك (آية) أى دلالة ، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أى ملتكم .أمة واحدة ، وهو خطاب للناس كافة ، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أى إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين ، لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد (تقطعوا أمرهم) أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً ، والضمير للدخاطبين ، قيل فالأصل تقطعتم (فلا كفران لسعيه) أى لا يبطال ثواب عمله (وإننا له كاتبون) أى نكتب عمله في صحيفته (وحرام على قرية أهلكتناها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام ، واختلف في معنى الآية ، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ، أو ممتنع على قرية أهلكتها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة في الوجهين ، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لا نافية فيهما أى حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكتها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة ، ولا على هذا نافية أيضاً ، ففيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت مأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بـيرجعون ، وجواب إذا : فإذا هى شاخصة ، وقيل الجواب يؤولنا لأن تقديره يقولون يؤولنا ، وفتحت مأجوج ومأجوج أى فتح سدها فحذف المضاف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض ، وينسلون : أى يسرعون ، والضمير ليأجوج ومأجوج : أى يخرجون من كل طريق لكثرتهم ، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعنى القيامة (فإذا هى شاخصة) إذا هنا للمفاجأة ، والضمير عند سيديوه ضمير القصة ، وعند الفراء ، للأبصار ، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حسب

مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَوْجِرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ . إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ
عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهِمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَهُمُ الَّذِي كُتِمُ تَوَعْدُونَ . يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا بِإِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ آتَمَّا

جهنم) هذا خطاب للمشركين ، والحصب : ما توقد به النار : كالحطب وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه
« حطب جهنم ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توييخا لمن عبدها (واردون) الورد
هنا الدخول (زفير) ذكر في هود (لا يسمعون) قيل يجعلون في ترابيت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل
يصمهم الله كما يصمهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنی) سبقت أي قضيت في الأزل ، والحسنی السعادة ، ونزلت
الآية لما اعترض ابن الزبيري على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن
عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومه
في كل من سبقته السعادة (حسيسها) أي صوتها (الفرع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت
وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله ففرع من السموات ومن في الأرض (كطي السجل للكتب) السجل
الصحيفة والكتاب مصدر : أي كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أوليضان الكتاب الذي فيه ، وقيل السجل
رجال كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كما بدأنا
أول خلق نعيده) أي كما قدرنا على البداء نقدر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ،
وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ،
ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيذا لوقوع البعث (ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر) في الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التي
أنزل الله على موسى ، وما في الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثاني أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها
الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرده بعد
ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود
أظهر وأكثر استعمالا ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن النص
قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأرض هنا على
الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد
الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود
إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) هذا خطاب لسيدنا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشريف عظيم ، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ ۝
مَاتُوعِدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ *
قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝

سورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّ تَدْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة ، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين ، أو يكون مفعولا من أجله ، والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعلهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة ، فإن قيل : رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم ، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والسيحة وشبه ذلك (آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر (وإن أدري أقرب أم بعيد ماتوعدون) إن هنا وفي الموضع الآخر نافية ، وأدري فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه ، والهمزة في قوله أقرب للتسوية لا مجرد الاستفهام ، وقيل يوقف على إن أدري في الموضعين ، ويتبدأ بما بعده ، وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده (لعله فتنة) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم (ومتاع إلى حين) أى الموت أو القيامة (المستعان على ماتصفون) أى أستعين به على الصبر على ماتصفون من الكفر والتكذيب

سورة الحج

(اتقوا ربكم) تكلمنا على التقوى في أول البقرة (إن زلزلة الساعة) أى شدتها وهولها كقوله وزلزلوا ، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، والجملة تعليل للأمر بالتقوى ، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدى القيامة ، أو بعد أن تقوم القيامة ، والأرجح أن ذلك قبل القيامة ، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضة ووضع الحامل لا بعد القيامة (يوم ترونها) العامل في الظرف تذهل ، والضمير للزلزلة ، وقيل الساعة ، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها (تذهل) الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة (مرضة) إنما لم يقل مرضع ، لأن المرضة هي التي

اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَجْدُلُ فِي اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَانَّهُ
يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَسْأَلُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ
نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ
شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بَانَ

في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها
به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ (وترى الناس سكارى)
تشبيهه بالسكارى من شدة الغم (وما هم بسكارى) نفي الحقيقة السكر ، وقرئ سكرى والمعنى
متفق (ومن الناس من يجادل في الله) نزلت في النضر بن الحارث ، وقيل في أبي جهل ، وهي تتناول
كل من اتصف بذلك (شيطان مرید) أى شديد الإغواء ، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس (كتب)
تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه في موضع المفعول
الذى لم يسم فاعله وفي أنه عطف عليه وقيل تأكيد (من تولاه) أى تبعه أو اتخذه وليا ، والضمير في عليه
وفي أنه في الموضوعين وفي تولاه للشيطان ، وفي يضلّه ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر
أولا لمن يجادل (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) الآية : معناها إن شككتم في البعث الآخرى
فروا ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على
أن يعيدكم ثانيا مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من
قبوركم (خلقناكم من تراب) إشارة إلى خلق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم (من
علقة) العلقه قطعة من دم جامدة (من مضغة) أى قطعة من لحم (مخلقة) المخلقة النامية الخلقه ، وغير المخلقة الغير
النامية : كالسقط ، وقيل المخلقة المسواة السالمة من النقصان (لنبيين لكم) اللام تتعاقب بمحذوف تقديره ذكرنا
ذلك لنبيين لكم قدرتنا على البعث (ونقر) فعل مستأنف (إلى أجل مسمى) يعنى وقت وضع الحمل وهو يختلف
وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك (نخرجكم طفلا) أفرده لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم
طفلا (لتبلغوا أشدكم) هو كمال القوة والعقل والتمييز ، وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين
(أرذل العمر) ذكر في النحل (هامة) يعنى لانبات فيها (اهتزت) تحركت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما
دخلها الماء (وربت) انتفخت (زوج بهيج) أى صنف عجيب (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك المذكور من
أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الزمخشري ، والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى
أيضا فسره ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب
لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض ،
أو على تقديره والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض
فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة ، فذلك استئناف

الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور * ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتب منيرة * ثانياً عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق * ذلك بما قدمت يداك وإن الله ليس بظالم للعبيد * ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * يدعوا من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلل البعيد * يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير * إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد * من كان يظن أن لن ينصره الله في

وقطع للكلام الأول ، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعاً بما قبله ، والذي يظهر لي أن الباء لبست بسببية ، وإنما يقدر لها فعل تتعاقب به ويقضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقه الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلق الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق (ثاني عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له في الدنيا خزي) إن كانت في الضر بن الحارث : فالخزي أسره ثم قتله ، وكذلك قتل أبي جهل (ذلك بما قدمت يداك) أي يقال له ذلك بما فعلت وبعذل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن انفق له خلاف ذلك تشام به وارتد عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشيء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (ملا يضره) يعني الأصنام ويدعو بمعنى يعبد في الموضعين (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها ففي الضر ثم أثبتته ، فالجواب أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً ، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره ، والأشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعوا من لضره أقرب من نفعه ، فوضعها الدخول على المبتدأ ، والثاني أن يدعوا بنا كررتاً كيداً ليدعوا الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتداء قوله لمن ضره ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى ، وثالثها أن معنى يدعوا يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى ضره الأصنام فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام (المولى) هنا بمعنى المولى (العشير) الصاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيط * وكذلك أنزلناه
 آية بيّنة وأن الله يهدي من يريد * إن الذين آمنوا والذين هادوا والصّيبين والنصرى والمجوس
 والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في

الأصنام لا تنفع من عبدها ، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع ، وهو دخول الجنة (فليمدد بسبب
 إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الحبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال ، والقطع
 هنا يراد به الاختناق بالحبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد
 ربط الحبل في العنق ، وربطه في السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرتة أو طمعا
 فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كذا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفي معنى الآية قولان
 الأول أن الضمير في ينصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن
 ينصر الله محمدا فليختنق بحبل ، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار ، فوجب الاختناق هو الغيظ من
 نصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثاني أن الضمير في ينصره عائد على من ، والمعنى على هذا من
 ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليمت بغيظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ،
 فوجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى يئس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم
 أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب
 لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام
 متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد
 أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثاني ، أن الضمير في ينصره على هذا القول
 يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر
 قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيط)
 الكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع الكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه
 فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيطه من الأمر ، أي ليس يذهبه (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أي مثل هذا
 أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) قال ابن عطية أن في موضع خبر الابتداء والتقدير
 الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله ، وقال الزمخشري
 التقدير لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعديلا للإزالة ، وهذا ضعيف للفصل
 بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير
 أنزلناه آيات بينات وهدي لمن أراد الله أن يهديه (والصائبين) ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا (والمجوس)
 هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون
 الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هي خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ،
 وكررت مع الخبر للتأكيد ، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ قَلْبَهُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَا خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ه يَصْهَرُ بِهِ مَائِي بَطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ *
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من في السموات ومن في الأرض) دخل في هذا من
 في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في
 آخر الآية ، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف
 لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين
 أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعا ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات في أفعاله وتدييره شأوا
 أو أبوا (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفا على
 ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة
 ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله
 وتدييره فلا يصح تفضيل الناس على ذلك إلى من يسجدون لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل
 إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد
 وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزمخشري
 على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمرة تقديره يسجد بسجود طاعة أو مرفوع بالابتداء
 وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم
 ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت في علي
 ابن أبي طالب وحزمة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن
 ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخصم يقع على الواحد والاثنين
 والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين (اختصموا في ربهم) أي في دينه وفي
 صفاته والضمير في اختصموا لجماعة الفريقين (فالذين كفروا) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل
 للكفار النار وللؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أي فصلت على قدر أجسادهم ،
 وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصهر به مائي بطونهم) أي يذاب ، وذلك أن الحميم إذا
 صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصهر ينضج (مقامع) جمع مقمعة
 أي مقرعة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هي السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال
 لهم ذوقوا (من أساور من ذهب) من لبيان الجنس أو للتبويض وفسرنا الأساور في الكهف (ولؤلؤا)

وَلَوْلَوْا وَلباسهم فيها حرير . وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى الصِّرَاطِ الْحَمِيدِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ يَأْخُذُ بِظُلْمٍ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .

بالنصب مفعول بفعل مضمرة أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب أليم ، وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا ، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثاني والعا كف فاعل به (العا كف فيه والباد) العا كف المقيم في البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور في ذلك كالمسجد ، بل هى متمسكة (بالحداد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ، والظلم هنا عام في المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب في مكة أشد منها في غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحدا أو من يرد شيئا ، وبالحداد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله بالحداد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل في إذ مضمرة تقديره اذكر وبوأنا أصله من باه بمعنى رجع ، ثم ضعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع كقوله تبوء المؤمنون ، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا ، وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم عليه السلام على مكانه ، وأمره بينائه (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما فسرت تبوءة البيت بالنهى عن الإشراف ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوءة إنما قصدت لأجل العبادة اتى تقتضى ذلك (طهرا بيتي) عام في التطهير من الكفر والمعاصى والأنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصائب (وأذن في الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ، روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس ، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم في أصلاب آبائهم وأجابه في ذلك الوقت كل شئ من جماد وغيره . لييك اللهم لييك ، فجرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجله (وعلى كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ ۖ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطَعُوا
 الْبَاطِنَ الْفَقِيرَ ۗ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَيُلْطَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتَ
 اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا
 قَوْلَ الزُّورِ ۗ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر (يأتين) صفة لكل ضامر ، لأنه في معنى الجمع (من كل فج عميق) أى طريق بعيد (منافع لهم) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ، واللفظ أعم من ذلك (ويذكروا اسم الله) يعنى التسمية عند ذبح الهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا ، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء (في أيام معلومات) هى عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنده ، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله في أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لامن المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لامن المعلومات (فكلوا منها) ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر (البائس) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل الذى يظهر عليه أثر الجوع (ثم ليقضوا تفثهم) التفث فى اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظيف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفث أعمال الحج ، وقرئ بكسر اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا (وليطوفوا) المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعتق من الجبارة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد قط (ذلك) هنا وفى الموضع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكتاب جملة من كتابه ، ثم يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك فى ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا وه ذلك ومن يعظم شعائر الله ، وه ذلك ومن يشرك بالله ، لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمرة ، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا ، ومثلها ذلك ومن عاقب ، وه ذاكم فذوقوه . فى الأنفال ، وه هذا وإن للطاغين ، فى ص (حرمت الله) جمع حرمة ، وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه (فهو خير له) أى التعظيم للحرمت خير (إلا ما يتلى عليكم) يعنى ما حرمه فى غير هذا الموضع كالميتة (الرجس من الأوثان) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل (قول الزور) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور (فكأنما خر من السماء) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد اهلاك (سحيق) أى بعيد (شعائر الله) قيل هى الهدايا

به الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَخِيقٍ . ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ، لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْهَيْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطَعُوا الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا

في الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها لإجلها وتوقيرها والتصد إليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها (فإنها من تقوى القلوب) الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم ، وقال الزمخشري : التقدير : فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات (لكم فيها منافع) من قال إن شعائر الله هي الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر ، والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة (ثم محلها إلى البيت العتيق) من قال إن شعائر الله الهدايا فحلها موضع نحرها وهي منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هي لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر مواضع الحج ، فحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت (ولكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعبادتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله « ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام (فالهكم إله واحد) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فالهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولما تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى الهكم إله واحد فلا تذبجوا تقربا لغيره (المخبتين) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك (وجلت) خافت (والبدن) جمع بدنة ، وهو ما أشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، واتصابه بفعل مضمر (من شعائر الله) واحدا شعيرة ، ومن للتبويض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين (لكم فيها خير) قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة (صواف) معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، وهي منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحدة صافه (وجبت جنوبها) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ . أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعتر) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرضت لهم ، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله ، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرض للعطاء (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشري التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تذبجون وتنحرون من الهدايا ، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيذاً ، لأنه قال لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية (كذلك سخرها لكم) كرر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمسكه ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم ، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالالف ، ويدفع بسكون الدال من غير الألف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشري : يدافع : معناه يبالغ في الدفع عنهم ، لأنه للمبالغة ، وفعل المغالبة أقوى (إن الله لا يحب كل كفور) الخوان مبالغة في خائن ، والكفور مبالغة في كافر ، قال الزمخشري هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال ، ونسخت الموادة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرهما (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فنهى من هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيويه ، وقال الزمخشري أن يقولوا : فى محل الجر على الإبدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن فى القتال وإظهار للمصلحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسباق الآية ، وقرئ دفاع بالالف مصدر دافع ،

يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِهِ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُثْرٌ مُّعْتَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ ۝ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهي موضع العبادة وكانت للصائين ولرهبان النصارى ، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هي مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم (بذكر فيها اسم الله) الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أي من ينصر دينه وأوليائه ، وهو وعد تضمن الحض على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعني أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية : فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها ، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال : فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بثر معطلة) أي لا يستقي الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البثر هي الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله «كأين من قرية» ، وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أي مبنى بالمشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل في القلب خلافا للفلاسفة في قولهم العقل في الدماغ (فإنها لا تعمي الأبصار) أي لا تعمي الأبصار عمى يعتد به ، وإنما العمى الذي يعتد به عمى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم ، فالمعنى الأول لقصد المبالغة ، والثاني خاص بهؤلاء القوم (التي في الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

أَخَذَتْهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ۝ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كأنف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض (وكان من قرية) ذكر أو الألقى التي أهلكتها بغير إمامة ، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإمامة ، والإمامة هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبها بالواو ، وقال في الأولى فكأن لأنه بدل من قوله فكيف كان تكبير (سعوا في آياتنا) أي سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أي مغالين ، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى عجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أي يثبطونهم عنه (من رسول ولا نبي) النبي أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وآخر النبي لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف في كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقى ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم في التبليغ ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف في معنى تمنى وأمنيته في هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته ، وقيل هو من التمنى بمعنى حب الشيء ، وهذا المعنى أشهر في اللفظ : أي تمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقارنة قومه واستتلافهم ، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجزهم ذلك (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين في قلوبهم مرض) أي أهل الشك (والقاسية

شَقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
 يَوْمَ عَقِيمٍ . الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَلَّوْا أَوْ مَاتُوا لِيُرْزَقَهُمُ اللَّهُ
 رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ . ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ
 بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَجِّعُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَجِّعُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرًا وعتوا كأبي جهل
 (وإن الظالمين انى شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى
 عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير (الذين أوتوا العلم)
 قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير عائد على القرآن ، وقال الزمخشري هو لتمكين
 الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (في مريئة منه) الضمير للقرآن ، أولئبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو
 الإلقاء (يوم عقيم) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ،
 وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ الله ، ثم قسم الناس إلى قسمين :
 أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قلوا أوماتوا) روى أن قوما قالوا يارسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل
 من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معللة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً ، ولا يقتضى ذلك المساواة
 بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقا حسنا) يحتمل أن يريد به الرزق فى الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق
 الشهداء فى البرزخ ، والأول أرجح ، لأنه يعنى الشهداء والموتى (مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر
 ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ما عوقب به)
 سمي الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغى عليه
 (إن الله لعفو غفور) إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن فى ذكر
 هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حض على العفو ، والثانى أن فى ذكرهما لإعلاما
 بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى (ذلك بأن الله يوجج الليل) أى ذلك
 النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته أنه يوجج الليل فى النهار ، ويوجج النهار فى الليل ، ومعنى الإيلاج
 هنا أنه يدخل ظلمة هذا فى مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو
 ما ينتص من أحدهما ويزيد فى الآخر (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَسَكَةً ۖ فَلا يُنْزَعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادِعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ۚ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَالِيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۚ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأَنْبِيئِكُمْ بشرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّاهُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ ۚ يَأْسِئُهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

بسبب أنه الحق (فتصبح الأرض مخضرة) تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صديحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة، وبالبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جواباً لقوله ألم تر أنصب الفعل، وكان المعنى نفى خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة (سخر لكم ما في الأرض) يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك (أن تقع) في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشري كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله (إلا بإذنه) يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء (أحياكم) أي أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح (ثم يميتكم) يعني الموت المعروف (ثم يحييكم) يعني البعث (لكفور) أي وجود للنعمة (منسكا) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه (فلا ينزع عنك) ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي منازعة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهياً لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ (في الأمر) أي في الدين والشريعة أو في الذنوب (وادع إلى ربك) أي ادع الناس إلى عبادة ربك (وإن جادلوك) الآية: تقتضى موادة منسوخة بالقتال (إن ذلك في كتاب) يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله (إن ذلك على الله يسير) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف والأول أظهر (مالم ينزل به سلطاناً) يعني الأصنام؛ والسلطان هنا: الحجة والبرهان، وماليس لهم به علم: قيل إنه يعني ماليس لهم به علم ضروري، فنفي أولا البرهان النظري، ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى بل الأحسن نفى العلم الضروري والنظري معا (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها (يسطون) من السطوة

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَعْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

وهي سرعة البطش (النار وعدها الله) يتمل أن تكون النار مبتدأ ، ووعدها الله خبرا أو يكون النار خبر ابتداء مضمرة كأن قائلها قال ما هو ، فليل هو النار ، ويكون وعدها الله استئنفا وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضربه الله لإقامة الحججة على المشركين (لن يخلقوا ذبابا) تزيهه بالأصغر على الأَكْبَر من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء ، ثم أوضح عجزهم بقوله (ولو اجتمعوا له) أى لو تعارنوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه ، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وما قدرا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافا للمالكية (واعبدوا ربكم) عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هي في الذب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا في الله) يتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم في ذلك (حق جهاده) قيل لأنه منسوخ كدخ حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفي ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمرة تقديره أعنى بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف السكاف كأنه قال كلمة ، وقال الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أباً للرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أباً لامته لأن أمة الرسول في حكم أولاده ، ولذلك قرئ وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، وأيضا فإن قریشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي هذا أى في القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرَضُونَ ۝ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ * فَمَنْ ابْتغىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول
ويكون قوله « وفي هذا ، مستأنفا : أى وفي هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تسكفا ، ويدل عليه قراءة
أبي بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهيذا عليكم) تقدم معنى هذه الشهادة فى البقرة (فأقيموا الصلاة) الظاهر
أنها المكتوبة لا قترانها مع الزكاة (هو مولاكم) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

سورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتسذلل لعظمة المولى
جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع
وقد عدت بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث
لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر
القلب ولا يخشع (عن اللغو معرضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو ، والكلام بما لا يعنى ، وتعدد
أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ،
ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة
فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب : أن الزكاة لها معنيان أحدهما
الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء ما يجب على المال ، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة
مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله فاعلون ، ويصح المعنى الآخر على حذف تقديرهم لأداء الزكاة فاعلون (على
أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق
بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن (أروا مملكت أيمانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزنجشى
إنما قال ، أملكك ، ولم يقل من ، لأن الإناث يجرى غير العقلاء (وراه ذلك) يعنى ما سوى الزوجات والمملوكات
(لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ
عَلَقَةً نَحْنُ نَخْلُقُهَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً نَخْلُقُهَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ
طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ

لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد، تقدم (راعون) أي حافظون لها قائلون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة
عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولاً وآخراً؟ فالجواب: أنه ليس
بتكرار، لأنه قد ذكر أولاً الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في
الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أي المستحقون للجنة، فالمراد استعارة، وقيل إن الله
جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة (الفردوس)
مدينة الجنة وهي جنة الأعتاب، وأعاد الضمير عليها مؤثراً على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل
يعني آدم، أو جنس بني آدم (من سلالة من طين) السلالة: هي ما يسلم من الشيء: أي ما يستخرج منه، ولذلك
قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم، فإن أراد بالإنسان آدم:
فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نطفة) لا بد أن يراد به
بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولاً، ولكن يفسره سياق الكلام، وإن أراد بالإنسان
ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين: أي خلق أصله وهو أبوه آدم
ويحتمل عندى أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعم آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أولاً ثم فصله بعد
ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم: وهي من طين، وإلى الخلقة المختصة بذريته. وهي النطفة، فإن قيل: ما الفرق
بين من ومن؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أن الأولى للابتداء، والثانية للبيان. كقوله من الأوثان
(في قرار مكين) يعني رحم الأثم، ومعنى مكين: متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرة، لامن
صفة المحل المستقر فيه، ولكنه كقولك طريق سائر: أي يسير الناس فيه، وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة
والعلقة في أول الحج (خلقاً آخر) قيل هو نفخ الروح فيه، وقيل خروجه إلى الدنيا، وقيل استواء الشباب
وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة، وقيل معناه تقدس (أحسن
الخالقين) أي أحسن الخالقين خلقاً، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه، وفسر بعضهم الخالقين بالمقتدرين
فراراً من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله: وإذ
تخلق من الطين، وإنما الذي يجب أن ينفي عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به
(سبع طرائق) يعني السموات، وسمائها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كطارقة النعل، وقيل يعني
الأفلاك لأنها طرق للكواكب (وما كنا عن الخلق غافلين) يحتمل أن يريد بالخالق المخلوقين أو المصدر

بِهِ لَقَدَرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۝ وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ * فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ الْأَرْضُ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(ماء بقدر) يعنى المطر الذى ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار فى الأرض، وقيل يعنى أربعة أنهار وهى النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعنى الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة ومديناه اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذوشجرة، ويلزم على ذلك صرفه (تنبت بالدهن) يعنى الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا فى موضع الحال. كقوله جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثانى حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ للأكلين) الصبغ الغمس فى الإدام (فى الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله «وعليها وعلى الفلك تحملون» وقد تقدم فى النحل ذكر المنافع التى فيها وتذكيرها وتأنيثها (ما هذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فإعجاباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر (يريد أن يتفضل) أى يطلب الفضل والرياسة عليكم (ما سمعنا بهذا) أى بمثل مادعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذى قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنه) أى جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أى إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته (انصرتى بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هى بإهلاكهم وقد تقدم فى هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبنى (اسلك فيها)

وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۖ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ
إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ۖ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ۖ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۖ
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ
لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۖ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ۖ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ
فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۖ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ ۖ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا
يَسْتَدْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَتْرَا كُلَّ مَاجَاءِ أُمَّةٍ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن مخففة من الثقيلة ، ومبتلين : اسم فاعل
من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إنزال البلاء (قرنا آخرين) قيل إنهم عاد ورسولهم هود ،
لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله : فأخذتهم الصيحة ، وثمود
هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لئلا
يوهم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملأ الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع
(أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبي من البشر ، أو قالوه أنه
من اتباع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم
مخرجون) كرر أن تأ كيداً الأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيات هيات لما توعدون) هذا من
حكاية كلامهم ، وهيات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للنأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم
والكسر والإسكان ، وتارة يجيء فاعله دون لام كقوله ، فهيات هيات العقيق وأهله ، ونارة يجيء باللام
كهذه الآية ، قال الزجاج فى تفسيره : البعد لما توعدون ، فنزله منزلة المصدر ، قال الزمخشري : وفيه وجه آخر
وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان
المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ، فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها
(نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث
(عما قليل) مازائدة ، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء
والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعدا) مصدر وضع موضع الفعل
بمعنى بعدوا : أى هلكوا ، والعامل فيه مضمرة لا يظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى ، ومعناه التواتر والتتابع ، وهو
موضوع موضع الحال : أى متواترين واحداً بعد واحد ، فنقرأه بالتثنية : فألفه للإلحاق ، ومن قرأه بغير
تثنية : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاه الكلمة

فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۖ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۖ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآيَةً ۖ وَآوَيْنَاهُمَا
إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۖ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۖ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۖ
فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ أَحِينُ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ *
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۖ

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحداث، وهذا أليق لأنها تقال في الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى حامدون متذلون (لعلهم يهتدون) الضمير لبنى إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة (وآويناها إلى ربة) الربة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الراء وضيمها وكسرها، واختلف في موضع هذه الربة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجارى، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فاعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول (يا أيها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهى متعلقة بقوله آخر (فاتقون، وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افرقوا في اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم في غمرتهم) الضمير لقريش، والخمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية: رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (بل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، ففيه معنى التهديد (يؤتون ما آتوا) قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام في جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا قُلُوبَهُمْ وَجِلَّةً أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝ وَلَا نَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ۝ لَا يُجَارُونَ الْيَوْمَ إِنَّا لَا نَتَصَرُّونَ ۝ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام في الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن في موضع المفعول من أجله ، أو في موضع المفعول بوجلت ، إذ هي في معنى خائفة (أو تلك يسارعون في الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق الآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم مانع عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الأزل (لا نكلف نفساً إلا وسعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقه ، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحف الأعمال ، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والخياف (في غمرة من هذا) أى في غفلة من الدين بحمته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيدها لانهى فى معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسب اختلاف فيه (هم لها عاملون) قيل هى إخبار عن أعمالهم فى الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتبادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل حتى إذا أخذنا مترفيهم ، غاية لقوله عاملون (ترفيهم) أى أغنياؤهم وكبرائهم (إذا هم يجارون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير فى يجارون لسائر قریش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجاروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجاروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجوار لا ينفهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراة وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهل وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عقواً وتكبرا ، وقيل إنه يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السمرو وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قریش تجتمع بالليل فى المسجد فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

رَسُولُهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ
 أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ
 تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ اللَّجْوِ فِي طُعْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

على الحال فن جعل الضمير في به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون)
 من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام ، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم
 فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، أو من قولك هجر المريض
 إذا هذى أى تقولون للغومن القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن ، وهذا توبيخ لهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم
 الأولين) معناه أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباءهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل
 وغيرهم (أم لم يعرفوا رسولهم) المعنى أم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم
 حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا ، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون ، أو غير ذلك من النقائص ،
 مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، وأنه عين الصواب (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات
 والأرض) الاتباع هنا استعارة ، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضى
 أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وقيل إن
 الحق فى الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد فى المعنى ، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما
 الحق هنا هو المذكور فى قوله بل جاءهم بالحق وأكثروا للحق كارهون ، (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بتذكيرهم
 ووعظهم أو بفتحهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خرجه والمعنى واحد ،
 وقرئ بالوجهين فى الموضوعين فهو كقوله أم تسألهم أى لست تسألهم أجر فيثقل عليهم اتباعك (نخرج ربك خير) أى
 رزق ربك خير من أموالهم فهو رزقك ويفنيك عنهم (عن الصراط لنا كيون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط
 المستقيم (ولو رحمناهم) الآية : قال الآكثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش
 بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر الجوع
 والقحط : لتأدوا على طغيانهم ، وفى هذا عندى نظر ، فإن الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على
 قريش بعد الهجرة حسبا ورد فى الحديث ، وقيل المعنى لو رحمناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، وهذا القول
 لا يلزم عليه ، الزم على الآخر ، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو
 الجوع بالقحط وأن الباب الذى أخذناهم به هو الجوع ، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم
 إنما كان بعد بدر ، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعده هو القحط ، وقيل الباب ذو العذاب
 الشديد: عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إذا هم فيه ملبسون : أى

شديد إذا هم فيه مبلسون * وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون * وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون * بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وءآبآؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين * قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون * بل آتينهم الحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا

يأتسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله «يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون» (فما استكانوا) أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكيبون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضى أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفي الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع فى الحال والاستقبال (قليلاً ما تشكرون) ما زائدة، وقليلاً صفة لمصدر محذوف تقديره شكراً قليلاً تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهى القلوب - لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيد ربه واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذرأكم فى الأرض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قالت قریش مثل قول الأمام المنتدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وءآبآؤنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان فى الرد، وأساطير الأولين فى الأنعام (قل لمن الأرض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله) قرئ فى الأول لله باللام بإجماع، جواباً لقوله لمن الأرض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو الثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكوت) مصدر وفى بنائه مبالغة (بجبر ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الاهانة، يقال أجزت فلاناً على فلان إذا منعته من مضرتة وإهانتة، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء من شاء ولا يغيث أحدهم أحد (فأنى تسحرون) أى تخدعون عن الحق والحادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرىج فقال أولاً أفلا تذكرون، ثم قال ثانياً أفلا تتقون، وذلك أبغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثاً فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (ولإنهم لسكاذبون) يعنى فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنفى ذلك (إذا لذهب كل إله بما خاق) هذا برهان على

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عَلَّمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ فَعَلَّمَا
 عَمَّا يُشْرِكُونَ . قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيَكَ
 مَا نَعُدُّهُمْ لِقَدَرُونَ . أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
 الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ . حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ
 صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إله آخر لا نفر دكل واحد منهما ، مخلوقاته عن مخلوقات الآخر ،
 واستيد كل واحد منهما بملكه وطلب غايه الآخر والعلو عليه كما ترى حاكم ملك الدنيا ولكن لما رأينا جميع
 المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن مالكة ومدبره واحد ، لا إله غيره
 وليس هذا البرهان بدليل التمايع كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذ لا تدخل إلا على
 كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط
 محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين
 وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالخفض صفة لله (قل رب إمام تريني ما يوعدون) الآية : معناه
 أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ،
 وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلني ، وكرر قوله رب مبالغة
 في الدعاء والتضرع (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر
 أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسأله الكفار
 (من همزات الشياطين) يعني نزغاته ووساوسه ، وقيل يعني الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون)
 معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعني حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا
 حرف ابتداء : أي ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشري حتى تتعلق بـ يصفون : أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم
 الموت (قال رب ارجعون) يعني الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشري
 وغيره ، ومثله قول الشاعر : ألا فارحمون يا آل محمد . وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فيما تركت)
 قيل يعني فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت في إيمانها خيرا ، والمعنى
 أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة (كلا) ردع له
 عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعني قوله « رب ارجعون لعلني أعمل صالحا » فسمى هذا الكلام كلمة وفي تأويل
 معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لاحتمال الإفراط ندمه وحسرتة فهو إخبار بقوله ، والثاني
 أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ، ولورجع
 إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم
 (برزخ) يعني المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز
 بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع بومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لا تشتغل كل أحد بنفسه

أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ • تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ • أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتَنِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكْتُمْتُمْ بِهَا تَكَذُّبُونَ • قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ • قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ • إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْغَرْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ • إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ * قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ • قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • أَخْسِبْتُمْ أَمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ • فَتَعَالَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ • وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ • وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ •

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتسكون الأنساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا الاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة (تلفح وجوههم النار) أي تصيبهم بالإحراق (كالحون) الكروح انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيرا ما يجري ذلك للكلاب ، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤسها ، وفي الحديث إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه ، وفي ذلك عذاب وتشويه (غابت علينا شقوتنا) أي ما قدر عليهم من الشقاء ، وقرئ شقاوتنا ، والمعنى واحد (قال اخسروا) كلمة تستعمل في زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أي لا تكلمون في رفع العذاب حينئذ يأسون من ذلك ، أعادنا الله من ذلك برحمته (سخر يا) بضم السين من السخرة بمعنى التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبئتم في الأرض) يعني في جوف الأرض أمواتا ، وقيل أحياء في الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المادة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا (فاسأل العادين) أي اسأل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفى بما ابتلوا به أو يعنون الملائكة (إن لبئتم إلا قليلا) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا (عبثا) أي باطلا ، والمعنى إقامة حجة على الحشر للتواب والعقاب (لا برهان له به) أي لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله لها آخر ، وجواب الشرط (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم

سورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

سورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمرة ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التي فيها وقرئ بالتشديد للبالغ (آيات بينات) يعنى ما فيها من المواظ والآحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزانية والزاني يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر ، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك ، وإعراب الزاني والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وقد ذكر في المائة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع ما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ومن الأذى في الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عندما ليس على عمومه ، فإن جلد المائة إنما هو حد الزاني والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيردون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحسن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحداهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، وأما المحصنان الحران فحداهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين ، وفي الأحرار والعبيد والإماء ، وفي المحسن وغير المحسن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أولم يحصنوا : أخذوا بعموم الآية ، ورأى الشافعي أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذوا بالآية ، وبرجم النبي صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودية إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : في سورة النساء « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم » فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت في محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، وأن حد العبد : الجلد مائة لعموم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لا فرق بينهما ، وأما المحسن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص في هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ ، فقيل الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها وهي قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وقيل الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبي طالب : يجلد المحسن بالآية ، ثم يرمم بالسننة فجمعوا عليه الحدتين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لا رجم أصلاً فإن الرجم ليس في كتاب الله ، ولا يعتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ
لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس
وقال الشافعي يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم ، وتستمر المرأة بثوب لا يقيها الضرب ، ويجزئ الرجل
عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رأفة) قيل يعني في إسقاط الحد : أى أقيموه ولا بد ،
وقيل في خفيف الضرب ، وقيل في الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف
غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد ، واختلف
هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فتمعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب
عليه السلام ، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد
بذلك توبيخ الزناة والغاظة عليهم ، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا
وهو قول ابن أبي زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزاني لا ينكح
إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافق
عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجمع ، وقيل معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية
أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً ، ثم نسخ هذا الحكم وأباح لها الزوج من شاء ، والأول هو
الصحيح (وحرم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرم الزنا على المؤمنين وقيل الإشارة إلى تزوج
المؤمن غير الزاني بزانية ، فإن قوماً منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها
مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدَةً) هذا
حد القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي والمحصنات يراد بهن هنا العفاف من النساء ، وخصن بالذكر لأن
قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم
الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأتانس المحصنات فيعم اللفظ على هذا النساء والرجال ،
ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك ، فأما القذف فهو الرمي بالزنا اتفاقاً . أو بفعل
قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية ، خلافاً لأبي حنيفة ، أو النفي من النسب ، ومذهب
مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، وأما القاذف فيحد : سواء كان مسلماً أو
كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حراً أو عبداً إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور فنصفوا
حدهما قياساً على تنصيفه في الزنا خلافاً للظاهرية ، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما
المقذوف فذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبرائة عما رمى به ، والتمكن من
الوطء تحرراً من المجرم وشبهه ، فلا يحد عنه من قذف صبياً أو كافراً أو مجرباً أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء
وقد قيل يحد من قذف واحداً منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البرائة مما رمى به وأما الشهادة التي

بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ إِنْ تَشْهَدُ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

تسقط حد القذف ، فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المذروف عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهرذ ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمروود في المكحلة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين (إلا الذين تابوا) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهي الحدود شهادة القاذف وتفسيره ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا : فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لأبي حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل لكذاب نفسه (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسبها أن رجلا قال يارسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فأنتي بها فأنتي بها فقلنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزني ، والآخر أن ينفي حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعن سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) أى يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني أو أشهد بالله ما هذا الحمل منى ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذى لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإبه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) قرئ بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثانى ، وانتصب بفعل مضمرة تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) العذاب هنا حد الزنا أى يدفعه التعان المرأة ، وهي أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنت ، وإنه في ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول في الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأيد الحرمة (ولولا فضل الله) جواب لو محذوف هنا

مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۝ لَوْلَا جَاءَهُ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فِإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسَّتِيكُمُ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ

وفي الموضوع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لاخذكم ، أو به وهذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك : أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي برأتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها و برأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه و برأ مريم بكلام ولدها في حجرها و برأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال رموا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليا إلا خيرا ، وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وحنيفة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثه و حسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وارتفاع عصبة ، لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير في جاؤا ، ويكون الخبر لا تحسبوه شرًّا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في القرية عليها ، وموعدة المؤمنين ، والانتقام من المفتريين (والذي تولى كبره) هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، وقيل الذي بدأ بهذه القرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ، فقال لزوجته : أكنت أنت تغلين ذلك ، قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظنتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرًّا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير في جاؤا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أفضتم فيه) يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بالسئتم) العامل في إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذه بعضهم من بعض ، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ
 بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَبَيْنَ يَدَيْهِ عِلْمُ
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَجِبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتِلِ
 أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

في حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاض عن ذكره والترك له بالكلية ،
 فإتيهم على ثلاثة أشياء ، وهى : تلقيه بالالسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثانى قولهم ذلك ،
 والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بألسنتكم وأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك
 الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
 أن نتكلم بهذا) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا في هذه
 الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن
 الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها ، والقصد بتقديم هذا الطرف الاعتناء به ، ويان أنه كان الواجب
 المبادرة إلى إنكار الكلام في أول وقت سمعتموه ، ومعنى ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا
 (سبحانك) تزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قال أهل الإفك ، وقال
 الزمخشري : هو بمعنى التعجب من العظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية
 العجائب (بهتان عظيم) البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن يقال ما فيه (أن تعودوا لمثله) تقديره
 يظنكم كرامة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين (إن الذين يحبون أن تشيع
 الفاحشة) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام في غيرهم ممن أتصف
 بصفتهم ، والعذاب في الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على
 ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة فأشكلك اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضوع ، فيحتمل أن يكون
 القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا
 مختصاً بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من
 خاض في أمر عائشة أو يكون لمن مات صراغير تائب ، أو يكون للمنافقين (خطوات الشيطان) ذكر في البقرة
 (الفحشاء والمنكر) ذكر في النحل (زكى) أى تطهر من الذنوب ، وصلح دينه (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة
 أن يؤتوا أولى القربى) معنى يأتل يحاف ، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك

وَلِيَصْفَحُوا إِلَّا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ . الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

ألوت أى قصر ت ومنه لا يألونكم خبالا، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هى اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالاحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومها في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (الأتحجون أن يغفر الله لكم) أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا وأنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم ردت النفقة إلى مسطح (المحصنات الغافلات) معنى المحصنات هنا العفاف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليبات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا في الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائنة ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائنة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيههم، وكرر يومئذ توكيذا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمرة (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين، لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذى لا شك فيه (الحيثات للحيثين) الآية: معناها أن الحيثات من النساء للحيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الحيثات من الأعمال للحيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الحيثات من الأقوال للحيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أى أن أقوالهم الحيثية لا يقولها إلا خبيث مثلهم (أولئك مبرؤون مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للحيثات والحيثين والمراد تبرئة عائنة رضى الله عنها عما رميت به (لا تدخلوا بيوت غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأذنوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آذنت الشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأانس ضد الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا يتمى إلى الوجوب، واختلف

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ

أيهما يقدم ، فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ، ثم يقول أَدْخُلْ ، وقيل يقدم الاستئذان
لتقديمه في الآية ، وليس في الآية عدد الاستئذان ، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات ، وهو تفسير
للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية
الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون ، فأباح هذه الآية دخرها
بغير استئذان ، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية ، فقيل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها
أحد بل هي موقوفة لياوي إليها كل ابن سبيل ، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك ،
وقيل هي الخرب التي تدخل للبول والغائط ، والمتاع على هذا حاجة الإنسان ، وقيل هي حوانيت القيسارية
والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها ، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع
(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كما عراب يقيموا الصلاة في إبراهيم ، وقد ذكر
ومن أبصارهم للتبعض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، وقيل معنى التبعض فيه
أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويمنع ما بعدها ، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة ، وقيل هي لا بداء
الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء أو
إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل أراد ستر العورة ،
والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل
وعن عورة المرأة إجماعا ، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا ، وعن
سائر جسد المرأة أم لا ، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه ، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج
الرجال (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها ، وهو ما لا بد
من النظر إليه عند حركتها أو لإصلاح شأنها وشبه ذلك ، فقيل إلا ما ظهر منها يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر
جميع جسدتها ، وقيل الثياب والوجه والكفان ، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة
وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق ، وسببها
أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعة الجيوب يظهر منها صدورهن ، وكن إذا غطين رؤسهن
بالأخمة سد لها من وراء الظهر ، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عاها ، فأمرهن الله بلبس الأخمة على
الجيوب ليستر جميع ذلك (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية : المراد بالزينة هنا الباطنة ، فلما

أَوْ أَبْنَاءَ بَعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَمْلُوكَاتِ أَيْمَانِهِنَّ أَوِ التَّبَعِينَ
غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ هـ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ

ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج
وذرى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم
ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب ، والمراد بالآباء كل
من له ولادة من والد وجد ، وبالآبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر في هذه الآية من
ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك
قوم ، وقال الشافعى إنما لم يذكر العم والخال لثلاثا يصفان زينة المرأة لأولادهما (أو نساءهن) يعنى جميع
المؤمنات ، فكأنه قال أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أو مملكت أيمانهن) يدخل في ذلك الإماء
المسلمات والكتبايات ، وأما العبيد : ففهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز
وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغاندا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه
من قوله « أو التابعين غير أولى الإربة » واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنى أم لا ؟ على
قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط في رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن
يكونا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك
وهتمته بطنه ، والآخر أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصى والمختن والشيخ الهرم والأحمق ، فلا يجوز
رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذين لم
يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجذس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق الحلم
ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤوا النساء ، وقيل الذين لا يدرون
ما عورات النساء ، وهذا أحسن (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها
خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فهى الله عز وجل عن ذلك ، قال الزجاج إسماع صوت
الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف
بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال ،
لأن من حيث أضر يبدن أو مال ، والإقلاع عن الذنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم
أن لا يعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزا مجددا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا
بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ،
ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخطئين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ،
وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ،
وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والحنجل

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَلَيْسَتَعَفْفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْضًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ

من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإناعام (وأنكحوا الأيامي
منكم) الأيامي جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبقاراً أو ثييات ، والخطاب هنا
للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامي ، فاقضى ذلك النهي عن عضلن من التزويج ، وفي الآية دليل
على عدم استقلال النساء بالإنكاح ؛ واشترط الولاية فيه ، وهو مذهب مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة
(والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناهم ، وقال الزنجشري :
الصالحين بمعنى الصلاح في الدين ، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم ؛
ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافاً لمالك ، ومذهب مالك أن السيد
يجبر عبده وأمه على النكاح خلافاً للشافعي (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء
الذين يتزوجون لطلب رضا الله ، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح (وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على
التزوج ، فقوله لا يجدون نكاحاً معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأى وجه تعذر التزوج ، وقيل معناه
لا يجدون صداقاً للنكاح ، والمعنى الأول أعم ، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون
الكتاب بما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة ، وهى مقاطعة العبد على مال منجم
فإذا أذاه خرج حرّاً ، وإن عجز بق رقيقاً ، وقيل إن الآية نزلت بسبب حو يطب بن عبد العزى سأل مولاه
أن يكتبه فأبى عليه ، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكتبوهم إذا طلبوا الكتابة ، وهذا
الأمر على النذب عند مالك والجمهور ، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن
الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فنلكاً أنس فقال له عمر لتكاتبته
أو لا وجعنك بالدره ، وإنما حمله مالك على النذب لأن الكتابة كالبيع ، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها ،
واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا ؟ على قولين في المذهب (إن علمتم فيهم خيراً) الخير هنا
القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان ، وقيل هو المال الذى يؤدى منه كتابته من غير أن يسأل أموال
الناس ، وقيل هو الصلاح في الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته
واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين ، وقيل للولاة ، والأمر على هذين القولين
للنذب ، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول نذب عند مالك ، ووجوب عند الشافعي
فإن كان الأمر للناس ، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم ، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة ، وإن
كان لسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم ، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة ، وعلى القول بالخط من
الكتابة اختلف في مقدار ما يحط ، فقيل الربع ، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

وقيل الثلث ، وقال مالك والشافعي : لاحد في ذلك ، بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء ، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ، ولا يجبره مالك ، وزمان الحط عنه في آخر الكتابة عند مالك ، وقيل في أول نجم (ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاه) معنى البغاه الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبد الله ابن أبي ابن سلول المنافق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعني ما تكسبه الأمة بفرجها ، وما تلده من الزنا ؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لا تكرر هو (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفور لمن يكرههن بن لا يؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أى بينها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلاً) يعنى ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا ، لأنه كان حراماً في كل ملة أو في براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نور السموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذى يدرك بالابصار ، ومجازاً على المعانى التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثل شيء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة فى أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالابصار ، فعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذى فىهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، وإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ على بن أبى طالب : الله نور السموات والأرض ، بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أى جعل فىهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فعنى نور السموات والأرض جاعل النور فى قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هى الكوة غير النافذة تكون فى الحائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، فضرِب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه أى الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد
 زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثل للناس والله
 بكل شئ عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال
 لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب
 والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب * والذين

(المصباح في زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره ، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهى ، لأنه جسم
 شفاف (الزجاجة كأنها كوكب درى) شبه الزجاج في إنارتها بكوكب درى ، وذلك يحتمل معنيين إيمان يريد
 أنها تضيء بالمصباح الذى فيها ، وإمان يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفاتها ورقة جوهرها ، وهذا أبلغ لاجتماع
 نورها مع نور المصباح ، والمراد بالكوكب الدرى أحد الدرارى المضيئة : كالمشترى ، والزهرة ، وسهيل ،
 ونحوها ، وقيل أراد الزهرة ، ولادليل على هذا التخصيص ، وقرأ نافع درى بضم الدال وتشديد الياء بغير
 همزة ولهذا القراءة وجهان : إمان ينسب الكوكب إلى الدر لياضه وصفائه ، أو يكون مسهلا من الهمز ،
 وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال ، وهو مشتق من الدر بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة
 زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضى فالفعل مسند إلى المصباح ، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل
 المضارع فهو مسند إلى الزجاج ، والمعنى : توقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها ،
 أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهى الشام (لاشرقية ولاغربية) قيل يعنى أنها بالشام فليست من شرق
 الأرض ولا من غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل هى منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست
 خالصة للشرق فتسمى شرقية ، وللغرب فتسمى غربية بل هى غربية شرقية ، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق
 والغرب ، وقيل إنها في وسط دوحة لافى جهة الشرق من الدوحة ولا فى جهة الغرب ، وقيل إنها من شجرة
 الجنة ولو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أوغربية (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) مبالغة فى وصف صفائه
 وحسنه (نور على نور) يعنى اجتماع نور المصباح وحسن الزجاج وطيب الزيت ، والمراد بذلك كمال النور الممثل به
 (يهدى الله لنوره من يشاء) أى يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (فى بيوت) يعنى المساجد ، وقيل بيوت أهل
 الإيمان من مساجد أو مساكن ، والأول أصح ، والجارية تعلق بما قبله : أى كشكاة فى بيوت ، أو توقد فى بيوت ،
 وقيل بما بعد وهو يسبح ، وكرر الجاز بعد ذلك تأكيدا ، وقيل بمحذوف : أى سبحوا فى بيوت أذن الله أن ترفع ،
 والمراد بالإذن الأمر ، ورفعها بناؤها ، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أى غدوة وعشية وقيل أراد الصبح
 والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء ، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع
 بفعل مضمربدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أى لا تشغلهم ، ونزلت الآية فى أهل
 الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها ، والبيع من التجارة ، ولكنه خصه بالذكر
 تجريدا كقوله : فأكهه ونخل ورمان ، أو أراد بالتجارة الشراء (تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى تضطرب

كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ
حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْبِغُ لَهُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ،
والأول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفي قوله «تقلب فيه القلوب» تجنيس
(ليجزهم الله) متعلق بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله (أحسن ما عملوا) تقديره جزاء أحسن ما عملوا (ويزيدهم من
فضله) يعني زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر في البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة)
لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين : الأول يقتضى حال أعمالهم في الآخرة ،
وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثاني يقتضى حال أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية
الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض ، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة
حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع
(يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان : أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاء خاب مأمل ، وبطل
ما ظن ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل
للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئاً) أى شيئاً ينتفع به أو
شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير
الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل في وجد للكافر ، والضمير في عنده لعمله ،
والمعنى وجد الله عنده بالجزء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثاني ، وهو عطف على قوله
كسراب ، والمثبه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت
الموج تحت السحاب (في بحر لجيٍّ) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال
قوبلت به أجزاء الممثل به : فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللجى صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذى على قلبه ،
وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور
المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكديراها) المعنى مبالغة في وصف الظلمة ، والضمير في أخرج وما بعده للرجل
الذى وقع في الظلمات الموصوفة واختاف في تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفي الرؤية
ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجب تقتضى النفي ، وقال
ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذى بعدها فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله
لم يكدي ، فإنه يحتمل النفي والإيجاب (ومن لم يجعل الله له نوراً) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن
الهدى ، والإيمان فى الدنيا ، وقيل أراد فى الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والأول أليق بما قبله
(ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو
من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ۝ يَلْقَى اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ وَاللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَاطِنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝
أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْظَالِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْتَارْ لَهُ مِمَّنْ يَنْزِلُ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

يلهمها الله التسييح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدى إليها العقلاء ، وقيل تسيحه ظهور الحكمة فيه
(صافات) يصفن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم) الضمير في علم الله ، أو لكل ، والضمير في صلواته وتسيحه
لكل (بزجي) معناه يسوق ، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثفل كالسحاب (ركاما) متكاثف بعضه فوق
بعض (الودق) المطر (من خلاله) أي من بينه ، وهو جمع خلل كجبل وجبال (وينزل من السماء من جبال فيها من برد)
قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال
أو علم : أي هي في الكثرة كالجبال ، ومن في قوله « من السماء » لا ابتداء الغاية ، وفي قوله « من جبال » كذلك ، وهي بدل
من الأولى ، وتكون للتبعض ، فتكون مفعول ينزل ، ومن في قوله ، من برد : لبيان الجنس أو للتبعض فتكون مفعول
ينزل ، وقال الأخفش هي زائدة ، وذلك ضعيف ، وقوله « فيها » صفة للجبال ، والضمير يعود على السماء (سنا برقه)
السنا بالقصر الضوء ، وبالمد المحرور والشرف (يلقب الله الليل والنهار) أي يأتي بهذا بعد هذا (خلق كل دابة) يعني نبي آدم
والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب (من ماء) يعني المنى ، وقيل الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره (على
باطنه) (الحيات والحوت) (ويقولون آمنا) الآية : نزلت في المنافقين ، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه
وبين يهودي خصومة ، فدعا اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، ودعا إلى كعب بن الأشرف
(مذعنين) أي منقادين طائعين أقصد الوصول إلى حقوقهم (أفى قلوبهم مرض) توقيف يراد به التوبيخ ، وكذلك
ما بعده (أن يحيف) معناه أن يجور ، والحيف الميل ، وأسند إلى الله ، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه (إنما
كان قول المؤمنين) الآية . معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون : سمعنا وأطعنا إذ ادعوا إلى الله ورسوله ،
وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه (ومن يطع الله ورسوله) الآية : قال ابن عباس : معناها من

ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون ۝ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فإن
تولوا فإيما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين * وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون ۝ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الأرض وما أولهم النار ولبئس المصير ۝ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكتم أيمنكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من
الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم

يطع الله في فرائضه ورسوله في سنته (ويخشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويتقاه) فيما يستقبل ، وسأل
بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية ، وسمعتها بعض بطارقة الروم فأسلم ، وقال إنها
جمعت كل مافي التوراة والإنجيل (وأقسموا) أي حلفوا ، والضمير للنافقين (جهد أيمنهم) أي بالغوا
في الإيمان وأكدها (ليخرجن) يعني إلى الغزو (قل لا تقسموا) نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون
على الباطل (طاعة معروفة) مبتدأ وخبره محذوف أي طاعة معروفة أمثل وأولى بكم ، أو خبر مبتدأ محذوف
أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها (عليه ما حمل) يعني تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) يعني السمع
والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفهم في الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه
الامة ، وقيل إن المراد بالآية : خلافة أبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علي ، فإن قيل ، أين القسم الذي جاء
 قوله ، ليستخلفهم ، جوابا له ؟ فالجواب أنه محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ، أو جعل الوعد بمنزلة القسم
 لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكتم أيمنكم) قيل المراد بالذين ملكتم أيمنكم : الرجال خاصة ، وقيل النساء
 خاصة ، لأن الرجال يستأذنون في كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعني الأطفال غير البالغين
 (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن ، فعنى الآية أن الله أمر الممالك
 والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات ، وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار ، وبعد صلاة العشاء
 الأخيرة ، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم ، وهذه الآية محكمة ؛ وقال
 ابن عباس : ترك الناس العمل بها ، وحملها بعضهم على الندب (تضعون ثيابكم) يعني تتجردون (الظهيرة) وسط
 النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة ، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء
 مضمرة تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم : أي تنكشون فيها ، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث
 مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أي ليس عليكم

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا
كَأَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي
لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

ولا على المماليك والأطفال حناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تقديره المماليك
والأطفال طوافون عليكم ، فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون: أى
بعضكم يطوف على بعض وقال الرخشى هو مبتدأ أى بعضكم بطوف على بعض أفعال بفعل مضمر (وإذا بلغ
الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) لما أمر الأطفال في الآية المنتدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات ، وأباح لهم الدخول
بغير إذن في غيرها : أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذ بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعد
وهي العجوز ، فقبل هي التي قعدت عن الولد ، وقيل التي قعدت عن التصرف ، وقيل التي إذا رأيتها استفذرتها (فليس
عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبيح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود
إنما أبيع لمن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء ، وقال بعضهم : إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه
ذو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله لمن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة ، والتبرج هو
الظهور (وأن يستعففن خير لهن) المعنى أن الامتفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى
لهن أن ياترن ما يلتزم شباب النساء من الستر (ليس على الأعمى حرج) الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله
فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمرضى في هذه الآية ، فقيل هو في الغزو أى لا حرج عليهم في تأخيرهم
عنه ، وقوله ولا على أنفسكم مقطوع من الذى قبله على هذا القول كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرج
في ترك الغزو ، ولا عليكم حرج في الأكل ، وقيل الآية كلها في معنى الأكل ، واختلف الذهابون إلى ذلك ،
فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذروهم الناس ، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل
مع الناس ، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم ، وكانوا يتجنبون
أكل مال الغائب ، فنزلت الآية في ذلك ، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا ، فنزلت
الآية ، وهذا ضعيف . لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم ، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء
الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعمارهم من الجهاد وغيره (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله
تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية ، فبدأ بيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على
ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن ، لأنه دخل في قوله من بيوتكم ، لأن بيت ابن الرجل بيته ، لقوله عليه
الصلاة والسلام : أنت ومالك لأبيك ، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة
فذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى : ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ،

أَعْمَلَكُمْ أَوْ بِيوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بِيوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيوتِ خَدَائِكُمْ أَوْ مَمْلِكَتِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ هَ إِتَمَّ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ
لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ
شَأْنِهِمْ فَادْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ هَ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ قِتْنَةٌ أَوْ

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن
(أو ماملكتكم مفاتيحه) يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح
لهم الأكل منها ، وقيل المراد ممالك الإنسان من مفاتيح نفسه وهذا ضعيف (أو صديقكم) الصديق يقع على
الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله آباءكم وأمهاتكم
وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس
عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان
لا يأكل وحده أبدا خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى إذا
دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله ولا تلهزوا
أنفسكم ، وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية :
الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للبشورة فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق
بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان
(لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) في معناها ثلاثة أقوال
الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال
وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتهم له إذا دعاهم وإجابة عليهم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا ، فهو كقوله تعالى :
استجبوا لله وللرسول إذا دعاهم ، ويقوى هذا القول مناسبتة لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ،
والقول الثانى أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا يا رسول الله
أو يانبي الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على
بعض : أى دعاؤه عليكم يحاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لوأذا) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، واللواذ الروغان والمخالفة ، وقيل الانصراف
في خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، واختلف في عن هنا ،

يُصِيبُهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ * إِلَّا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ
بِأَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا *
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكُتِّبَتْهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية : معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول : كان المطر عن
ريح ، قال الزحشرى يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه ، فمعنى
يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه ، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو بصيدهم عذاب أليم)
الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد لنا أكيد ، وفي
الكلام معنى الوعيد ، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق ، أو المنافقين خاصة (ويوم
يرجعون إليه) يعنى المنافقين ، والعامل في الظرف بينهم .

سورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعنى محمداً صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيراً) الضمير لمحمد صلى الله
عليه وسلم أو للقرآن ، والأول أظهر وقوله «للعالمين» عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ،
وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة ، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد ، والرد على من خالف
في ذلك (فقدره تقديراً) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة ، وتخصيص
كل مخلوق بمقداره ، وصفته ، وزمانه ومكانه ، ومصالحته ، وأجله ، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقريش
وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون قوماً من اليهود منهم عداس ويسار
وأبوفسكيه الرومى (فقد جاؤا ظلماً وزوراً) أى ظلّموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا
في ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون في كتبهم ، وكان الذى يقول هذه المقالة
النضر بن الحارث (اكتتبها) أى كتبها له كاتب ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها ، وهذا حكاية كلام الكفار ،
وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم ، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار ،

يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا . تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا . بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلِ أُولَئِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا . لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ

وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين (قل أنزله الذي يعلم السر) رد على الكفار في قولهم ويعني بالسر : ما أسره الكفار من أقوالهم ، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراهة مما نسب الكفار إليه من الاقتراء أي أن الله يعلم سرى فهو العالم بأني ما اقتربت عليه ، بل هو أنزله علي ، فإن قيل ما مناسبة قوله « إنه كان غفوراً رحيماً ، لما قبله ؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار : أعقبها بذلك ، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يجعل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام) الآية : قال هذا الكلام قريش طعنا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عليهم بقوله « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق » وقولهم « هذا الرسول ، على وجه التهم كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم ، أو يعنون الرسول بزعمه ، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم : لولا أنزل إليه ملك وما بعده ، ثم وصفهم بالظلم ، وقد ذكرنا معنى مسحوراً في سبحان (ضربوا لك الأمثال) أي قالوا فيك تلك الأقوال (فلا يستطيعون سبيلاً) أي لا يقدر على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم (خيراً من ذلك) الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا (جنات تجري من تحتها الأنهار) يعني جنات الآخرة وقصورها وقيل يعني جنات ، وقصوراً في الدنيا ، ولذلك قال إن شاء (إذا رأتهم) أي إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع ، وإنما المسموع أصوات دالة عليه في لفظه تجوز ، والزفير أول صوت الحمار (مكاناً ضيقاً) تضيق عليهم زيادة في عذابهم (مقرنين) أي مربوط بعضهم إلى بعض ، وروى أن ذلك بسلاسل من النار (دعوا هنالك ثبورا) الثبور الويل وقيل الهلاك ، ومعنى دعائهم ثبورا : أنهم يقولون يا ثبوره كقول القائل واحسرتاه وأسفاه (لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضى ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابهم دائم ، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين (قل أذلك خير أم جنة الخلد) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار ، لأن الكلام توقيف وتوبيخ ، وإنما

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ۖ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۚ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَا لُولَاءِ

يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرا (وعدا مسؤولا) أى سأله المؤمنين أو الملائكة فى قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعدا : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء) القائم لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم ، وقيل الأصنام خاصة ، والأول أرجح لقوله ، ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، وقوله ، أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله ، هم ، ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالآهـور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى من عبدهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحججة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم فى الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بورا) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو : خطاب للمعبودين : أى كذبوكم فى هذه المقالة لما عبدوكم فى الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة ، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل ، والباء فى قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير فى كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) قرئ فمات يستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين ؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التكذيب ، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلا أو رجلا قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير فى قوله إلا إنهم لياكلون الطعام ، وهذه الآية رد على الكفار فى استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ
لَابَشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبًّا مِّنْثُورًا *
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا *
الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ

والصحيح فتنه للمريض ، والرسول فتنه لغيره ممن يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون (لا يرجون لقاءنا) قيل معناه لا يخافون ، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله ، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد استكبروا الآية : أى طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه ، وقوله فى أنفسهم كما تقول فلان عظيم فى نفسه أى عند نفسه أو بمعنى أنهم أضروا الكفر فى أنفسهم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم ، فالعامل فى يوم معنى لا بشرى ، ويومئذ بدل (ويقولون حجرا محجورا) الضمير فى يقولون إن كان للملائكة ، فالغنى أنهم يقولون حجرا محجورا محجورا أى حرام عليكم الجنة أو البشرى ، وإن كان الضمير للمجرمين ، فالغنى أنهم يقولون حجرا بمعنى عرذا لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره ، واتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدمنا إلى ما عملوا) أى قصدنا إلى أفعالهم فلفظ القصدوم مجاز ، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك ، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال ، والهباء هى الأجرام الدقيقة من الغبار التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كاللكوة ، والمشور المتفرق (خير مستقرا) جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار ، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعول من النوم فى القائلة وإن كانت الجنة لا نوم فيها ، ولكن جاء على ما تعارفه العرب من الاستراحة وقت القسائلة فى الإمكنة الباردة ، وقيل إن حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ، فيقبل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء : انفطارها ، ومعنى بالغمام أى يخرج منها الغمام ، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الندم والحسرة ، والظالم هنا عقبة بن أبى معيط ، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو اسم جنس على العموم (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) روى أن عقبة جنح إلى الإسلام فهواه أبى بن خلف وأميه بن خلف فهو فلان ، وقيل إن عقبة نهى أبى بن خلف عن الإسلام ، فالظالم على هذا أبى بن خلف ، وإن كان الظالم على العموم فلانا على العموم أى خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا . وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا . الَّذِينَ يُحَشِّرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا . فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَحْمَبَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا . وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا . وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالشيطان إمام أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الدنيا، وقيل في الآخرة (مهجورا) من الهجرة بمعنى البعد والترك وقيل من الهجرة بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) العدو هنا جمع ، والمراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره من الأنبياء (وكفى ربك هاديا ونصيرا) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) وهذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه : ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أى لا يقرأ ، فحفظ المفرق عليه أسهل ، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضى أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه ، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا آتيناك فى جوابه بالحق ، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار ، وحشروهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء فى الحديث قيل يا رسول الله : كيف يحشر الكافر على وجهه : قال أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه فى الآخرة على وجهه (شر ممكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن فى الآخرة (وزيرا) معيننا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه ، وفى الكلام حذف تقديره : فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر فى قوله فى هود فعصوا رساله (وأعدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمرة لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس فى اللغة البئر ، واختلف فى أصحاب الرس : فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة ، وقيل من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب يس ، واختلف فى قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه فى بئر فأهلكهم الله ، وقيل كانوا حول بئرهم فانهارت بهم فهاكوا (وقرونا بين ذلك كثيرا) يعنى التكثير

أَمْطَرَتْ مَطَرِ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا * وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا
 أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ
 الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
 يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ
 سَاءَ كِنًى ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا
 وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِي كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى

والإبهام ، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم (ضربناه الأمثال) أي بيناه (تبرنا) أي أهلكتنا (ولقد أتوا على القرية) الضمير في أتوا للقرية وغيرهم من الكفار ، والقرية قرية قوم لوط ، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ورجون كقولهم يرجون لقاءنا ، وقد ذكر (أهدنا الذي) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء ، فالجمله في موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا ، وقوله « إن كاد ليضلنا » استئناف جملة أخرى وتم كلامهم ، واستأنف كلام الله تعالى في قوله « وسوف يعلمون » الآية على وجه التهديد لهم (اتخذوا الهواه) أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ، ولأن الأنعام تطالب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها ، وهؤلاء لا يتحركون أنفع الأشياء وهو الثواب ، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (ألم تر إلى ربك) أي إلى صنح ربك وقدرته (مد الظل) قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها ، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ، ولا يقال ظل بالليل ، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعدها يسير ، وقيل معنى مد الظل : أي جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعلنا ساء كنى) أي ثابته غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس ، وقيل معنى ساء كنى غير منبسط على الأرض ، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس بأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبتون على ذلك ارتفاعهم به وجلسهم فيه ، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شيء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه تسخه وإزالته بالشمس ؛ ومعنى يسيرا شيئا بعد شيء لادفحة واحدة ، فإن قيل : ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة ؟ فالجواب أنه يتمثل أن تكون للترتيب في الزمان أي جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال ، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثاني أعظم من الأول ، والثالث أعظم من الثاني (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس ؛ لأنه يشتر كل شيء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى في النفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر في الأعراف (ماء طهورا) مبالغة في طاهر وقيل معناه طهر للناس في الوضوء وغيره . وهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهورا ، أي مطهر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا *
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

طاهر مطهر (أناسي) قيل جمع إنسي ، وقيل جمع إنسان ، والأول أصح (ولقد صرفناه) الضمير للقرآن ، وقيل
للمطروء وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي لو شئنا لخففنا عنك أفعال الرسالة ببعث جماعة من الرسل
ولكننا خصصناك بها كرامة الك فاصبر (وجاهدهم به) الضمير للقرآن أو لمادل عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين)
اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ، قال ابن عباس
أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، والبحر العذب الفرات بحر السحاب ، وقيل البحر الملح البحر المعروف ،
والبحر العذب مياه الأرض ، وقيل البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها ، والبحر العذب هو مياه الأرض
من الأنهار والعيون ، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، واختلف
في معنى مرجهما ، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين ، وقيل أسال أحدهما في الآخر (وجعل بينهما برزخا
وحجرا محجورا) أي فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان ، وقيل البرزخ يعلده الله
ولا يراه البشر (خاق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الذي خلق به مع التراب فصار
طينا ، وإن أراد بالبشر نبي آدم ، فالمراد بالماء المي الذي يخلقون منه (بجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر
يعان كل قرني : أي كل قرابة ، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعدد ، والصهر
هو الاختلاط بالنكاح ، وقيل أراد بالنسب الذكور أي ذوى نسب ينتسب إليهم ، وأراد بالصهر الإناث :
أي ذوات صهر يصاهر بهن ، وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وكان الكافر على ربه ظهيرا)
الكافر هنا الجنس ، وقيل المراد أبو جهل ، والظهير المعين أي يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ،
ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ، (قل ما أسئلكم عليه من أجر) أي لا أسئلكم
على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا
بالقرب إليه وعبادته ، فلا استثناء منقطع ، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ، فلا استثناء على هذا
متصل ، والأول أظهر ، وفي الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحي الذي
لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح
بحمده) أي قل سبحان الله وبحمده ، والتسبيح التنزيه عن كل ما يليق به ، ومعنى بحمده أي بحمده أقول
ذلك ، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكفى به بذنوب

الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝
تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
لَمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝

عباده خبيراً) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه و عفوّه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو بكون المراد تهديد
العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر في الأعراف (الرحمن) خبر ابتداء مضمر أو بدل من
الضمير في استوى (فاسأل به خبيراً) فيه معنيان: أحدهما وهو الأظهر: أن المراد أسأل عنه من هو خبير
عارف به، وانتصب خبيراً على المفعولية، وهذا الخبير المسؤل هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب
والباء في قوله به: يحتمل أن تتعلق بخبيراً، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثاني،
أن المراد أسأل بسؤاله خبيراً أي إن سأله تعالى تجده خبيراً بكل شيء، فانتصب خبيراً على الحال، وهو
كقولك لورأيت فلاناً رأيت به أسداً: أي رأيت برويته أسداً (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن في القرآن
أنكرته قریش، وقالوا لانعرف الرحمن، وكان مسيلة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة
إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير
المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجاً) يعني المنازل الاثني عشر، وقيل الكواكب
العظام (سراجاً) يعني الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع: يعني جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر
تشریفاً (جعل الليل والنهار خلفه) أي يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا
أسود، والخلفة اسم الهيئة: كالركبة والجلسة، والأصل جعلهما ذوى خلفه (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه
يعتبر في المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار أو فاته
بالنهار فيستدركه بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما (وعباد الرحمن) أي عباده
المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله في آخر
السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أي رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن
يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشى على الأرض عن
جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاماً) أي قالوا قولاً سديداً ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل
سلاماً أي هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في
حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فستحسن غير منسوخ (إن عذابها) وما بعده يحتمل أن يكون من
كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراماً) أي هلاكاً وخسراناً، وقيل ملازماً (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا) الاقتار هو التضيق في النفقة والشح وضده الإسراف فهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْبَتِّينِ إِمَامًا ۖ أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا بَحْمَةً وَسَلَامًا ۖ خَلَدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبُؤُنَا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

وهو القوام ، وذلك في الانفاق في المباحات وفي الطاعات ، وأما الانفاق في المعاصي فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا ، وقيل الأثام الإثم فعناه يلق جزاءه أثام ؛ وقيل الأثام : وادى جهنم ، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوفقههم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل في الآخرة : أى يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أى متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يافلان قولا أى قولا حسنا (لا يشهدون الزور) أى لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللغو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والاول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أى أعرضوا عنه واستحبوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخرجوا عليها صمًا وعميانا) أى لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفي للصمم والعمى لا للخروج عليها (قرّة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك (واجعلنا للبتّين إماما) أى قرة يفتدى بنا المتقون بإمام مفرد يراى به الجنس ، وقيل هو جمع آثم أى متبع (الغرفة) يعنى غرفة الجنة فهى اسم جنس (قل ما يعبؤنكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استهلامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الأول : أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، الثانى : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالي الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطا با

سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فثنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • طَسَمَ • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا
 مُؤْمِنِينَ • إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ • وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ
 الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ • فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَسُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى
 الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ
 الرَّحِيمِ • وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُكَذِّبُونِ • وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ • وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ •
 قَالَ كَلَّا فَادْخُلْهَا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَآتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسَلْنَا مَعَنَا

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين
 يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله ، فقد كذبتهم ، الثالث : أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى
 على هذا : ما يعاب بكم ربى لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين ، وهو
 مصدر مضاف إلى المفعول ، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل (فقد كذبتهم) هذا
 خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين (فسوف يكون لزاما) أى سوف يكون العذاب لزاما
 ثابتا وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم ، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم
 بدر ، أو عذاب الآخرة .

سورة الشعراء

(طسم) تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذى الطول ،
 والسين من السميع أو السلام ، والميم من الرحيم أو المنعم (باخع) ذكر في الكهف (فضلت أعناقهم لها
 خاضعين) الأعناق جمع عنق وهى الجارحة المعروفة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق
 إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء ، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما
 يقال لهم رؤوس وصدور ، وقيل هم الجماعات من الناس ، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل (محدث) يعنى به محدث
 الإتيان (فسيتأتىهم) الآية : تهديد (من كل زوج) أى من كل صنف من النبات فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية
 والمرعى ، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع (إن فى ذلك لآية) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره
 بلفظ الإفراد لأنه أراد أن فى كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا (ويضيق صدرى) بالرفع عطف
 على أخاف ، أو استئناف ، وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون (فأرسل إلى هارون) أى اجعله معى رسولا
 أستعين به (ولهم على ذنب) يعنى قتله للقبطى (قال كلا) أى لا تخف أن يقتلوك (إنا معكم) خطاب لموسى

بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُمْ آ إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُمْ فَوْهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَنْ آتُخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَاتَّ بِهَ إِنْ

وأخيه ومن كان معهما . أوعلى جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد مورد عظيم الله تعالى ، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن ، وتأويله : أن في الاستماع اعتناء واهتمام بالأمر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان (إنا رسول ربك) إن قيل لم أفردته وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير كل واحد منا رسول . الثاني أنها جعلها كشخص واحد لا تفاهما في الشريعة ، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم (قال ألم نربك فينا وليدا) قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعنى بالفعل : قتله للقبطي ، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافر بهذا الدين الذي جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتي ، وإن كانت الواو للاستئناف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بدني ، ومن الكافرين بنعمتي (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي ، واختلف في معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزنى تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله « أن تضل إحداهما ، وقوله « إذا ، صلة في الكلام ، وكأها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية (فقررت منكم) أي من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرد في قوله « تمنا على أن عبدت (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) معنى عبدت ذلك واتخذتهم عبيدا ، فغنى هذا الكلام أنك عددت نعمة على تعبيد بني إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نعمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فريبتني ، فالإشارة بقوله تلك إلى التريية وأن عبدت في موضع رفع تطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تريبتك نعمة على لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها (قال ابن اتخذت لها غيري لأجعلنك من المسجونين) لما أظهر فرعون الجهل

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَالْقِيَاصُ إِذَا هِيَ تُعْبَانُ مَبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ إِذَا هِيَ بِيضَاءٌ ۝ لِلنَّظِيرِينَ ۝ قَالَ لِلسَّالِ
حَوْلَهُ ۝ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ شَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝ جُمِعَ السِّحْرَةُ لِمَقِيَّتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ
هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السِّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السِّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَأَنْ لَنَا لَأَجْرًا
إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَالْقُوا
حِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بَعْزَةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝
فَالْقِيَ السِّحْرَةَ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبُّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ
إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ۝
قَالُوا لَاضْئِرُّ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا ۝ إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ۝ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۝ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ

بالله فقال : ومارب العالمين : أجا به موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال لا تستمعون : تعجبا من جوابه
فزا دموسى فى إقامة الحججة بقوله : ربكم ورب آباءكم الأو اين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم
البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء اليهم فيستدلون بها على وجود خالفهم ، فلما ظهرت هذه الحججة حاد فرعون
عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الازدراء والتهكم فى قوله رسولكم الذى أرسل إليكم فزاد موسى
فى إقامة الحججة بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها
ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحججة على نمرود ، فلما انتطع فرعون بالحجة رجح
إلى الاستعلاء والتغلب فهتده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحججة بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً فى
إيمانه ، فقال : أولو جئتكم بشىء مبين ، والوارواو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أنفعل بى
ذلك ولو جئتكم بشىء مبين ، وقد تقدم فى الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين
فإن قيل : كيف قال أولاً إن كنتم ووقنين ، ثم قال آخراً إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لاين أولاً طمعاً
فى إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبخهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك فى مقابلة قول
فرعون إن رسولكم لمحزون (لميقات بوم) هو يوم الزينة (تتبع السحرة) أى تتبعهم فى نصرة ديننا لا فى
عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً (بعزة فرعون) قسم أقسموا به ، وقد تقدم فى الأعراف تفسير
ما يافكون ، وما بعد ذلك (لاضير) أى لا يضرنا ذلك لأننا تنقلب إلى الله (أمر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل
(إنكم متبعون) إخبار باتباع فرعون (لشرذمة قليلون) الشرذمة الطائفة من الناس ، وفى هذا احتقار لهم على

لَشَرِّدْمَةً قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ . فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ ، وَكَنُوزٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى
إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَلَوْ حِينَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ . وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ . وَأَجْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ .
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ
قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَسَكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ
يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَأَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِي . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ .

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير (فأخرجناهم من جنات وعيون)
يعنى التي بمصر ، والعيون الخلدجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب
والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان (كذلك)
في موضع خفض صفة لمقام أو في موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو في موضع رفع
على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك (وأورثناها بني إسرائيل) أى أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على
أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم
مثل ذلك بالشام (فأتبعوهم) أى لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبني إسرائيل
(مشرقين) معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق واتصابه على الحال
(تراء الجمعان) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أى رأى
بعضهم بعضا (فانفلق) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق (كل فرق) أى كل جزء منه والطود الجبل ،
وروى أنه صار في البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط من بني إسرائيل طريق (وأزلفنا ثم الآخريين) يعنى
بالآخريين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا ، ثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر
وهو بحر القلزم (ماتعبدون) إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء ،
ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناماً) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ماتعبدون
يعنى عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ،
فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الاختار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظّل لها
عساكيفين مبالغة في ذلك (بل وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد المحض (إلا رب العالمين) استثناء منقطع وقيل

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالحَقِّي بِالصَّالِحِينَ . وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ . وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَاعْفُرْ
لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ . وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .
وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ
يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَرِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ . فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ
وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ اللَّهِ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ

متصل لأن في آياتهم من عبد الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدباً مع الله (أن يغفر لي خطيئتي) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث وهي قوله في سارة زوجته هي أختي ، وقوله « إني سقيم » وقوله « بل فعله كبيرهم » ، وقيل أراد الجنس على الإطلاق ، لأن هذه الثلاثة من المعارض فلا إثم فيها (لسان صدق) ثناء جميلاً (يوم لا ينفع) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم ، وهو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم (إلا من أتى الله بقلب سليم ، قيل سليم من الشرك والمعاصي ، وقيل الذي يليق ربه وليس في قلبه شيئاً غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله ، والسليم هو اللديغ لغة ، وقال الزمخشري هذا من بدع التفاسير ، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من أتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع ، والمعنى على هذا أن المسال لا ينفع إلا من أنفق في طاعة الله ، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق ، ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً ، ويكون قوله من أتى الله بدلاً من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى لكر (وأزلفت الجنة) أي قربت (للغاوين) يعني المشركين بدلالة ما بعده (فكبكبوا فيها) كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه : أي كبهم الله في النار مرة بعد مرة ، والضمير الأصنام ، والغاوون هم المشركون ، وقيل الضمير للبشر كين ، والغاوون هم الشياطين (نسويكم برب العالمين) أي نجعلكم سواء معه (وما أضلنا إلا المجرمون) يعني كبراءهم ، وأهل الجرم والجرأة منهم (حميم) أي خالص الود ، قال الزمخشري جمع الشفعاء ووجد الصديق لسكثرة الشفعاء في العادة ، وقلة الأصدقاء (كذبت قوم نوح المرسلين) أسند الفعل إلى القوم ، وفيه علامة التأنيث ، لأن القوم في معنى الجماعة والأمة ، فإن قيل : كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحاً وحده ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرساً واحداً ، والآخر أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن قولهم واحد ودعوتهم

وَأَطِيعُونَ * قَالُوا آتُونِ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ * قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْسُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَجَاهًا وَبَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَجْبِئْهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكَ الْمَشْحُون * ثُمَّ اغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ * إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَآتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سِوَاآءٍ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ آلَا تَتَّقُونَ * إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَنْتَرُونَ فِي مَا هُنَّآءَ آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ

سواء ، وكذلك الجواب في كذبت عاد المرسلين وغيره (واتبعك الأردلون) جمع أرذل ، وقد تقدم الكلام عليه في قوله أرذلنا في هود (وما أنا بطارد المؤمنين) يعني الذين سموهم أرذلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباهم من الضعفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (افتح بيني وبينهم) أي احكم بيننا (في الفلك المشحون) أي المملوء (بكل ريع) الريع المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعني المباني الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المباني ، وقيل مأخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية تفسر لقوله أمدكم بما تعلمون فأبهم أولا ثم فسره (خلق الأولين) بضم الخاء واللام أي عادتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلق والمعنى ما هذه الخلق التي نحن عليها إلا خلقه الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين (أتركون) تخويف لهم معناه أطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم (ونخل طلعتها هضيم) الطلع عنقود التمر

وَاطِيعُونَ ۖ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۖ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ۖ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدَمِينَ ۖ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۖ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَتَنَّهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۖ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۖ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۖ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ ۖ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ

في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضم: اللين الرطب، فالمعنى طلعتها يتم ويرطب، وقيل هو الرخص أول ما يخرج، وقيل الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمان، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل (وتحتون) ذكر في الأعراف (فارهم) قرئ بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تحتون، وهو مشتق من القراءة وهي النشاط والكيس، وقيل معناه أقرباء وقيل أشربين بطرين (من المسحرين) مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا إنما أنت بشر لها شرب أي حظ من الماء (فاصبحوا نادمين) لما تغيرت ألوانهم حسبا أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة (فأخذتهم الصيحة) التي ماتوا منها وهي العذاب المذكور هنا (من القالين) أي من المبغضين، وفي قوله قال ومن القالين: ضرب من ضروب التجنيس (مما يعملون) أي نجى من عقوبة عملهم أو اعصمى من عملهم والأول أرجح (إلا عجوزا) يعني امرأة لوط (في الغابرين) كذلك أمطرنا (أصحاب الأيكة) قرئ بالهمز وخفض الناء مثل الذي في الحجر وق، ومعناه الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص: بفتح اللام والهاء، فقيل إنه مسهل من الهمز، وقيل إنه اسم بلد، ويقوى هذا: القول بأنه على هذه القراءة بفتح الناء غير منصرف، يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشري، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف (إذ قال لهم شعيب) لم يقل هنا أخوهم كما قال في قصة نوح وغيره، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم، فكان شعيبا على هذا

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ
 وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثِيَّتَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَأَتَّقُوا الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَىٰ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ *
 فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم
 عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ *
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَىٰ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
 عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ * كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
 حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ *

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل
 أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تزيها لشعيب عن النسبة إليها (من المخسرين) أى من الناقصين
 للكيل والوزن (بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلية) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سحابة
 من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى
 ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضاً فإن كل قصة منها
 كأنها كلام قائم مستقل بنفسه ، فختمت بما ختمت به صاحبتهما (وإنه لتنزيل رب العالمين) الضمير للقرآن
 (الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) إشارة إلى حفظه إياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ
 (بلسان عربى) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين (وإنه لفي زبر الأولين) المعنى أن القرآن
 مذكور فى كتب المتقدمين فى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله (أو لم يكن لهم آية أن
 يعلمه علماء بنى إسرائيل) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبداً بن سلام
 وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الآية جمع أعجم ، وهو
 الذى لا يتكلم سواء كان إنساناً أو بهيمة أو جماداً والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم ، وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى
 الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى سلكناه .
 أدخلناه ، والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام ، أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا
 به ، وتقدير قوله : كذلك مثل هذا السلك سلكناه ، والمجرمين : يمتثل أن يريد به قريشاً أو الكفار المتقدمين
 ولا يؤمنون : تفسير للسلك الذى سلكه فى قلوبهم (فيقولوا هل نحن منظرُونَ) تمنوا أن يؤخروا حين لم

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ۚ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذَرُونَ ۚ ذِكْرًا ۖ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيَاطِينَ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۚ
إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۚ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۚ وَأَنْذَرْنَاكَ الْآقْرَبِينَ ۚ
وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي لَأَعْمَلُونَ ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ۚ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۚ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَلَ
الشَّيَاطِينُ ۚ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ ۚ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ۚ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ

ينفعهم التمني (أفبعذابنا يستعجلون) تويخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم وفأطر علينا حجارة من
السماء وشبه ذلك (أف رأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إهمالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طال
مدة سنين، لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها
منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأذنبهم فكذبوه
(ذكري) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من
أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة (وما نزلت به الشياطين) الضمير للقرآن، وهو رد على من قال
إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدر
ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق (إنهم عن السمع لمعزولون) تليل لكبر
الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان
أمر الكهان كثيراً منتشراً قبل ذلك (وأندر عشيرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأذنون، ولما نزلت هذه الآية
أنذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا
أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشري في معناه قولان أحدهما أنه أمر
أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرافة بقريته
ولا يخافهم بالإنذار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع (الذي يراك حين
تقوم) أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك في الساجدين) معطوف على
الضمير المفعول في قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع
المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى قلب بصرك في المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام
كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل آفاك أثيم) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من نزل الشياطين
والآفاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثيم يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال إن الشياطين نزلت على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على آفاك أثيم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على
غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون
إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع،

تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ۝ وَانَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۝

سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْعَانِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ
أَعْمَلُوهُم فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ
الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَتَاتِيكُمْ مِنْهَا خَبِرَ آؤءَاتِيكُمْ بِشَبَابِ

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين ، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان
لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون
به عن الشياطين (والشعراء يتبعهم الغاؤون) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء لبيان أن القرآن ليس بكهانة
ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة ، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي
كالهجاه والمدح بالباطل وغير ذلك ، وقيل أراد شعراء الجاهلية ، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون
المسلمين بأشعارهم ، والغاؤون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من
اللغو والباطل ، وقيل هم الشياطين (في كل واديهيمون) استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام
الحق والباطل ، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب (إلا الذين آمنوا) الآية : استثناء من الشعراء
يعنى بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف ، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا
الله) قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم ، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق (وانتصروا من بعد ما ظلموا) إشارة
إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجر الكفار بعد أن هجوا الكفار النبي صلى الله عليه وسلم (وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا
وعمل ينقلبون في أي لتأخره ، وقيل : إن العامل في أي سيعلم

سورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ،
وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر
ابتداء مضمرة (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون
مستأنفة وتمت الصلة قبلها ، ورجح الزمخشري هذا (يعمهنون) يتحيرون (سوء العذاب) يعنى في الدنيا وهو
القتل يوم بدر ، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة ، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أي

قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مَدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ .
يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .
وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَن طَائِرًا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ

تعطاه (آنت) ذكر في طه ، وكذلك قبس ، والشهاب النجم شبه القبس به ، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة ، فإن قيل : كيف قال هنا سأتيكم وفي الموضع الآخر لعل آتيكم ، والفرق بين الترجى والتسويق أن التسويق متيقن الوقوع بخلاف الترجى ؟ فالجواب أنه قد يقول الراجى : سيكرن كذا ؛ إذ أقوى رجاؤه (تصطلون) معناه تستدفنون بالنار من النرد ، ووزنه تفعلون ، وهو مشتق من صلى بالنار والطاه بدل من التاه (أن بورك من في النار ومن حولها) أن مفسرة ، وبورك من البركة ، ومن في النار : يعنى من في مكان النار ومن حولها : من حول مكانها يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام ، قال الزمخشري : والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادى وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون ماقبل النداء لموسى عليه السلام ، أو يكون مستأنفاً وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله عما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء ، أو في قوله بورك من في النار لأن المعنى نودى أن بورك من في النار ، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من في النار ، لأن المعنى يؤدى إلى أن بورك من في النار ، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأنها جان) الجان الحية ، وقيل الحية الصغيرة ، وعلى هذا يشكل قوله فإذا هي ثعبان ، والجواب : أنها ثعبان في جرهما ، جان في سرعة حركتها (ولم يعقب) لم يرجع أولم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس ، لا من المرسلين ، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضاً فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسناً) أى عمل صالحاً (في جيبيك) ذكر في طه (في تسع آيات) متصل بقوله ألق وأدخل ، تقديره ليسر لك ذلك في جملة تسع آيات ، وقد ذكرت الآيات التسع في الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة) أى ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازاً ، وهو في الحقيقة لتأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعنى أنهم جحدوا بها مع أنهم يتقنوا أنها الحق فكفروهم عناد ، ولذلك قال فيه ظلماً ، والواو فيه واو الحال ، وأضمرت بعدها قد علوا يعنى تكبروا (ورث سليمان داود) أى ورث عنه النبوة والعلم والملك (علمنا منطق الطير) أى فهمنا من أصوات الطير المعانى التى فى نفوسها (وأوتينا من كل شيء) عموم معناه الخصوص ، والمراد

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ . وَحُشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا
 اتَّوَا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سَلِيمَانَ وَجُنُودَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .
 فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، فَفَكَّكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ
 بِمَا لَمْ حُطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

بهذا اللفظ التكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه ونفسه
 خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا
 شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (فهم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم
 من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادى النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض
 أو ركباناً حتى خافت منهم النمل ، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل
 (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين . لثلاث تنبت ، ويقسم حبة
 الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، وإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن
 سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا)
 خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لا يحطمنكم) يحتمل أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بدلاً
 من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى
 لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكاً) تبسم لأحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة
 عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير)
 اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقيل ذلك لعنايته بأمر ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدد فدخلت
 الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدد فلم يصره ، فقال ما لى لا أرى
 الهدد أى لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر ، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبنه) روى أن تعذيبه
 للطير كان بنتف ريشه (بسلطان ميين) أى حجة بينة (فمكث) أى أقام ، ويجوز فتح السكاف وضمها ،
 وبالفتح قرأصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدد وهو أظهر (غير
 بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علماً بما لم تعلمه (من سبأ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدتم الذى
 يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحى أو الأب ، ومن لم يصرفه أراد
 القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتنوين يكون فى قوله من سبأ بنياً ضرب من
 أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن
 ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبأ ، وهم قومها (من كل

عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۚ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَى التِّيِّ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ۚ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ

شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكها ، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير : عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا خطأ ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة (أن لا يسجدوا لله) من كلام الهدهد أو من كلام الله ، وقرأ الجمهور بالتشديد ، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم ، أو في موضع خفض على البدل من السبيل ، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام ، وزيادة لا ، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالالف على تقدير يا قوم ثم ابتدأ اسجدوا (يخرج الخبء) الخبء في اللغة الخفي وقيل معناه هنا الغيب ، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفي ، وبه فسر ابن عباس (ثم تول عنهم) أي تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروى أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة ، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والأول أحسن (ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يا أيها الملأ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته ، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يا أيها الملأ (كتاب كريم) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان ، أو لأن فيه اسم الله ، أو لأنه محتوم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه (من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان ، وأن يكون من كلامها : أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وآتوني مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين ، أو يكون من الدخول في الإسلام (أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله ، أو من كلام بلقيس تأكيذا للبعث الذي أرادت ، وتعني كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية) قالت لقومها إني أجب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنيوياً : أرضاه المال ، وإن كان نبياً يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته (آتدوون بمال) إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست

أَتَمَّ بِهَدْيَتِكُمْ تَفَرُّحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلِنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لِأَقْبَلِ لَهُمْ بِهَا وَلِنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ *
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
 تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
 طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ * قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ *
 فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ

كذلك (ارجع إليهم) خطاب للرسول ، وقيل للهدد ، والاول أرجح ، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند
 إلى الرسول (لا قبيل لهم بها) أى لا طاقه لهم بها (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني
 مسلمين) القائل سليمان ، والملأ جماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ، لأنه وصف
 له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فسلمين على هذا من الدخول
 في دين الإسلام ، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ، فسلمين على هذا بمعنى
 متقادين (قال عفريت) روى عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت السكودن (قبل أن تقوم من مقامك) قبل
 أن تقوم من موضع الحكم ، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر ، وقيل معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائما (قال
 الذي عنده علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم
 وقيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل ، والاول أشهر ، وقيل سليمان وهذا بعيد (آتيك به) في الموضعين : يحتمل أن
 يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل (قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغض
 بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت (فلما رآه مستقرا عنده) قيل هنا
 محذوف تقديره : فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها ، ومعنى مستقرا عنده حاصله عنده وليس هذا
 بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك (يشكر لنفسه) أى منفعة الشكر لنفسه (قال
 نكروا لها عرشها) تنكيهه تغيير وصفه وستر بعضه ، وقيل الزيادة فيه والنقص منه ، وقصد بذلك اختبار عقلها
 وفهمها (أتهدى) يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها ، أو للجواب عنه إذا سئلت أو الإيمان (فلما جاءت
 قيل أهكذا عرشك) كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيهه ، وأن يقال لها أهكذا عرشك
 أى أمثل هذا عرشك لثلاث تفتن أنه هو ، فأجابته بقولها : كأنه هو جوابا عن السؤال ، ولم تقل هو تحرزا
 من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال (وأوتينا العلم من قبلها) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها
 قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم الإسلام قبلها ، والجملة معطوفة
 على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها (وصددها
 ما كانت تعبد من دون الله) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه ، أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون
 وما كانت تعبد فاعلا أو مفعولا ، فإن كان فاعلا : فالمعنى صددها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُرْدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُتَعَمِّدُونَ . وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

حتى إلى هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام (قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها) الصرح في اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومه ابنه له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما رآته حسبته لجة ، واللجة الماء المجمع كالبحر ، فكشفت عن ساقها لتدخله لما مرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتكبير العرش فوجدتها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة في كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح بمزد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح بمزد ، والمزد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجية (قالت رب إنى ظلمت نفسي) تعنى بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان آمن ومن كفر ؛ واختصاصهم : اختلافهم وجداهم في الدين (لم تستعجلون) أى لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا اطيرنا بك) أى تشاء منا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائركم عند الله) أى السبب الذى يحدث عنه خيركم أو شركم : هو عند الله وهو قضاؤه وقدره ، وذلك رد عليهم فى تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود (يفسدون فى الأرض) قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدرهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أى حلفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاهدوا عليه (لنبيته وأهله) أى لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذى تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله) أى نتبرأ من دونه إن طلبنا به ولديه ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضى التبرى من دم أهله دون التبرى من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيته وأهله ، والثانى أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقنا آل فرعون» يعنى فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض فى كلامهم لثلاث

لَا يَشْعُرُونَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَكَانَ بَيْوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ
وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ . بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَانجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ
الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ . قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . آمَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَاقًا تَتَّقُونَ ذَاتِ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٍ يُعَدِّلُونَ . آمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا
أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرِينَ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَاعِلِينَ . آمَنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

يكذبوا (وإنا الصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإنا الصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون ، ويحتمل أنهم
قصدوا وجهان التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله ، وهو أنهم
قصدوا أن يقتلوا أصحابها وأهله معاً ، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون في ذلك بل يعنون أنهم
شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حملة الزمخشري (أنادمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا
على قتل صالح اختفوا ليلاً في غار قريباً من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقت عليهم صخرة فأهلكتهم
ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه
تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم
من بعض ، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب « يتطهرون ، والغابرين ،
« وأمطرنا ، قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة
بعد هذا ، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من
عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمناً بذكر الله ، قال ابن عباس يعني بعباده الذين اصطفى
الصحابة ، واللفظ يعي الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آل الله خير أمّا يشركون) على وجه الرد على المشركين
فدخلت خير التي يراد بها التفضيل لتسكينهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلاً ، ثم أقام عليهم
الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وبغير ذلك بما ذكره إلى تمام هذه الآيات ، وأعقب كل برهان
منها بقوله إليه مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضاً
نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضاً وأم في قوله خير أمّا يشركون متصلة عاطفة ، وأم في المواضع التي بعده منقطعة
بمعنى بل والهمزة (قوم يعدلون) أي يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أي يجعلون له عديلاً
ومثيلاً (رواسي) يعني الجبال (البحرين) ذكر في الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود ، وقيل الذي

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ۝ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ
ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا يَعْلَمُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ

لا حول له ولا قوة، واللفظ مشتق من الضرر: أى الذى أصابه الضرر أو من الضرورة أى الذى أوجبه
الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها تتوارثون سكنها (أمن يهديكم) يعنى الهداية بالنجوم
والطرق (بشرا) ذكر فى الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات
(هاتوا برهانكم) تعجيز للمشركين (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضى
انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً يعلم
الغيب فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية، فإن قيل: فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يخبر بالغيوب وذلك معدود فى معجزاته، فالجواب: أنه صلى الله عليه وسلم قال إنى لا أعلم الغيب إلا
ما علمنى الله، فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباهم، بالأمور المغيبة؟
فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل
إن الغيب فى هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال وما
يشعرون أيان يبعثون، فعلى هذا يندفع السؤال الأول، والثانى لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله
تعالى «قل إنما عليها عند الله، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: فى خمس لا يعلمها إلا الله، ثم قرأ «إن الله
عنده علم الساعة، إلى آخر السورة، فإن قيل: كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبديل لا يصح إلا إذا
كان الاستثناء متصلاً ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها والله تعالى ليس بمن فى السموات والأرض باتفاق
فإن القائمين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفى الجهة يقولون إن الله
تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن
يكون منصوباً؟ فالجواب من أربعة أوجه: الأول أن البديل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل، وإن كان
منقطعاً كقولهم ما فى الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف، لأن القرآن أنزل
بلغة الحجاز لا بلغة بنى تميم، والثانى أن الله فى السموات والأرض بعلمه كما قال «وهو معكم أينما كنتم» يعنى
بعلمه، فجاء البديل على هذا المعنى وهذا ضعيف، لأن قوله فى السموات والأرض وقعت فيه لفظة فى الظرفية
الحقيقية، وهى فى حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز
فى حالة واحدة عند المحققين، الجواب الثالث أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كل موجود
فكأنه قال من فى الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلاً، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال من
فى السموات والأرض جرياً على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه: الجواب الرابع أن
يكون الاستثناء متصلاً على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله «أمنتم من فى السماء» وحديث

فِي شَكِّ مَنَّا بِلَهُمْ مَنَّا عَمُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُ وُنَا أَتْنَا لَمَحْرُجُونَ . لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَّآبَاءُ وُنَا مِن قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ . وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدْفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ . إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ يَقْضَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ . إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَن ضَلَلَّتْهُمْ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

الجارية وشبه ذلك (وما يشعرون أيا ن يعشون) أى لا يشعرون من فى السموات والأرض متى يعشون ، لأن علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة (بل أذكرك عليهم فى الآخرة) وزن ادرك تفاعل ثم ساكنت التاء وأدغمت فى الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع عليهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك عليهم فى الآخرة أى يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله فى الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للبالغة : أى ما من شىء فى غاية الخفاء إلا وهو عند الله فى كتاب (إنك لا تسمع الموتى) شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى فى أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم والعمى وإن كانوا صحاح الحواس ، وأكدهم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين ، لأن الأصم إذا أدير وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزلى من الله فى ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أسراط الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وأن طولها ممتون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت فى الحديث (تكلّمهم) قيل تكلّمهم بيطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بسكر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

كَانُوا بَيِّنَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۖ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
 قَالُوا كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عَلَمًا ۖ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۖ
 أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۖ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۖ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۖ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
 وَهِيَ مَرْمَرٌ مِّنَ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقِنَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا
 وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ مُّؤْمِنُونَ ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ
 إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ وَأَنْ اتَّوَلَّوْا
 الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَيَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۖ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ ۖ آيَاتِهِ
 فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآتنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره
 تكلمهمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذف اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بحروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة
 وأمور الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أماذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة
 الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاؤها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم
 أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن
 القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف
 (إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرین
 متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها
 الله فى خلال ذلك فتسكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو
 منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لإله إلا الله ،
 واللفظ أعم ، ومعنى خير منها أنه بالحسنة الواحدة عشرأ (من فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ
 ومن أسقط التنوين الإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب (ومن جاء بالسبيئة) السبيئة هنا
 الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرّمها) أى جعلها حرما آمنا
 لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسب النبي صلى
 الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى
 أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرّمها الله يوم
 خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما على الإنذار والتبليغ (سيريكم

سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * طَسَمَ ۝ تَلَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَتَلَوُا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ ۙ وَفِرْعَوْنَ
 بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُرْمَوْنَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
 نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *
 وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
 أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝
 فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتْ
 أُمَّرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي وَلَيْسَ بِلِيٍّ وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ
 أُمِّ مُوسَىٰ إِفْرًا إِذْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

آياته) وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إمامي الدنيا أو في الآخرة

سورة القصص

(علا في الأرض) أي تكبر وطغا (شيعا) أي فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل
 خداما لهم ، وهم الطائفة الذين استضعفهم ، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة : أي ولاية في الأرض
 أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحي يالهام
 أو منام أو كلام بواسطة الملك ، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامثالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه)
 أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد
 غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد ، روى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت
 في البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحت فيه صديا فأحبت ، وقالت لفرعون : هذا قرّة عين لي
 ولك (ليكون لهم عدوا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لا تقتلوه) روى أن فرعون همّ بذبجه
 إذ توسم أنه من بني إسرائيل ، فقالت امرأته لا تقتلوه (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون
 على يديه ، والضمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي ذاهلا لاعقل معها ، وقيل فارغا
 من الصبر وقيل فارغا من كل شيء إلا من هم موسى ، وقيل فارغا من وعد الله : أي نسيت ما أوحى إليها ، وقيل فارغا من
 الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شيء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاي من الفزع (إن
 كادت لتبدي به) أي تظهر أمره ، وفي الحديث كادت أم موسى أن تقول والبناء وتخرج صائحة على وجهها
 (ربطنا على قلبها) أي رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله (وقالت

فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ فَرُدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّبَ إِلَيْهَا لِتَعْزِمَهُ لِتَلْعَلَّ مِنْهَا جَبْنٌ وَلَٰكِن مَّا كَثُرَتْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۖ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَافِئًا يَّتَرَاقِبَ ۖ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ

لاخوته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رآته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريد (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضها الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد : وهو موضع الرضاع يعنى الثدي (من قبل) أى من أول مرة (فقال هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إني امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقزت عيناها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رآدوه إليك (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حولها ، والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشاءين ، وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل محتفياً متخوفاً (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل ، فقدم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الظهير المعين ، والباه سبية ، والمعنى بسبب إنعامك على لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهى معاهدة عاهد موسى عليها ، وقيل الباه باه القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لا أتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، وقيل الباه للتخفيف : أى اعصمى بحق نعمتك على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتاج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور (يتراقب) فى الموضوعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكِّ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ

يستغيث به ، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لغوي مبين (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لها) الضمير في أراد وفي يبطش لموسى ، وفي قال الإسرائيلي ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له والإسرائيلي : ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لغوي مبين ، فقال الإسرائيلي لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ، وقيل الضمير في أراد للإسرائيلي ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فصيح الإسرائيلي ، فقال له أتريد أن تقتلني فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أي يسرع في مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن الملأ يأترون بك) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد بوجهه ناحية مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربِّي أن يهديني سواء السبيل) أي وسط الطريق يعني طريق مدين إذ كان قد خرج فإزاً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، وبدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أي وصل إليه وكان براً (يسقون) أي يسقون مواشيهم (امراتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صفيرا وصفرا (تذودان) أي تمنعان الناس عن غنمهما ، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء : أي كانت عادتتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما ، أو لكرهتهما التزاحم مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعدّد ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أي ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أي لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور ، وقيل ابن أخيه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لهما) أي أدركته شفقتة عليهما فسقى غنمهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أي جلس في الظل ، وروى أنه كان ظل سمرة (إني لما أنزلت إلي من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد

وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَّوْتُمْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ
 اسْتَجَرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ
 أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ ذَلِكَ بَنِي
 وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ . فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ
 بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
 النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَى
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْتَ لَقِيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأَتْ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِي مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَى أَقْبَلَ

اشتد عليه الجوع (فجاءته إحداهما) قبل هذا كلام مخدوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت
 عادتاهما الإبطاء في السقي فأخبرته بما كان من أمر سقي الرجل لها فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته ،
 واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى (على استحياء) روى أنها سترت وجهها بكم درعها
 والمجور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف (وقص عليه القصة) أى ذكر له قصته (لا تخف)
 أى قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون (استأجره) أى اجعله أجيرك (إن
 خير من استأجرت القوى الأمين) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة ، روى أن أباهما قال لها من أين عرفت
 قوته وأمانته ، قالت أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر : وأما أمانته فإنه لم ينظر إلى (قال إنى أريد أن أنكحك
 إحدى ابنتي) زوجته التي دعت ، واختلف هل زوجها الكبرى أو الصغرى ، واسم التي زوجها صفور ، وقيل
 صفوريا ، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الإنكحة : أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه (على
 أن تأجرني ثمانى حجج) أى أزوجك بنتى على أن تخدمنى ثمانية أعوام ، قال مكى : في هذه الآية خصائص في
 النكاح ، منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حد أول الأمد ، وجعل المهر إجارة ، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون
 عند عقد النكاح بعده المرادة ، وقد قال الزمخشري إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح ، وإنما كان مواعدة وأما ذكر
 أول الأمد ، فالظاهر أنه من حين العقد ، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقد قرره شرعنا حسبا
 ورد في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل قد زوجتكها على مامعك من القرآن : أى
 على أن تعلمها ما عندك من القرآن ، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعى وابن حنبل وابن حبيب الآية
 والحديث ، ومنعه مالك (فإن أتمت عشرًا فمن عندك) جعل الأعوام الثمانية شرطا ، وكل العامين إلى مروءة
 موسى ، فوفى له العشر ، وقيل وفى العشرة وعشرا بعدها ، وهذا ضعيف لقوله (فلما قضى موسى الأجل)
 أى الأجل المذكور (وسار بأهله) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر (جذوة) أى قطعة ، ويجوز كسر
 الجيم وضمها ، وقد ذكر آنس ، والطور ، وتصطلون (شاطئ الواد) جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين ،
 ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة الوادى (من الشجرة) روى أنها كانت عوسجة (جان) ذكر في النمل

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ * أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ
الرَّهْبِ فَذَلِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ
نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ • قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطٰنًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكَ بِآيٰتِنَا أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ
الْغٰلِبُونَ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ •
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ • وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هٰمَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي
أَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِ اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ * وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ إِلٰهِنَا لَا يَرْجِعُونَ • فَآخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ • وَجَعَلْنَاهُمْ
أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ • وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ
الْمَقْبُوحِينَ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتٰبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَآئِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(اسلك يدك في جيبك) أى أدخلها فيه ، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخف خوفه ، وقيل ذلك على وجه المجاز ، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به : كقوله اشدد حيازتك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب ، وهو الخوف ، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء (فذاذك برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام (ردءاً) أى معينا ، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أرديت أى زدت (سنشد عضدك بأخيك) استعارة في المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو يصلون أو بالغالبون (فأوقد لي ياهامان على الطين) أى اصنع الآجر لبنيان الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى السماء ، وروى أنه أول من عمل الآجر ، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح ، وقد روى أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ، ثم قال (وإني لأظنه من الكاذبين) يعنى في دعوى الرسالة ، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين (أمة يدعون إلى النار) أى كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين ، وقيل قبحت وجوههم ، وقيل

وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ .
 وَالْكَفَّاءُ أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا
 مُرْسِلِينَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعِ
 آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ
 يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كُفْرُونٍ . قُلْ فَاتُوا بَكْتَابٍ مِّنْ
 عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ

قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم (وما كنت بجانب الغربي) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي الطور ، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكننا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر) المعنى لم تحضريا بمحمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحيها فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على قرة من الرسل (ثاويًا) أي مقيمًا (إذ نادينا) يعني تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ (ولكن رحمة) انتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منك ورحمة للخلق بك (ولولا أن تصيبهم مصيبة) لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتخصيص ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لتلايقولوا : ربنا لولا أرسلنا إليك رسولًا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعني القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفاق البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أنهم كفروا بما أوتي موسى فلو آتينا محمدًا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتي موسى ، ويحتمل أن يتعلق بقوله أولم يكفروا ، إن كانت الآية في بني إسرائيل ، والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون موسى وهارون ، أو موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم والضمير في أولم يكفروا وفي قالوا الكفار قریش وقيل لآبائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فاتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبداً ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ * إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَقَالُوا إِن نَّبْتَغِ
الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَأَمَّا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عنادوا اتباع
أهوائهم لا بحجة وبرهان (ولقد وصلناهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والأول أظهر ؛ لأن السلام
من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، وصلناهم : أبلغناه لهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم
الكتاب من قبله) يعني من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشي وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فأمنوا به ، والضمير في قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق :
تعليل لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل يملك
أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعني صبرهم على إذابة قومهم
لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أي يدفعون ، ويحتمل أن يريد
بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم
وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعني ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم) هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية
أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام (إنك لا تهدي
من أحببت) نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال
لولا أن يعايرني بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومته (ولكن
الله يهدي من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف
من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو
الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذي تقول حق ، ولكن إن اتبعناك
تخطفتنا العرب : أي أهلكونا بالقتال مخالفة دينهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا
به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله
فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجي إليه ثمرات كل شيء) أي

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَمَّا مَسَّكْنَهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمِسُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ . وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهٍ كَسِرَ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ . قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ . وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذى زرع (بطرت معيشتها) معنى بطرت طغت وسفهت ، ومعيشتها : نصب على التفسير مثل سفه نفسه ، أو على إسقاط حرف الجز تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعنى قليلا من السكنى ، أو قليلا من الساكنين : أى لم يسكنها بعد إهلا كهها إلا ما زاد على الطريق ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمهات رسولا) أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض ، ولأن فيها بيت الله ، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم في أم القرى ، فإن كفروا أهلكتهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم (وما أوتيتم من شيء) الآية : تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة (أفمن وعدناه) الآية : إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدناه المؤمنين ، وبمن متعناه الكافرين ، وقيل سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل ، وقيل حمزة وأبو جهل ، والعموم أحسن لفظا ، ومعنى من المحضرين أى من المحضرين في العذاب (ويوم يناديهم) العامل في الظرف مضمرة وفاعل ينادى الله تعالى ، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة ، والمفعول به المشركون (أين شركائي) توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون ، حذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم (قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم ، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا : إلى أتباعهم من الضعفاء ، فإن قيل : كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك ، فإنهم اعترفوا بإغوائهم ، وتبرؤا مع ذلك منهم ؟ فالجواب أن إغوائهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك ، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها ف تبرأنا إليك من عبادتهم لنا ، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغوا الضعفاء وتبرؤا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام ، وقد قيل في معنى الآية غير هذا ما هو تكلف بعيد (لو أنهم كانوا يهتدون) فيه أربعة أوجه : الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام ، والثاني لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۚ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ۚ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ
وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
بِضْيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۚ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ * وَمَنْ رَحِمْتُمْ جَعَلَ لَكُمْ لَيْلٌ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حرف
امتناع وجوابها محذوف ، والرابع أن يسكون لولتسمى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتهم المرسلين) أى
أهل صدقهم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والأنباء الأخبار
أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء لأنهم
قد تساووا في الخيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق ما يشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ،
ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حمله على عمومها : أى يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل ما يريد (ما كان
لهم الخيرة) مانافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ،
وقيل إن ما مفعولة بيختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك
ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت ما مفعولة : لكان اسم كان مضمرًا يعود على ما ؛ وكانت
الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن ما مفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار
ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية يتجه أن تكون ما مفعولة
إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة ، وهذا
بعيد جدا (يعلم ما تكتن صدورهم) أى ما تخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد
في الأولى والآخرة) قيل إن الحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية
وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتكم بضياء ، وهلا قال يأتكم بنهار فى مقابلة قوله يأتكم بليل ؟ فالجواب
أنه ذكر الضياء جملة مافية من المنافع والعبء (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ،
فى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عنهم بأعمالهم

فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ
يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلِ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *

وهو نبيهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حججتكم على ما كنتم عليه من الكفر ،
وذلك إغذار لهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى
وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطفى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه
من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتيح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والأول أظهر ، والعصبة
جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه ثقيل ، يقال نأه به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء
تمهض بتحمل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتيح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام
عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول (لا تفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب
والطغيان ، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن
الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما
أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تضيع حظك
من دنياك وتمتع بها مع عملك الآخرة ، وقيل معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ
الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا
لثلاينفر عن قبول الموعظة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما
أوتيته على علم عندى) لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة ، والمعنى
أن هذا المال إنما أعطاه الله بالاستحقاق له بسبب علم عندى استوجبته به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم
الكيمياء ، وقيل التجارب الأمور والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوارة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، وقيل
المعنى إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصنى به ، ثم جعل قوله عندى كما تقول فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله
قد أهلك من قبله من القرون) هذاردة عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للبال أو جمعه للخدم ، والأول أظهر
(ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على
القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن
كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة ، والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة ؛ وأنهم لا يسألون
عن ذنوبهم لسكونهم يدخلون النار من غير حساب ، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها
لقوله فوربك لذنبهم أجمعين عما كانوا يعملون ، وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختبار
وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد
فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

نُفِّرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ
 وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * نَحْسَبْنَاهَا
 بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتَّةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ
 بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
 وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيَّةِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادِ قُلُوبِ رَبِّي ءَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ
 وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ

الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان (نُفِّرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) فِي
 ثِيَابِ حَمْرٍ ، وَقِيلَ فِي عَيْدِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَاللَّفْظُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ (وَيَلَكُمْ) زَجْرُ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مِثْلَ حَالِ قَارُونَ (وَلَا
 يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْخِصَالِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكَلَامُ الْمُتَقَدِّمُ ، وَهِيَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَقِيلَ
 عَلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أَيْ لَا تَصْدُرُ الْكَلِمَةُ إِلَّا عَنِ الصَّابِرِينَ ، وَالصَّبْرُ هُنَا مَسَاكُ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيَا
 وَزِينَتِهَا (نَحْسَبْنَاهَا) وَبَدَارَهُ (الْأَرْضَ) رَوَى أَنَّ قَارُونَ سَأَلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَذَى مُوسَى دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
 عَلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ قَدَّامَتِ الْأَرْضِ أَنْ تَطْبَعُكَ فِيهِ وَفِي تَبَاعِهِ ، فَقَالَ مُوسَى : يَا أَرْضُ خَذِيهِمْ فَأَخَذْتَهُمْ إِلَى
 الرِّكْبِ فَاسْتَعَاثُوا بِمُوسَى فَقَالَ يَا أَرْضُ خَذِيهِمْ حَتَّى تَمْتَمَ بِهِمُ الْخَسْفُ (مَكَانَهُ) أَيْ هُنْزَلْتَهُ فِي الْمَالِ وَالْعِزَّةِ (بِالْأَمْسِ)
 يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْيَوْمَ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الزَّمَانِ الْقَرِيبِ (وَيَكَانُ) مَهْذَبٌ سَيُودِيهِ أَنْ يُوَى
 حَرْفَ تَنْبِيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ بَعْدَهَا كَأَنَّ ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُمْ تَنَبَّهُوا بِالْخَطِيئَةِ فِي قَوْلِهِمْ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ ، ثُمَّ
 قَالُوا كَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ : أَيْ مَا أَشْبَهَ الْحَالَ بِهَذَا ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ وَيَلْكَ هُوَ وَيَلْكَ حَذَفَتْ
 مِنْهَا اللَّامُ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ بَعْدَهَا أَنْ ، وَالْمَعْنَى أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَقِيلَ وَيَكَانُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مَعْنَاهَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ (عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) أَيْ تَكْبِيرًا وَطَغْيَانًا لِرَفْعَةِ الْإِنزِلَةِ ، فَإِنْ إِرَادَتَهَا جَائِزَةٌ (فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أَيْ
 أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ وَأَثَبْتَهُ ، وَقِيلَ الْمَعْنَى أَعْطَاكَ الْقُرْآنَ ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ ، وَقِيلَ فَرَضَ عَلَيْكَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ
 عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ (لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادِ) الْمَعَادُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَعَادُ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ يَعْنِي مَكَّةَ ، وَالآيَةُ نَزَلَتْ حِينَ الْهَجْرَةِ ،
 فَقِيهًا وَعَدَّ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ مَكَّةَ وَفَتْحَهَا ، وَقِيلَ يَعْنِي الْآخِرَةَ فَمَعْنَاهَا إِعْلَامُ بِالْحَشْرِ ، وَقِيلَ يَعْنِي الْجَنَّةَ (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو
 أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ) أَيْ مَا كُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ النُّبُوَّةَ ، وَلَا أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِمَكَ بِذَلِكَ
 وَرَحِمَ النَّاسَ بِنُبُوَّتِكَ ، وَالِاسْتِثْنَاءُ بِمَعْنَى لَكِنْ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُتَصِلًا . وَالْمَعْنَى مَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَكَ وَرَحْمَةً لِلنَّاسِ ، وَرَحْمَةٌ عَلَىٰ هَذَا مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ أَوْ حَالٌ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ مَنْصُوبٌ عَلَى

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ اتَّخَفُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ لَيُؤْتُونَ نَسِيحًا وَلَيَبْغُونَهَا عِزًّا وَمَن يَكْفُرْ أَكْثُرُ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

الاستثناء (وادع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه) الآية . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

سورة العنكبوت

(الم) ذكر في البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاعت صدورهم بذلك فأنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبات على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يساط الكفار على المؤمنين ليحصمهم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانهم من الكاذب ، ولنظها مع ذلك عام ، فحكما على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها ، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مفتونين ، وأن يقولوا : تعليل في موضع المفعول من أجله (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود ، وقد كان علمه في الأزل والصدق والكذب في الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبات عليه ، أو ضد ذلك (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام في كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية للمؤمنين ، ووعدهم بالخير في الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله فيجزيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى منفعة جهاده فإنما هي لنفسه ، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

تَطْعَمًا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَّلَيْهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ ۝ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝ فَأَجْمَعْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ
 وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ * وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمر تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أو مصدرا من معنى
 وصينا أي وصية حسنة (وإن جاهداك لتشركني) الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت
 أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام
 وألا يطيعوا الوالدين إذا أمرهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول
 آمنا بالله) نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله
 المؤمنين قالوا ! إنا كنا معكم ، فعنى أودى في الله أودى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت
 في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا
 ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قاتل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاها المهدي ، وقولهم
 ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر
 صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار
 أتباعهم من الكفار (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون
 ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة
 فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى ؟ فالجواب أن ذلك كراهة
 لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود
 الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكاملها (وتخلقون إفكاً) هو من الخلق يريد به نحت
 الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقا) الآية :
 احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه في قوله فابتغوا عند الله الرزق ؟
 فالجواب : أنه نكره في قوله لا يملكون لكم رزقا لقصد العموم في النفي فإن النكرة في سياق النفي تقتضى
 العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، في سياق

فَاتَّبَعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبَدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ •
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتَتْ اللَّهُ وَلِقَاءَهُ أُولَئِكَ يَشْبُوهَا مِنْ رَحْمَتِي
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِمَّا أَنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ ثَمَّا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بَعْضٌ بَعْضًا وَمَا مِنْكُمْ مِنَ النَّارِ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

الإثبات لإلامع التعريف فكانه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من
كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم ، أو يراد به تسليية
النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم
(أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد ، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة ،
والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خالق الخلق فيستدلون بالخالقة الأولى على الإعادة في الحشر ، فقوله ثم يعيده
ليس بمعطوف على يبدأ ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداية بالمشاهدة ، بخلاف الإعادة فإنها تعلم
بالنظر والاستدلال ، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات ، وإبدائه ، وعلى هذا
يكون ثم يعيده عطفاً على يسدئ لا اتفاق المعنى ، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله
يسير) يعنى إعادة الخلق وهى حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته
على حشرهم ، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شىء قدير (وإليه تقلابون) أى ترجعون (وما أنتم بمعجزين)
أى لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء (أولئك يئسوا من رحمتي)
يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة ، أو يكون وصف لحالهم في الدنيا ، لأن الكافرين يئسوا من رحمة الله ، والمؤمن
راج خائف ، وهذا الكلام من قوله : أولم يروا ، إلى هنا : يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه
وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم ، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (وودَّ
بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثانٍ لا تختصم ، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمرة
أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية ، وخفضه بالإضافة (فأمن له لوط) تضمن آمن
معنى انقاد ، ولذلك تعمدى باللام (وقال إنى مهاجر إلى ربى) القائل لذلك إبراهيم ، وقيل لوط ، وهاجرا
من بلادهما بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم ،

وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّمَا لَتَأْتُونَ
 الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَتِنَّمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ
 الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى
 الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
 ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ نَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ مُضَاعِقًا بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا
 مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلَا
 تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ * وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ
 تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَرُونِ
 وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝ فَكَلَّا أَخَذْنَا
 بِذُنُوبِهِمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنِ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنِ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنِ اغْرَقْنَا

وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والזبور والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للسلب
 والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون في ناديكم المنكر) النادي المجلس
 الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى)
 الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم» أو بشارته بنصر سيدنا لوط
 والاول أظهر (أهل هذه القرية) يعنى قرية سيدنا لوط (قال إن فيه لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاة
 سيدنا لوط من العذاب الذى يصيب أهل القرية وبرأته من الظلم الذى وصفوه به، فكانه قال: كيف تهلكون
 أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك ساء بهم (رجزاً
 من السماء) أى عذاباً (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعشوا في
 الأرض) يعنى نقصهم المسكيات والميزان (الرجفة) هى الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى آثار مساكنهم
 باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة فى كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة فى
 الإيمان، ولكنهم كفروا أعناداً، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا
 (وما كانوا سابقين) أى لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضاً الريح الشديدة،
 ويحتمل عندى أنه أراد به المعنيتين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ مِثْلَ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ * خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِلَّهِ وَالْوَالِدِينَ * وَأَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله «إن الله وملائكته يصلون على النبي» ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعنى قاريون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا ، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضررون (أوهن البيوت) أى أضعفها (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا يعلمون أن هذا ما لهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا فى صلاته متذكرا لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك (ولذكر الله أكبر) قيل فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهىها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن) أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتي هى أحسن ، لا بضرب ولا قتال ، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذابة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر (وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسالمة ، وهى منسوخة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
 وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
 وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
 بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
 مُبِينٌ ۝ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝
 قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بِنبِيِّكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ۝ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ
 نَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ۝

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أي كما أنزلنا
 الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك (فالذين آتيناهم الكتاب) يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من
 اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله
 من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل
 وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبدالله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب)
 هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء
 بالقرآن ، فإن قيل : ما فائدة قوله يمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير للمعنى المراد (إذا
 لارتاب المبطلون) أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا
 الكتاب أوقراه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجحدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم
 أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا
 للصفة التي وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب
 وقال الباجي وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف (بل هو آيات)
 الضمير للقرآن ، والإضراب بيل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون (أو لم
 يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلا
 اكتبوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكر معناه في الرد وفي الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير
 للكفار يعني قولهم انتنا بما تعدنا ، وقولهم فأطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أي
 لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طابوه (ولياأتينهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم
 يوم بدر أو الجوع الذي أصابهم بتولى التحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم
 لمحيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أي يحيط بهم ، والعامل في الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضي

كُلُّ نَفْسٍ ذَاتةُ مَوْتٍ ثُمَّ إِلَيْنَا تَرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ
لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَنَأْيُ يُؤفِكُونَ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُل
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَمَاهَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

واسعة) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيباً في غيرها من أرض الله
فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة (لنبوئهم أي نزلهم، وقرئ ثبوئهم بالثاء المثلثة من الثوى
وهو الإقامة في المنزل) وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها،
ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى
بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم) في
الموضعين: إقامة حجة عليهم (فأني يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمداً لله على ظهور
الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض (بل أكثرهم
لا يعقلون) إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون
(لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا في الفلك)
الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء. (ليكفروا) أمر على وجه
التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعلم ما شئت (أو لم يروا أنا
جعلنا حراماً آمناً) الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر
البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو
أخذ الأموال (والذين جاهدوا فينا) يعني جهاد النفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن
الأوطان وغير ذلك، وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية
(لنهديهم سبلنا) أي لنوفقهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين) المعنى أنه معهم بإعانتة ونصره

سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَغْلِبْ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَسْنَا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم ، وسميت الروم باسم جددهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (فى أدنى الأرض) قيل هى الجزيرة ، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس ، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع (ويومئذ يفرح المؤمنون) روى أن غاب الروم فارس وقع يوم بدر ، وقيل يوم الحديبية ، فرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس ، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام ، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش ، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدتم فى الرهن واستزدتم فى الأجل ، فجعل القلاص مائة ، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبى بن خلف مثل ذلك ، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبى بن خلف ، إذ كان قد مات وجاءها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها (وعدا لله) مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا ، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا (يعلمون ظاهرا) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم ، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول ، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل ، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا ، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب ، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمر الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة ، وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها ، وانظر كيف نفي العلم عنهم أولا ، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة ، وقال بعض أهل البيان : إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات ، وجعل بعضهم العلم المثبت كالأعدم لقلة منفعته فهو على هذا بيان للنفي (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل معنيين : أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ أَن كَذَبُوا
 بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۚ اللَّهُ يَبْدُوهُمُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
 الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 يُؤْمِنُونَ بِتَفْرِقُونَ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۚ
 وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
 وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
 تَنْتَشِرُونَ ۚ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِيتِ
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۚ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

وخلقهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ما خلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر
 (وأثاروا الأرض) أى حرثوها (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى) معنى السوآى : هلاك الكفار ، ولفظ
 السوآى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئى عاقبة بالرفع على أنه اسم كان ، والسوآى
 خبرها ، وقرئى بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوآى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، ويحتمل
 أن تكون السوآى مصدر أساءوا (يبلس المجرمون) الإبلاس الكون فى شرمع اليأس من الخير (يتفرقون)
 معناه فى المنازل والجزء (تجبرون) تنعمون من الجبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون (سبحان الله)
 هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وعشياً وحين تظهرون) أى حين تدخلون
 فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ،
 وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشياً :
 العصر ، وحين تظهرون الظهر (يخرج الحى) ذكر فى آل عمران (ويحيى الأرض) أى ينبت فيها النبات
 (وكذلك تخرجون) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة
 (تنتشرون) أى تنصرفون فى الدنيا (من أنفسكم أزواجاً) أى صنفكم وجنسكم ، قيل أراد خلقه حواء من
 ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم (مودة ورحمة) قيل المودة الجماع ، والرحمة الولد ، والعموم
 أحسن وأبلغ (واختلاف السننكم) أى لغاتكم (وألوانكم) يعنى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم ،

يَسْمَعُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ
 الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ضَرَبَ لَكُمْ
 مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقِنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ
 كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بَغِيرَ عِلْمٍ فَمِن
 يَهْدِي مِّنْ أَضَلِّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ * فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
 لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ مُبْدِينَ إِلَيْهِ وَأَقْوَاهُ وَأَقِيمُوا

والأول أظهر (خوفاً وطمعاً) ذكر في الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه تثبت أو يقوم تدبيرها (ثم) إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أتم تخرجون (إذا الأولى شرطية ، والثانية بخافية وهي جواب الأولى ، والدعوة في هذه الآية قوله للوثى قوموا بالنفخة الثانية في الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله تخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل (قانتون) ذكر في البقرة (وهو أهون عليه) أي الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الحلقة الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله ، فإن كل شيء على الله يسير (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم ولا يستون معكم في أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده في ملكه ، ولا يماثل أحد في ربه بيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي ودخل في النفي قوله «فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم: أي لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم) الإضراب بيل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة في إشرافهم بالله بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم (فأقم وجهك للدين) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه في الموضوعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه في قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر: كقوله صبغة الله أو مفعولاً بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقه الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خالق الخلق عليه ، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لا تبدل لخلق الله) يعني بخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أي لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الحلقة الأولى، أو

الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۚ
 وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۚ
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْمُكُكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ
 يُشْرِكُونَ ۚ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۚ
 أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ فَشَاتِذَا الْقُرْبَىٰ
 حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ
 رَبًّا لِّيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها ، فالنبي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين
 أى لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهى عن تبديل الخلقه كخصاء
 الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمه ، ولذلك جمعهم في قوله منيبين ، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر في
 الزموا فطرة الله ، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واقوه) وما بعده معطوف على أقم وجهك أو
 على العامل في فطرة الله وهو الزموا المضمرة (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله ، ومعنى فرقوا
 دينهم : جعلوه فرقا أى اختلفوا فيه ، وقرئ : فارقوا من المفارقة أى تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف
 الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا
 القول إنما قاله في قول الله في الأنعام «إن الذين فرقوا دينهم» فإنه ليس هناك ذكر المشركين (وإذ مس الناس
 ضرا) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء (ليكفروا) ذكر
 في النحل (أم أنزلنا عليهم ساطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق
 بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا أذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا
 أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال في الشر إن تصبهم سيئة ، لأن إذا
 للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه ، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به
 عباده أكثر من الشر (بما قدمت أيديهم) المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم
 (فأت ذا القرنى حقه) يعنى صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب (وما آتيتم من ربا
 ليربو في أموال الناس) الآية : معناها كقوله « يحق الله الربا ويربى الصدقات ، أى ما أعطيتم من أموالكم
 على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد
 أن يهب الرجل الرجل أو يهدى له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه وقرئ
 « وما آتيتم بالمدبمعنى أعطيتم وبالقصير يعنى جئتم أى فعلتموه ، وقرئ لتربوا بالتاء المضمومة وليربو بالياء

الْمُضْعِفُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ
مَنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ه ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان
أكثرهم مشركين ه فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون * من
كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون * ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله
إنه لا يحب الكافرين ه ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ه الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في
السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم
يستبشرون ه وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى أثر رحمت الله كيف يحيي

مفتوحة ونصب الواو (فأولئك هم المضعفون) المضعف ذوالإضعاف من الحسنات ، وفي هذه الجملة التفتات
لخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأتتم المضعفون ، وفيه أيضا
حذف ، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ، وتقديره المضعفون به أو فؤوتوه هم المضعفون (ظهر الفساد في البر
والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر
القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه
ذلك ، وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكسادالتجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس
من الكفر والعصيان (لامردله) أي لارجوع له ولا بد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتي أو بقوله
لامرد له أي لا يرده الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أي يتفرقون : فريق في الجنة ، وفريق
في السعير (فلأنفسهم يمهدون) أي يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم
يعملون ما ينتفعون به في الآخرة (ليجزي) يتعلق بيمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أي
تبشر بالمطر (وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف
تقديره ليذيقكم (من رحمته) أرسلها (وكان حقا) انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين ،
وقيل اسمها مضمرة يعود على مصدر انتقمنا : أي وكان الانتقام حقا ، فعلى هذا يوقف على حقا ويكون
نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف (تثير سحابا) أي تحركها وتشرها (كسفا) أي قطعا ، وقرئ
ياسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر
(من خلاله) الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من)

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَحِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَظَلُّوا
 مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ . فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ
 الْعُمَى عَنْ ضَلَّاتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
 بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبُّوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَاسْكَنْكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ
 يُسْتَعْتَبُونَ . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
 آتَيْنَاهُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ *

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من الغنوط إلى الاستبشار (لمبلسين) أى قانطين كقولهم
 ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (فراه ، صفرا) الضمير للنبات الذى ينبتة الله بالمطر ، والمعنى لئن أرسل الله ريحا
 فاصفر به النبات لكفر الناس بالغنوط والاعتراض على الله ، وقيل الضمير للريح ، وقيل للسحاب والاول
 أحسن فى المعنى (فإنك لا تسمع الموتى) الآية : استعارة فى عدم سماع الكفار للهواظ والبراهين ، فشب الكفار
 بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقتكم من ضعف) الضعف الاول كون الإنسان من ماء مهين ، وكونه ضعيف فى حال
 الطفولية ، والضعف الثانى الأخير الهرم ، وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا
 جواب القسم ، ومنه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا
 ساعة ، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصنف كانوا يصرفون فى الدنيا
 عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة
 والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلقوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله ،
 والمجروح على هذا يتعلق بقوله لبثتم ، وقيل يعنى القرآن ، فعلى هذا يتعلق هذا المجروح بقوله أوتوا العلم ،
 وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله
 وقولهم لقد لبثتم : خطاب للكفار ، وقولهم فهذا يوم البعث : تقرير لهم ، وهو فى المعنى جواب لشرط
 مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعجبون) من العتبى بمعنى الرضا : أى
 ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ما وعد من النصر على الكفار (ولا يستخفك
 من الخفة : أى لا تضطرب لكلاههم

سورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مَّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلِيَٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۝ وَالْقِيَامِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن يَمِيدَ بِكُمْ ۝ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقَ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۝ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۝ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۝ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

سورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر في يونس (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) هو الغناء ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شراء المغنيات وبيعهن حرام ، وقرأ هذه الآية ، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشراء على هذا حقيقة ، وقيل نزلت في النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث استجابته وسماعه ، فالشراء على هذا مجاز ، وقيل لهو الحديث : الطبل ، وقيل الشرك ، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله ، وظاهر الآية أنه هو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف ، لقوله تعالى وليضل عن سبيل الله الآية ، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر في الرعد (أن تميد بكم) أى لثلاث تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبي أم لا ؟ وفي الحديث لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه ، فمن عليه بالحكمة ، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وروى أنه كان قاضي بني إسرائيل ، واختلف في صناعته ، فقيل كان نجارا ، وقيل خياطا ، وقيل راعي غنم ، وكان ابنه كافرا فسا زال يوصيه حتى أسلم ، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله ، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبا ذكرنا في العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلها عظم ازدادت الحامل به ضعفاً ، وانتصاب وهنا بفعل مضمرة تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعتراض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله في عامين

حميدٌ . وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
 بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ
 أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
 مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
 السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ
 مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
 الْحَمِيرِ . أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَرَّكُمْ مَائِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ
 النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
 نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ . وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَّا سِنًا مَرَجِعُهُمْ

ليبين ماتكابه الام بالولد مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب (يا بني) الآية :
 رجع إلى كلام لقمان ، والتقدير : وقال لقمان يا بني (مثقال حبة من خردل) أي وزنها ، والمراد بذلك أن الله
 يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (في صخرة) قيل المراد
 الصخرة التي عليها الأرض ، وهذا ضعيف ، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء
 ولو كانت في أخفى موضع بحرف صخرة ، فإن الله يأتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت في السموات أو
 في الأرض (واصبر على ما أصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً ، وقيل المعنى ما يصيب من أمر بمعروف
 أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتمل أن يريد ما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم
 الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أي من معزومات الأمور
 (ولا تصعر خدك للناس) الصعر في اللغة الميل أي لاتول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحاً)
 ذكر في الإسراء (مختالاً) من الخيلاء (واقصد في مشيك) أي اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش
 والخفة ، ولا تطبع إبطاء يدل على الفخر والكبر (نومه ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمبال وغير ذلك ،
 والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال ، وقيل الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم
 العقبى ، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله (أو لو كان الشيطان
 يدعركم إلى عذاب السعير) معناه أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوكم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أي

فَنبِئْهُمْ بِمَا عَمَلُوا إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . مُتَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ه وَ لَنْ سَأَلْتَهُمْ
 مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ آبْحَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ
 اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ه مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ه أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ه
 ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ه أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ه وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ
 دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْ مَقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ه يَأْتِيهَا

يُخَاصُّ أَوْ يَسْتَسْلِمُ أَوْ يَنْقَادُ ، وَالْوَجْهَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْقَصْدِ (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) ذَكَرَ فِي الْبَقْرَةِ (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَمَا بَعْدَهُ
 ذَكَرَ فِي الْعَنْكَبُوتِ (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) الْآيَةُ إِخْبَارٌ بِكَثْرَةِ كَلِمَاتِ اللَّهِ وَالْمُرَادُ اتِّسَاعُ عِلْمِهِ
 وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ شَجَرَ الْأَرْضِ لَوْ كَانَتْ أَقْلَامًا ، وَالْبَحْرُ لَوْ كَانَ مَدَادًا يَصُبُّ فِيهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ صَادًا مِمَّا وَكَتَبَتْ بِذَلِكَ
 كَلِمَاتُ اللَّهِ لَنَفَدَتْ الْأَشْجَارُ وَالْبَحَارُ وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْأَشْجَارَ وَالْبَحَارَ مَتْنَاهِيَّةً ، وَكَلِمَاتُ اللَّهِ غَيْرُ
 مَتْنَاهِيَّةٍ ، فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ وَالْبَحْرُ مَدَادًا كَمَا قَالَ فِي الْكَهْفِ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ أَغْنَى عَنِ
 ذَلِكَ قَوْلُهُ بِمَدَّةٍ لَّأَنَّهُ مِنْ قَوْلِكَ مَدَّ الدَّوَاءَ وَأَمَدَّهَا ، فَإِنْ قِيلَ لِمَ قَالَ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ شَجَرٍ بِاسْمِ الْجِنْسِ
 الَّذِي يَقْتَضِي الْعُمُومَ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ أَرَادَ تَفْصِيلَ الشَّجَرِ إِلَى شَجَرَةٍ شَجَرَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا وَاحِدَةٌ ، فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَالَ
 كَلِمَاتُ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ كَلِمَ اللَّهُ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا أَبْلَغُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَنْفَدِ الْكَلِمَاتُ مَعَ أَنَّهُ جَمْعٌ قَوْلُهُ ،
 فَكَيْفَ يَنْفَدُ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ وَرَوَى أَنَّ سَبَبَ الْآيَةِ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا قَدْ أَوْتَيْنَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْعِلْمُ كُلُّهُ فَهَزَلَتْ الْآيَةُ
 لِتَدُلُّ أَنَّ مَا عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، وَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مَدِينَةٌ ، وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَهَا أَنَّ قَرِيْشًا قَالُوا إِنْ الْقُرْآنَ سَيَنْفَدُ (مَا خَلَقَكُمْ
 وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً) يَبَانُ لِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَعَثِ النَّاسِ وَرَدِّ عَلَى مَنْ اسْتَبَعَدَ ذَلِكَ (بِوَلِّجِ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ)
 أَيْ يَدْخُلُ كِلَا مَنَّهُمَا فِي الْآخِرِ بِمَا يَزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخِرِ أَوْ يَدْخُلُ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ
 وَيَدْخُلُ ضَوْءُ النَّهَارِ عَلَى ظِلْمَةِ اللَّيْلِ (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ) يَحْتَمِلُ أَنَّ تَسْكُونَ الْبَاءَ
 سَبَبِيَّةً ، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ شَاهِدٌ هُوَ الْحَقُّ (بِنِعْمَةِ اللَّهِ) يَحْتَمِلُ أَنَّ بَرِيدَ ذَلِكَ مَا تَحْمَلُهُ السَّفِينُ مِنَ
 الطَّعَامِ وَالتَّجَارَاتِ وَالْبَاءَ لِلِإِلْصَاقِ أَوْ لِلْبَصَاحَةِ ، أَوْ يَرِيدُ الرِّيحَ فَتَسْكُونَ الْبَاءَ سَبَبِيَّةً (صَبَّارٍ شَكُورٍ) مَبَالِغَةٌ فِي
 صَابِرٍ وَشَاكِرٍ (كَالظَّلْلِ) جَمْعُ ظِلْمَةٍ وَهُوَ مَا يَعْلُوكُ مِنْ فَوْقٍ شَبَّهَ الْمَوْجَ بِذَلِكَ إِذَا ارْتَفَعَ وَعَظُمَ حَتَّى عَلَا فَوْقَ
 الْإِنْسَانِ (فَمَنْ مَقْتَصِدٌ) الْمَقْتَصِدُ الْمَتَوَسِّطُ فِي الْأَمْرِ ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَرِيدُ كَافِرًا مَتَوَسِّطًا فِي كُفْرِهِ لَمْ يَسْرِفْ فِيهِ
 أَوْ مَوْمِنًا مَتَوَسِّطًا فِي إِيمَانِهِ ، لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ الَّذِي عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ كَانَ يَزُولُ عَنْهُ وَقِيلَ مَعْنَى مَقْتَصِدٌ مَوْمِنٌ ثَبَتَ
 فِي الْبَرِّ عَلَى مَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ (خَتَّارٍ) أَيْ غَدَّارٍ شَدِيدِ الْغَدْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ غَدْرًا (لَا يَجْزِي

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *

سورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يَدْبُرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ

والد عن ولده) أى لا يقضى عنه شيئاً ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أى ولد فبما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء (الغرور) الشيطان وقيل الأمل والتسويق (علم الساعة) أى متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء فى الحديث : مفايح الغيب خمس وتلا هذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعنى من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك

سورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعنى القرآن (لأريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله عز وجل ، ونفى الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر فى نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو بمحذوف (مأتاهم من نذير) يعنى من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقم الحججة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر فى الأعراف (مالك من دونه من ولى ولا شفيع) نفى الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهى معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » (يدبر الأمر) أى واحد الأمور ، وقيل المأمور به من الطاعات ، والأول أصح (من السماء إلى الأرض) أى ينزل مادبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك فى يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

وَالشَّهَادَةَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ . وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ . وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ . وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ما غاب عن المخلوقين ، والشهادة ما شاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أى أتقن جميع المخلوقات ، وقرئ يأسكان اللام على البدل (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلالة من ماء مهين) يعنى المنى ، والسلالة مشتقة من سل يسل ، فكأن الماء يسل من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ فيه من روحه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها الاختصاص ، لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله (أنذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا تراباً ، ومعنى هذا الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفي خلق جديد تقديره نبعث (بتوفائكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لولتمنى وتأويله فى حق الله كتأويل النرجى ، وقد ذكر ، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة لرأيت أمراً مهولاً (ناكسوا رؤوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون ربنا قد علمنا الحقائق (لو شئنا لآتيناهم كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء (فذوقوا بما نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظه من هذا (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين) يعنى أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم وقرئ أخفى يأسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمناً) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّلِحَتِ فَلَهُمْ جَنَّتِ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ . وَلَنْذِيْقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ
 الَّادْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةِ مِمَّنْ لَقَّاهُ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ .
 وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

والفاسقين على العموم ، وقيل يعنى على بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط (فذوقوا عذاب النار الذي كنتم
 به تكذبون) الذي نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا
 العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف في سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التي كنتم بها
 تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر
 ذكره في قوله ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثاني أنه قدم في السجدة ذكر النار ،
 فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمرة فكما لا يوصف المضمرة
 لم يوصف ما قام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة
 وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كررت ذكره
 لم يجوز وصفه ، كقولك رأيت رجلاً فأكرمت الرجل ، فلا يجوز وصفه لثلاثاً يفهم أنه غيره (ولنديقنهم من
 العذاب الأدنى) يعنى الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله لعلمهم
 يرجعون ، (إننا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول
 إننا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمرة ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون
 للبالغة (فلا تسكن في مريّة من لقائه) المريّة الشك ، والضمير لموسى : أى لا تمتز في لقائك موسى ليلة الإسراء
 وقيل المعنى لا تشك في لقاء موسى والكتاب الذي أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب
 هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك ، وعبر
 باللقاء عن إزال الكتاب كقوله : وإنك لتلقى القرآن ، (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبني إسرائيل
 خاصة (أولم يهد لهم) ذكر في طه (يمشون في مساكنهم) الضمير في يمشون لأهل مكة : أى يمشون في مساكن
 القوم المهلكين : كقوله وقد تبين لكم من مساكنهم ، وقيل الضمير للمهلكين : أى أهلكناهم وهم يمشون في
 مساكنهم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرز) يعنى التي لا نبات فيها من شدة العطش

وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرِ لَهُمْ مُنْتَظَرُونَ ۝

سورة الاحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

(متى هذا الفتح) أى الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر لإنهم منتظرون) أى انتظر هلاكهم لإنهم ينتظرون هلاكك ، وفى هذا تهديد لهم

سورة الاحزاب

(يا أيها النبي) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوة ، وندى سائر الأنبياء بأسمائهم (اتق الله) أى دم على التقوى وزد منها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعنى بالكافرين المظهريين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبى بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبى ابن سلول ، والعموم أظهر (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قال ابن عباس ، كان فى قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفيا لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النقي أى كما لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم (اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون للزوجة : أنت على كظهر أمى ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه فى المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) الأدعياء جمع دعى ، وهو الذى يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان قتي من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية (ذلكم قولكم) الإشارة إلى نسبة الدعى إلى غير أبيه ، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات ، وقوله (بأفواهكم) تأكيد لبطان القول (ادعوهم لأبائهم) الضمير للأدعياء أى انسبواهم لأبائهم الذين ولدوهم

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ه النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ه وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ه لِيَسْئَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *
إِذْ جَاءَوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَةَ

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يقتضى أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون
أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) جعل الله تعالى لأزواج
النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات فى تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن ، ولكن
أوجب حجبهن عن الرجال (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) هذا نسخ لما كان فى صدر الإسلام من
التوارث بأخوة الإسلام ، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها فى الأنفال (فى كتاب الله) يحتمل أن يريد القرآن
أو اللوح المحفوظ (من المؤمنين) يحتمل أن يكون بياناً لأولى الأرحام أو يتعلق بأولى : أى أولو الأرحام
أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوى أرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) يريد الاحسان
إلى الأولياء الذين ليسوا بقراة و نفعهم فى الحياة ، والوصية لهم عند الموت ، فذلك جائز و مندوب إليه ،
وإن لم يكونوا قراة ، وأما الميراث فللقراة خاصة ، واختلف هل يعنى بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين
والكافرين (فى الكتاب مسطوراً) يعنى القرآن أو اللوح المحفوظ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) هو الميثاق بتبليغ
الرسالة والقيام بالشرائع ، وقيل هو الميثاق الذى أخذه حين أخرج بنى آدم من صلب آدم كالذر ، والأول
أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء (ومنك ومن نوح) قد دخل هؤلاء فى جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر
تشريفاً لهم ، وقدم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً له (ميثاقاً غليظاً) يعنى الميثاق المذكور ، وإنما
كرره تأكيداً وليصفه بأنه غليظ أى وثيق ثابت يجب الوفاء به (ليسأل الصادقين) اللام تحتمل أن تكون لام كى أو
لام الصيرورة ، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق فى الأقوال أو الصدق فى الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد
بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين (إذ كروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود) هذه الآية وما بعدها نزلت فى قصة
غزوة الخندق ، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار ، وسماهم الله فى هذه السورة الأحزاب
وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها لينبئهم من
دخولها (فأرسلنا عليهم ريحاً) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفا نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها
قرار فانصرفوا خائبين (وجنوداً لم تروها) يعنى الملائكة (إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أى حاصروا
المدينة من أعلاها ومن أسفلها ، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم
أهل مكة وسائر تهامة (وإذ زاعت الأبصار) أى مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف (وبلغت

هَنَّاكَ اَبْتَلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَاِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ اِلَّا غُرُورًا ۝ وَاِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا اَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ اِنَّ يَبُوتَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ اِنْ يُرِيدُونَ اِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ اَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا اِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهُ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْاَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوِ الْقَتْلِ وَاِذَا لَا تُمْتَعُونَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوءًا اَوْ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وِلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ لِاِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ اِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ اَشْحَثَّ عَلَيْكُمْ اِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَايْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هي حقيقة لأن الرثة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنوننا) أي تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنوننا، والرسولنا، والسبيلا، بالالف في الوصل وفي الوقف، وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رهوس الآي لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتها في الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون) أي اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف ابتلى وقيل ما قبله (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلي الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطي (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أي لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الإقامة وقولهم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) أي يستأذنه في الانصراف والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن يوتوا عورة) أي منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله في ذلك (ولودخلت عليهم من أقطارها) أي لودخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا إليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قد يعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أي الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقاتلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافق الذين وقعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس، معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم في الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أي إلا قليلا منهم

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ
 أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ
 الْأَحْزَابُ يَوَدُّوهُ لَوِ انَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونَ عَنْ أَنبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَاقْتُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۗ لَقَدْ
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۗ وَلَمَّا رَأَى
 الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۗ مَن
 الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا ۗ لِيَجْزِيَ

(أشحة عليكم) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل يشحون بأموالهم ،
 وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أى يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على
 المعوقين ، أو من الضمير فى يأتون ، أو نصب على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك) أى إذا
 اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء فى تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم (تدور أعينهم
 كالذى يغشى عليه من الموت) عبارة عن شدة خوفهم (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالأسنة حداد) السلق
 بالأسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال
 الخوف رجع المنافقون إلى إذابتكم بالسب وتنقيص الشريعة ، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم (أشحة على
 الخير) أى يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمغانم ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل فى سلقوكم (لم
 يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط
 فى قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا)
 الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا
 عن المدينة وهم قد انصرفوا (وإن يأت الأحزاب يودوا ولو أنهم بادون فى الأعراب) معنى يودوا يتمنوا ، وبادون
 خارجون فى البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى
 هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا فى البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا فى المدينة بل غائبين عنها يسألون
 من ورد عليهم عن أنبائكم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم
 فى اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد (هذا ما وعدنا الله ورسوله) قيل
 إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم
 ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
 قبلكم مستهم البأساء والضراء » الآية ، فعلوا أنهم يبتلون ثم ينصرون (فمنهم من قضى نحبه) يعنى قتل شهيدا
 قال أنس بن مالك يعنى عمى أنس بن النضر ، وقيل يعنى حمزة بن عبدالمطلب ، وقضاء النجب عبارة عن الموت
 عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفى العهد الذى عاهد الله عليه ، ويدل على هذا ما ورد أن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « طلحة من قضى نحبه » وهو لم يقتل حينئذ (ومنهم من ينتظر) المقعول

اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقَتِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِئْتَعَالَيْنَ أُمْتِعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ

محذوف: أى ينتظر أن يقضى نجه ، أو ينتظر الشهادة فى سبيل الله على قول ابن عباس ، أو ينتظر الحصول فى أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الصياصى هى الحصون ، ونزلت الآية فى يهود بنى قريظة ، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعنى الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية (أورثكم أرضهم) يعنى أرض بنى قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضاً لم تطؤها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطئوها حيثئذ وهى مكة واليمن والشام والعراق ومصر ، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وماوراءها إلى أقصى المشرق والمغرب ، ويحتمل عندى أن يريد أرض بنى قريظة ، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضى وهى التى كانوا أخذوها حيثئذ ، وأما غيرها من الأرضين ، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها : أى لم تدخلوها قبل ذلك (بأيها النبى قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية : سبها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمها ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة ، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسودة بنت زمعة ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حبي من بنى إسرائيل وزينب بنت جحش الاسديّة ، وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان فى موضع مرتفع لمن فى موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل فى جميع الأمكنة : وأمتعكن من المتعة وهى الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق ، فعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا ، وبين البقاء فى عصمته إن أرادوا الآخرة ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة : فاخترت البقاء فى عصمته ، ثم تبعها سائرهن فى ذلك ، فلم يقع طلاق ، وقالت عائشة : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا ، وإذا اختارت المخيرة الطلاق : فذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل : يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث ، أو يريد أنه ثلاث ، وجماله حسن الرعى والثناء

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتٍ * يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفُ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا تُوْتَاهَا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لِسُنِّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقُرْنِ فِي بَيْوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِمَّا يُرِيدَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وحفظ العهد (للحسنة منكن) من لبيان لا للتبويض ، لأن جميعهن محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعني الزنا ، وقيل يعني عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام ، أو تكليفه ما يشق عليه ، وقيل عموم في المعاصي (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلو رتبتهن ، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله ، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالتالي حملا على المعنى ، وكذلك تعمل ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (توتها أجرها مرتين) أى يضاعف لها ثواب الحسنات (رزقا كريما) يعنى الجنة ، وقيل فى الدنيا ، والأول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فضلهن الله على النساء بشرط التقوى ، وقد حصل لهن التقوى لحصل التفضيل على جميع النساء ، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام اللين الذى يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء (فى قلبه مرض) أى فجور وميل للنساء ، وقيل هو النفاق ، وهذا بعيد فى هذا الموضوع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب من الكلام أو الذى ليس فيه شيء مما نهى عنه (وقرن فى بيوتكن) قرئ بكسر القاف ، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار فى الموضوع ، ثم حذف الراء الواحدة كما حذف اللام فى ظلت ، وأما القراءة بالفتح فمن القرار فى الموضوع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح ، والمشهور فى اللغة عكس ذلك ، وقيل هى من قارىقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح ، لأن سودة رضى الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقر فى بيوتنا ، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل ، وحينئذ قال لها عمر : إن الله أمرك أن تقرى فى بيتك (ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أى مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر ، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام ، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس ، والمراد به هنا النقائص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب على التخصيص ، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلى وكل من حرمت عليه الصدقة ، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة ، والبيت على هذا المسكن ، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير ، ولو أراد ذلك لقال عنكن وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية فى خمسة : فى ولد على وفاطمة والحسن

تَطْهِيرًا ۝ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۝ وَإِذْ تَقُولُ
لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ

والحسين (واذكرن) خطاب لآزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت ،
وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب ، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السنة (إن
المسلمين والمسلمات) الآية : سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا ، فنزل فيها ذكر النساء
(والمؤمنين والمؤمنات) الإسلام هو الانقياد ، والإيمان هو التصديق ، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف
المعنى كقوله « لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ، وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله « فأخرجنا من كان فيها من
المؤمنين » الآية ، وبالعموم فيكون الإسلام أعم ، لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخص لأنه بالقلب
خاصة ، وهذا هو الأظهر في هذا الموضوع (والقائتين والقائات) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة
(والصادقين والصادقات) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم (وما كان لمؤمن) الآية :
معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله
والضمير في قوله من أمرهم : راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع
المؤمنين والمؤمنات ، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها ، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا
يا رسول الله ، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها ، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن
أبي معيط (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) هو زيد بن حارثة الكلبي ، وإنعام الله عليه بالإسلام
وغيره وإنعام النبي صلى الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد بن حارثة بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي صلى الله
عليه وسلم ، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاضمها عليه ، وأراد أن يطلقها فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، يعنى فيما وصفها به من سوء المعاشرة
واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أبغض المباح
إلى الله الطلاق (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) الذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح
لإثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلم الله عليهم ألسنتهم وينالوا منه ، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة
لعرضه ، وذلك أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد بن حارثة ليتزوجها هو
صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها ، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفى الحرص عليها خوفا من كلام

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
 أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ
 فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ
 أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

الناس لثلاثا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه ، فالذي أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها فأبدي
 الله ذلك بأن قضى له بتزويجها ، فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتمت
 هذه الآية لشدها عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق
 زيد ، فالذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما علمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا أزوجنا كها)
 لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا
 الجماع ، والأحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله
 تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها ، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي
 صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات ، واستدل بعضهم بقوله زوجنا كها
 على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية
 (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة
 (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بعد زيد حلال
 لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له
 (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أى عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم ، وقيل الإشارة
 بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ماجرى ، والعموم أحسن ، ونصب سنة على المصدر ، أو على
 إضمار فعل أو على الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أوقف على
 إضمار مبتدأ ، أو نصب بإضمار فعل (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم) هذا رد على من قال في زيد بن حارثة
 زيد ابن محمد ، فاعترض على النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود
 الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أباهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابني
 بنته ، وأما ذكور أولاده فأتوا صغارا فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبي بعده صلى الله
 عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالتخاتم والطابع لهم ، فإن قيل
 إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة
 والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذ أنزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكر والله ذكرا
 كثيرا) اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ
 عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۚ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَاعْد
 لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۚ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۚ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۚ وَلَا تَطْعَمِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ
 عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۚ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي
 آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ
 خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ

على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) قيل
 إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر ، والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره ، وقال ابن عطية
 أراد في كل الأوقات فمد النهار بطرفه (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين ،
 وصلاة الله عليهم رحمة لهم ، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم ، فاستعمل لفظ يصلي في المعنيين على اختلافهما
 وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعني يوم القيامة ،
 وقيل في الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام ، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول
 الملائكة لهم سلام عليكم طبتم (إنا أرسلناك شاهدا) أي يشهد على أمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أي بأمر الله وإرساله
 (وسراجا منيرا) استعارة للنور الذي يتضمنه الدين (ودع أذانهم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا
 مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف ، والآخر احتمال إذابتهم لك
 وأعرض عن أقوالهم ، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذانكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية : معناه سقوط
 العدة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح في الآية هو العقد والمس هو الجماع ، وتعدونها من العدد (فتعوهن)
 هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى في البقرة وإن
 طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ، يقتضى أن المطلقة قبل الدخول
 وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو
 منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبي إنا أحلنا لك
 أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) في معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ
 كعائشة وغيرها ، وكان قد أعطاهن مهورهن ، والآخر أن المراد جميع النساء ، فأباح الله له أن يتزوج كل
 امرأة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما ملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين
 ويعنى بقوله أفاء الله عليك : الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته

دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ . وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءِيَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا .

من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لآبيه ، ولم يكن لآمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعنى بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال إن المراد بقوله أحللتنا لك أزواجك : من كانت في عصمته : فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته ، ومن قال إن المراد بجميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم (اللاتي هاجرن معك) تخصيص تحرز به من لم يهاجر كالإطلاق الذين أسلموا يوم فتح مكة (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) أباح الله له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لآهية نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أى إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هى التى وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث ، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية (خالصة لك من دون المؤمنين) أى هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف يرجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصرُوا على أربع نسوة ، وأيسح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو حاء أو صفة لامرأة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) يعنى أحكام النكاح من الصداق والولي والافتقار على أربع وغير ذلك (لكيلا يكون عليك حرج) يتعلق بالآية التى قبله أى بينا أحكام النكاح لثلاث يكون عليك حرج أو لثلاث يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز ، وقال الزحشرى يتعلق بقوله خالصة لك (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) معنى ترجى تؤخر وتبعد ، ومعنى تؤوى تضم وتقرب . واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإبواء ، فقيل إن ذلك فى القسمة بينهن : أى تكثير لمن شئت ، وتقل لمن شئت ، وقيل إنه فى الطلاق أى تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تنزوج من شئت ، وترك من شئت ، والمعنى على كل قول توسعة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل فى القسمة بين نسائه : أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير فى قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم (ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك) فى معناه قولان : أحدهما من كنت عزلته من نساءك فلا جناح عليك فى ردّه بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء فى إباحة ذلك فن للتبويض على القول الأول وأما على القول الثانى فحوق قولك من لفيك ومن لم يلقك سواء (ذلك أدنى أن تقر أعينهن) أى إذا علمن أن هذا

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي

حكم الله قرت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بين من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهن على بعض (لا يحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن ، قال ابن عباس لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن ، والقول الثاني : لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله . إنا أحلنا لك أزواجك : أى لا يحل لك غير من ذكر حسبنا تقدم ، وقيل معنى لا يحل لك النساء : لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف في حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحلنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته (ولأن تبدل بين من أزواج) معناه لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ما ملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أو لم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فنقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون ، فأمر وأن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكيم (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، والإنا الوقت ، وقيل إنا الطعام فضجه وإدراكه ، يقال أنى يأتي إناه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب أذب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يمتلهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس الأانس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا بالحديث أهل البيت ، واستأنسهم : تسمعهم وتجسسهم (إن ذلكم كان يؤذى النبي) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحى منكم) تقديره

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُولِكُمْ
وَقُلُوبِكُمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكُحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ
عَظِيمًا * إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ۝ أَبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَمْلُوكَاتِ إِيْمَنِهِنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ إِنَّ

يستجبي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستجبي من الحق : أى أن إخراجكم حق لا يتركه الله . (إذا
سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت في احتجاب
أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببها ما رواه أنس من فعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب ، وقيل
سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة
لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت في أمهات المؤمنين ، وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، كن
لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن متقبات ولا غير متقبات ، فخصصن
بذلك دون سائر النساء (ذلكنم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء
والنساء في أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نساءه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن
في آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوى محارمهن من القرابة وهم :
الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولا نسائهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات
لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوى الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن ، ويقوى الثاني أنهن
كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمنهن) واختلف فيمن أبيض لهن الظهور له من ملك
اليمن ، فقيل الإمامة دون العبيد ، وقيل الإمامة والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية ، ثم اختلف من ذهب إلى هذا
فقال قوم من ملكته من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع
العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية تشرى للنبي صلى الله
عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلى عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا
تسليما) الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلامي فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله
مرة في العمر ، وأما حكمها في الصلاة : فذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها
سنة وصفتها ماورد في الحديث الصحيح اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا
أما السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين
لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم على قريبا سمعته ، ومن سلم على بعيدا
أبغته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذابة الله هي

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا كَتَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكَ آدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلََّا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاجِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ
أَيْنَ مَا تُغْفَرُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْئَلُكَ النَّاسُ

بالإشراكه ونسبة الصاحبة والولد له ، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياءه الله ، والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى « يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياي فقول له إن لي صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقول له لا يعيدني كما بداني ، وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفة بنت حني (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهي ذكره ما فيه مما يكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإمام ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهم فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء بصورة إدناؤه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا العين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عينها ، وقيل أن تغطي نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإمام فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إمام يعرف بالسوء وربما تعرض لهم السفهاء (لئن لم يذنبه المنافقون) الآية : تضمنت وعيده هؤلاء الأصناف إن لم يذنبوا ، وقيل إنهم لم يذنبوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم في ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وقيل إنهم اتهموا واستروا أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرن الإيمان ويخفون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض ، والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلية في جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يحاجرونك فيها) ذلك لأنه ينبغيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جوارأ قليلا أو وقتا قليلا أو عددا قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليل على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثاني ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث ؛ أو حال من

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجَدُّونَ وَلَا يُنصَرُونَ * يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَسَلِّتِنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا . إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

ضمير الفاعل في يجاورونك تقديره سينفون معاونين (أيما تقفوا أخذوا) أي حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأسر (سنة الله) أي عادته ونصب على المصدر (في الذين خلوا من قبل) أي عادته في المنافقين من الأمم المنقمة وقيل يعني الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئاقريبا أوزمانا قريبا ، أولان تأنيثها غير حقيق (يوم تقلب وجوههم في النار) العامل في يوم قوله يقولون أو لا يجدون أو محذوف ، وتقلب وجوههم : تصرفها في جهة النار كما تدور البضعة في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أو تغيرها عن أحوالها (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بني إسرائيل ، وإذا يتهم له : ماورد في الحديث أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر ، فاعتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ، فمر في أتباعه على ملا من بني إسرائيل فرأوه سلبا بما قالوا ، فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا ، وقيل إذا يتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعني لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة هي التكليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي ، وقيل هي الأمانة في الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم في التكليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدرا كافررضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثاني أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنهما من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله (وحملها الإنسان) أي التزم الإنسان القيام بالتكليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والإنسان هنا جنس ، وقيل يعني آدم ، وقيل قابيل الذي قتل أخاه (ليعذب) اللام للضرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

سورة سبأ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ۝
وَيَرَى الَّذِينَ ءَاتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

سورة سبأ

(وله الحمد في الآخرة) يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ، وعلى هذا حمل الزمخشري
ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعمرم والاستغراق ، فجمع الحمد في الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه
الحمد في الآخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذي صدقنا وعده (ما يلبج في الأرض) أى يدخل فيها من المطر
والأموات وغير ذلك (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من المطر والملائكة والرحمة
والعذاب وغير ذلك (وما يعرج فيها) أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها (وقال الذين كفروا لا تأتينا
الساعة) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب (لا يعزب) أى لا يغيب ولا يخفى (ولا أصغر)
معطوف على مثقال ؛ وقال الزمخشري هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين
القراء السبعة في رفع أصغروا كبر في هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ،
ولمّا الخلاف في يونس (فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ (ليجزى) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله
لا يعزب أو بمعنى قوله فى كتاب مبين (والذين سعوا) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية هو معطوف
على الذين الأول ، وقد ذكر فى الحج معنى سعوا ، ومعاجزين (أليم) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض
صفة لرجز (ويرى) معطوف على ليجزى أو مستأنف ، وهذا أظهر (الذين أتوا العلم) هم الصحابة أو من
أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم (الحق) مفعول ثان ليرى ، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم
والضمير ضمير فصل (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنى محمداً صلى الله

كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مَرْقَمٍ لَنِي خَلَقْتُ جَدِيدًا ۖ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ
 جَنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۖ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْضِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ
 عَبْدٍ مُنِيبٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ الْحَدِيدَةَ ۖ إِنَّ أَعْمَلَ سَبْعَتْ وَوَقَدَّرَ
 فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ وَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ
 عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّةِ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ يَعْمَلُونَ

عليه وسلم (ينبئكم إذا مزقتم كل مرقم لاني خلق جديد) معنى مزقتم أى بليتيم في القبور وتقطعت أوصالكم
 وكل مزق مصدر ، والخلق الجديد : هو الحشر في القيامة ، والعامل في إدامعنى إنكم لاني خلق جديد . لأن معناه
 تبعثون إذا مزقتم ، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف ، وإنكم لاني خلق جديد معمول يذبئكم
 وكسرت اللام التي في خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم في الأرض ، ومرادهم
 استبعاد الحشر (أفترى على الله) هذا من جملة كلام الكفار ، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت
 ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب) هذا رد عليهم : أى أنه
 لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب ،
 ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة ، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ، ومحاولة ظهور الباطل (أفلم
 يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث ، وجعل
 السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ، لأنهما محيطتان بهم ، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن
 الذى خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم ، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله إن نشأ
 نحسفهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء : أى أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم
 فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله (إن في ذلك لآية) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض
 بأن فيهما آية تدل على البعث (يا جبال أوبى معه) تقديره : قلنا يا جبال ، والجملة تفسير للفضل ، ومعنى أوبى
 سبحى ، وأصله من التأويب ، وهو الترجيع ، لأنه كان يرجع التسييح فترجعه معه : وقيل هو من التأويب
 بمعنى السير بالنهار ، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها ، والطير بأصواتها (والطير) بالنصب عطف
 على موضع يا جبال ، وقيل مفعول معه ، وقيل معطوف على فضلا ، وقرئ بالرفع عطف على لفظ يا جبال
 (وألناله الحديد) أى جعلناه لينا بغير نار كالطين والعجين ، وقيل لأنله الحديد أشد قوته (سابغات) هى
 الدروع الكاسية (وقدر في السرد) معنى السرد هنا نسج الدروع ، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف
 ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها ، وقيل لا يجعل المسار دقيقا ولا غليظا (واعملوا صالحا) خطاب لداود
 وأدله (واسليمان الریح) بالنصب على تقدير وسخرنا ، وقرئ بالرفع على الابتداء (غدوها شهر ورواحها شهر)
 أى كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر ، وبالعشى مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل
 فيها روى أربعة آلاف فارس فترفعه الریح ثم تحمله (وأسلناله عين القطر) قال ابن عباس كانت تسيل له

لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَمَمْثِيلٍ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ
عِبَادِي الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ مَسْنَانِهِ فَلَمَّا خَرَّ
تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ
يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٍ ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ
وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ

باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود (نذقه من عذاب السعير) يعني نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار (محاريب) هي القصور ، وقيل المساجد وتماثيل قيل لأنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم (كالجواب) جمع حاية وهي البركة التي يجتمع فيها الماء (راسيات) أي ثابتات في مواضعها لعظمتها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية ما قيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أو مصدر في موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أو مفعول به (وقليل من عبادي الشكور) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم (دابة الأرض تأكل منسأته) المنسأة هي العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هي الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك سنته يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا بما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته (تبينت الجن) من تبين الشيء إذا ظهر ، وما بعدها بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وقيل تبينت بمعنى علمت ، وأن وما بعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفرهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك (في العذاب المهين) يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيرهم لهم في أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد في الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن (جنتان عن يمين وشمال) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف (كلوا) تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم (بلدة طيبة) أي كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام (فأعرضوا) أي أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء (فأرسلنا عليهم سيل العرم) كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرذ وهي دويبة خربته فيدست الجنتان ، وقيل لما خرب السد حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف في معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادي بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا
 لَيْلَى وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ *
 وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مَن هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ *
 قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن
 شَرِكٍ وَمَالُهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ
 رَبُّنَا

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجرذ الذي خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خمط وأثر وشى من سدر قليل)
 الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخمط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا
 والسدر شجر معروف ، وإعراب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل
 لا على خمط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكك الجنتان المذكورتان قيل أهدمهم الله منها جنتين
 بضد وصفهما في الحسن والأرزاق (وهل يجازى إلا الكفور) معناه لا يناش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور
 لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية
 وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم ، ويعنى بالقرى التي باركنا فيها الشام ، والقرى
 الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لا اتصالها ، وقيل مرتفعة
 في الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أى خارجها (وقدرنا فيها السير) أى
 قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعا
 ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعده
 بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يساعد
 بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز وينزقوا الأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر
 والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجحد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعنى بقولهم باعد بين
 أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم ، قيل
 تفرقوا أيدي سبأ ، وفي الحديث إن سبأ أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن
 منهم ستة وتشامم أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى وجد ظنه فيهم صادقا يعنى قوله لا غوينهم ،
 وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعتم) تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعنى بالذين
 زعتم آلهتهم ، ومفعول زعتم محذوف أى زعتم أنهم آلهة أو زعتم أنهم شفعا ، وروى أن ذلك نزل عند
 الجوع الذى أصاب قريشا (من شرك) أى نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)
 المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة
 إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، فى ذلك رد على
 المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ه قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ه قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ه قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ

تظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفرعون لذلك فرعا عظيما ، فإذا زال النزاع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضى ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاة الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولاى شيء وقعت حتى غائبة ؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ، ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرّون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار ، الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدهما على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) إخبار يقتضى مسألة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أى يحكم ، والفتح الحاكم (قل أروني الذي أحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم ، وكيف وجه الشركة ، وقيل هي رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول في أحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله أروني تحقير للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفي قوله كلاً ردع لهم عن الإشراف ، وفي وصف الله بالعزير الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَدْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدُمُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ
تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ
اسْتَضَعَفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَعْلَىٰ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۚ قُلْ
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي

عليه لا يجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس ، فكافة صفة للبصير المحذوف، وقال الزجاج
المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والتبشير ، فجعله حالاً من الكاف ، والنه على هذا للبالغة كالتاء في رواية
وعلازمة (قل لكم ميعاد يوم) يعني يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم في الدنيا ، وهو الذي سألوها عنه على
وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد (ولا بالذي بين يديه) يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل وإنما
قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في النوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذي
بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يديه الشيء هو ما تقدم عليه (ولو ترى) جواب لو محذوف
تقديره لرأيت أمراً عظيماً (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أي يتكلمون ويحجب بعضهم بعضاً (بل كنتم
مجرمين) أي كفرتم باختياركم لا بأمرنا (بل مكر الليل والنهار) المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل
مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكره مبتدأ وخبره محذوف ، أو خبر ابتداء مضمرة ، وأضاف مكر
إلى الليل والنهار على وجه الاتساع ، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز :
كقولهم نهاره صيام وليله قيام أي يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المسكر ودوامه بالليل والنهار ،
فإن قيل : لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين
استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثاني ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه (وأسرؤا
الندامة) أي أخفوها في نفوسهم ، وقيل أظهرها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين
(مترفوها) يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكبر قريش له (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) الضمير لقريش
أو للترفين المتقدمين : قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا
لا يعذبهم في الآخرة (قل إن ربِّي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه
في الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس ، فليس

تَقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا زُفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُمْنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجَلٌ يُرِيدُ أَن يَصِدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ۝ وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَرَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشِيًّا

في ذلك دليل على أمر الآخرة (زفَى) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربي (إلا من آمن) استثناء من المفعول في تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن (جزاء الضعف) يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها ففوق ذلك (يبسط الرزق) الآية: كررت لاختلاف المقصد، فإن المقصد بالأول على الكفار، والمقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإففاق (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله وجعلوا لله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية: في معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه: فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير في بلغوا للكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة أي أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير في بلغوا المتقدمين، وفي آتيناهم لقريش: أي ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان نكير) أي إنكارى يعني عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظكم بواحدة) أي بقضية واحدة تقريبا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمرة، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس

وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ ۚ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۚ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۚ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَـوُّشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

فيه اتباع هوى ولا ميل ، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه (مثنى وفرادى) حال من الضمير في تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومثابته عليه ، وأنه باع في الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيبدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ، وقيل هو استئناف (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً نخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ، ولكنه يريد البراءة من عطاءه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما سألكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمي ويستعار الإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفياهه أو يرمى الباطل بالحق فيذهب (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الضمير في يقذف أو من اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الاسلام (وما يبدي الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل ، وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً ، أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب ، والفعل ماض بمعنى الاستقبال ، وكذلك ما بعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من أرض بدر إلى القليب ، والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو للإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب ، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب ، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون ، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالايان حينئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنابيه (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماض فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيْتَانِهِمْ كَانُوا فِي شَكِّ مَرِيبٍ ۝

سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى
وثلث وربيع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ۝ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِذْ كُرُوا نَعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِ أَنْتُمْ كَافِرُونَ ۝ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَكَذَبْتَ رَسُولٌ مِمَّنْ
قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ
الْعُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُحْسَبِينَ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا

الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر
أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبمد أقوالهم عن الحق (وحيل بينهم وبين
ما يشتهون) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل
بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها (كما فعل بأشياءهم من قبل) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياءهم
لا تفاقهم في مذاهبهم ومن قيل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أو بأشياءهم على حسب معنى ما قبله (فى شك مرِيب)
هو أقوى الشك وأشدّه إظلاما

سورة فاطر

(جاعل الملائكة رسلا) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله (مثنى وثلث ورباع)
صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة
أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق ما يشاء) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ،
وقيل حسن الحظ ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال
الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل ما يمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فعنى الآية : لا مانع لما أعطى
الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنت الضمير فى قوله فلا ممسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما
يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما فسر من الأولى بقوله من رحمة الله لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر
على الأصل من التذكير (من بعده) أى من بعد إمساكه (هل من خالق غير الله) رفع غير على الصفة لخالق
على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة
حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو (وإن يكذبون) الآية : تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ
فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فُسَقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ . مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبُورُ . وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمِرُ مِنْ

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فصرهم الله (الغرور) الشيطان ، وقيل التسوييف (أفمن زين له سوء عمله) توقيف وجوابه محذوف تقديره : أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له ، ثم بنى على ذلك ما بعده ، فالذى زين له سوء عمله هو الذى أضله الله ، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم ، لأن ذلك بيد الله (كذلك النشور) أى الحشر ، والمعنى كما يحيى الله الأرض بالنبات كذلك يحيى الموتى (من كان يريد العزة) الآية تحتل ثلاثة معان : أحدها وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله ، فإن العزة كلها لله ، والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام ففنه العزة جميعاً ، فالمغالب له مغلوب ، والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً (إليه يصعد الكلم الطيب) قيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وتعليم العلم : فالعموم أولى (والعمل الصالح يرفعه) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه : الله ، وضمير المفعول للعمل الصالح ، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح : أى يتقبله ويثيب عليه ، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام الطيب ، وضمير المفعول للعمل الصالح ، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا بمن له كلام طيب ، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله ، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد ، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح ، وضمير المفعول للكلم الطيب ، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا بمن له عمل صالح ، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعه وحسن موقعه (يمكرون السيئات) لا يتعدى مكروئيه يمكرون المكورات السيئات فتكون السيئات مصدرأ أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه (ومكر أولئك هو يبور) البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكروهم يبطل ولا ينفعهم (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا وقيل ذكرانا وإناثا وهذا أظهر (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف

مُعْمَرٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ
مَوَآخِرَ لَتَبْتُغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُوهُمْ
لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى

أعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح
أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس
المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبداً ولا يثيبه إلا بحق والثاني أن المعنى لا يزداد في
عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق
فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم
تزيد في العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن
عمر : لودعا الله لزداد في أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل
من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص (وما يستوى البحرين)
قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان ، وسائغ في النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدايته
وإنعامه على عباده وقال الزمخشري إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر
وهذا بعيد (لحمًا طرياً) يعني الحوت (حلية تلبسونها) يعني الجوهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا
من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أى من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول
أن ذلك تجوز في العبارة كما قال ديامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ، والرسل إنما هي من الإنس
الثاني أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار
والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ
والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحس (مواخر) ذكر في النحل (يولج) ذكر في لقمان
(قطمير) هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف
أكثرها (يكفرون بشركم) أى ياشركم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل
أن يكون بكلام يخلفه الله عندها أو بقرينة الحال (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل
مخبر عالم به يعنى نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم (أنتم الفقراء إلى الله)
خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقراء بالالف واللام ليدل على اختصاص الفقير بجنس الناس وإن كان
غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغنى في مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

اللَّهُ بِزِينِهِ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّا اللَّهُ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ الْقُبُورِ * إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِن يَكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبُرِ

الحمد ليدل على جوده وكرمه الذى يوجب أن يحمده عباده (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لودعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (ولو كان ذا قرين) المعنى ولو كان المدعو ذا قرين بمن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسى نفسى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار (بالغيب) فى موضع حال من الفاعل فى يخشون أى يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس نفوسيتهم حق لارياهم (وما يستوى الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) تمثيل للكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور فى اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل لمن آمن وهو كالحى ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من فى القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشهدهم بالموتى فى عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت الأحياء وقد استدللت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ماورد فى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا فى القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى فى القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستائة سنة لم يعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغت فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست يبدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسى (تكبير) ذكر فى سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآخَرَ جَنَابًا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودَ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ . إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُؤْتِيَهُمُ اجْتِسَارًا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَهُ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ . ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْ ظَلَمَ لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ وَمَنْ سَابَقَ بِالْخَيْرَاتِ يَاذُنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَاءَتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافِرٍ

والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والاول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار ، يخاق ما يشاء ويختار وفيه رد على الطبايعيين لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد (جدد) جمع جدة وهي الخطاط والطرائق في الجبال (وغرابيب) جمع غريب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأباغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب (كذلك) يتعاقب بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلفة ألوانها والثمرات المختلفة ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية (إن الذين يملكون كتاب الله) أي يقرؤون القرآن وقيل معنى يملكون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف (لن تبور) أي لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب (ويزيدهم من فضله) توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك ، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله (مصدقا لما بين يديه) تقدم في البقرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريت عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث ، وجلالة القائلين به ، فإن قيل : لم قدم الظالم ووسط المقتصد وآخر السابق ؟ فالجواب : أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لثلاثيئس وآخر السابق لثلاثيئس يعجب بنفسه ، وقال

من ذهب ولو زراً ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور .
الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب . والذين كفروا لهم نار جهنم
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك تجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا
أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما
للظالمين من نصير . إن الله علم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور . هو الذي جعلكم خلائف
في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم
إلا خساراً . قل أريتكم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في
السموات أم اتينهم كتباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً * إن الله
يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً .

الزنجشري : قدم الظالم لكثرة الظالمين وأخر السابق لقلة السابقين (ذلك هو الفضل الكبير) إشارة إلى الاصطغاف
(جنات عدن) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن
(يدخلونها) ضمير الفاعل يعود على الظالم ، والمقتصد ، والسابق ، على القول بأن الآية في هذه الأمة :
وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزنجشري : إنه يعود على
السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد (أساور) ذكر في الحج (أذهب عنا الحزن) قيل هو
عذاب النار ، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم في ذلك كله (دار المقامة) هي الجنة والمقامة
هي الإقامة ، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة ، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها (نصب) النصب
تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن (بصطرخون) يفتعلون من الصراخ أى يستغيثون
فيقولون ربنا أخرجنا وفي قولهم غير الذي كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه (أو لم نعمركم) الآية
تويخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر (وجاءكم النذير) يعنى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل يعنى الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر (إنه عليم بذات الصدور) أى
بما تضمنه الصدور وتمتقده ، وقال الزنجشري ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب
الصدور (خلائف) ذكر في الأنعام (مقتاً) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه (قل
أريتكم شركاءكم) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذاهبهم (أم لهم شرك) أى نصيب (على بينة) أى على
أمر جلي والضمير فى أتيناهم يحتمل أن يكون الأصنام أو للمشركين وهذا أظهر فى المعنى والأول أليق
بما قبله من الضمائر (أن تزولا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن
يمسك بمعنى يمنع (ولئن زالتا) أى لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طي

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَإِن نَّجَدْنَا لَهُمُ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا يَكُن يُؤَخِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا *

سورة يس

مكية إلا آية ٤٥، فثنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أي من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدي منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجله (ومكر السيئ) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربي والأصل أن يقال المكر السيئ (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أى لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينتظرون لإعادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلا كههم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لا يفوته شيء ولا يصعب عليه (ماترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقى الآية وعد ووعد:

سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه بإنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمرة وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمرة (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (ما أنذر آباؤهم) مانافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا آباؤهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم، فاعلى هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أنام من نذير من قبلك

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . وَسَوْآءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ . وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . قَالُوا مَا آتَمَّ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ

ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقبون (أقد حق القول) أي سبق القضاء (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) الآية: فيها ثلاثة أقوال: الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنع من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى، والثاني أنها عبارة عن كفتهم عن إذابة النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا، والثالث أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها «فهم لا يؤمنون»، وقوله بعدها «وسواء عليهم ما نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (فهى إلى الأذقان) الذقن هى طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغل حلقة في العنق، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر، ولكنها تفهم من سياق الكلام، لأن المغلول تضم يدها في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود. إنا جعلنا في أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان. وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري (فهم مقمحون) يقال قح البعير إذا رفع رأسه، وأقح غيره إذا فعل به ذلك، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رءوسهم إلى الارتفاع، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير (وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية: السد الحائل بين الشيتين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان (فأغشيناهم) أي غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسواء عليهم) الآية: ذكرنا معناها وإعرابها في البقرة (إنما تنذر من اتبع الذكر) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه في فاطر (إننا نحن نحي الموتى) أي نبعثهم يوم القيامة، وقيل لإحيائهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأول أظهر (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحببوا حبسوه، وقيل الأثر هنا: الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث (إمام مبین) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم ما آتم إلا بشر مثلنا، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوبنا الاثنین برسول ثالث، قيل اسمه شمعون (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا
 إنا تطيرنا بكم لن لئ لم تنتهوا لئرجنكم ولیمسنكم منا عذاب الیم . قالوا طائرتكم معكم أين ذكركم بل أنتم
 قوم مسرفون . وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لايسألکم
 أجراً وهم مهتدون . ومالی لا أعبد الذی فطرني وإليه ترجعون * اتخذ من دونه الهة إن یردن الرحمن
 بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون * إني إذا لفي ضلال مبين . إني آمنت بربکم فاسمعون .
 قيل ادخل الجنة قال یلیت قومی یعلمون . بما غفرتي ربی وجعلني من المکرمين . وما أنزلنا علی
 قومه من بعده من جند من السماء وما کنا منزلين . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون .
 یسحره علی العباد ما یأتینهم من رسول إلا کانوا به يستهزون * ألم یروا کم اهلکننا قبلهم من القرون

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أي تشاء منا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل
 على ما يكون من شر أو خير، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا،
 وقيل فحطوا (قالوا طائرتكم معكم) أي قال الرسل لأهل القرية شوؤمكم معكم: أي إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب
 كفركم لا بسببنا (أين ذكركم) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفي الكلام حذف تقديره أتطيرون
 أن ذكركم (يسعى) أي يسرع بجده ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لايسألکم أجراً وهم
 مهتدون) أي هؤلاء المرسلون لايسألونکم أجرة على الإيمان فلا تخشون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون
 معهم الاهتداء في دينكم (ومالی لا أعبد الذی فطرني) المعنى أي شيء ينعني من عبادة ربی وهذا توقيف
 وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم (إن یردن الرحمن بضر لا تغن
 عني شفاعتهم) هذا وصف الآلهة، والمعنى كيف اتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقدونني من
 الضر (إني إذا لفي ضلال مبين) أي إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين (إني آمنت بربکم
 فاسمعون) خطاب لقومه أي اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل
 الجنة) قيل هنا مخزوف يدل عليه الكلام، وروى في الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات
 قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كاشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده
 منها (قال ياليت قومی یعلمون بما غفرتي ربی) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك
 ورد في الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك
 (وما أنزلنا علی قومه من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتاج
 في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة
 رسلاً كما قالت قريش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً لفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة
 بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا ننزل جنداً من السماء على أحد (فإذا هم خامدون) أي ساكنون لا يتحركون

أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ . وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَهُ بِأَكْلُونِ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمَنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ . وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَيَذَاهُمُ مَظْلُومُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ . وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا

ولا ينطقون (يا حسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس ، وقيل المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم (ألم يروا) الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهي لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقلية ، وقرئ بالتشديد وهي بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وما عملته أيديهم) ما معطوفة على ثمره أي لياً كلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل مانافية وقرئ ما عملت من غيرها وما على هذا معطوفة (الأزواج) يعني أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله بما تنبت الأرض وما بعده ، فمن في المواضع الثلاثة للبيان (وما لا يعلمون) يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا تعلمون (نساخ منه النهار) أي تجرده منه وهي استعارة (والشمس تجري لمستقر لها) أي لخدموت تنتهي إليه من فلكها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكثور ، وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، وقرئ لا مستقر لها أي لا تستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولا بد في قدرناه من حذف تقديره قدرناه سيره منازل ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أوليبتين ، وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواضع النجوم : وهي السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزباني ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعام ، البلدة ، سعد بلع ، سعد الذابح ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى في نقصانه والتشبيه في ثلاثة أوصاف : وهي الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) المعنى لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة وسير

لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرِ كُبُونٌ * وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَاصِرِيخٍ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُدُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ *
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَاتَاتِبِهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِحَّةَ

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك في شهر و البطيء لا يدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعني أن كل واحد
منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتي الليل حتى يفصل النهار ، كما لا يأتي النهار حتى
يفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس : أي لا يجتمع معه
فيكون المعنى كالذي قيل في قوله « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع
القمر وأن القمر لا يجتمع مع الشمس (وكل في فلك يسبحون) ذكر في الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه
السلام ، وأما الذرية فقيل إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها
تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعني النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ،
في معنى جنس بني آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى
يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة ، وسماه ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ،
فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله ماير كبون) إن أراد
بالفلك سفينة نوح فيعني بقوله من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني
بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير ، والأول أظهر ، لقوله
وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن (فلاصريخ لهم) أي لا مغيث لهم ولا منقذ لهم
من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج
نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا لإياهم (ومتاعا إلى حين) يعني آجالهم (وإذا قيل
لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا
كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب
الأمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعمن لو يشاء الله أطعمه) كان النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ،
وفي معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم
الله نحن نحرمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآخر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن
المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله ، فكأن الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله
هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ، ومقصدهم في الوجهين احتجاج بلخهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن
حرضهم على الصدقات (إن أنتم إلا في ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون

وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكُونُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ . سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ . وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ . أَلَمْ نَعِدْكُمْ يَوْمَ تَبَايَعْتُمْ بَيْنَكُمْ أَلَمْ نَعِدْكُمْ يَوْمَ تَبَايَعْتُمْ بَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . أُصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ . الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم (ما ينظرون إلا الصيحة واحدة) أى ما ينتظرون إلا الصيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يخصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدر أن يوصوا بمالهم وما عليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور، والأجداث هى القبور، وينسلون يسرعون المشى، وقيل يخرجون (قالوا يا ويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقديحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبى بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبيهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقرير (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو اقتضاض الأبقار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللذات (فاكهون) قرئ بالالف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة، (على الأرائك) جمع أريكه وهى السرير (ولهم ما يدعون) أى ما يمتنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتهم (سلام) مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدره مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أفلا عشرة آلاف ولا نهاية لاكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهى لغات

لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۚ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا
مُضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ ۚ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ۚ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۚ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ
أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۚ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۚ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ

بمعنى واحد (اليوم نختم على أفواههم) أى تمنعهم من الكلام فتتقأ أعضاؤهم يوم القيامة (ولو نشاء لطمسنا
على أعينهم) هذا تهديد لقريش ، والطمس على العين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يراد به
النفى . فعنى الآية لو نشاء لأعميناهم لم يروا ، وأن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى
لو نشاء لخمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير (ولو نشاء لمسخناهم) هذا تهديد
بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قرده وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين
لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا (على
مكاتبتهم) المكاتبة المكاتب ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم (فما استطاعوا مضيا
ولا يرجعون) أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقدرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا (ومن نعمه ننكسه فى الخلق)
أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى «ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة ، وإنما قصد بذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكييس الإنسان
إذا هرم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) الضمير ان لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على
الكفار فى قولهم إنه شاعر ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر
كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبى لا كذب : أنا ابن عبدالمطلب
وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله مالقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر
فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر ، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد ، فهو كالشعر المنثور ،
ومثل هذا يقال فى مثل ما جاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقتضى قوله «وما ينبغي له» تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم
عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيئه أ كذبه ، وليس كل الشعر كذلك
فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن من الشعر لحكمة ، وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما
الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح (إن هو إلا ذكر) الضمير للقرآن يعنى
أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم (لينذر من كان حيا) أى حتى القلب والبصيرة (ويحق القول
على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاماً) مقصد الآية تعديد
النعم وإقامة الحجة ، والأيدى هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى
يجب الإيمان به وعلمه عند الله (فمنها ركوبهم) الركوب بفتح الراء هو المر كوب (ولهم فيها منافع) يعنى
الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره (ومشارب) يعنى الألبان (لا يستطيعون نصرهم)
الضمير فى يستطيعون الأصنام ، وفى نصرهم المشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه
لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ *
 فَلَا يَحِزُّكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ *
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ
 خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ * فَسَبِّحْنَا الَّذِي يَدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

(وهم لهم جند محضرون) الضمير الأول للبشر كين والثاني للأصنام يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة والأول أرجح لأنه تقييح لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم معللة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك ، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلق مرة أخرى عند البعث ، وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد من يحيي هذا وقيل إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم (فإذا هو خصيم مبين) أي متكلم قادر على الخصام يبين ما في نفسه بلسانه (وضرب لنا مثلا) إشارة إلى قول الكافرين من يحيي هذا العظم (ونسى خلقه) أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك (وهي رميم) أي بالية متفتتة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) استدلال بالخلق الأولى على البعث (وهو بكل خلق عليم) أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبايعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية . فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلئ ماء مع مضادة طبع الماء للنار ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والغار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على الغار فتندح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنة في المرخ والغار أكثر (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمها وكبر أجزائها قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها والضمير في مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك في قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذي يده ملكوت كل شيء) في هذا استدلال على البعث وتنزيهه لله عما نسبته الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا والله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرته الله سبحانه وتعالى .

سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَهُمْ
لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ۝ بَرِيَّةٌ الْكَوَاكِبِ ۝
وَحَفَظًا ۝ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَقْتَمُوهُمْ أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا ۝ أَمْ مِنْ خَلْقِنَا ۝ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

سورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فقيل هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بنى آدم في السنوات والجهاد والاول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بنى آدم وقيل هي آيات القرآن المنضمة للزجر عن المعاصي (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بنى آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغرب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب ، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغرب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها (بريئة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدراً واسماً لما يزان به فإن كان مصدراً فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكواكب اسماً أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسماً فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتوین زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظاً) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظاً أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً (مارد) أى شديد الشر (لا يسمعون إلى الملاء الأعلى) الضمير في يسمعون للشياطين والملاء الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع ففي السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد والاول أرجح لقوله «إنهم عن السمع لمعزولون» ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أى يرمون بمعنى الكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجحة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجحة ترى حركتها قربها منا قال ابن عطية وفي هذا نظر (دحوراً) أى طرداً وإبعاداً وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعراجه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصل) أى دائم لأنهم يرمون

مَنْ طِينَ لَأَزْبَ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۖ وَقَالُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَعْدَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعَظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ
وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا يَا بُولَيْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى
صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۖ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ۖ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۖ وَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

بالجحيم في الدنيا ثم يقذفون في جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من في موضع رفع بدل من الضمير في قوله لا يسمعون
والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أي شديد الإضاءة (فاستفتهم
أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من بعث بقوله ويجعل
حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة
والسموات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن
مسعود أم من عددنا مقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد
خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادةكم بعد فنائكم (إنا خلقناهم من طير لازب) اللازب
اللازم أي يلزم ما جاوره ويلصقه ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقه بنى آدم ، (بل عجبتم ويسخرون) أي عجبتم
يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبتم من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ
عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتألوله بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها
الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبتم وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم
يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب
استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب بل هو مجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل
على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (وإذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة
كانشق القمر ونحوه وروى أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن
ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر
وقيل يبالغون في السخرية (أنذا كنا تراباً) لآية: معناه استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في
الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطفًا بأو) (قل نعم وأنتم
داخرون) أي قل تبعثون والداخر الصاغر الدليل (زجرة واحدة) هي النفخة في الصور للقيام من القبور (فإذا
هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين)
يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله أو مما يقال لهم مثل الذي بعده (احشروا) الآية: خطاب للملائكة
خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً (وأزواجهم) يعني نساؤهم المشركات وقيل يعني أصنامهم وقرناءهم
من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعني الأصنام والأدميين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط
الجحيم) أي دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسئولون) يعني إنهم يسألون عن أعمالهم وتوبخا لهم وقيل يسألون

بعض يتساءلون . قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين . وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طغين . حَقَّ علينا قول ربنا إنا لذائقون . فأغوينكم إنا كنا غوين * فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون . إنا كذلك نفعل بالجحيم . إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين . إنكم لذائقوا العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون * إلا عباد الله المخلصين * أولئك لهم رزق معلوم . فواكه وهم مكرمون . في جنات النعم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشريين .

عن قول لا إله إلا الله والأول أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهم بهم فيكون مسئولون عاملاً فيما بعده والتقدير يقال لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر (مستسلمون) أي منقادون عاجزون عن الانتصار (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) الضمير في قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمن هنا يحتمل ثلاث معان الأول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه والثاني أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمرونا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أي كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم في ذلك وتبعمكم (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) الضمير في قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (حَقَّ علينا قول ربنا إنا لذائقون) أي وجب العذاب علينا وعليكم ، وإنا لذائقون : معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأنا ذائقون العذاب (فأغوينكم إنا كنا غوين) أي دعوناكم إلى الغي ، لانا كنا على غي (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار (يقولون إنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون) الضمير في يقولون لكفار قريش ، ويعنون بشاعر مجنون : محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فرد الله عليهم بقوله (بل جاء بالحق) أي جاء بالتوحيد والإسلام ، وهو الحق (وصدق المرسلين) الذين جاؤا قبله : لأنه جاء بمثل ما جاؤا به ، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن ، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها في كل موضع ، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير ، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالإنس ، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم الولدان ، حسبما ورد في الآية الأخرى ، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس ، وقيل الكأس إناء واسع الفم ، ليس له مقبض ، سواء كان فيه خمر أم لا ، والمعين : الجاري الكثير ، ووزنه فعيل ، والميم فيه أصلية ، وقيل هو مشتق من العين ، والميم زائدة ، ووزنه مفعول (لذة) أي ذات لذة ، فوصفها بالمصدر

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٍ ۖ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّسْكُونٌ ۖ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَأَنَّىٰ لِمَن الْمَصْدَقِينَ ۖ أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَدِينُونَ ۖ قَالَ هَلْ أَتَمُّ مَطْلَعُونَ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۖ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُدتَ لَتُرْدِينَ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۖ أَفَأَنخُبُ بِمَيْتِينَ ۖ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۖ أَذَلِكُمْ خَيْرٌ نَّزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۖ

اتساعا (لا فيها غول) الغول : اسم عام في الأذى والضير ، ومنه يقال غاله يغوله : إذا أهلكه . وقيل الغول وجع في البطن ، وقيل صداع في الرأس ، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا ، لأن الغول فيها (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون من خمر الجنة ، ومنه النزيف ، وهو السكران ، وعن هنا سببية ، كقولك فعلته عن أمرك ، أي لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناه أنهم قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جمع عيناء ، وهو الكبيرة العينين في جمال (كأنهن بيض مسكون) قيل شبههن في اللون ببيض النعام ، فإنه يياض خالطه صفرة حسنة ، وكذلك قال امرئ القيس ۖ كبكر مقناة البياض بصفرة ۖ وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق ، وهو الممكنون المصون تحت القشرة الأولى ، وقيل أراد الجوهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزخشرى هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم ، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب ، بما جرى لهم في الدنيا (إني كان لي قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر ، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجن (يقول أنك لمن المصدقين) معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة (المدينون) أي مجازون ومحاسبون على الأعمال ، ووزنه مفعول ، وهو من الدين ، بمعنى الجزاء والحساب (قال هل أتم مطلعون) أي قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة ، أو للبلائكة أو لخدامه ، هل أتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها ، وروى أن في الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (في سواء الجحيم) أي في وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أي تهلكن يا غواثك ، والردي الهلاك ، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار (من المحضرين) في العذاب (أفأنا نحن بميتين) هذا من كلام المؤمن ، خطاب لقرينه أو خطابا لرفقائه في الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا (إن هذا هو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن ، أو من كلام رفقائه في الجنة أو من كلام الله تعالى ، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله (لمثل هذا فيعمل العاملون) والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به ، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا ففيه تخصيص على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة ، وكل ما ذكر من وصفها ، وقال الزخشرى الإشارة إلى قوله رزق معلوم ، والنزل الضيافة ، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيتين ، ليس بينهما اشتراك ، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنه للظالمين) قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم ، قالوا كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق

إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَهَذَا الْبُطُونُ مِنْهَا الْبُطُونُ .
 ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشُوبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ . إِنَّهُمْ أَقْوَامٌ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى
 أَثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ . وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُنذَرِينَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ .
 وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ اغْرَقْنَا الْآخِرِينَ . وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ . إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . إِذْ قَالَ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ . أَفَبِكُلِّ أَلْهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَانظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ .

الشجر ، فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا و قيل معناه ، عذاب الظالمين في الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي تذب في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برؤس الشياطين مبالغة في قبحة وكرهته ، لأنه قد تقرّر في نفوس الناس كرهاها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوبا من حميم) أي مزاجا من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بثم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان ، فالمعنى أنهم يماؤن البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم ، والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكروه (يهرعون) الإهراع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح) أي دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم) يعني الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافث (وتركنا عليه في الآخريين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكية أي تركنا هذه الكلمة ، يقال له يعني أن الخلق يسلمون عليه فيبدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثاني والأول أظهر ومعنى في العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا في الناس أي أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثاني : أن السلام عليه ثابت في العالمين ، وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم) الشيعة الصنف المتفق ، فمعنى من شيعته من على دينه في التوحيد ، والصمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر (إذ جاء ربه) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المحيىء بالجد (بقلب سليم) أي سليم من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أنفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعراجه هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أنفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أنفكا مصدر في موضع الحال ، تقديره آفسيكين أي كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْتَقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
ضُرَبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا
فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فآرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي

(فما ظنكم برب العالمين) المعنى أى شئ تظنون برب العالمين ، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أى شئ تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه ، فالقصد على المعنى الأول تهديد وعلى الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إني سقيم) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم ، فحينئذ قال إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم ، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذة الحمى فى وقت معلوم ، فنظر فى النجوم ليرى وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى ، والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد وقوله إني سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا ، ويعارض هذا ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ، أحدها : قوله إني سقيم ، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا ، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام ، ويحتمل أن يكون من المعارض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض ، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى ، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث ، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء ، عند أهل التحقيق ، أما المعارض فهى جائزة (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه إعراسا عنه وخرجوا إلى عيدهم ، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى يخافوا منه وتباعدا عنه مخافة العدوى (فراغ) أى مال (فقال ألا تأكلون) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام (ضربا باليمين) أى يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالخلف ، وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم ، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع الحال (يزفون) أى يسرعون (قال أتعبدون ما تحتون) أى تنجرون والنحت التجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب (والله خلقكم وما تعملون) ذهب قوم إلى أن ما مصدرية ، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد ، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التى تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام ، وقيل إنها نافية ، وقيل إنها استفهامية ، وكلاهما باطل (قالوا ابنوا له بيوتنا) قيل البيوت فى موضع النار ، وقيل بل كان للمنجنيق ، الذى رمى عنه (فأرادوا به كيدا) يعنى حرقه بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أى المغلوبين (وقال إني ذاهب إلى ربى سيديين) قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار ، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام ، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيديين على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۚ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْٓ اِنِّىْ اَرَىٰ فِى الْمَنَامِ اَنِّىْ اُذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَاسَبْتُ اَفْعَلُ مَا تَوْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ ۚ فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنَ ۚ وَنَدِيْنَهُ اَنْ يَّابْرٰهِيْمُ ۚ قَدْ صَدَّقَت الرُّءْيَا اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ۚ اِنَّ هٰذَا لَهٗوَ الْبَلٰءُ الْمُبِيْنُ ۚ وَفَدِيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيْمٍ ۚ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِى الْاٰخِرِيْنَ ۚ سَلَّمْ عَلٰى اِبْرٰهِيْمَ ۚ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ۚ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ۚ

الدين والدنيا ، وعلى القول الثانى إلى الجنة ، وقالت المتصورة معناه إنى ذاهب إلى ربى بقلبي أى مقبل على الله بكيتى تاركاً سواه (رب هب لى من الصالحين) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حلیم) أى عاقل واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثانى أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحاق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبيح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب على بن أبى طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوإدى إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثانى أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب لإسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله (فلما بلغ معه السعى) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حيثئذ ابن ثلاثة عشر سنة (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبيح وهو الفعل أو أمر فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثانى أظهر فى قوله افعل ما تومر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين (فانظر ماذا ترى) إن قيل لم شاورة فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاورة ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب (فلما أسلما) أى استسما وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أى صرعه بالأرض على جبينه وللانسان جبينان حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناها والواو زائدة (قد صدقت الرؤيا) يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت حقها من العمل ، فإن قيل إنه أمر بالذبيح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبيح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه (البلاء المبين) أى الاختبار المبين الذى يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة (وفدينا بذبح عظيم) الذبيح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكعبش الذى فدى به ، وروى أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكعبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه مقبل ، وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم أشدد رباطى لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عنى

وَبَشَرْتَهُ يُنْحِقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحَمَّدًا وَظَلَمَ لِنَفْسِهِ مِيقَانَ ۖ
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَبَجَيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَرُوا ۗ أَلَمْ نَكْفُرِكُمْ
 وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 أَلَا تَتَّقُونَ ۖ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۖ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۖ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَنَّهُمْ مُّخْضَرُونَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنْ لَوْ طَأَّ لِمَنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عَجُوزًا
 فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ۖ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنَ
 الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۖ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۖ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ۖ فَلَوْلَا

لئلا ترحمي وأنه أمر الشفرة على حلقة فلم تقطع حينئذ جابه الكعبس من عند الله وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركانه لعدم صحة (كذلك نجزي المحسنين) إن قيل لم قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا، وقال في غيرها إنا، فالجواب أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها: إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد مَنَّنا على موسى وهارون) يعني بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعني التوراة ومعنى المستبين البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع (وإن إياس لمن المرسلين) إياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إياس المذكور في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أتدعون بعلا) البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإياس، وقيل لآبيه، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقرئ إياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إياس أو منسوب لإياس حذف منه الياء كما حذف من أعجمين، وقيل سمى كل واحد من آل ياسين إياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في إياس (عجوز في الغابرين) قد ذكر (وإن يونس لمن المرسلين) قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه يخاليل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب (فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحااجة وسبب مقارعة أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجر، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقرع لنرى على من تخرج

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَسْبُوحِينَ ۝ لَلْبَثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَاسْتَغْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمْ
الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَآتُوا بِكُتُبِكُمْ

القرعة فنطره فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى فعل ما يلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسديحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حسبما حكى الله عنه في الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا على معنى صلواته في بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف في مدة بقاءه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً (فنبتناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل وقيل يعنى الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتناه عليه شجرة من يقطين) أى أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللبس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يمتثل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والأول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعنى رسالته الأولى التي أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر (أوزيريدون) قيل أوهنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى اللابها م وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا فاستغناهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين : يعنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس فى قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون) قال الزمخشري إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى فى أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى أسألم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم فى قولهم ولد الله ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالككم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى فى موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالككم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فآتوا بكتابتكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجَنَّةَ إِذْ أَنْتُمْ مُحْضَرُونَ ۖ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ *
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۖ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۖ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۖ وَمَا مَنَّا
 إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۖ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۖ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا
 ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۖ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الضمير في جعلوا لكفار العرب وفي معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بني آدم كالجن والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله ، والقول الثاني أن الجن هنا الشياطين ، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) من قال إن الجن الملائكة فالضمير في قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أي قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أي قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب ولكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح الجحيم) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مضلين والضمير في عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلي الجحيم أي لا تقدر على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشري الضمير في عليه يعود على الله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام ، تقديره ما منا ملك إلا وله مقام معلوم ، وحذف الموصوف لفهم الكلام ، والمقام المعلوم: يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه ، لأن منهم من هو في السماء الدنيا ، وفي الثانية ، وفي السموات ، وحيث شاء الله ، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف (وإنا نحن الصافون) أي الواقفون في العبادة صفوفاً ، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقتدوا بالملائكة ، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون (وإنا نحن المسبحون) قيل معناه المصلون ، لأن الصلاة يقال لها تسبيح ، وقيل معناه القائلون سبحانه الله ، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له ، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتزبه له ، وبدل هذا الكلام أيضاً على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة ، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين ، والأول أشهر (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الضمير لكفار قريش وسائر العرب ، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكننا عباد الله المخلصين (فكفروا به) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يتقدم له ذكر (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد لهم على كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون

الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ • فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ
يَبْصُرُونَ • أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ • فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ • وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصُرْ
فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ • سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

المعنى سبق الفضاة بأن المرسلين منصورون على أعدائهم (وإن جندنا لهم الغالبون) هذا النصر والغلبة بظهور الحججة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء في القتال ، وبالسعادة في الآخرة (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم ، وذلك موادة منسوخة بالسيف ، والحين هنا يراد به يوم بدر ، وقيل حضر آجالهم ، وقيل يوم القيامة (وأبصر فسوف يبصرون) هذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (فإذا نزل بساحتهم) الساحة الفناء حول الدار ، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور وسوء (فسأ صباح المنذرين) الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا ، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار ، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم (وأبصر) كرر الأمر بالتولى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد ، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا ، وبالثنائي عذاب الآخرة ، فإن قيل : لم قال أولا أبصرهم ، وقال هنا أبصر ، فحذف الضمير المفعول ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا ، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول ، فإنه في قريش خاصة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار بما لا يليق به ، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة ، والعزة إن أراد بها عزة الله : فعنى رب العزة ، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها ، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين : فعنى رب العزة مالكها وخالقها ، ومن هذا قال محمد بن سحنون : من حلف بعزة الله ، فإن أراد صفة الله فهى يمين ، وإن أراد العزة التى أعطى عباده فليست بيمين ، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون ، وأما الحمد لله ، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

سورة داود عليه السلام

(ص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد ، وقيل هو حرف

قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ۚ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ
 كَذٰبٌ ۚ أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ اِلٰهًا وَّاحِدًا اِن هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۚ وَاَنْطَلَقَ الْمَلٰٓئِكَةُ مِنْهُمۡ اَنۢ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰٓى
 اِهْتِكُمْ اِن هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ اِن هٰذَا اِلَّا اُخْتِلَاقٌ ۚ اَنْزَلَ عَلَیْهِ الذِّكْرُ مِنْ

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله ، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك، وقيل جوابه فى قوله ص إذ هو بمعنى صدق محمد ، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد ، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد ، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف ، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الذين كفروا يعنى قريشا ، وبل للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق ، والعزة التكبر ، والشقاق العداوة وقصد المخالفة ، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاحم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا وولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك ، وولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث ، كما زيدت فى ربت وثمت ، ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمرة ، وحين مناص خبرها ، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه حين مناص ، والمناص المفتر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم ، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثاهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمرة قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلها واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد ، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فكلمه أبو طالب فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم إنما يريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم ، وتدين لهم بها العرب ، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحداً (وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا) انطلق الملائمة عبارة عن خروجهم عن أبى طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر ، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده (إن هذا لشيء يراد) هذا أيضاً مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان : أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه ، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا لشيء ينبغى أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شيء يريد به الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضاً مما حكى الله عنهم من كلامهم أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة ، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالثلاث لا بالتوحيد ، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا ، وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابَ ۚ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۚ أَمْ لَهُمْ
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۚ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب * كذبت
 قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ۚ وثمود وقوم لوط وأصحاب لئيمكة أولئك الأحزاب ۚ إن
 كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ۚ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ۚ وقالوا ربنا عجل

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكي من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة الإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم في شك من ذكرى) هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذکر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) هذا أيضا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاءوا، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأم أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا في الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتمكيم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلام والطرق وشبه ذلك بما يوصل به إلى العلو، وقيل هي أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقدهزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعنى قريشا والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهى نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أوشدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما لها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأولى ما لها رجوع أى لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثانى ما لها من ترداد: أى إنما هى واحدة لا ثانية لها: الثالث ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهى ما بين حلبتى اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجرى على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۝ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا نَسْخَرُنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يَسْبَحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۝ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ۝
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ ۝ بَغَىٰ بَعْضُنَا

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) القط في اللغة معنيان : أحدها الكتاب ، والآخر النصيب ، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أى دعوا أن يجعله الله لهم في الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أظمر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) الأيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجاع إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره بذكر داود ؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدته ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزاني وحسن المآب ، فكانه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك نعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون ، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزاني وحسن المآب ، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإناعام عليهم لتقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابهم شدائد ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذابة قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون ، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثلا لا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعنى وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أى تضىء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فالوعاء (محشورة) أى مجموعة (كل له أواب) أى كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أى يرجع إلى أمره (وآتيناه الحكمة) قيل يعنى النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال على بن أبى طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعى ، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشري : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى « إنه لقول فصل ، (وهل أتاك نبأ الخضم إذ تسوَّروا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ

للخطاب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور وانفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأقى بفتيا هي واقعة عايه في نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسند ذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوروا المحراب علوا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجىء الضمائر في تسوروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا قول الزمخشري (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) العامل في إذ هنا تسوروا، وقيل هي بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أنك أو تسوروا ورد الزمخشري ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أنك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل إن ذلك كان ليلا (خصمان بغى بعضنا على بعض) تقديره نحن خصمان، ومعنى بغى تعدى (ولا تشطط) أي لا تجر علينا في الحكم، يقال شطط الحاكم إذا جار، وقرئ في الشاذ لا تشطط بفتح التاء: أي لا تبعد عن الحق، يقال شطط إذا بعد (سواء الصراط) أي وسط الطريق، ويعنى القصد والحق الواضح (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أثنى بقرة الوحش وعلى أثنى الضأن، وهى هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها أملاكها إلى وأصله جعلها في كفالتي، وقيل جعلها كفلى أي نصيبى، ومعنى عزني في الخطاب أي غلبني في الكلام والمحاورة يقال عز فلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأة فيزوجها إذا أعجبت، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبت فساله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ولى نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابها داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملائكان عند ذلك

كثيراً من الخُطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزَنِيًّا وَحَسَنَ مَّآبٍ . يَدَّأُوذُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ

وذهباً ولم يرهما ، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر را كعاً وأناب) ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعاً ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتزهد عنه لعلوا مرتبته ومثاقبه دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا ، وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه فد يده لياخذه فطار على الكوة فصعد داود لياخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبه ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأة ته فتعرب عليه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بمدته مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها ، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعل ، وإنما وقعت المعاتبة على هم ، بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة ، وروى أيضا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبطل كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى يالي لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخطايع ليبغى بعضهم على بعض) الخطايع هم الشركاء في الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشركة . الأذى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بقي ، والتسوية بالتأسي للخصم الذي بقى عليه (وقليل ما هم) مازائدة للتأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالأمر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر را كعاً وأناب) معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك في السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعي ، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزنينا وحسن مآب) الزنني القربة والمباينة الرفيعة ، والمآب المرجع في الآخرة (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) تقديره

يَضَلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا
ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ
فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ۝ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفَوْنَ الْجِيَادِ ۝ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ *

قال الله ياداود ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لا يقال خليفة الله إلا النبي ، وأما الملوك
والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز (وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما باطلا) أى عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالفهما (ذلك ظن الذين كفروا)
المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ،
فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الآخروي (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الأرض) أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار : أى أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل
يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء ، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضا وعد ووعد
(إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه
ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذي يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد
السريعة الجري واختلف الناس في قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان
ورثها عن أبيه وقيل أخرجه لها الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر
فتشاعل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي «العصر» فأسف لذلك ، وقال ردوا على الخيل وطفق
يضرب أعناقها وعراقبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله
أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان
وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأى ذنب للخيل في تفويت الصلاة
فقال بعضهم : إنما عقرها لياكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم
لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها
فلما فرغ من صلاته قال رُدُّوها عليّ نطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما
في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف
على حسب الاختلاف في القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة
فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير ،
وأحببت بمعن آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حب الخيل فشتغلن عن ذكر ربى ، والآخر
أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى «أوترك خيرا ، أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۚ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۚ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۚ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلتني عن ذكر ربي وأما الذين قالوا كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، وشغلتني ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها ، والمعنى حتى غابت الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر (ردوها علي) أي قال سليمان ردوا الخيل علي (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعنى سوق الخيل وأعناقهم : أي جعل يمسحها مسحاً ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها ، أو وسماً للتجسس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها ، وفي ذلك أربعة أقوال : الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيراً لاسم الله تعالى ، فنزعه يوماً ودفعه إلى جارية فتمثل لها جنى في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صنخر فقعد على كرسى سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فازا بنفسه فأصابه الجرع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه ، وكان الجنى قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنه سليمان على هذا هي ماجرى له من سلب ملكه ، والجسد الذى ألقى على كرسيه هو الجنى الذى قعد عليه وسماه جسداً ، لأنه تصور في صورة إنسان ، ومعنى أناب رجوع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجوع إلى ملكه ، والقول الثانى أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان فسأته أن يضع لها صورة أبيها فاطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جوارها وصار صنمها معبوداً في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً ، فلما علم به كسره فالفتنه على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولداً وكان يحبه حباً شديداً فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبداً فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنه على هذا حبه الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ، القول الرابع أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتى كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنه على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو شق الإنسان الذى ولد له ، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسايط الشياطين عليه ، وأما القول الثانى فضعيف أيضاً مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي ، أو يأمر نبي بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً ، وأما القول الرابع فنجد روى في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم ، فإن قيل : لآى شئ قال لا ينبغي لأحد من بعدى ، وظاهر هذا طلب الانفرد به حتى قال فيه الحجاج

وَعَوَّاصٍ ۝ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

إِنَّهُ كَانَ حَسُودًا؟ فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِثَلَاثِ يَجْرِي عَلَيْهِ مِثْلُ مَا جَرَى مِنْ أَحْزَانِ الْجَنَى الْمَلِكِ، فَقَصِدُ أَنْ لَا يَسْلُبَ مَلِكُهُ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ وَيَصِيرَ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ لِيَكُونَ مَعْجِزَةً وَدَلَالَةً عَلَى نُبُوته (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) مَعْنَى رِخَاءً لِيُنْفِثَ طَيْبَةً، وَقِيلَ طَائِعَةً لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْجَمْعَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ عَاصِفَةً فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَحَيْثُ أَصَابَ: أَي حَيْثُ قَصِدُ وَأَرَادَ (وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بِنَاءٍ وَعَوَّاصٍ) الشَّيَاطِينُ مَعْطُوفٌ عَلَى الرِّيحِ وَكُلُّ بِنَاءٍ يَدُلُّ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَي سَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ وَالشَّيَاطِينُ مِنَ بَنِي مَنْهُمْ وَمَنْ يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ (وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) أَي آخِرِينَ مِنَ الْجَنِّ مَوْثُورِينَ فِي الْقَيْودِ وَالْأَغْلَالِ (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ أَعْطُ مِنْ شِئْتُمْ وَأَمْنَعُ مِنْ شِئْتُمْ، وَقِيلَ الْمَعْنَى أَمْنُنْ عَلَى مَنْ شِئْتُمْ مِنَ الْجَنِّ بِالْإِطْلَاقِ مِنَ الْقَيْودِ، وَأَمْسِكْ مِنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ فِي الْقَيْودِ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ (بِغَيْرِ حِسَابٍ) يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ: أَحَدُهَا أَنَّهُ لَا يَحْسَابُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَعَلَ، وَالْآخَرُ بِغَيْرِ تَضْيِيقٍ عَلَيْكَ فِي الْمَلِكِ، وَالثَّلَاثُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَدَدٍ بَلْ خَارِجٌ عَنِ الْحَصْرِ (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ) قَدْ ذَكَرْنَا فِي قِصَّةِ دَاوُدَ (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) قَدْ ذَكَرْنَا قِصَّةَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالنُّصْبُ يُقَالُ بَضْمُ النَّوْنِ وَإِسْكَانُ الصَّادِ: وَبِفَتْحِ النَّوْنِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ وَبَضْمِ النَّوْنِ وَالصَّادِ وَبِفَتْحِهِمَا، وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ، فَإِنْ قِيلَ: لِمَ نُسِبَ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَى الشَّيْطَانِ فَالْجَوَابُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ فَرَأَى مِنْكَرًا فَلَمْ يَغْيِرْهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ لَهُ شَاةٌ فَذَبَحَهَا وَطَبَخَهَا، وَكَانَ لَهُ جَارٌ جَائِعٌ فَلَمْ يَعْطِ جَارَهُ مِنْهَا شَيْئًا، وَالثَّانِي أَنَّهُ أَرَادَ مَا وَسَّوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي مَرَضِهِ مِنَ الْجَزَعِ وَكَرَاهَةِ الْبَلَاءِ، فَدَعَا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْهُ وَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ بِذَلِكَ، وَالثَّلَاثُ أَنَّهُ رَوَى أَنَّ اللَّهَ سَلَطَ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ لِيَفْتِنَهُ فَأَهْلَكَ مَالَهُ فَصَبَرَ وَأَهْلَكَ أَوْلَادَهُ فَصَبَرَ وَأَصَابَهُ الْجُذَامُ (١) وَالْمَرَضُ الشَّدِيدُ فَصَبَرَ فَنُسِبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ لِتَسْلِيْطِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، وَالرَّابِعُ رَوَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَقِيَ امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا قُولِي لِزَوْجِكَ إِنْ سَجَدَ لِي سَجْدَةً أَذْهَبْتُ مَا بِهِ مِنَ الْمَرَضِ فَذَكَرَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ لِأَيُّوبَ، فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ وَحِينَئِذٍ دَعَا (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) التَّقْدِيرُ قُلْنَا لَهُ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ فَضَرْبُ الْأَرْضِ بِرِجْلِهِ فَنَبَعَتْ لَهُ عَيْنٌ مَاءٌ صَافِيَةٌ بَارِدَةٌ فَشَرِبَ مِنْهَا فَذَهَبَ كُلُّ مَرَضٍ كَانَ دَاخِلَ جَسَدِهِ وَاعْتَسَلَ مِنْهَا فَذَهَبَ مَا كَانَ فِي ظَاهِرِ جَسَدِهِ، وَرَوَى أَنَّهُ رَكَّضَ الْأَرْضَ مَرَّتَيْنِ فَنَبَجَ لَهُ عَيْنَانِ فَشَرِبَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَاعْتَسَلَ مِنَ الْآخَرِي (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ) ذَكَرْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ) الضِّغْتُ الْقَبْضَةُ مِنَ الْقَبْضَانِ، وَكَانَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَضْرِبَ امْرَأَتَهُ

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطن لا ينفذ منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارَ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَارِ . وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ . هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلتَّقِيَيْنَ لِحُسْنِ مَنَابٍ .
جَنَّتْ عَدْنٌ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ . مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ
الطَّرْفِ أَرَابٌ . هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ . إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ . هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ
مَنَابٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ . هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ . وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . هَذَا فَوْجٌ

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان ، وقوله لما إن سجدي زوجك
أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضعفا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه ، وقد
ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم في حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعنق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائي ، وأخذه بعض
العلماء ، ولم يأخذه مالك ولا أصحابه (أولى الأيدي والأبصار) الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في
الأعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي ، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي ، وأما الأبصار
فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدي جمع يد
بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة
أكثر ما يجمع على أيادي ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيد بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدي مخدوقة الياء ،
أو يكون الأيد بمعنى القوة : كقوله داود ذا الأيد ، (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) معنى أخلصناهم
جعلناهم خالصين لنا ، أو أخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخالصة خالصة ، وأما الباء
في قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم
فالباء لتعدية الفعل ، وقرأنا فإضافة خالصة إلى ذكرى من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر
بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا ، فإن أراد به الآخرة
ففي المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكرى الدار يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها والآخرة أن معناه تذكيرهم
للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أي أخلصناهم بأفضل ما في
الآخرة ، والأول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا كقوله لسان صدق
(الأخيار) جمع خير بتشديد الياء وخير المخفف من خير كعبت مخفف من ميت (وذا الكفل) ذكر في الأنبياء
(هذا ذكر) الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملة ، والأول أظهر
وكان قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا
باب ثم يشرع في آخر (قاصرات الطرف) ذكر في الصافات (أتراب) يعني أسنانهن سواء يقال فلان ترب
فلان إذا كان مثله في السن ، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاذ) أي ماله من فناء ولا
انقضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتداء وصف

مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَامِرٌ جَابِبُهُمْ إِنَّهُمْ صَلَّى النَّارَ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامِرٌ جَابِبٌ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبَسَّ الْقَرَارُ . قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدِمَ لَنَا هَذَا فَرَدَهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ . أَخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ . إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

أهل النار ، ويعني بالطاغين الكفار (هذا فليذوقه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار ، وقيل ما يسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله (وآخر من شكله أزواج) آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعنى الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أى من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ ، واختلف في خبره ، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر ، ومن شكله في موضع الصفة وقرئ آخر بالجمع وهو ألبق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر (لامر جاببهم) أى لا يلقون رجبا ولا خيرا ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار : أى لامر جابب بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أنتم لامر جاببكم) هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم لامر جاببهم ، أجاوبهم بقولهم بل أنتم لامر جاببكم (أنتم قدمتموه لنا) هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء ، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لامر جاببكم ، والضمير في قدمتموه للعذاب ، ومعنى قدمتموه أوجبتتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذابا ضعفا في النار والضعف زيادة المثل (قالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدكم من الأشرار) الضمير في قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاغين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأميه بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا في جهنم ما لنا لا نرى في النار رجلا كنا في الدنيا نعدكم من الأشرار (أخذناهم سخريا) قرئ أخذناهم بهمة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على أخذهم المؤمنين سخريا ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخريا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالسكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاغت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون معادلا لقولهم ما لنا لا نرى رجلا ، والمعنى ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم . الثاني أن يكون معادلا لقولهم أخذناهم سخريا والمعنى أخذناهم سخريا . وأم زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقاراً لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمة فلا تعادل شيئاً مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار

إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَتَمَّ عَنْهُ
مَعْرُضُونَ * مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ
الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يَبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ
وَالحَقُّ أَقُولُ * لَا مَلَأَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

ثم فسر به بقوله (تخاصم أهل النار) وإعراب تخصصم بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمرة (قل هو نبأ عظيم) النبأ
الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة، وقيل هو القرآن، وقيل هو يوم القيامة
والأول أعم وأرجح (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية
الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمر لم يكن يعلمها قبل ذلك، والضمير في يختصمون
للملأ الأعلى واختصاصهم هو في قصة آدم حين قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في
مواضع من القرآن، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى
فقال: لا أدري قال في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث
بطوله، وقيل الضمير في يختصمون للكفار: أي يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله،
ويقولون آخرون هم آلهة تعبد، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) إذ بدل من
إذ يختصمون، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس وذكرنا في الحجر معنى
قوله تعالى من رُوحى، (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) الضمير في قال لله عز وجل، ويبدى
من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة، وقال القاضى
أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المنقزرة، قال ابن عطية وهذا قول
مرغوب عنه، وحكى الزمخشري أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة (استكبرت أم كنت من العالين)
دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل لحذف ألف الوصل، وأم هنا معادلة، والمضى استكبرت الآن
أم كنت قديما من يعلو ويستكبر، وهذا على جهة التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت
المعلوم) يعنى القيامة، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسمة،
أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بن آدم (قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين)
الضمير في قال هنا لله تعالى، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمرة كقولك الله لأفعلن،
وجوابه لا لأن جهنم، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمرة تقديره الحق يميني، وأما الحق الثاني

الْمُتَكَلِّفِينَ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۖ

سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فثنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۗ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم (وما أنا من المتكلمين) أى الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلمن نبأه بعد حين) هذا وعيد أى لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمرة تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثانى فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمناً الحق ، والثانى أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أى لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء (ألا لله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذى شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافى من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثانى إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل فى اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأن المعنى به أكل (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة فى موضع معمول قول محذوف والقول فى موضع الحال أو فى موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أى يقول الكفار ما نعبده هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم فى قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدي فى تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه فى حال كفره والثانى أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعادنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولدأ لاصطفى بما يخلق

يَتَّخِذُونَ لِدَا لَأَصْطَفَى مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ه خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ
 اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ه
 خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
 خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنَّا تُصْرَفُونَ * إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ

ما يشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التنبئ
 بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع
 فان قوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا يعم نفى الوجهين فعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ
 ولداً على وجه التنبئ لأصطفى لذلك ما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشري
 معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لا ممتنع ذلك ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب
 لا على وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن
 جعلوهم إناثاً فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه
 من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الواحدية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له
 لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفى الشركاء والأنداد لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف
 يكون شريكاً له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته
 وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللى ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض وهو
 هنا استعارة ، ومعناه: على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكان الذي يطيل من النهار أو
 الليل يصير منه على الآخر جزءاً فيستره وكان الذي ينقص يدخل في الذي يطول فيستر فيه ويحتمل أن
 يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل
 مسمى) يعني يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء
 خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم ثم التي تقتضى الترتيب والمهلة ولا شك أن
 خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثه أوجه: الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى
 قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني
 أن ثم لترتيب الأخبار لترتيب الوجود. الثالث أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر
 وذلك كان قبل خلقه حواء (وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعني المذكورة في الأنعام من الضأن
 اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج
 الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه: الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها. الثاني أن معنى أنزل قضى
 وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام
 فعبّر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقاً من بعد خلق) يعني أن الإنسان يكون نطفة ثم علقه ثم
 مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (في ظلمات ثلاث) هي البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

اللَّهُ غَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ نَّبِيِّ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ آتِدَادًا لِّضَلِّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا
إِنَّكَ مِنَ الْآخِطَبِ النَّارِ ۝ أَمِنْ هُوَ قُلْتُ ۝ إِنَّآ لَيْلٌ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَخْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَآئِ الْأَلْبَابِ ۝ قُلْ يَعْبَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ قُلْ إِنِّي

والرحم والمشيمة والاول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) أى لا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين : أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعنى بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاء عليه ، فهو كقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أى لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه ديناً ولا شرعاً وأراده وقوعاً وجوداً وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جرياً على قاعدتهم فى القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيقى يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر فى الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية : يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له آتداداً ، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة ، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحججة على الإنسان بدعائه إلى الله ، فى الشدائد ، فإن قيل لم قال هنا وإذا مس بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء ؟ فالجواب : أن الذى بالفاء مسبب عن قوله اشتمأت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشرى وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أى نعمة كانت (نسى ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون ماصدرية أى نسى دعاء أو تكون بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى (أم من هو قانت) بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هى همزة النداء الأول أظهر ، وقرئ بتشديدهما على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله «هل يستوى الذين يعلمون ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل ، وآناه الليل ساعاته (قل يا عباد الذين آمنوا) الآية نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق فى هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة ، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعاية فى الدنيا والاول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التى هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابرين يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصاً له ديني . فأعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الأذلك هو الخسران المبين . لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يعباد فاتقون . والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنا بآ إلى الله لهم بشرى فبشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار . لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهر وعد الله لا يخلف الله الميعاد . ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيح فتراه مصفرا ثم يجعله حطابا إن في ذلك

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرارا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده (فأعبدوا ما شئتم من دونه) هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخليه لهم على ما هم عليه (ظلل) جمع ظلة بالضم وهو ما غشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأمان تحتهم فسماء ظلة لأنه سقفت لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماء ظلة لأنه يلهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم (والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها) قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فأمنوا وقيل نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة، والطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقيل الشياطين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببيصائر ونظر شديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، فوضع من في النار موضع المضمر، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن وهي همزة الإنكار كزرت للتأكيد، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تناسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار، وعلى هذا

لَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ . أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقُلُوبِ السَّيِّئَاتِ مِنْ
ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلَىٰ لَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَ
لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهُهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . كَذَبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضرار (فلسفة ينابيع في الأرض) معنى سلكه أدخله وأجراه
والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أي أصنافه
كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على
الفاعل المخار ورد على أهل الطبائع (أمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أمن شرح الله صدره كالقاسم
قلبه، وروى أن الذي شرح الله صدره للإسلام على بن أبي طالب وحزرة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو هب
وأولاده، واللفظ أعم من ذلك (من ذكر الله) قال الزمخشري من هنا سببية أي قلوبهم قاسية من أجل ذكر
الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، ولذلك تعدى بمن، والمعنى أن
قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن (كتاباً) بدل من أحسن أو حال منه
(متشابهاً) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف
(مثنائي) جمع مثنان أي ثنى فيه القصص وتكرار، ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء، لأنه يثنى فيه على الله، فإن
قيل: مثنائي جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع
بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تمييزاً من متشابهها كقولك
حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل: كيف تعدى تلين يالئ؟ فالجواب أنه تضمن
معنى فعل تعدى يالئ كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولاً
وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً تقشعرت جلودهم وحدها، لأن
القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانياً تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به
الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولاً
من الخوف، ثم لانت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار
الجلود (أمن يتقى بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره أمن يتقى بوجهه سوء
العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقى يلقى النار بوجهه ليكشفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا
لقى شيئاً من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولة، فاتقوا النار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون)
أي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان (قرآناً عربياً) نصب على الحال أو بفعل مضمرة على المدح

غَيْرِ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ
الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ
دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ الَّذِي بَعَزَ مِنْ ذِي أُنْتِقَامٍ . وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ مِنْ كَشَفْتُمْ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ مِنْ مُمْسِكْتُمْ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

(غير ذى عوج) أى ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق
وقيل غير ذى لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذى عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذى عوج
أبلغ فى نفي العوج عنه كأنه قال ليس فيه شيء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون
متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل
ليبان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ،
والمملوك بينهم فى أسوأ حال وشبهه من يوحده الله بمملوك لرجل واحد ، فعنى قوله (سالمًا لرجل) أى خالصه
وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
ووعيد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه
أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لثلاثي مختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء
أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق
بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاختصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصاص النبي
صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم فى
اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لأحد أظلم ممن كذب على
الله ويريد بالكذب على الله هنا منسب إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشريعة
(والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل
الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى
صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه
فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَمَلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۚ
 إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
 بِوَكِيلٍ ۚ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
 الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ
 كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۚ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *
 قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ
 وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ

على التوحيد ورد على المشركين (هل هن كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدانية
 ورى أن سبها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية
 مبينة أنهم لا يقدرون على شيء ، فإن قيل : كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث ؟ فالجواب أنها لاتعقل فعاملها
 معاملة المؤنثة وأيضا في تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكاتكم) تهديد ومسألة مذسوخة
 بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار
 ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهى الموت ، والآخر وفاة النوم
 لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله « وهو الذى يتوفاكم بالليل » وتقديرها ويتوفى الأنفس
 التى لم تمت في منامها (فيمسك التى قضى عليها الموت) أى يمسك الأنفس التى قضى عليها بالموت
 الحقيقى ومعنى إمساكها أنه لايردها الى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أى يرسل الأنفس النائمة
 وإرسالها هو ردها إلى الدنيا ، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقى ، وقد تكلم الناس فى النفس والروح
 وأكثروا القول فى ذلك بالظن دون تحقيق ، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله « قل الروح من
 أمر ربي » (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها ،
 لقولهم هؤلاء شفعائنا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون
 وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها ، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفى
 هذا رد على الكفار فى قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية : معناها أن الكفار
 يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به ، ومعنى اشمازت انقبضت من شدة الكراهة ، وروى أن هذه الآية
 نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم ، فألقى الشيطان فى أميته حسبا ذكرنا
 فى الحج ، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى ، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان
 استكبروا واشمازوا (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

اللَّهُ مَالِمٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ قِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يظنون لانهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشري : المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أى ظهر لهم من عذاب الله مالم يكن في حسابهم فهو كقولهم في الوعد « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » ، وقيل معناه عملوا أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات وقال الحسن : ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن لانهم كانوا في الدنيا يستهزؤن ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد (قال إنما أوتيته على علم) يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر : أن يريد على علم منى بالمكاسب والمنافع ، والآخر على علم الله باستحقاق ذلك وإنما هنا تحتمل وجهين : أحدهما وهو الأظهر : أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال ، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكور وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى (بل هي فتنة) رد على الذى قال إنما أوتيته على علم (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون وغيره (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) قال على بن أبى طالب وابن مسعود هذه أرجى آية في القرآن ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشى قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصى ، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زيننا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلوا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ما قبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصى إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلوا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلوا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي أَعْلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ مِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ أَقْدَمَا جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ . وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ . قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ . وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر . ويحذروا ما فيه من النواهي فالتفضيل الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع وقيل يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد (أن تقول نفس) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكفار (في جنب الله) أي في حق الله وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى (الساخرين) أي المستهزئين (بلي) جواب للنفس التي حكى كلامها ولا يجاب بيلي إلا النفي وهي هنا جواب لقوله لو أن الله هداني لكنت من المتقين لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هي جواب لقوله لو أن لي كرة فإن معناه يقتضي أن العمر يتسع للنظر فقليل له بلي على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتي تفسير لما تضمنته بلي (وجوهم مسودة) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب (بمفازتهم) أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم (وهو على كل شيء وكيل) أي قائم بتدبير كل شيء (مقاليد) مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقليد وقيل إقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية ، وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هي لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له (والذين كفروا) الآية قال الزمخشري إنها متصلة بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض (أغفر الله) منصوب بأعبد (تأمروني) حذف إحدى النونين

قَبْلَكَ لئنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَاهُنَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَمَمَتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

تحفيفاً وقرئ يادغام لإحدى النونين في الأخرى (لئن أشركت ليحبط عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقاً خلافاً للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد : فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدة ، فإن قيل : كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أرى لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا نزوهه عما لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات يمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض في قبضته والسماوات مطويات كل ذلك يمينه ، وقال ابن عمر مامعناه : إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسماوات مطويات باليمين الأخرى لأن كلنا يديه يمين (ونفخ في الصور) هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعني جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هي نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعني صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء والشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعني الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرًا) في الموضوعين جمع زمرة وهي الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسَيَقْدِرُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعنى القضاء السابق بعذابهم (وفتحت أبوابها)
إنما قال فى الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال فى النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل
بجى أهلها والمعنى حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة فالواو والحوال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب
النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوق قوله فتحت جواب الشرط فسكانه بغير واو وقال الكوفيون الواو فى
أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض)
يعنى أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (نتبوا) أى نزل من الجنة حيث نشاء
وتنخذه مسكننا (حافين من حول العرش) أى محققين به دائرين حوله (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع
الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم ترفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين)
يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة : لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع وأوله : سورة غافر)

استدراك

وقع فى هذا الجزء فى بعض النسخ بصفحة ١٨٧ بالسطر الأول «لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ» وصوابه «لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ» فتنبه

فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل

صفحة	صفحة	صفحة
٢ سورة مريم	٨٣ سورة الشعراء	١٣٢ سورة الأحزاب
١٠ طه	٩٢ النمل	١٤٦ سبا
٢٢ الانبياء	١٠٢ القصص	١٥٤ فاطر
٣٤ الحج	١١٣ العنكبوت	١٦٠ يس
٤٨ المؤمنون	١٢٠ الروم	١٦٨ الصفات
٥٨ النور	١٢٦ لقمان	١٧٨ ص
٧٤ الفرقان	١٢٩ السجدة	١٩٠ الزمر

كِتَابُ التَّسْبِيحِ
لِعَبْدِ لُؤْمِ التَّنَزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جبرئيل الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الرابع

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

طالب علم بالمكتبة العامة الكبرى بأول شارع محمد علي بصره
باصمبوا : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى طه في محمد
مدير المكتبة العامة الكبرى بصره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر

مكية إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ * مَا يَجْدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَدِ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

سورة غافر

(حم) تقدم الكلام على حروف الهجاء ، وتختص حم بأن معناها : حم الأمر ، أى قضى ، وقال ابن عباس « الرء ، وحم ، وذن ، هى حروف الرحمن (تنزيل الكتاب) ذكر فى الزمر (ذى الطول) أى ذى الفضل والإنعام ، وقيل الطول الغنى والسعة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) جعل لا يغررك بمعنى لا يحرزك فقيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (والأحزاب) يراد بهم عاد وثمود وغيرهم (ليأخذوه) أى ليقتلوه (ليدحضوا) أى ليطلوا به الحق (حققت كلمة ربك) أى وجب قضاؤه (ومن حوله) عطف على الذين يحملون (ويؤمنون به) إن قيل ما فائدة قوله ويؤمنون به ، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله ؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه ، قال ذلك الزمخشري ، وقال إن فيه فائدة أخرى وهى أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية ، وهذه نزعت إلى مذهب المعتزلة فى استحالة رؤية الله (وسعت كل شىء رحمة وعلماً) أصل الكلام وسعت رحمتك وعلبك كل شىء ، فالسعة فى المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى فى اللفظ لقصد المبالغة فى وصف الله تعالى بهما كان ذاته رحمة وعلم واسعاً كل شىء (وقهيم السيئات) يحتمل أن يكون المعنى قهيم السيئات نفسها

وَمَنْ تَقَّ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ
 مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
 بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۝ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
 لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۝ فَادْعُوا
 اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ

بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قههم جزاء السيئات فلا تؤاخذهم بها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) المقت البغض الذي يوجب ذنب أو عيب وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضاً ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة المفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاماً من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحر لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الرنخشرى مقت الله عاماً في الظرف ولم يعتبر الفصل (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) هذه الآية كقوله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدماً أو كونهم في الأصلاب أو في الأرحام، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا هو الحياة الثانية حياة البعث في القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة في القبر، والموتة الأولى الموت المعروف، والموتة الثانية بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعاً منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون (فاعترفنا بذنوبنا) الفاء هنا رابطة معناها التسبب، فإن قيل كيف يكون قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سبباً لاعترا فهم بالذنوب؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإيمانية والإحياة قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصى فإن لم يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصى (ذالكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) الباء سببية للتعليل والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذى هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذالكم إلى عدم خروجهم من النار (يريكُم آياته) يعنى العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله (وينزل لكم من السماء رزقاً) يعنى المطر (رفيع الدرجات) يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالى أو رافع

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ . يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ لَا يُخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْهُمُ شَيْءٌ لَمَّا لَمِنَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدَ
 الْقَهَّارَ . الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ
 الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ . يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخِذُهُمْ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخِذُهُمْ
 اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا
 سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
 الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

درجات عبادته في الجنة وفي الدنيا (ياقي الروح) يعني الوحي (من أمره) يحتمل أن يريد الأمر الذي هو واحد الأمور
 أو الأمر بالخبر فعلى الأول تكون من للتبعض أو لا ابتداء الغاية وعلى الثاني تكون لا ابتداء الغاية أو بمعنى الباء
 (يوم التلاق) يعني يوم القيامة وسمى بذلك لأن الخلاق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقي فيه أهل السموات والأرض
 وقيل لأنه يلتقي الخلق مع ربهم ، والفاعل في ينذر ضمير يعود على من يشاء أو على الروح أو على الله (لمن الملك اليوم)
 هذا من كلام الله تعالى تقرير للخلق يوم القيامة فيجيئونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذي يجيب نفسه لأن
 الخلق يسكتون هيبته وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك (يوم الأرزاق) يعني القيامة ومعناه القرية (إذ القلوب لدى
 الحناجر) معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك
 حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق (كظمين) أي محزونين حزنا شديدا
 كقولهم فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزهم أي يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم وانتصابه على الحال من
 أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول في أنذرهم أو من القلوب وجمعها جمع المذكر لما
 وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء (ماللظالمين من حميم) أي صديق مشفق (ولا شفيع بطاع) يحتمل
 أن يكون نبي الشفاعة وطاعة الشفيع أو نبي طاعة الشفيع خاصة ، كقولك ماجاهني رجل صالح فنفيت الصلاح
 وإن كان قد جاءك رجل غير صالح ، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أي
 استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض في
 أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرده اليه من قوله لينذر يوم التلاق (وسلطان مبين) حجة ظاهرة وهي المعجزات (قالوا
 اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أو لا قبل ميلاد موسى (وقال فرعون ذروني
 أقتل موسى وليدع ربه) المعنى أنه لا يبالي بدعاه موسى لربه ، ولا يخاف من ذلك إن قتله ، ويظهر من قوله ذروني
 أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى ، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات

أَوَّانَ يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ،
 وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ
 رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 كَذَّابٌ * يَقُومَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهْرَيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ
 مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ
 يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَقُومُ إِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُؤْتَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ *

موسى (أو أن يظهر في الأرض الفساد) يعنى فساد أحوالهم في الدنيا ، وقرئى وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر
 بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية (وقال موسى إني عذت) الآية
 لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه ، وقال من كل متكبر ليشمل فرعون
 وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل اسم
 هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل ، وقيل شمعون بالشين المعجمة ، وروى أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم
 فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن ، وقيل كان من بنى إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا
 يتعلق بقوله يكتُمُ إيمانه ، والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، وقوله « فمن ينصُرنا من
 بَأْسِ اللَّهِ » لأن هذا كلام قريب شقيق ، ولأن بنى إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم
 بمثل هذا الكلام ، و (أن يقول) في موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربى الله (وإن
 يك كاذبا فعليه كذبه) أى إن كان موسى كاذبا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، فلائى شئ تقتلونه ، فإن
 قيل : كيف قال وإن يك كاذبا بعد أن كان قد آمن به ؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التاكذيب له وإنما
 قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه ، فقسم أمر موسى إلى قسمين ، ليقم عليهم الحجة
 في ترك قتله على كل وجه من القسمين (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل إن بعض هنا بمعنى
 كل وذلك بعيد ، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذى يصبهم هو كل ما يعدم ليلاطفهم فى الكلام ، ويبعد
 عن التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، فيرتجى إجابتهم للحق (وقال الذى آمن) هو المؤمن
 المذكور أولا وقيل هو موسى عليه السلام وهذا بعيد ، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان
 كلام المؤمن أولا غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه ، إذ كان يكتُمُ إيمانه ، والجواب : أنه كتَم
 إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك ، وجاهرهم بمجاهرة ظاهرة ، لما وثق بالله حسبا حتى الله من كلاه
 إلى قوله « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله » (يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن
 المنادى ينادى الناس ، وذلك قوله « يوم ندعو كل أناس » وقيل لأن بعضهم ينادى بعضا ، أى ينادى أهل الجنة

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ آلِهَةِ مُوسَىٰ ۝ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِبًا ۝ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۝ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ ۝ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَىٰ ۝ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۝ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفُورِ ۝ لَأَجْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ۝ وَأَنْ مَّرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ فَسْتَدْرِكُونَنَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفْوُضُ

أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء (يوم تولون مدبرين) أي منطلقين إلى النار وقيل هارين من النار (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحديداً على الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته (الذين يجادلون) بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه في معنى الجمع كأنه قال كل مسرف (كبير مقنا) فاعل كبير مصدر يجادلون، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير من هو مسرف (الأسباب) الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكررها للتفخيم والبيان (فأطلع) بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب يا ضمير أن في جواب لعل لأن الترجي غير واجب، فهو كالتنبي في انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة (تباب) أي خسران (متاع) أي يتمتع به قليلا، فإن قيل لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة، فإن قيل لم جاء بالواو في قوله ويا قوم في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه (ما ليس لي به علم) أي ليس لي علم بربيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بي له وإذا لم يكن له العلم يصح علم ربيته (لاجرم) أي لا بد ولا شك (ليس له دعوة) قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق،

أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَمَكُرُوا وَحَاقَ بِئَالَ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ
يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ
فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ۖ وَإِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَتَمُّ مَغْنُونًا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۗ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزَّةٍ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ
الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَيْلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۗ
إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْاَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ
الْلعنة وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرًا
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ

يجب أن يدعى إليه كأنه قال أندعوني إلى عبادة مالا خطر له في الدنيا ، ولا في الآخرة ، ويحتمل اللفظ أن
يكون معناه ليس له دعوة قائمة أى لا يدعى أحد إلى عبادته (فوقاه الله سيئات مامكروا) دليل على أن من
فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه (النار يعرضون عليها) النار بدل من سوء العذاب ، أو مبتدأ أو
خبر مبتدأ مضمرة ، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة ، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم
القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، واستدل أهل السنة بذلك على صحة ماورد من عذاب القبر ، وروى
أن أرواحهم في أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار (غدوا وعشيا) قيل معناه في كل غدوة
وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا
عشية (لحزنة جهنم) إن قيل هلا قال الذين في النار لحزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب أن في ذكر جهنم
تهويلا ليس في ذكر الضمير (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون
متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استمناقا (إنا لننصر رسلنا) قيل إن هذا خاص فيمن
أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى ، والصحيح أنه عام ،
والجواب عما ذكره أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل وإنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين
وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لانصر الأنبياء كلهم (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة والأشهاد
جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة في سبيل الله والأظهر أنه
بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) يحتمل أنهم
لا يعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفي
الاعتذار والانتفاع به (إن وعد الله حق) يعنى وعده لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور على
أعدائه الكفار (بالعشى والإبكار) قيل العشى صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشى بعد العصر
إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (إن الذين يجادلون) يعنى كفار قريش (إن في

يُجَدُّونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ ۝ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَارِيبَ
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ * كَذَلِكَ
يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۝ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي

صدورهم إلا كبر) أى تكبر وتعظم يمنعمهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا
النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر
(ماهم بيالغيه) أى لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوة (فاستعذ بالله) أى استعذ من
شرهم لأنهم أعداءك واستعذ من مثل حالهم فى الكبر والحسد واستعذ بالله فى جميع أمورك على الإطلاق
(خالق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على
البعث لأن الإله الذى خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فناها وقيل المراد
توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على
خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقهم والأول أرجح لوروده فى مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة
لآتية لاريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الدعاء هنا هو الطلب والرغبة
وهذا وعد مقيدم بالمشيئة وهى موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعوني هنا بمعنى اعبدوني بدليل قوله
بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتي وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا
القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيكم أجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتي بمعنى يستكبرون
عن الرغبة إلى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وأما قوله صلى الله عليه وآله
وسلم الدعاء هو العبادة فعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هى العبادة لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد
وتضرعه إلى الله (داخرين) أى صاغرین (لتسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ورزقكم من الطيبات) يعنى المستلذات
لأنه إذا جاء ذكر الطيبات فى معرض الإنعام فيراد به المستلذات وإذا جاء فى معرض التحليل والتحريم فيراد به
الحلال والحرام (الحمد لله رب العالمين) هذا متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزحشرى وتقديره ادعوه مخلصين
قائلين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل

الْبَيْتُ مِنْ رَبِّي وَأَمْرٌ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّىٰ وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَإِنَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَادِعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۝ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ * أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّىٰ نِكَاحًا وَإِنَّا رَاجِعُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ قُضِيَٰ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنَهَا

أن يكون الحمد لله اسنة. فا (ثم يخرجكم طفلا) أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة (ثم لتبلغوا) أشدكم) ذكر الأشد في سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبيحكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا أو ألتبلغوا أجلا مسمى فتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة (ألم تر إلى الذين يجادلون) يعني كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالتقديرية وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب إلا إن جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد (إذا الأغلال في أعناقهم) العامل في إذيعلون وجعل الظرف الماضي من الموضع المستقبل لتحقيق الأمر (يسحبون في الحميم) أي يجرون والحميم الماء الشديد الحرارة (ثم في النار يسجرون) هذا من قولك سجرت التنور إذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره توقد بهم النار (تمرحون) من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والحياء (فبئس مَثْوًى المتكبرين) إن قيل قياس النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى (فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم) أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فنتقم منهم أشد الانتقام (منهم من قصصنا عليك) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفي حديث آخر أربعة آلاف، وفي حديث أبي ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه (فإذا جاء أمر الله قضى بالحق) قال الزمخشري: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد

تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآى آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّتْ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ *

سورة فصلت

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي آكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

الله إرسال رسول قضي ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسول لقوله (وخسر هنالك المبطلون) هنالك في الموضوعين يراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان (الأنعام) هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، فقوله لتركبوا منها يعني الإبل ومنها تأكلون يعني اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة) يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله : لتركبوا منها لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة ، قاله ابن عطية (ويريكم آياته) هذا عموم بعد ما قدم من الآيات المخصوصة ولذلك وبخهم بقوله فأى آيات الله تنكرون (فرحوا بما عندهم من العلم) الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير عليهم وجوه : أحدها أنه ما كانوا يعتدون من أنهم لا يعيشون ولا يحاسبون ، والثاني أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها ، والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل ، أى فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير في وحق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام (سنة الله) اتصّب على المصدرية والله سبحانه أعلم

سورة حم السجدة

(فصلت) أى بينت وقيل قطعت إلى سور وآيات (قرأنا عربيا) منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال أو مصدر (لقوم يعلمون) معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذى يوجب التكليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص ، والأول أولى لقوله

ءَاذَاتَنَا وَقُرْ وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ؕ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلشَّارِكِينَ ؕ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ؕ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَنبَأْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ
وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ ؕ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

فأعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين ، وقيل يعلمون لسان العرب يفهمون القرآن إذ هو بلغتهم ، وقوله لقوم يتعلق بتزويل أو فصلت والاحسن أن يكون صفة لكتاب (فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة (في أكنة) جمع كنان وهو الغطاء ، (ومن بيننا وبينك حجاب) عبارة عن بعدهم عن الإسلام (فاعمل إننا عاملون) قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهي متاركة ، وقيل اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك ، فهو تهديد (الذين لا يؤتون الزكاة) هي زكاة المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حملة على ذلك لأن الآيات مكية ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة في طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة (أجر غير ممنون) أي غير مقطوع من قولك ، مننت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص وقيل غير محصور ، وقيل لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان (أندادا) أي أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها (رواسي) يعني الجبال (وبارك فيها) أي أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أي أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعني أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض والأول أظهر (في أربعة أيام) يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين ، فذلك أربعة أيام وخلق السموات في يومين فذلك ستة أيام حسبا ذكر في مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة (سواء) بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشري ، وقال ابن عطية انتصب على الحال (للسائلين) قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها ، ويعنى بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها ، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثاني (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إليها ، ويقضى هذا الترتيب : أن الأرض خلقت قبل السماء ، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله «والأرض بعد ذلك دحاها» فالجواب أنها خلقت قبل السماء ، ثم دحيت بعد ذلك (وهي دخان) روى أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأبىس الماء فصار أرضا ، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) هذه عبارة عن لزوم طاعتها كما يقول الملك لمن تحت يده افعل كذا شئت أو أبيت أي لا بد لك من فعله ، وقيل تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيها كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرها على السكيفية التي أرادها الله وقوله لها ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظًا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۖ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ ۗ إِذْ
جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۖ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۗ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ
لِنَنْقِيَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يَنْصُرُونَ ۗ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ
لَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يَنْصُرُونَ ۗ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ

لها وكذلك قولها أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولها أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء (ففضاهن سبع سموات) أي صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعهما جمع المفكر العاقل في قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فماملهما معاملة من فهو كقولك رأيتهم لى ساجدين وأعاد ضمير التثنية في قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى (وأوحى في كل سماء أمرها) أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ماشاء من الأمور التي بها قوامها وصلاتها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) يعني الشمس والقمر والنجوم وهي زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) الضمير لقريش (صاعقة) يعني واقعة واحدة شديدة وهي مستعارة من صاعقة النار وقرئ صعقة ياسكان العين وهي الواقعة من قولك صعق الرجل (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) معنى ما بين الأيدي المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فعنى الآية: أن الرسل جاؤهم في الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عندها كتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشري معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم وقيل أحبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم ما يجرى عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك من خلفهم (أن لا تعبدوا إلا الله) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله (فإنما بما أرسلتم به كافرين) ليس فيه اعتراف بالكفار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكم (ريحا صرصر) قيل إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل (في أيام نحسات) معناه من النحس وهو ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروى أنها كانت آخر شوال من الأربعمائة إلى الأربعمائة وقرئ نحسات ياسكان الحاء وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر (وأما ثمود فهديناهم) أي بيناهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد (فهم يوزعون) أي يدفعون بعنف

فَاسْتَجَبُوا عَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ فَآخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَيَجِينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ وَهِيَ سَمْعُهُمْ وَابْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَإِنْ يَصْبُرُوا فَأَلْتَارُ مَثْوَىٰ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ * وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرِينُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ اضْطَلَّوْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا

(وجلودهم) يعنى الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والاول اظهر (وما كنتم تستترون) الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة ، وفي معناه وجهان : أحدهما لم تقدرُوا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم ، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم ، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وهذا أرجح لاتساق ما بعده معه ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود : أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا ، فقال : الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر : إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله فنزلت الآية (أرداكم) أى أهلككم من الردى بمعنى الهلاك (وإن يستعتبوا فاسألهم من المعتبين) هو من العتب بمعنى الرضا أى إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها (وقيضنا لهم قرناء) أى يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس (فرينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما بين أيديهم ما تقدم من أعمالهم ، وما خلفهم ما هم غازمون عليه أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة ، والتكذيب بها (وحق عليهم القول) أى سبق عليهم القضاء بعذابهم (في أمة) أى فى جملة أمة ، وقيل فى بمعنى مع (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) روى أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله (والغوا فيه) المعنى لا تسمعوا إليه ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد ، وقيل معناه قعوا فيه وعيروه (أرنا الذين اضطلنا) يقولون هذا إذا دخلوا جهنم ، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضى ، لتحققه ، ومعنى الذين اضطلنا : كل من أغوانا

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ . إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ . نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَانَهُ وَلِيًّا حَمِيمًا . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ . وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَجْوً
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّا الَّذِي
أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي

من الجن والإنس ، وقيل المراد ولد آدم الذي سن القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل
لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر (تحت أقدامنا) أى فى أسفل طبقة من النار
(ثم استقاموا) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، استقاموا على قولهم ربنا الله ، فصح إيمانهم ودام توحيدهم
وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصى وقول عمر أكل وأحوط وقول أبي بكر
أرجح لما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن
مات عليها فهو ممن استقام ، وقال بعض الصوفية : معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة
الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه (تنزل عليهم الملائكة) يعنى عند الموت (ولكم فيها) الضمير الآخرة
(ماتدعون) أى ماتطابون (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أى لأحد أحسن أقولاً منه ويدخل فى ذلك
كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم ، وقيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المؤذنون
وهذا بعيد لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة والسكن المؤذنون يدخلون فى العموم (وما يلقاها) الضمير
يعود على الخالق الجليل الذى يتضمنه قوله ادفع بالتي هي أحسن (ذو حظ عظيم) أى حظ من العقل والفضل
وقيل حظ عظيم فى الجنة (وإما ينزغك) إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وسأوسه وأمره
بالسوء (الذى خلقهن) الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن جماعة ما لا يعقل بجماعة
المؤنث أو كالأحادة المؤنثة ، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد ،
(الذين عند ربك) الملائكة (لا يسمعون) أى لا يملون (الأرض خاشعة) عبارة عن قلة النبات (اهتزت)
ذكر فى الحجج (إن الذى أحيها لمحى الموتى) تمثيل واحتجاج على صحة البعث (إن الذين يلحدون فى آياتنا)
أى يطعنون عايبها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدم فى السورة (أفمن يلقى فى النار)

النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ۝ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بَعْلَهُ وَيَوْمَ اللَّعِينِ

الآية : قيل إن المراد بالذي يلقى في النار أبو جهل وبالذي يأتي آمناً عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك (اعملوا ما شئتم) تهديد لإباحة (إن الذين كفروا بالذكر) الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا ، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد ، وذلك بعيد (وإنه لكتاب عزيز) أى كريم على الله ، وقيل منبع من الشيطان (لا يأتيه الباطل) أى ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا يأتى بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) فى معناه قولان : أحدهما ما يقول الله لك من الوحي والشرائع ، إلا مثل ما قال للرسل من قبلك ، والآخر ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالناسى ، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته (إن ربك لذو مغفرة) يحتمل أن يكون مستأنفاً ، أو يكون هو المقول فى الآية المتقدمة وذلك على القول الأول ، وأما على القول الثانى فهو مستأنف منقطع بمقابلته ، (ولو جعلناه قرآناً عجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) الأجمي الذى لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمى الذى ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح ، ونزلت الآية بسبب طعن قريش فى القرآن ، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لظعنوا فيه وقالوا هلا كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أى وجه كان (ماجمي وعربي) هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار ، والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي ، أو مرسل إليه عربي ، وقيل إنما ظعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية ، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمي وعربي ، أى مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يحرى على قراءة أعجمي بفتح العين (فى آذانهم وقر) عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك (وهو عليهم عمي) عبارة عن قلة فهمهم له (أولئك ينادون من مكان بعيد) فيه قولان : أحدهما عبارة عن قلة فهمهم فشبهم بمن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال ، والثانى أنه حقيقة فى يوم القيامة ، أى ينادون من مكان بعيد لیسمعوا أهل الموقف توبيخهم ، والأول أليق بالكنايات التى قبلها (كلمة سبقت من ربك)

يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَذْنُكَ مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ
مَحِيسٍ ، لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلُ قَنُوطًا ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ
ضُرِّهِ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ
فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمَلُوا وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَنَدُو دُعَاءَ عَرِيضٍ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ
بَعِيدٍ ، سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ، أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ .

يعنى القدر (إليه يرد علم الساعة) أى علم زمان وقوعها ، فإذا سئل أحد عن ذلك قال : الله هو الذى يعلمها
(من أكامها) جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها (ويوم يناديهم أين شركائى) العامل فى
يوم محذوف والمراد به يوم القيامة ، والضمير للمشركين وقوله أين شركائى توييح لهم ، وأضاف الشركاء
إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لى (قالوا آذناك ما مننا من شهيد) المعنى : أنهم
قالوا أعلنناك ما مننا من يشهد اليوم بأن لك شريكا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم (وفضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل) أى فضل عنهم شركائهم بمعنى أنهم لا يروهم حيثئذ فما على هذا موصولة
أفضل عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ، فما على هذا مصدرية (وظنوا ما لهم من محيص) الظن
هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب : أى علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ، ويكون
ما لهم : استئفا ، وذلك ضعيف (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ،
ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وقيل فى غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك (ليقولن هذا لى) أى هذا حتى
الواجب لى ، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر ، ويدل على ذلك قوله (وما أظن الساعة قائمة) وقوله
(ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) معناه إن بعثت تكون لى الجنة وهذا تحرص وتكبر ، وروى أن
الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة (ونأى بجانبه) ذكر فى الإسراء (دعاء عريض) أى كثير ، وذكر الله هذه
الآية على وجه الذم لها (قل أرايتم إن كان من عند الله) الآية معناها أخبرونى إن كان القرآن من عند الله
ثم كفرتم به أستم فى شقاق بعيد فوضع قوله من أضل موضع الخطاب لهم (سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى
أنفسهم) الضمير لفريش وفيها ثلاثة أقوال : أحدها أن الآيات فى الأفاق هى فتح الأقطار للمسلمين والآيات
فى أنفسهم هى فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور ، وتهديدا للكفار ، واحتجاجا عليهم بظهور الحق
وخول الباطل ، والثانى أن الآيات فى الأفاق هى ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفى أنفسهم يوم بدر .
الثالث أن الآيات فى الأفاق : هى خلق السماء وما فيها من العبر والآيات ، وفى أنفسهم خلقة بنى آدم وهذا
ضعيف لأنه قال سنريهم بسين الاستقبال ، وقد كانت السموات وخلقة بنى آدم مرئية والأول هو الراجح
(إنه لحق) الضمير للقرآن أو للإسلام (محيط) أى محيط بعلمه وقدرته وسلطانه

سورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقهنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ

سورة الشورى

(حم عسق) الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبا تقدم في سورة البقرة ، وقد حكي الطبري أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه ، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها في آخر الزمان ، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يخسف بها (كذالك يوحى إليك) الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة ، وقيل الإشارة لقوله حم عسق فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله ، وفي صحة هذا انظر (الله العزيز الحكيم) اسم الله فاعل يوحى ، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى كأن قائلها قال من الذى أوحى فقيل الله (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله ، وقيل من قول الكفار اتخذ الله ولدا ، فهى كالأية التى فى مريم قال ابن عطية : وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه : مردود لأن الله تعالى لا يوصف به (من فوقهن) الضمير للسموات والمعنى يتشققن من أعلاهن ، وذلك مبالغة فى التهويل ، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد ، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التى من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن ، وهذا أيضا بعيد (ويستغفرون لمن فى الأرض) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهى كقوله ويستغفرون للذين آمنوا . وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية ، وهذا باطل ، لأن النسخ لا يدخل فى الأخبار ، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومعناه الإمهال ، لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما ، فإن قيل : ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية : بما قبلها ؟ فالجواب أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينظم الكلام ، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بنى آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بنى آدم وعن أقوالهم القبيحة (أم القرى) هى مكة ، والمراد أهلها ، ولذلك عطف عليه من حولها يعنى من الناس (يوم الجمع) يعنى يوم القيامة

هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَبَىٰ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ اللَّهِ فَكَذَّبُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَلِلَّهِ الْوَالِيَّةُ وَالْحَكْمُ ۝ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه (أم اتخذوا) أم منقطعة ، والأولياء هنا المعبودون من دون الله (فحكّمه إلى الله) أي ما اختلفتم فيه أتم والكفار من أمر الدين فحكّمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كقوله فردوه إلى الله والرسول (من أنفسكم أزواجا) يعني الإناث (ومن الأنعام أزواجا) يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف (يذروكم فيه) معنى يذروكم بخلفكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن ، وقيل بكثرتم ، والضمير المجرور يعود على الجمل الذي يتضمنه قوله جعل لكم ، وهذا كما تقول كلمة زيدا كلاما أكرمه فيه ، وقيل الضمير للنزويج الذي دل عليه قوله أزواجا ، وقال الزمخشري تقديره يذروكم في هذا التدبير ، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا ، والضمير في يذروكم خطاب للناس والأنعام غالب فيه العقلاء على غيرهم ، فإن قيل : لم قال يذروكم فيه وهلا قال يذروكم به ؟ فالجواب : أن هذا التدبير جعل كالمنع والمعدن للبت والتكثير قاله الزمخشري (ليس كمثل شيء) تنزيهه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، قال كثير من الناس الكاف زائدة للنأ كيد ، والمعنى ليس مثله شيء ، وقال الطبري وغيره ليست بزائدة ، ولكن وضع مثله موضع هو ، والمعنى ليس كهو شيء قال الزمخشري : وهذا كما تقول مثلك لا يبخل ، والمراد أنت لا تبخل ، فنفي البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته (مقاليد) قد ذكر (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات ، وذلك هو المراد هنا ، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة ، وأما الأحكام الفرعية فاختلفت فيها الشرائع فليست ترادفها (أن أقيموا) يحتمل أن تكون أن في موضع نصب بدلا من قوله ما وصى أوفى موضع خفض بدلا من به أوفى موضع رفع على خبر ابتداء مضمرة أو تكون مفسرة لاموضع لها من الإعراب (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أي صعب الإسلام على المشركين (الله يجتبي إليه من يشاء) الضمير في إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين (وما تفرقوا) يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم (ولولا كلمة) يعني القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعني المعاصرين لسيدنا

فادعواستم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنتم بما أنزل الله من كتب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعملنا ولكم أعملكم لاجحة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق إلا إن الذين يمارون في الساعة لني ضلل بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا تؤته منها وما له في الآخرة من نصيب * أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله

محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، وقيل يعنى العرب ، والكتاب على هذا القرآن (انفي شك منه) الضمير للكتاب ، أو للدين أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أى إلى ذلك الذى شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله ما تدعوهم إليه وقيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى الفرق والاختلاف أى لاجل ما حدث من الفرق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله واستقم معطوفاً وعلى الأول يكون مستأنفاً فيوقف على فادعواستم (كما أمرت) أى دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته (ولا تتبع أهواءهم) الضمير للكفار وأهوائهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله (وأمرت لأعدل بينكم) قيل يعنى العدل فى الأحكام إذا تفاصروا إليه ، ويحتمل أن يريد العدل فى دعائهم إلى دين الإسلام أى أمرت أن أحكمكم على الحق (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا جدال ولا مناظرة ، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون (والذين يحاجون فى الله) أى يجادلون المؤمنين فى دين الإسلام ، ويعنى كفار قريش ، وقيل اليهود (من بعد ما استجيب له) الضمير يعود على الله أى من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فى دينه ، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر وأحسن (حجهم داحضة) أى زاهقة باطلة (أنزل الكتاب) يعنى جنس الكتاب (بالحق) أى بالواجب أو متضمناً الحق (والميزان) قال ابن عباس وغيره يعنى العدل ، ومعنى إنزال العدل ، إنزال الأمر به فى الكتب المنزلة ، وقيل يعنى الميزان المعروف ، فإن قيل : ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة ؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب ، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذى تحاسبون فيه على أعمالكم (لعل الساعة قريب) جاء قريب ، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقى ، ولأن المراد به وقت الساعة (يستعجل بها) أى يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزاً للمؤمنين (يمارون) أى يجادلون ويخالفون (يرزق من يشاء) يعنى الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان فى قوله : وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها : أى ما تقوم به الحياة ، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره والزائد خاص بمن شاء الله (حرث الآخرة) عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحرث يعمل ويتنظر المنفعة بما عمل (نزد له فى حرثه) عبارة عن تضييع الثواب (تؤته منها) أى تؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ

له (وماله في الآخرة من نصيب) هذا للكفار ، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ، ولا رغبة له في الآخرة (أم لهم شركاء) أم منقطعة الإنكار والتوبيخ ، والشركاء الأصنام وغيرها ، وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) الضمير في شرعوا للشركاء ، وفي لهم للكفار ، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر ، والمراد بما شرعوا من الباطل في الاعتقادات وفي الأعمال كالبهيرة والوصيلة وغير ذلك (ولولا كلمة الفصل) أي لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها (ترى الظالمين مشفقين) يعني في الآخرة (ذلك الذي يبشر الله عباده) تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور (إلا المودة في القربى) فيه أربعة أقوال : الأول أن القربى بمعنى القرابة ، وفي بمعنى من أجل ، والمعنى لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم فالمقصد على هذا استعطف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابة : الثاني أن القربى بمعنى الأقارب ، أو ذوى القربى والمعنى إلا أن تودوا أقاربي وتحفظوني فيهم ، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت : الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض ، والمعنى أن تودوا أقاربكم ، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام : الرابع أن القربى التقرب إلى الله ، والمعنى إلا أن تقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع لأن المودة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فجعل المودة كالأجر (يقترف) أي يكتسب (نزد له فيها حسنا) يعني مضاعفة الثواب (أم يقولون) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ (فإن يشاء الله يختم على قلبك) فالمقصد بهذا قولان: أحدهما أنه رد على الكفار في قولهم أفترى على الله كذباً: أي لو افترت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنا لم نفتقر على الله كذباً فقد هدك وسددك ، والآخر أن المراد إن يشاء الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذامهم (ويمح الله الباطل) هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله لأن الذي قلبه مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به ، وفي المراد به وجهان أحدهما أنه من تمام ما قبله : أي لو افترت على الله كذباً لختم على قلبك ومحى الباطل الذي كنت تفتريه لو افترت ، والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) عن هنا بمعنى من ، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول

وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِلُ بِقَدَرٍ مَآئِشَاءَ
 إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۖ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ
 خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
 مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ وَمَا أَتَمُّ بِمَعْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۖ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ

التوبة على ثلاثة أوجه : أحدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا والثاني التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى ترد المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها في المشيئة (ويعفو عن السيئات) العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلا والثاني العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فذهب أهل السنة في المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة (ويستجيب الذين آمنوا) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشري أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثاني أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لرهبهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (يزيدهم من فضله) أي يزيدهم ما لا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لانا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنينها (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) قيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشتدى أزمة تنفرجى (وينشر رحمته قيل يعنى المطر فهو تكرر للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعنى الشمس وقيل بالعموم) وما بث فيهما من دابة (لا إشكال لأن الدواب في الأرض وأما في السماء فقيل يعنى الملائكة وقيل يمكن أن تكون في السماء دواب لانعلها نحن وقيل المعنى أنه بث في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يريد جمع الخلق في الحشر يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وقرئ بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي وقرئ بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا (بمعجزين) قد ذكر (الجوارى) جمع جارية وهي السفينة (كالأعلام)

فِي ذَلِكَ لَأَيُّ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ
فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ * فَآؤُتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ

جمع علم وهو الجبل (إن يشأ يسكن الريح فيظللن روا كد على ظهره) الضمير في يظللن للجوارى وفي ظهره
للجر ، أى لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة في إرسال
الرياح أو تهديد بإسكانه (أو يوقنه بما كسبوا) عطف على يسكن الريح ، ومعنى يوقنه يهلكه بالغرق
من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن ، وفي كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقتها بذنوب
الناس (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أى يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرئ يعلم بالرفع على
الاستئناف ، وبالنصب واختلف في إعرابه على قولين : أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط
والجزء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشري وقال إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه ، والثاني قول
الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره ، لينتقم منهم ويعلم ، قال ونحوه من المعطوف على التعليل
المحذوف في القرآن كثير ، ومنه قوله ولنجعل آية للناس (كباثر الإثم) ذكرنا الكباثر في النساء وقيل كباثر الإثم :
هو الشرك ، والفواحش هي الزنا واللفظ أعم من ذلك (والذين استجابوا لربهم) قيل يعنى الأنصار لأنهم استجابوا
لما دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام ، ويظهر لى أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين
رضى الله عنهم ، لأنه بدأ أولاً بصفات أبى بكر الصديق ، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان
ثم صفات على بن أبى طالب ، فسكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف
بذلك فأم الصفات أبى بكر فقوله : الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، وإنما جعلناها صفة أبى بكر وإن كان جميعهم
متصفاً بها لأن أبى بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وزن
إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها وقال أبو بكر
لو كشف الغطاء لما ازددت لإيقينا والنوكل إنما يقوى بقوة الإيمان . أما صفات عمر فقوله : والذين يحتسبون
كباثر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله وإذا
ما غضبوا هم يغفرون ، وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت في عمر ، وأما صفات
عثمان فقوله : والذين استجابوا لربهم لأن عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان تبعه
وبادر إلى الإسلام وقوله وأقاموا الصلاة ، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل ، وفيه نزلت أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائماً الآية : وروى أنه كان يحبى الليل بركة يقرأ فيها القرآن كله ، وقوله وأمرهم شورى بينهم
لأن عثمان ولى الخلافة بالشورى ، وقوله وبما رزقناهم ينفقون ، لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله
ويكفيك أنه جهز جيش العسرة ، وأما صفة على فقوله والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، لأنه لما

هُم يَنْتَصِرُونَ . وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ . وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِّ

قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق ، وانظر كيف سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتقاتلين
لعلى الفئة الباغية حسبا ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغي
الذي أصابه وقوله « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » إشارة إلى فعل الحسن بن علي حين بايع معاوية ،
وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله
وسلم في الحسن إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن
انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ماعليهم من سبيل إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن ، وطلبه للخلافة
وانتصاره من بني أمية ، وقوله « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » إشارة إلى بني أمية ، فإنهم استطالوا
على الناس كما جاء في الحديث عنهم ، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا ويكفيك من ظلمهم أنهم
كانوا يلعنون علي بن أبي طالب على منابرتهم ، وقوله « ولمن صبر وغفر » الآية إشارة إلى صبر أهل بيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما نالهم من الضر والذل ، طول مدة بني أمية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي
العفوية باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) هذا يدل على
أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار ، لأنه ضمن الأجر في العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في
قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل » وقيل إن الانتصار أفضل ، والأول أصح فإن قيل
كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » والمباح لمدح فيه
ولاذم ، فالجواب : من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا يباطل ، والثاني أن مدح الانتصار
لكونه كان بعد الظلم تحرزا من بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم ، والثالث إن كانت
الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب حسبا ذكرنا فانتصاره محمود ، لأن قتال أهل البغي واجب لقوله تعالى
« فقاتلوا التي تبغي » (يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) عبارة عن الذل والسكابة ، ومن
الذل يتعلق بخاشعين (ينظرون من طرف خفي) فيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ، لأن نظر الذليل
بمهاية واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد
هذا ابن عطية والزمخشري : والظرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا (يوم القيامة) يتعلق بقال
أو بخسروا (ألا إن الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى (لامرله)

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ • اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ • فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ • اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ • يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ • أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ • وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ • إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ • وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّا نَمُرُّنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ •

ذكر في الروم (من نكير) أى إنكار يعنى لا تنكرون أعمالكم (يهب لمن يشاء إناثا) قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبن له . قال وائلة بن الأسقع من يمن المرأة تسكيرها بأثى قبل الذكر ، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيما والظاهر أنها على العموم فى جميع الناس ، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التى ذكر وفى الآية من أدوات البيان التقسيم (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الآية : بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحي المذكور أولا وهو الذى يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله أو يرسل رسولا يعنى ملكا فيوحي بآذنه ما يشاء إلى النبي وهذا خاص بالأنبياء والثانى خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا وقد يكون لسائر الخلق ومنه وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس (أو يرسل رسولا) قرئ يرسل ، ويوحى بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفًا على وحيا لأن تقديره أن يوحى عطف على أن المقدره (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) المقصد بهذا شيان أحدهما تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بأن علمه الله ما لم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لسكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم . فالجواب أن الإيمان يحتوى على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعنى به كمال المعرفة وهى التى حصلت له بالنبوة (ولكن جعلناه نورا) الضمير للقرآن

سورة الزخرف

مكية إلا آية ٤٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ فِي
أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ
الْأُولَىٰ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأُولَىٰ ۝ وَلَئِن
سَأَلْتَهُمْ مَّن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ
وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ

سورة الزخرف

(والكتاب المبين) يعنى القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، أو المبين لغيره (وإنه في أم الكتاب
لدينا لعل على حكيم) أم الكتاب ، اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف في اللوح بأنه على حكيم ، وقيل
المعنى أن القرآن نسخ بحماته في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه على حكيم لكونه
مكتوب في اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) الهمزة للإنكار والمعنى
أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير
والوعظ وصفحافيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى الإعراض ، تقول صفحت عنه إذا عرضت عنه فكأنه قال
أترك تذكيركم إعراضا عنكم وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر في وضع الحال
والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرا لنا لنؤوبكم وإعراب
صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال (أن كنتم قوما مسرفين) قرئ بكسر الهمزة على الشرط
والجواب في الكلام الذى قبله وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله (أشد منهم بطشا) الضمير لقريش وهم
المخاطبون بقوله أن كنتم قوما مسرفين، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التى معناها الشك
ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ، فالجواب أن فى ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه فكانه شىء
لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع (ومضى مثل الأولين) أى تقدم فى القرآن
ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا (ولئن سألتهم) الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون
أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره، ومقتضى جوابهم أن
يقولوا خلقهن الله ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزير العليم لأن اعترافهم بأنه خلق
السموات والأرض يقتضى أن يعترفوا بأنه عزير عليم ، وأما قوله الذى جعل لكم فهو من كلام الله لا من
كلامهم (مهادا) أى فراشا على وجه التشبيه (سبلا) أى طرقا تمشون فيها (ماء بقدر) أى بمقدار ووزن معلوم
وقيل معناه بقضاء (كذلك تخرجون) تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض (الأزواج كلها)

رَبُّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝
وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا
بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَ وَجْهَهُ مَسْجُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوْ مِنْ يَنْشُرُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ
غَيْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ۝

يعنى أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك (لتستوا على ظهوره) الضمير يعود على ماتركبون (ثم تذكروا
نعمة ربكم) يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المراكب
أو النعمة على الاطلاق، وكان بعض السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام، ثم يقول
سبحان الذى سخر لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وغالبين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اعتراف بالحشر
فإن قيل ما مناسبة هذا للمراكب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق
السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذى قد يعرض له وقيل يذكر
عند الركوب ركوب الجنابة، (وجعلوا له من عباده جزءا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب، وفى له لله
تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا
جزءا من عباده نصيباً له وحظادون سائر عباده وقال الزمخشري معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض
اللغويين الجزء فى اللغة الإناث واستشهد على ذلك بيت شعر قال الزمخشري وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع
(أم اتخذ مما يخلق بنات) أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم أى كيف يتخذ
لنفسه البنات وهن أذن ر أصفاكم بالبنيين وهم أعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا) أى إذا بشر بالآتى وقد ذكر
هذا المعنى فى النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم (أو من ينشؤا فى الحلية)
المراد بمن ينشأ فى الحلية النساء والحلية هى الحلى من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر
ويثبت فى استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصود الرد على الذين قالوا الملائكة
بنات الله كأنه قال أ جعلتم لله من ينشأ فى الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهى قوله
وهو فى الخصام غير مبين يعنى أن الآتى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها وقل
ما تجرد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعانى فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ
مفعول بفعل مضمر تقديره أ جعلتم لله من ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ فى الحلية
خصصتم به الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم
ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث
أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله
والذين عند ربك، وقرئ عباد بالياء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف (أشهدوا خلقهم) هذا رد على
العرب فى قولهم إن الملائكة إناثا، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟
(ستكتب شهادتهم ويسألون) أى ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ . قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الضمير في قالوا للكفار ، وفي عبدناهم للملائكة ، وقال ابن عطية الأصنام والأول أظهر وأشهر ، والمعنى احتجاج احتجاج به الذين عبدوا الملائكة ، وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لا نعبد ما عبدناهم ، فكونه يمهلنا وينعم علينا : دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم ، ثم رد الله عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) يعني أن قولهم بلا دليل وحجة ، وإنما هو تخرص منهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) أي من قبل القرآن ، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي على دين وطريقة ، والمعنى أنهم ليس لهم حجة ، وإنما هم مقلدو آباءهم (وكذلك ما أرسلنا من قبلك) الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم (قل أولو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هذارد على الذين اتبعوا آباءهم ، والمعنى قل لهم أتبعونهم ولو جئتم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم ، وقرئ قال أولو جئتم ، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم ، وأما قراءة قل بالامر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه ، والأول أظهر ، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين ، فإن قوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون : حكاية عن الكفار المتقدمين ، وكذلك قوله فاتقمنا منهم : يعني من المتقدمين (إنني براء) أي براء في الأصل مصدر ثم استعمل صفة ، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه (إلا الذي فطرني) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا ، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله ، أو يكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو في موضع خفض أو منصوب على الاستثناء فهو في موضع نصب (سهيدين) قال هنا سهيدين ، وقال مرة أخرى فهو يهدين ، ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال (وجعلها كلمة باقية في عقبه) ضمير الفاعل في جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام ، وقيل على الله تعالى ، والأول أظهر ، والضمير يعود على الكلمة التي قالها وهي إنني براء مما تعبدون ، ومعناها التوحيد ، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل ، وقيل يعود على لا إله إلا الله ، والمعنى متقارب : أي جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة في ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد ، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبدا (بل متعت هؤلاء وآباءهم) الإشارة بهؤلاء إلى قريش ، وهذا الكلام متصل بما قبله ، لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام

مبين . ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإننا ككفرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أحم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون . ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للبتقين . ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطنا فهو له قرين . وإِنَّهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون .

فالمعنى لکن هؤلاء ليسوا بمن بقيت الكلمة فيهم ، بل متعهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الضمير في قالوا لقريش ، والقريتان مكة والطائف ، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أى من أحدهما ، وقيل معناها على رجل من رجلين من القريتين ، فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود ، وقيل حبيب بن عمير ، ومعنى الآية أن قريشا استبدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واقتروا أن ينزل على أحد هؤلاء ، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة في قومه وكثرة ماله ، فرد الله عليهم بقوله (أحم يقسمون رحمت ربك) يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أى كما قسمنا المعاش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحفيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهو من التسخير في الخدمة : أى رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا (ورحمت ربك خير مما يجمعون) هذا تحقير للدنيا ، والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية : تحقير أيضا للدنيا ، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة ، وذلك هو ان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها جرة ماء (ومعارج عليها يظهرون) المعارج الأدراج والسلام ، ومعنى يظهرون يرتفعون ، ومنه « فما استطاعوا أن يظهروه ، والسرر جمع سرير ، والزخرف الذهب ، وقيل أثاث البيت من الستور والتمارق وشبه ذلك وقيل هو التزيق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة ، وقال الزمخشري يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينيه ، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعمى ، فعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجهل مع معرفته بالحق ، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر ،

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۚ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۚ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۚ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ۚ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۚ وَسَلِّ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا

وذكر الرحمن ، وقال الزمخشري يريد به القرآن ، وقال ابن عطية يريد به ، ما ذكر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر ، مضاف إلى الفاعل ، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله ، ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا ، فلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان (وإنما يصدونهم عن السبيل) الضمير في إنهم للشياطين ، وضمير المفعول في يصدونهم لمن يعيش عن ذكر الرحمن ، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع (حتى إذا جاءنا) قرئ جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعيش وشيطانه ، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعيش ، والضمير في قال لمن يعيش ، وقيل للشيطان (بعد المشرقين) فيه قولان . أحدهما أنه يعنى المشرق والمغرب ، وغلب أحدهما في التشبيه ، كما قيل القمران ، والآخر أنه يعنى المشرقين والمغربين ، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم في العذاب مشتركون) هذا كلام يقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم إشتراكهم في العذاب ولا يجردون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه ، والفاعل في ينفعكم قوله : أنكم في العذاب مشتركون ، وإذ ظلمتم : تعاليل معناه بسبب ظلمكم ، وقيل الفاعل مضمير وهو التبرى الذي يقتضيه قوله : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ، وأنكم على هذا تعليل ، والاول أرجح (أفأنت تسمع الصم) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالصم والعمى الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام (فإما نذهبنا بك فإننا منهم منتقمون) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، ومقصد الآية وعيد للكفار ، والمعنى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإننا سننتقم منهم بعد وفاتك ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون ، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة ، وقيل إن الضمير في منهم منتقمون للمسلمين ، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته ، والاول أشهر وأظهر (وإنه لذكركم ولقومك) الضمير في إنه للقرآن أو للإسلام ، والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش ، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة ، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم (وسوف تسألون) أى تسألون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إن قيل كيف أمر النبي صلى الله عليه

مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبُدُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَاهُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۝ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أَلْقَىٰ

وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدر كيفهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه رآهم ليلة الإسراء . الثاني أن المعنى أسأل أمة من أرسلنا قبلك . الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة ، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية ، وإخراج الديدان من قذورات البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها في غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات ، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر :

من تلق منهم فقل لا قيت سيدهم ۝ هكذا قال الزمخشري ، ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها ، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) ظاهر كلامهم هذا التناقض ، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضى تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضى تصديقه ، والجواب من وجهين : أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم ادع لنا ربك : يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعدتوا خلافه ، والآخر : أنهم كانوا مصدقين ، وقولهم يا أيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم ، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكانهم قالوا يا أيها العالم ، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه (ونادى فرعون في قومه) يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر منادياً ينادى فيهم (قال يا قوم أليس لي ملك مصر) قصد بذلك الافتخار على موسى ، ومصر هي البلد المعروف وما يرجع إليه ، ومنتهى ذلك من نهر الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل (وهذه الأنهار تجري من تحتي) يعنى الخللجان السكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصره ، وأعظمها أربعة أنهار : نهر الإسكندرية وتيس ودهياط ، ونهر طولون (أفلا تبصرون أم أنا خير) مذهب سيويوه أن أم هنا متصلة معادلة ، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء ، وهذا من وضع السبب موضع المسبب ، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذي بعدها واستأنف قوله ، أنا خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف ، وقيل أم بمعنى بل فهي منقطعة (مهين) أى ضعيف حقير قاله الزمخشري وغيره (ولا يكاد يبين) إشارة إلى ما بقى في لسان موسى من أثر الجفرة ، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة ، فلما دعا أن تحل أجبت دعوته وبقى منها أثر كان معه لكنته ،

عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْجَاءٌ مَّعَهُ الْمَلَأَتْهُ مَقْتَرِينَ ۖ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا وَمِثْلًا لِّلْآخِرِينَ ۖ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون ۖ وَقَالُوا ۙ الْهَيْئَةُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خِصْمُونَ ۖ إِنَّ هُوَ

وقيل يعنى العى في الكلام ، وقوله ولا يكاديين : يقتضى أنه كان يبين ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإثبات (فلولا أتى عليه أسورة من ذهب) يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته ، والأسورة جمع سوار وأسوار ، وهو ما يجعل في الذراع من الخلى ، وكان الرجال حينئذ يجعلونه (مقترنين) أى مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحججة (فاستخف قومه) أى طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم (آسفونا) أى أغضبونا (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) السلف بفتح السين واللام جمع سائف ، وقرئ بضمها جمع سليف ومعناه متقدم : أى تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ، ومثلاً يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) روى عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً ، حكى ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن ، ويصدون بمعنى يعرضون ، وقال الزمخشري : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك ، وقال عبد الله بن الزبيرى أخاصة لنا ولأهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولأهتكم وجميع الأمم ، فقال خصمك ورب الكعبة ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثنى عليه خيراً وقد علمت أن النصارى عبده فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآهتنا معه ، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، ونزلت هذه الآية ، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبيرى عيسى مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدون أى يضحكون ويصيحون من الفرح ، وهذا المعنى إنما يجرى على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح (وقالوا آهتنا خير أم هو) يعنون به عيسى ، والمعنى أنهم قالوا آهتنا خير أم عيسى ، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآهتنا معه لأنه خير من آهتنا ، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله ، وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر ، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر ، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدي من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فقصدتهم تفضيل آهتهم على عيسى . وقيل إن قولهم أم هو : يعنون به محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى قالوا آهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آهتهم على محمد والأظهر أن المراد به عيسى وهو قول الجمهور وبدل على ذلك تقدم ذكره (ماضربوه لك إلا جدلاً) أى ماضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدال وهو أن

إِلَّا عَبْدًا نَعْمَنَّا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْفُونَ ۖ
وإِنَّهُ لَعَلِمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا مَمْتَرٍ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاطِيعُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ۖ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۖ يَعْبَادُ الْآخُوفُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۖ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ ۖ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۖ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۖ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ۖ أُولَئِكَ يَلْفُفُونَ فِيهِمْ مِطَافٌ مِنْهُمْ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ۖ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ

يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو باطل ، فإن ابن الزبيرى وأمثاله من لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى حسب جهنم ، ولكنهم أرادوا المغالطة ، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعنى عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخفون) في معناها قولان : أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلانكم ملائكة يسكنون الأرض ويخفون فيها بنى آدم ، فموله منكم يتعلق بيدل المخدوف أو يخفون ، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أى لولدنا منكم أولادا ملائكة يخفونكم في الأرض كما يخفكم أولادكم ، فإذا قادرين على أن تخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد ، حتى ذلك الزمخشري (وإنه لعلم للساعة) الضمير لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل للقرآن ، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد ، فالمنى أنه شرط من أشرط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ، ولذلك قرئ لعلم بفتح العين واللام : أى علامة وأما على القول بأنه للقرآن : فالمنى أنه يعلمكم بالساعة (أو لا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لأمر الدنيا ، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف (فاختلف الأحزاب) ذكر في مريم (هل ينظرون إلا الساعة) أى ينتظرون ، والضمير لقريش أو للأحزاب (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الأخلاء جمع خليل وهو الصديق ، وإنما يعادى الخليل خليله يوم القيامة ، لأن الضرر دخل عليه من صحبته ، ولذلك استثنى المتقين ، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض (ياعباد) الآية . تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (تحبرون) أى تنعمون وتسرون (وهم فيه مبلسون) أى يأسون من الخير (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من

وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَاهِنُونَ . أَمْ أَمْرُوا أَمْراً فَإِنَّا مَبْرَمُونَ . أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ
بَلَىٰ أَوْسَلْنَا لَهُمْ يَكْتُبُونَ قُلُوبَهُمْ إِن كَانُوا لِلرَّحْمَنِ وَلِدًا فَإِنَّا أَوْلُ الْعَبِيدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . فَذَرِهِمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ، وَهُوَ الَّذِي فِي
السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ . وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

العذاب ، وروى أن مالكاً يبق بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ما كنتمون أي دائمون في النار (لقد
جئناكم بالحق) الآية من كلام الله تعالى لأهل النار ، أو من كلام الله لقريش في الدنيا (أم أبرموا أمراً فإننا
مبرمون) الضمير لكفار قريش ، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبي صلى الله عليه وسلم فإنما يحكمون نصره وحمايته (أم
يحبسون) الآية: روى أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أتري
الله يسمع سرنا ، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا (سرههم ونجواهم) السر ما يحدث الإنسان به نفسه
أو غيره في خفية ، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) أي نسمع ورسلنا مع ذلك تحكتب ما يقولون
والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) في تأويل الآية أربعة
أقوال: الأول أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم ، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار
لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خزم الملك ولد الملك لتعظيم والده ، ولكن ليس للرحمن
ولد فلوست يعابد إلا الله وحده ، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم لأنه علق عبادة الولد بوجوده
ووجوده محال فعبادته محال ، ونظير هذا أن يقول المالك إذا قصد الرد على الخنفي في تحريم البيذ . إن كان
البيذ غير مسكر فهو حلال لكنته مسكر فهو حرام ، القول الثاني إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده
وكذبكم في قولكم أن له ولدا ، والعابدن على هذين القولين بمعنى العبادة ، القول الثالث أن العابدين بمعنى
المنكرين : يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشيء ، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين
لذلك ، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية ، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد
وتم الكلام ، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين ، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة ، وهو
الذي عول عليه الزمخشري ، وقال الطبري هو ملاحظة في الخطاب ونحوه قوله تعالى «وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في
ضلال مبين» وقال ابن عطية منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار «أين شركائي» يعني شركائي على قولكم (فذرهم) الآية
موادعة منسوخة بالسيف (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء
والجور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية (وعنده علم الساعة) أي علم زمان وقوعها (ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة) أي لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله ، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ،
فهو المالك للشفاعة وحده (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) اختلف هل يعني بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع
فيه ، فإن أراد المشفوع فيه فلا استثناء منقطع والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم

يَعْلَبُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ .
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَبُونَ .

سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا
يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ

به فهو الذي يشفع فيه ، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره
الشفاعة فيمن شهد بالحق ، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا وأن يكون متصلا
إلا فيمن عبد عيسى والملائكة ، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق (وقيل يارب إن
هؤلاء قوم لا يؤمنون) القيل مصدر كالقول ، والضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرئ قيله بالنصب
والخفض وقرئ في غير السبع بالرفع ، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرهم ونجواهم ، وقيل هو معطوف
على موضع الساعة لأنهم مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم
وقيله ، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله بالحق ، وأما
على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره ما بعده ، وضعف الزخشرى ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب
والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لا ضربن زيدا والرفع كقولهم آمين الله ولعمرك ، وجواب
القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كآه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) منسوخ
بالسيف (وقل سلام) تقديره أمرى سلام : أى مسالمة ، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ
على الوجهين (فسوف تعلمون) تهديد

سورة الدخان

(والكتاب المبين) ذكر في الزخرف وهو قسم جوابه إننا أنزلناه ، وقيل إننا كنا منذرين وهو بعيد (إننا أنزلناه
في ليلة مباركة) يعنى ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شيء وقيل معناه أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر ، وقيل يعنى بالليلة
المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل ، لقوله « إننا أنزلناه في ليلة القدر » مع قوله « شهر رمضان الذي
أنزل فيه القرآن » (فيها يفرق كل أمر حكيم) معنى يفرق بفصل ويخلص ، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم
وجميع أمورهم في ذلك العام نسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة ، وقيل
إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قدمنا (أمر من عندنا) مفعول بفعل مضمرة على الاختصاص
قاله الزخشرى ، وقال ابن عطية نصب على المصدر ، وقيل على الحال (مرسلين) إرسال الرسل عليهم السلام ، وقيل

فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ ۚ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۚ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ رَبَّنَا اكْشِفْ
عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۚ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۚ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۚ
إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۚ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ
قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۚ أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي
أَعْتَبُكُمْ بَسْطَ لِسَانِي مُبِينٌ ۚ وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تُرْجَمُونَ ۚ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَمِزُونَ ۚ فَدَعَا رَبِّي أَنْ
هَيِّئْ لِي قَوْمًا يُجْرَمُونَ ۚ فَأَسْرَبْعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ۚ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۚ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۚ وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِنُوا ۚ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا

من إرسال الرحمة والاول أظهر (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) في هذا قولان أحدهما قول علي بن أبي طالب
وابن عباس أن الدخان يكون قيل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين
وهو من أشرط الساعة ، وروى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول أشرط الساعة الدخان
والثاني قول ابن مسعود إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجذب فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجرع قال ابن مسعود خمس قد مضين : الدخان
واللزام والبطشة والقمر والدوم (هذا عذاب أليم) يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ، أو من قول الناس
لما أصابهم الدخان ، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا (أنى لهم الذكرى) هذا
من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والواو في قوله
وقد جاءهم واو الحال (رسول مبين) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (البطشة
الكبرى) قال ابن عباس هي يوم القيامة ، وقال ابن مسعود هي يوم بدر (ورسول كريم) يعنى موسى عليه السلام
(أن أدوا إلى عباد الله) أن هنا مفسرة نائب مناب القول ، وأدوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم
بنو إسرائيل ، والمعنى أرسلوا بنو إسرائيل كما قال في طه « أرسل معنا بنو إسرائيل » وقيل عباد الله منادى ،
والمعنى أدوا إلى الطاعة والإيمان يا عباد الله ، والاول أظهر (وألأ تعلموا) أى لا تتكبروا (بسلطان) أى
حجة وبرهان (أن ترجمون) اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والاول أظهر (فاعتزلون) أى اتركون
وخلوا سبيلى (فأسر بعبادى) هذا أمر من الله لموسى عليه السلام والعباد هنا بنو إسرائيل أى اخرج بهم بالليل
(إنكم متبعون) إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا على هيئته وقيل يابسا
وروى أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق ، فقال الله له اتركه كما
هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه ، وقيل معنى رهوا سهلا ، وقيل منفرجا (وعيون) يحتمل أن يريد
الخارجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون في ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم)
فيه قولان المنابر والمسكن الحسان (ونعمة) من التمتع بالأرزاق وغيرها (فأكهين) أى متعمين ، وقيل فرحين

«آخِرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مَرَّ فَرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدْ اخْتَرْتَنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فَهَمُ بِهَا مُبِينًا ۝ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَآتَوْا بَابَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبَثِ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامٌ الْأَثَمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ

وقيل أصحاب فاكهة (كذلك) في موضع نصب أى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم ، أوفى موضع رفع تقديره الأمر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل حكاة الزمخشري والماوردي وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يروى مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان ، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها ، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء وأورثناها بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه عبارة عن تحقيرهم ، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالي بهم . الثاني قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح : الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض ، والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب (وكانوا منظرين) أى مؤخرين (من فرعون) بدل من العذاب (عاليا) أى متكبرا (اخترناهم على علم) أى كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك (على العالمين) أى على أهل زمانهم (بلاء مبين) أى اختبار (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (فأتوا بآبائنا) خاطبت قريش بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على وجه التعجيز ، روى أنهم طلبوا أن يحيى لهم قصى بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة (أهم خير أم قوم تبع) كان تبع ملك من حمير وكان مؤمنا وقومه كفارا فقدم الله قومه ولم يذمه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي ، ومعنى الآية أقرش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار ، وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء ، فقصد الكلام تهديد (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع : وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح (لاعبين) حال منفية ذكرت في الأنبياء (يوم لا يغنى مولى عن مولى) المولى هنا يعم الولى والقريب وغير ذلك من الموالى (إلا من رحم الله) استثناء منقطع إن أراد بقوله ولاهم ينصرون الكفار ، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس (طعام الأثيم) أى الفاجر وهو من الإثم ، وقيل يعنى أبا جهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس

سَوَاءَ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ
تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ
وَزَوْجُهُمْ فِي بَحْرِ رَعْدٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يُذَوِّقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَأَمَّا يَسْرَنَّهُ يَلِيسَانَ لِعَلَّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ
إِنَّهُمْ مَرْتَقِبُونَ *

سورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ وَمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ

فتعم أبا جهل وغيره (كالمهل) هو دردى الزيت ، وقيل ما يذاب من الرصاص وغيره (فاعتله) أى سوقوه
بتعنيف (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب فى الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار ، ولكن
جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلاً ، وقد جاء الأصل فى قوله
يصب من فوق رؤوسهم الحميم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به
أى كنت العزيز الكريم عند نفسك ، وروى أن أبا جهل قال ما بين جبلها أعزمنى ولا أكرم فنزلت الآية
(تمترون) تفتعلون من المربة وهى الشك (فى مقام أمين) قرئ بضم الميم أى موضع إقامة، وفتحها أى موضع قيام
والمراد به الجنة والأمين من الأمن أى مأمون فيه ، وقيل من الأمانة وصف به المكان مجازاً (من سندس وإستبرق)
السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه (كذلك) فى موضع رفع أى الأمر كذلك ، أو فى
موضع نصب أى مثل ذلك زوجناهم (يدعون فيها) أى يدعون خدامهم (إلا الموتة الأولى) استثناء منقطع،
والمعنى لا يذوقون فيها الموت : لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله فيها لكان متصلاً
لعموم لفظ الموت ، وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف (يسرناه) أى سهلناه والضمير للقرآن (بلسانك)
أى بلغتك وهى لسان العرب (فارتقب إنهم مرتقبون) أى ارتقب نصرنا لك وإهلاكم فإنهم مرتقبون
ضد ذلك ، ففهم وعده له ووعد لهم .

سورة الجاثية

(تنزيل) ذكر فى الزمر وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناها فى مواضع (ويل لكل أفاك أثيم)

اللَّهُ تَتَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ آيِمٍ ۖ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا
 هَزْوًا أَوْ لِسْتًا لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۖ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ آيِمٍ ۖ اللَّهُ
 الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَائِ
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۖ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ
 لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 تُرْجَعُونَ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ۖ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۖ

الأفك مبالغة من الإفك وهو الكذب، والأئيم من الإثم، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها
 على العموم (يصر) أى يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بتم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد
 سماعه آيات الله واستبعاد ذلك في العقل والطبع (وإذا علم من آياتنا) أى إذا بلغه منها شيء ولم يرد العلم
 الحقيقى (من وراءهم جهنم) كقوله من ورائه عذاب غليظ، وقد ذكر في إبراهيم (وسخر لكم ما فى السموات
 وما فى الأرض) يعنى الشمس والقمر والملائكة وبنى آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك (جميعا منه)
 أى كل نعمة فمن الله تعالى، والمجروور فى موضع الحال أو خبر ابتداء مضمرة، وقرأ ابن عباس منه
 (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم
 إذا آذوهم، وكان ذلك فى صدر الإسلام، قيل إنهما نسوخة بالسيف، وقيل ليست بنسوخة لأن احتمال الأذى
 مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك، وروى أن الآية نزلت فى عمر بن
 الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به، وأيام الله هى نعمه، فالرجاء على أصله، وقيل أيام
 الله عبارة عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم فى جواب شرط مقدر دل عليه قل، قال
 الزمخشري حذف معمول القول، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) فاعل يجزى
 ضمير يعود على الله، وقرئ بنون المتكلم، وقال ابن عطية إن الآية وعيد، فالقوم على هذاهم الذين لا يرجون
 أيام الله ويكسبون يعنى السيئات، وقال الزمخشري القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون
 بكظم الغيظ واحتمال المكروه (على العالمين) ذكر فى البقرة (بينات من الأمر) أى معجزات من أمر
 الدين (جعلناك على شريعة من الأمر) أى ملة ودين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
 وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ
 سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
 نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُبْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

آمنوا) أم هنا للإنكار ، واجترحوا اكتسبوا ، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا ، ولأن الآية مكية : وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويكي طول الليل ويقول لنفسه من أى الفريقين أنت ، ومعناها إنكار ما حسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات ، وفي تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لافي المحيا ولا في الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا في المحيا في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشق الكافرون ، فالمراد بها إثبات الجزاء في الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » وكقوله « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (سواء محياهم ومماتهم) هذه الجملة بدل من الكاف في قوله كالذين آمنوا هي مفسرة للتشبيه ، وهي داخلة فيما أنكره الله ما حسبه الكفار وقيل هي كلام مستأنف ؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذى اخترناه ، وأما إعرابها فنقرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل ، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ، ومحياهم فاعل بسواء ، لأنه في معنى مستوى (سواء ما يحكمون) أى ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين (لتجزى كل نفس بما كسبت) معطوف على قوله بالحق ، لأن فيه معنى التعليل ، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليبدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت (اتخذ إلهه هواه) أى أطاعه حتى صار له كالإله (وأضله الله على علم) أى على علم من الله سابق ، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولكنه يتبع الضلال معاندة (ختم) ذكر في البقرة (فمن يهديه من بعد الله) قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه ، ويحتمل أن يريد فن يهديه غير الله (وقالوا) الضمير لمن اتخذ إلهه هواه أو لقربش (نموت ونحيا) فيه أربع تأويلات : أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم ، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا ، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفأ ، ونحيا في الدنيا ، والرابع نموت الموت المعروف ، ونحيا قبله في الدنيا فوقع في اللفظ تقديم وتأخير ، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة ، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية

مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ * وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *
هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتلى عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكْبِرْتُمْ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا
ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ * وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَاعْمَلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ
كَأَنِّي نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مَن نَّصِّرِينَ * ذَالِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * فَللَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

لقولهم وما بهلكنا إلا الدهر ، فرد الله عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم الآية (قالوا اتنوا بأبائنا) ذكر في الدخان
(قل الله يحييكم) الآية : رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة
(وترى كل أمة جائية) أى تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل (كل أمة تدعى إلى كتابها) أى إلى
صحائف أعمالها ، وقيل الكتاب المنزل عليها ، والأول أرجح لقوله ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، الآية :
فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب : أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم
ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكم ، وأنه هو الذى أمر الملائكة أن يكتبوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم
تعملون) أى تأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم ، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من
اللوحة المحفوظ ، ثم يسكونه عندهم فتأتى أفعال العباد على ذلك ، فتكتبها الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ
وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل (أفلم تكن) تقديره يقال لهم
ذلك (وحاق) ذكر مرارا (اليوم ننساكم) النسيان هنا بمعنى الترك ، وأما فى قوله كما نسيتم فيحتمل أن يكون
بمعنى الترك أو الذبول (ولا هم يستعتبون) من العتبي وهى الرضا

سورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

سورة الأحقاف

(تنزيل) ذكر في الزمر (إلا بالحق) ذكر مرارا (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (أرونى ماذا خلقوا) احتجاج على التوحيد ورد على المشركين ، فالأمر بمعنى التعجيز (شرك في السموات) أى نصيب (أتتوني بكتاب) تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراف بالله ، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد (أو أنارة من علم) أى بقية من علم قديم يدل على ما يقولون ، وقيل معناه من علم تثيرونه أى تستخرجونه ، وقيل هو الإسناد ، وقيل هو الخط في الرمل ، وكانت العرب تتكهن به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل فن وافق خطه فذاك (ومن أضل) الآية . معناها لا أحد أضل ممن يدعو لها لا يستجيب له وهى الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل ، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم ، لأنها لا تسمعه (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى كان الأصنام أعداء الذين عبدوها (وكانوا بعبادتهم كافرين) الضمير فى كانوا للأصنام : أى تبرأ الأصنام من الذين عبدوها ، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء ، من الاستجابة والغفلة والعداوة (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى لو افتريته لعاقبنى الله على الافتراء عقوبة لا تقدر على دفعها ولا تملكون شيئاً من ردها عليه فكيف أقربه وأعرض لعقاب الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تتكلمون به ، يقال أفاض الرجل فى الحديث إذا خاض فيه واستمر (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع والبديع من الأشياء : مالم ير مثله أى ما كنت أول رسول ، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد قبلى ، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلى ، فلا شىء تنكرون ذلك (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) فيها أربعة أقوال : الأول أنها فى أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ قَتَامَنَ
وَأَسْتَكْبِرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ۚ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ

أنه في الجنة ، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار ، وهذا بعيد ، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله
والثاني أنها في أمر الدنيا: أي لأدرى بما يقضى الله علىّ وعلينكم ، فإذ مقادير الله غيبية وهذا هو الأظهر. الثالث ما أدرى
ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة . الرابع أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بنات الخيل فعلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (قل أرايتم إن كان
من عند الله ثم كفرتم به) معنى الآية أرايتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين ، ثم حذف قوله أستم
ظالمين وهو الجواب ، لأنه دل على أن الله لا يهدي القوم الظالمين (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) هذه الجملة
معتوفة على الجملة التي قبلها ، فالمعنى أرايتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على
مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أتم أستم أضل الناس وأظلم الناس ، واختلف في الشاهد المذكور
على ثلاثة أقوال: أحدها أنه عبد الله بن سلام ، فقيل على هذا إن الآية مدنية ، لأنه إنما أسلم بالمدينة ،
وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول في
نزلت الآية ، الثاني أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة : الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبري
والضمير في مثله للقرآن أي يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد ، والضمير في آمن للشاهد
فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين ، وإن كان موسى عليه السلام ، فإيمانه هو تصديقه
بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره به (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أي لو
كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء ، والقائلون لهذه المقالة هم كبار قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب
وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة ، وقيل بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله
ابن سلام ، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإيمانه كانت بعد الهجرة
ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا : أي قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبواهم بهذا
الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إنك قديم) أي المالم يهتدوا قالوا
هذا إنك قديم ونحو هذا ما جاء في المثل من جهل شيئا عاده ، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما ، فإن قيل :
كيف تعمل فسيقولون في إذ وهى للماضى والعامل مستقبل ؟ فالجواب : أن العامل في إذ محذوف تقديره
إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون ، قال ذلك الزمخشري ، ويظهر لي أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية
بمعنى الماضى فلا يلزم السؤال ، والمعنى أنهم قالوا هذا إنك بسبب أنهم لم يهتدوا به ، وقد جاءت إذ بمعنى
التعليل في القرآن وفي كلام العرب ومنه : ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ، أي بسبب ظلمكم (ومن قبله كتاب
موسى إماما ورحمة) الضمير في قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة ، وإماما حال ، ومعناه يقتدى به
(وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) الإشارة بهذا إلى القرآن ، ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب ، وقد

مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفْ لَكُمْ
أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنْ إِذْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ
مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ

ذكرنا ذلك في البقرة ولسان حال من الضمير في مصدق ، وقيل مفعول بمصدق أى صدق ذا لسان عربى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، واختار هذا ابن عطية (استقاموا) ذكر في حم السجدة (حسنا) ذكر في العنكبوت (حملته أمه كرها ووضعت كرها) أى حملته بمشقة ووضعت بمشقة ، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد (وحمله وفضاله ثلاثون شهراً) أى مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهراً وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين ، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين ، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر ، ومن هذا أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع (بالغ أشده) ذكر في يوسف (وبلغ أربعين سنة) هذا حد كمال العقل والقوة ، ويقال إن الآية نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقيل إنها عامة (فى أصحاب الجنة) أى فى جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانا فى الناس أى مع الناس (والذى قال لولايه أف لكما) قال مروان بن الحكم نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فى أبى ويقول لهما أف ، وأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك ، وقالت والله ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن لإبرائى ، ويبتل ذلك قطعاً قوله تعالى وأولئك الذين حق عليهم القول لأن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين ، وكان له فى الجهاد غنى عظيم ، وقال السدى ما رأيت أعبد منه ، وقال ابن عباس نزلت فى ابن لآبى بكر ولم يسمه ، ويرد ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هى على الإطلاق فى من كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه ، ويدل على أنها عامة قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول بصيغة الجمع ، ولو أراد واحداً بعينه لقال ذلك الذى حق عليه القول ، وقد ذكرنا معنى أف فى الإسراء (أتعدانى أن أخرج) أى أتعدانى أنا أن أخرج من القبر إلى البعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) الضمير لوالديه أى يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقول لآله ويلك ثم يأمرانه بالإيمان : فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين : أى

وَالْإِنْسَ إِنَّمَا كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمَلُوا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبَّاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ وَاذْكُرْ أَخَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَتَا فَاثَنًا بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِمَّنْ نَابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ يَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغَىٰ عَنْهُمْ سَمْعَهُمْ وَلَا ابْصَرَهُمْ وَلَا أَفْقِدْتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۝ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَقَدْ

قد سطره الأولون في كتبهم ، وذلك تكذيب بالبعث والشرعة (ولكل درجات مما عملوا) أى للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم ، فدرجات أهل الجنة إلى علو ، ودرجات أهل النار إلى سفلى ، وليوفى بهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفى بهم أعمالهم (ويوم يعرض) العامل فيه محذوف تقديره اذ كر (أذهبتم طيباتكم) تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم ؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها ؛ وقرئ أذهبتم همزة واحدة على الخبر وهمزتين على التوبيخ ، والآية في الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهى مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحماً أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (عذاب الهون) أى العذاب الذى يقترن به هوان (واذ كر أخاعاد) يعنى هوداً عليه السلام (بالأحقاف) جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلاف أين كانت فقيل بالشام ، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت ، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن (وقد خلت النذر) أى تقدمت من قبله ومن بعده ، والنذر جمع نذير ، فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من بعده ؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهى إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلاً متقدمين قبل هود وبعده ، وقيل معنى من خلفه فى زمانه (قل إنما العلم عند الله) أى قل إن العذاب الذى قائم اتنا به ليس لى علم متى يكون ، وإنما يعلمه الله ، وما على إلا أن أبلغكم ما أرسلت به (فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم) العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ، والضمير فى رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرتضى المهيم الذى فسره قوله عارضاً قال الزمخشري وهذا أعرب وأفصح ، وروى أنهم كانوا قد قحطوا مدة ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر فقرحوا به فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمرة (تدمر كل شىء بأمر ربها) عموم يراد به الخصوص (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أى مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ، ثم أهانكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما ، وعدل

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِ لَعَلِّهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا
 آلِهَةً بَلَّ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
 الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ
 مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ
 وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ
 وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بَقْدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ

عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها ، وقيل إن شرطية ، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم ، قال
 ابن عطية : وهذا تنطع في التأويل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) بمعنى بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها ،
 والمراد إهلاك أهلها (فلولا نصرهم) الآية عرض معناه النفي أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله
 (قربانا) أي تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وانتصاب قربانا على الحال ، ولا يصح أن يكون
 قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى ، قاله الزمخشري ، وقد أجاز ابن عطية (بل ضلوا عنهم)
 أي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أي أملناهم نحوك ،
 والنفر دون العشرة وروى أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرا ، لأن النفر الرجال دون النساء ، وكانوا
 من أهل نصيبين ، وقيل من أهل الجزيرة ، واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قيل إنه لم يره ولم
 يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك ، وقيل بل علم بهم واستعد لهم واجتمع معهم ، وقد ورد في ذلك عن عبدالله
 ابن مسعود أحاديث ، اضطربة ، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم
 قالوا ما هذا إلا لأمر حدث نطافوا بالارض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به (أنزل من بعد موسى) في هذا دلالة
 على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا يعلموا يبعث عيسى (مصدق لما بين يديه) ذكر في البقرة (داعي الله)
 هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبويض على الأصح أي يغفر لكم الذنوب
 التي فعلتم قبل الإسلام ، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله ، وقيل معنى التبويض أن المظالم لا تغفر وقيل
 إن من زائدة (ويجرکم من عذاب أليم) أي من النار ، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من
 النار ، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة (ومن لا يجيب داعي الله) الآية : يحتمل أن يكون من كلام الجن
 أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت (أولم يروا) الآية : احتجاج على بعث الأجساد بخلق
 السموات والارض (ولم يعي بخلقهن) يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى علم كيف خلق
 السموات والارض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى (بقادر) في موضع رفع لأنه خبر أن

النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَغَ فَبَلِّغْ لَهُم مَّا نَزَّلْنَا بِالْحَقِّ وَإِن يَسْفَحُوا فَلاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ۝

سورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۝ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتَمُوهُم فَاصْدُوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ

وإنما دخلت الباء لاشتغال النفي في أول الآية على أن وخبرها (بلى) جواب لما تقدم أى هو قادر على أن يحيى الموتى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أى اصبر على تكذيب قومه وأولوا العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وهوسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام لقوله فبهدهم اقتده، وقيل كل من لقي من أمتة شدة وقيل الرسل كلهم أولوا عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبويض (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صابرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم (بلاغ) خبر ابتداء مضمرة تقديره هذا الذى وعظمت به بلاغ بمعنى كفاية في الموعدة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أى بلغ هذه المواعظ والبراهين.

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(الذين كفروا) يعنى كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعنى الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن (وصدوا عن سبيل الله) يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا في غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية، وهو قوله وهو الحق من ربهم (وأصلح بالهم) قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذى فى القلب وإذا صلح القلب صلح الجسد كله فالمعنى لإصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرِب الرقاب لأنه الغالب فى صفة القتل (حتى إذا أثخنتوهم)

تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ * سَيُجْزِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن
تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرُوا
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا * ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَمَوْلَى لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ
يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا
تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ * وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَأَنْصُرُوا

أى هز متموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر (فشدو الوثاق) عبارة عن الأسر (فإماننا بعدو إمامفداء) المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء وهى المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها محكمة وانتصب منا وفداء على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران (حت تضع الحرب أوزارها) الأوزار فى اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها رهى آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لا بد أن يكون فيها إثم فى أحد الجانبين واختلاف فى الغاية المرادة هنا فاقيل حتى يسدوا الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلهم وتغلبهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدأ كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة (ذلك) تقديره الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أو لو شاء الله لاهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض (عرفها لهم) أى جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التى هى الجبال (فتعسا لهم أى عثارا وهلاكاً وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمرة وعلى هذا الفعل حظ وأضل أعمالهم (وللكافرين أمثالها) أى لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك (مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف فى الموضوعين فعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم فى جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولي والناصر (ويأكلون كما تأكل الأنعام) عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهايم (من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج (أهلكنهم) الضمير للقرى المتقدمة المذكورة فى قوله وكأين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد

لَهُمْ * أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَشِّكُمْ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَأِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

أهلكننا أهلها (أفمن كان على بيته من ربه) أى على حجة ويعنى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يعنى قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله واللفظ أعم من ذلك (مثل الجنة) ذكر في الرعد (غير آسن) أى غير متغير (كمن هو خالد في النار) تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النبي وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بيته من ربه (ومنهم من يستمع إليك) يعنى المنافقين وجاء يستمعون بافظ الجمع رعيا لمعنى من (قالوا للذين أوتوا العلم) روى أنه عبد الله بن مسعود (ماذا قال آنفا) كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أى فائدة فيه ، وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته (والذين اهتدوا زادهم هدى) يعنى المؤمنين والضمير فى زادهم لله تعالى أول الكلام الذى قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا وقيل يعنى بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاهتدوا هم هو إيمانهم بعبسى وزيادة هداهم إسلامهم (فهل ينظرون إلا الساعة) الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها والذى كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرّون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة ، وذكرهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أى دم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قيل متقلبكم تصرفكم فى الدنيا ، ومثواكم إقامتكم فى القبور وقيل متقلبكم تصرفكم فى اليقظة ومثواكم منامكم (لولا نزلت سورة) كانت المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إيباطه (محكمة) يحتمل أن يريد بالمحكمة أى ليس فيها منسوخ ، أو يراد متقنة ، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة (رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك) يعنى

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ
صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ ۖ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
إِنَّ الَّذِينَ آرَتُوا عَلَىٰ آدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۖ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ
الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْتَضَاءُوا وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتُمُ بَسْمِهِمْ
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۖ وَلَنُبَلِّوَنَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوهُمُ

المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه (فأولى لهم) في معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام، تقديره طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بأستهم دون قلوبهم (فإذا عزم الأمر) أسند العزم إلى الأمر مجازاً كقولك نهاره صائم وليله قائم (صدقوا الله) يحتمل أن يريد صدق اللسان، أو صدق العزم والنية وهو أظهر (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب، ليكون أبلغ في التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم، ومعنى توليتم صرتم ولاية على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت في بنى أمية وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا به (سؤل لهم) أي زين لهم ورجاهم ومنامهم (وأملى لهم) أي مد لهم في الآماني والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والاول أظهر، لتناسب الضمير بين الفاعلين، في سؤل وأملى (سنطيعكم في بعض الأمر) قال ذلك اليهود للمنافقين، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربه (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أي كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة، يعني ملك الموت ومن معه، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت (يضربون وجوههم) ضمير الفاعل للملائكة، وقيل إنه للكفار أي يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف (أم حسب) الآية: معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام وأهله (ولو نشاء لأريناكمهم) أي لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء

أَخْبَارُكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُجِطُّ أَعْمَلُهُمْ ۚ يَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۚ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأْتِمِ الْعِلْمَ وَاللَّهَ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكَ أَعْمَالَكُمْ ۚ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۚ إِنْ يَسْأَلُكُمْ فَاجْتَنِبُوا وَبِخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ * هَاتِمٌ هُوَ لَا تَدْعُونَ
لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَإِن تَتَوَلَّوْا
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۚ

عليهم وعلى أقرارهم من المسلمين ، وروى أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه (ولتعرفهم في لحن القول)
معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفي المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم سيبرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين (ولنبلونكم) أى
نختبركم (حتى نعلم) أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها
ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم
لا تبلينا فإنك إذا ابتليتنا فاضحتنا وهتكت أستارنا (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه ، ونزلت الآية فى المنافقين
وقيل فى اليهود (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتتمل أربعة معان أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثانى
لا تبطلوا أحسانكم بفعل السيئات ذكره الرمحشرى وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات
لا تبطل الحسنات . والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب ، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقنطعوها قبل
تمامها ، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية : وهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجزله قطعها ، وهذا بعد هذه
المعاني ، والأول أظهر لقوله قبل ذلك فى الكفار أو المنافقين ، وسيجبط أعمالهم فكأنه يقول : يا أيها الذين آمنوا
لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصددهم عن سبيل الله ومشاققتهم الرسول (فلن يغفر الله
لهم) هذا قطع بأن مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم)
أى لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح فهو كقوله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (ولن يترك
أعمالكم) أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أثره إذا نقصته شيئا أو أذهبت له متاعا (ولا يسألكم
أموالكم) أى لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف (إن يسألكموها
فيحفظكم تبخلوا) معنى يحفظكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال وتبخلوا جواب الشرط (ويخرج أضغانكم)
الفاعل الله تعالى أو البخل ، والمعنى يخرج ما فى قلوبكم من البخل وكرهه الإِنْفَاق (هؤلاء) منصوب على التخصيص
أو منادى (لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى الجهاد والزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما ضرر
بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإِنْفَاق (وإن تولوا يستبدل قوما غيركم) أى
يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين فى الإِنْفَاق فى سبيل الله ، فقيل إن هذا الخطاب لقريش ،

سورة الفتح

مدينة نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَمِّتْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۝ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةٌ

والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدينة نزلت والآنصار حاضرون ، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس

سورة الفتح

نزلت هذ السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدته المشركون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان إلى المدينة ، لقد نزلت على سورة هي أحب إلى من الدنيا وما فيها ، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم أى حكمتنا لك على أعدائك ، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة أو من فتح البلاد واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال : الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضى لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد ، الثانى أنه ماجرى فى الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية ، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح ، لأنه روى أنها لما نزلت قال بعض الناس ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح ، ورجعوا إليكم فى الأمان ، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها ، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة فى ذلك إذ يتصور فى الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك (هو الذى أنزل السكينة) أى السكون والطمأنينة ، يعنى سكونهم فى صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه الرحمة (الظالمين بالله ظن السوء) معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به ، والأول أظهر بدليل ما بعده (عليهم

السوء و غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم و ساءت مصيرا . و لله جنود السموات و الارض و كان
الله عزيزا حكيمًا * انا ارسلناك شهيدا و مبشرا و نذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه
بكرة و اصيلا . ان الذين يبائعونك ائما يبائعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فائما ينكث على
نفسه و من اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما . سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا
اموالنا و اهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم
ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا * بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول و المؤمنون الى
اهلهم ابدا و زين ذلك في قلوبكم و ظننتم ظن السوء و كنتم قوما بورا . و من لم يؤمن بالله ورسوله فاننا
اعتدنا للكافرين سعيرا * و لله ملك السموات و الارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و كان الله
غفورا رحيمًا . سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى اماكن لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلم الله

دائرة السوء) يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء (إنا أرسلناك شاهدا) أي تشهد على أمتك (و تعزروه) أي تعظموه و قيل
تصرونه و قرئ تعزروه بزايين منقوطين ، والضمر في تعزروه و توقروه للنبي صلى الله عليه وسلم و في تسبحوه لله
تعالى ، و قيل الثلاثة لله (ان الذين يبائعونك ائما يبائعون الله) هذا تشریف للنبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل
مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله « يد الله فوق ايديهم » و ذلك على وجه التخييل و التمثيل يريد أن
يدرسل الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يد المبايعين له هي يد الله في المعنى و إن لم تكن كذلك في الحقيقة و إنما
المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة و السلام ، كعقده مع الله كقوله « من يطع الرسول فقد
أطاع الله » و تأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة و هذا بعيد هنا و نزلت الآية في بيعة الرضوان
تحت الشجرة و سئذ كره ابعده (فمن نكث فائما ينكث على نفسه) يعني أن ضرر نكثه على نفسه و يراد بالنكث هنا
نقض البيعة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) الآية : سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ،
و الاعراب هم أهل البوادي من العرب ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يعتمر
رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش و غيرهم فعدوا عن الخروج معه و لم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه
لا يرجع هو و المؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله في هذه السورة ، و أعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بقولهم و اعتذارهم قبل أن يصل إليهم ، و أعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم (يقولون بالسنتم ما ليس في قلوبهم)
يحتمل أن يريد قولهم شغلنا أموالنا و اهلونا لأنهم كذبوا في ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك
رياء من غير صدق و لا توبة (قوما بورا) أي هالكين من البوار ، وهو الهلاك و يعني به الهلاك في الدين
(سيقول المخلفون) الآية : أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن المخلفين عن غزوة
الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى ، و هي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من
ذلك و أن يقول لهم لن تتبعونا (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَمِيقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونََنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِلَى الْقَوْمِ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُبُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى الْحَرَجُ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذَابِ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا

وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك فهذا هو ما أرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة (كذلك قال الله من قبل) يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) معناه يعز عليكم أن نصيب معكم ما لا وغنيمة وبل هنا الإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل في قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هو ازن ومن حارب النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر والثاني أنهم الروم إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم في غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويتقوى الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يرجد إلا في أهل الردة قلت وكذلك هو موجود في كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هو ازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يريد في غزوة الحديبية (ليس على الأعمى حرج) الآية معناها أن الله تعالى نذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد لسبب أعمارهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحته وفي الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخا أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد وقيل بايعوه على الميراث ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما وانعقد الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهب بعد سنين فر عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته فاختلف الصحابة في

قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيمًا ، وعدمكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فبجعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً . ولو قتلتم الذين كفروا لولوا الأديرتهم ولا يجذون ولياً ولا نصيراً * سنة الله التي قد خلت من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً . وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تطؤوه

موضعها (فعلم ما في قلوبهم) يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة (وأناهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر وقيل فتح مكة والاول أشهر أى جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولا فهي غنائم خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التي وعدم الله وهي المذكورة ثانيا فهي كل ما ينعم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فبجعل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التي وعدم هي خيبر والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية (وكف أيدي الناس عنكم) أى كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن إضرار نساءكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية (ولتكون آية للمؤمنين) أى تكون هذه الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر ، واللام تتعاقب بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية (وأخرى لم تقدروا عليها) يعني فتح مكة ، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن في حنين ، والمعنى لم تقدروا أتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم ، وإعراب أخرى عطف على مجل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمرة تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعني أهل مكة (سنة الله) أى عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) روى في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ، ليصيبوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإطلقهم ، فكف أيدي الكفار هو أن هزموا وأسرهم وأسروا منهم قوما ، وساقوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم ، فكف القتلى ، وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) يعني من بعدما أخذتموهم أسارى (هم الذين كفروا) يعني أهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية (والهدى معكوفاً أن يبلغ محله) الهدى ما يهدى إلى البيت من الأنعام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها ، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعني مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول في صدوكم ومعكوفاً حال من الهدى ، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام ، وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون في أمورهم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا) الآية تعليل لصدور الله

فَتَصِيحِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعِيرٌ عِلْمٌ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
إِذْ جَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلْنَا اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبُوبًا بِالْحَقِّ لِنَدْخُلَنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ

المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون بإيمانهم
فلو سلب الله المسلمين على أهل مكة ، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم ، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين
الذين كانوا بين أظهرهم ، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات اسلبناكم عليهم
(أن تطئوهم) في موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول في لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك
بالسيف وغيره (فتصيحكم منهم معرة) أى تصيحكم من قتلهم مشقة وكرهه ، واختلف هل يعنى الإثم في قتلهم
أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل
المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذى لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ، ولا ملامة ، ولا عيب ،
(ليدخل الله في رحمته من يشاء) يعنى رحمة البرّ المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار
من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك ، اللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره كان
كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء (لوتزبلوا لعذبنا الذين كفروا) معنى تزبلوا تميزوا عن الكفار
والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أى لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية
وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَعَذَبْنَا جَوَابَ لَوِ الْأُولَى وَكَرَّرْتُ لَوِ الثَّانِيَةَ تَأْكِيدًا (إذ جعل
الذين كفروا في قلوبهم الحمية) يعنى أنفة الكفر وهى منعهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن العمرة
ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم
لو نعلم أنك رسول الله لا تبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أميك والعامل في إذ جعل محذوف تقديره
أذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هى سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك (والزمهم كلمة التقوى) قال الجمهور
هى لا إله إلا الله وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله
وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تكتب
(وكانوا أحق بها وأهلها) أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بهما من اليهود والنصارى (لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى منامه عند خروجه إلى العمرة
أنه يطوف بالبيت هر وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون ، وروى أنه أتاه ملك فى النوم فقال له
لندخلن المسجد الحرام الآية : فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون فى ذلك العام فلما صدده المشركون
عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا ، ووقع فى نفوس المسلمين شىء من ذلك فأنزل الله تعالى
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أى تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة
أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حج هو وأصحابه وصدق فى هذا الموضع

ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ

يتعدى إلى مفعولين ، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها (إن شاء الله) لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضى الشك في الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال : الأول أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فحكي الله مقالته كما وقعت والثاني أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله في كل أمر مستقبل ، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له ، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمين للدخول المسجد ، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله (محلقين رؤسكم ومقصرين) الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة ، والحلق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال في المرة الأخيرة والمقصرين (فعلم ما لم تعلموا) يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورجب الناس في الإسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية في ألف وخمسة وأربعين ألف واربعمائة وغزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) يعني فتح خيبر ، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية ، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح هو يا رسول الله قال نعم وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية (ليظهره على الدين كله) ذكر في برامة (وكفى بالله شهيدا) أى شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه (والذين معه) يعني جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمدا رسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع ، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمدا ورجح ابن عطية هذا والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم وما أحق النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وقال «جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم» فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين (سياهم في وجوههم) السياه العلامة وفيه ستة أقوال ، الأول أنه الأثر الذي يحدث في جهة المصلي من كثرة السجود ، والثاني أنه أثر التراب في الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة ، الرابع حسن الوجه لما ورد في الحديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوى فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مروى عنه ، الخامس أنه الخشوع ، السادس أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعاً سجداً وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سياهم في وجوههم كذلك ، والأول أظهر ، وقد كان بوجه علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعلى بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود (ذلك مثلهم في التوراة) أى وصفهم فيها وتم الكلام

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

هنا ، ثم ابتداء قوله ومثلهم في الإنجيل ، كزرع ، وقيل إن مثلهم في الإنجيل عطف على مثلهم في التوراة ثم ابتداء قوله كزرع وتقديره هم كزرع ، والأول أظهر ، ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم في الإنجيل بمعنى التشبيه والتثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة (كزرع أخرج شطأه) هذا مثل ضربه الله الإسلام حيث بدأ ضعيفا ، ثم قوى وظهر وقيل للزرع مثل للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ، ثم كثر المسلمون فهم كالشطه وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل ، ويقال يأسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مدوهى لغات (فأزره) أى قواه وهو من الموازنة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوى الآخر ، وقيل معناه ساواه طولاً فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله ، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل (فاستغلظ) أى صار غليظا (فاستوى على سوقه) جمع ساق أى قام الزرع على سوقه ، وقيل قوله كزرع يعنى النبي صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأنى بكر فأزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى بن أبى طالب (ليغيط بهم الكفار) تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيط بهم الكفار ، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد (منهم) لبيان الجنس لا للتبعض لأنه وعد عم جميعهم رضى الله عنهم

سورة الحجرات

(لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا فى أمر إلا بنظره والثانى لا تقدموا الولاية بمحضه فإنه يقدم من شاهه والثالث لا تقدموا بين يديه إذا مشى وهذا إنما يجرى على قرامة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والذال ، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك فى الرأى وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك ، ولذلك قال مجاهد معناه لا تقتاترا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدي الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بوحى من الله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب كرامة له

أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَسْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ ينادونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

وتعظيما وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أن تحبط أعمالكم) مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم مالفعل من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله في أولها ويأياها الذين آمنوا، وقوله وأتم لا تشعرون فإنه لا يصح أن يقال هذا المناقق فإنه يفعله جراءة وهو يقصده (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يارسول الله لا أكلمك إلا سرا وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدتها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبا، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتمالها بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الآية في وفد بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان في فعلهم ذلك جفاء وبدادة وقلة توقيره فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحى زين وذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ذلك الله تعالى (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفي والأول أظهر في مقتضى اللفظ والثاني أبلغ في الذم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) ينبي خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي صلى الله عليه وسلم وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم (إن جاءكم فاسق بنبأ فتدينوا) سببها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذابتهم فرجع من بعض طريقته فكذب عليهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم إنهم قدموا على الصدقة وطردوني وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوه ونظر في ذلك فررد وفدهم منكرين لذلك وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متأفين له فرآهم على بعد ففرغ منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيته صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاستق المشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل

فَتَّبِينُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بَٰجِهَالَةً فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۖ وَأَعْلُوا أَنِّي كُنتُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنْتُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَةً فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۖ فَضَلَّ مَن لَّا يَتَّبِعُ اللَّهَ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ اقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ

أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم ، ثم هي باقية في كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر ، وقرئ فتبينوا من التبين وثبتوا بالثاء من التثبت ويقوى هذه القراءة أنها لما نزلت روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التثبت من الله والعجلة من الشيطان ، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد ، لأن دليل الخطاب يقتضى أن خبر غير الفاسق مقبول ، قال المنذر البلوطي : وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول ، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول ، فالجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا (أن تصيبوا قوما بجهالة) في موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة ، والإشارة إلى قتال بنى المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) أى لشقيتم ، والعنت المشقة ، وإنما قال لو يطيعكم لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ، والحق خلاف ذلك ، وإنما الواجب أن يطيعوه لأن يطيعهم ، وذلك أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى رأيهم لهلكوا ، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره ، وإلى ذلك الإشارة بقوله « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان ، الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) اختلف في سبب نزولها ، فقال الجمهور هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه فبال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي للنبي صلى الله عليه وسلم لقد آذاني نتن حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجر يد ، وقيل بالحديد ، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهد ثم حكمها باق إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة في معنى القوم والناس ، فهي في معنى الجمع (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى) أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية ، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التي تقع بين المسلمين ، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وحببتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم ككفر . وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن ، والقول الثانى أن النهوض فيها واجب لتسكف الطائفة الباغية ، وهذا قول على وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ، وحببتهم هذه الآية فإذا فرغنا على القول الأول ، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد ، وإذا فرغنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن فليل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء ، وقيل مع من يرى أن الحق معه ،

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا
نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْبَسُوا أَلْبَسَهُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح ولا يطلب هارب ، ولا يقتل أسير ولا يقسم فيه (حتى تنفي) أي ترجع إلى الحق (فأصلحوا بين أخويكم) إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان ، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج ، وقرئ بين إخوانكم بالجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا (لا يسخر قوم من قوم) نهى عن السخرية وهي الاستهزاء بالناس (عسى أن يكونوا خيرا منهم) أي لعل المسخور منه خير من الساخر عنده الله وهذا تعليل للنهي (ولا نساء من نساء) لما كان القوم لا يقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم (ولا تلبسوا أنفسكم) أي لا يطعن بعضهم على بعض واللز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك ، وسند ذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهزرة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم (ولا تنابزوا بالألقاب) أي لا يدع أحدا أحدا بلقب والتنازع بالألقاب التداعي بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمى مؤمنا ، وفي ذلك ثلاثة أوجه : أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان ، فمعنى ذلك أن من فعل شيئا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا ، والآخر بئس ما يقوله الرجل الآخر يافسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهود يهودي ، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة (اجتنبوا كثير من الظن) يعني ظن السوء بالمسلمين ، وأما ظن الخير فهو حسن (إن بعض الظن إثم) قيل في معنى الإثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم الظن أ كذب الحديث لأنه قد لا يكون مطابقا للأمر ، وقيل إنما يكون إثما إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن ، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازا من الوقوع في البعض الذي هو إثم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن محبات الناس وقرأ الحسن تجسسوا بالحاء والتجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير ، وقيل التجسس ما كان من وراء والتجسس بالحاء الدخول والاستعلام (ولا يغتب بعضكم بعضا) المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك ، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ، قيل يا رسول الله وإن كان حقا ، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص في الغيبة في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفي التحذير من أهل الضلال

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۗ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلْنَا وَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

(أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقييده أن جعله ميتاً لأن الجيفة مستقدرة ويجوز أن يكون ميتاً حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قرره قال هل يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً أجابوا فقالوا لا يجب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فأكروها الغيبة التي هي تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله ، قاله أبو علي الفارسي ، وقال الرماني كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل ، وقال الزمخشري في هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ماهو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يجب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاه (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب ، والظعن في الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، وروى أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا لمولينا (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحتة القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأذنون فضرورية وأمثالها شعوباً ، وقريش قبيلة ، وبني عبدمناف بطن ، وبني هاشم نخذ ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة وبني عبدالمطلب فصيلة . وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضهم بعضاً (قالت الأعراب آمنا) نزلت في بني أسد بن خزيمه وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله في قولهم آمنا وصدقهم لوقالوا أسلنا وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسبما ورد في مواضع آخر (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئاً من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز ، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ أيا ليلتكم همزة قبل اللام ، فإن قيل : كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن ؟ فالجواب : أن طاعة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۚ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَلَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَّمْتُمْ عَلَى اللَّهِ يُعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ

سورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۚ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا

الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعت عما أنتم عليه من الإيمان بالسننكم دون قلوبكم وعملت أعمالا سالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا (ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا في إيمانهم وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شك وكذلك قوله في هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض بالأعراب إذ كذبوا في قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا ثم إشعارا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة (وجاهدوا) يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (يمنون عليك أن أسلموا) نزلت في بني أسد أيضا فإنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنا آمنابك واتبعتناك ولم نحاربك كما فعلت هو ازن وغطقان وغيرهم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال إن كنتم صادقين، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى بنعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمنون عليك

سورة ق

تكلما على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ويختص ق بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذى يحيط بالدنيا (والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب بيل وقيل الجواب ما يلفظ من قول وقيل إن فى ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير فى عجبوا لكفار قريش والمنذر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون أى الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله قال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمحل قصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءنى فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذى يتضمنه الإنذار وهو

شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ أَذًا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ۚ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۚ
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٌ ۚ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا
 مِنْ فُرُوجٍ ۚ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رَوَّاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۚ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ
 عَبْدٍ مُنِيبٍ ۚ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبًّا وَحَبًّا الْحَبِيدَ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ
 نَضِيدٌ ۚ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۚ
 وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۚ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ
 الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسَ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد (أنذا متنا وكنا ترابا) العامل في إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا (ذلك رجع بعيد) الرجوع مصدر رجعت والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أي بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجوع الجواب أي جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) هازد على الكفار في إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر (وعندنا كتاب حفيظ يعني اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل) بل كذبوا بالحق لما جاءهم) هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أبلغ من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك (فهم في أمر مريج) أي مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكرو قيل ملتبس وقيل مختلط (وزيناها) يعني بالنجوم (وما لها من فروج) أي من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة (رواسي) يعني الجبال (من كل زوج بهيج) أي من كل نوع جميل (ماء مبارك) يعني المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف (حب الحصيد) هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد (باسقات) أي طويلات (طلع نضيد) الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقا ببعضه بعض فهو نضيد فإذا تفرق فليس بنضيد (كذلك الخروج) تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النباتات من الأرض (وأصحاب الرس) قوم كانت لهم بئر عظيم وهي الرس بعث إليهم نبي فجعلوه في الرس وردموا عليه فأهلكهم الله (وأصحاب الأيكة) يعني قوم شميب وقد ذكر (وقوم تبع) ذكر في الدخان (حقن وعيد) أي حل بهم الهلاك (أفعمينا بالخلق الأول) يقال عي بالامر إذا لم يعرف علمه والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة ثم من علقه

حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ . وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَقَالَ
قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ . الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ . مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٌ . الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

وقيل يعني خلق آدم ، وقيل خلق السموات والأرض ، والأول أظهر ، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار (بل هم في لبس من خلق جديد) أي هم في شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود (ولقد خلقنا الإنسان) يعني جنس الإنسان ومعنى ترسوس به نفسه تحذره نفسه في فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعني آدم ووسوسه عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو عرق كبير في العنق وهما وريدان تن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب ، والمراد به قرب علم الله وإطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك : مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق (إذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين الحافظين الكتابين الأعمال ، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته ، والعامل في إذ نحن أقرب ، وقيل مضمرة تقديره اذكر واختاره ابن عطية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي قاعد ، وقيل مقاعد بمعنى مجالس ، وردّه ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) العتيد الحاضر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلبهما اللسان ومدادهما الريق ، وعموم الآية يقتضى أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويحوي غير ذلك ، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير (وجاءت سكرة الموت بالحق) أي بقاء الله أو فراق الدنيا ، وفي مصحف عبد الله ابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ، وإنما قال جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه ، وكذلك ما بعده من الأفعال (ذلك ما كنت منه تحيد) أي تفر وتهرب ، والخطاب للإنسان (سائق وشهيد) السائق ملك يسوقه ، وأما الشهيد فقييل ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر ، وقيل صحائف الأعمال ، وقيل جوارح الإنسان (لقد كنت في غفلة من هذا) خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله : كل نفس ، يريد أنه كان غافلاً عما أتى في الآخرة ، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام (فكشفتنا عنك غطاءك) قيل كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة (فبصرك اليوم حديد) أي يبصر ما لم يبصره قبل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (وقال قرينه هذا ما لدى عتيد) القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه ، وقيل الملك الذي يتولى عذابه في جهنم ، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله

«أخِرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ» قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتَهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيََّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ * وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَٰذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ . مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ .

نقيض له شيطانا ، فهو قرين ، ومعنى قوله هذا مالمدى عتيد ، أى هذا الإنسان حاضر لى أعتدته ويسرته جهنم ، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق ، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فعناه هذا العذاب لى حاضر ويحتمل أن يكون مافى قوله ، مالمدى ، موصوفة أو موصولة ، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة ، فعتيد بدل منها ، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وماهى خبر المبتدأ على هذه الوجوه ، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضم (ألقيا فى جهنم) الخطاب للملكين السائق والشهيد ، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألقى مثنى مبالغة وتأكيذاً وعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلي وصاحبى وهذا كله تكلف بعيد ، وبما يدل على أن الخطاب لائنين قوله فألقياه فى العذاب الشديد (مناع للخير) قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم (مرتب) شاك فى الدين فهو من الريب بمعنى الشك (الذى جعل) يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألفا لتضمنه معنى الشرط أو يكون بدلا أو صفة ويكون فألقياه تكرر للتوكيد (قال قرينه ربنا ما أطغيته) القرين هنا شيطانه الذى وكل به فى الدنيا ، بلا خلاف ومعنى ما أطغيته ما أوقعته فى الطغيان ، ولكنه تطفى باختياره وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف (لا تختصموا لى) خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين (ما يبدل القول لى) أى قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبدل لذلك ، وقيل معناه لا يكذب أحد لى لى بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته (وتقول هل من مزيد) الفعل مسند إلى جهنم ، وقيل إلى خزنتها من الملائكة ، والأول أظهر واختلف هل تكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال ، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير ، ومعنى قولها «هل من مزيد» ، إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ وقيل معناه لا مزيد أى ليس عندى موضع للزيادة فهى على هذا قدامتلات والأول أظهر وأرجح ، لما ورد فى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقى فيها الجبار قدمه ، وفى الحديث كلام ليس هذا موضعه ، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعول وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول (وأزلفت الجنة) أى قربت ثم أكد ذلك بقوله غير بعيد (لكل أواب) أى كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع ، وقيل هو المسيح لله من قوله «يا جبال أوبى معه» (حفيظ) أى حافظ لأوامر الله فيفعلها ولو أهيه فيتركها (من خشى الرحمن بالغيب) أى اتقى الله وهو غائب عن الناس ، فالجور فى موضع الحال ومن خشى بدل أو مبتدأ ، فإن قيل : كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد المبالغة فى الثناء على من يخشى الله لأنه بخشاه مع علمه برحمته وعفوه ، قال ذلك الزمخشري : ويحتمل أن يكون

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ۖ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ۖ

الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفه كقولنا الله (ولدينا مزبد) قيل معناه النظر إلى وجه الله ، كقوله ، الحسنى وزيادة، وقيل يعنى ما لم يخظر على قلوبهم كما ورد في الحديث مما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (هم أشد منهم بطشا) الضمير في هم للقرون المتقدمة ، وفي منهم لكفار قريش (فناقبوا في البلاد) أى طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التقيب عن الأمر ، بمعنى البحث عنه (هل من محيص) أى قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب (لمن كان له قلب) أى قاب واع يعقل ويفهم (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع وهو حاضر القلب (وما مسنا من لغوب) اللغوب الإعياء والتعب (فاصبر على ما يقولون) يعنى كفار قريش وغيرهم (وسبح بحمد ربك) يحتمل أن يريد التسييح باللسان ، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزخشرى فيه الوجهين وقال ابن عطية : معناه صل بإجماع من المتأولين ، وهى على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء ، وقيل هى النوافل (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هى النوافل بعد الفرائض ، وقيل الوتـ (واستمع) معناه انتظر فهو عامل فى يوم يناد على أنه مفعول به صريح ، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملا فى يوم يناد فيوقف على استمع والأول أظهر (يوم يناد المناد من مكان قريب) المنادى هنا إسرافيل الذى ينفخ فى الصور ، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق ، وقيل المكان صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة ، وقيل لقربها من السماء ، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف (يوم الخروج) يعنى خروج الناس من القبور (ويوم تشقق) العامل فى هذا الظرف معنى قوله «حشر علينا يسير» أو هو بدل بما قبله (وما أنت عليهم بجبار) أى بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله «لست عليهم بمسيطر» وقيل إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم رؤف بهم غير جبار عليهم وهذا أظهر (فذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ) كقوله «إنما تنذر الذين يخشون ربهم» لأنه لا ينفع التذكير إلا من يخاف

سورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ إِنَّمَا لِنِي قَوْلٍ مَّخْتَلَفٍ ۝ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ
أَفْكَ ۝ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْتَلُونَ آيَانَ يَوْمِ الدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝

سورة الذاريات

(والذاريات ذروا) هي الرياح تذر التراب وغيره ، ومنه قوله تعالى «تذروه الرياح» وانتصب ذروا على المصدرية (فالحاملات وقرا) هي السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به (فالجاريات يسرا) هي السفن تجرى في البحر وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه يسرلة (فالمقسمات أمرا) هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك ، وأمر مفعول به ، وقيل إن الحاملات وقرا : السفن ، وقيل جميع الحيوان الحامل ، وقيل إن الجاريات يسرا : السحاب ، وقيل الجوارى بن الكواكب والأول أشهر وهو قول علي بن أبي طالب (إنما توعدون لصادق) هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وإن الدين لواقع) الدين هنا الجزاء ، وقيل الحساب (والسما ذات الحبك) أي ذات الطرائق مثل الطرائق التي تكون في السماء إذا هبت عليه الرياح ، وكذلك حبك الزرع وهي الطرائق التي فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حسن خلقها وواحد الحبك حباك أو حبيكة (إنكم لني قول مختلف) يحتمل أن يكون خطا بالجميع الناس لأنهم اختلفوا فبهم مؤمن ومنهم كافر ، ويحتمل أن يكون خطا بالكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم شاعر (يؤفك عنه من أفك) معنى يؤفك يصرف ، والضمير في عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أي من سبق في علم الله أنه مصروف . الثاني أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف . الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته ، وهذا القول حسن إلا أن عرف الاستعمال في أفك ويؤفك إنما هو في العرف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير . الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله ، وقيل قتل بمعنى لعن ، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضى ذلك وقال الزمخشري أصله الدعاء بالقتل ، ثم جرى مجرى لعن وقبح ، والخراصون الكذابون ، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والاشارة إلى الكفار ، وقيل إلى الكهان والأول أظهر (الذين هم في غمرة ساهون) الغمرة

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۚ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۚ وَبِالْآسِحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۚ وَفِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۚ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْئَالًا يُبْصِرُونَ ۚ وَفِي السَّمَاءِ

ما يغطي عقل الانسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر (يسئلون أيا ن يوم الدين)
أى يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف (يوم هم على النار يفتنون) هذا جواب عن
سؤالهم ، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ، ومنه قيل للحزبة فتن لأن الشمس أحرقت حجارتها ، ويحتمل أن
يسكون يومهم معربا والعامل فيه مضمرة تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون ، وأن يكون مبنيا لإضافته إلى
مبنى ، وعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع نصب بالفعل المضمرة حسبما ذكرنا أو فى موضع رفع والتقدير هو
يوم هم على النار يفتنون (ذوقوا فتنكم) أى يقال لهم ذوقوا حرقكم (أخذين ما آتاهم ربهم) بمعنى يأخذون فى
الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم ، وقيل المعنى أخذين فى الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه ، والأول
أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم وفى معنى الآية قولان :
أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع
والدعاء ، والآخر أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما
على القول الأول فى الإعراب أربعة أوجه : الأول أن يكون قليلا خبر كانوا وما يهجعون فاعل بقليل ، لأن
قليل صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ما مصدرية ، والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل ، والثانى مثل
هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذى يهجعون فيه من الليل ، والثالث أن تكون ما زائدة ،
وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل ، والرابع مثل هذا إلا
أن قليلا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا ، وأما على القول الثانى فى الإعراب
وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية ، وقليل ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا ما يهجعون
قليل من الليل ، والآخر أن تكون مانافية ، وقليل خبر كان ، والمعنى كانوا قليلا فى الناس ، ثم ابتدأ بقوله
من الليل ما يهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فظهر
ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه (وبالأسحار هم يستغفرون) أى يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم ، والأسحار
آخر الليل ، وقد جاء فى الحديث أن الله تعالى يقول فى الثلث الآخر من الليل : من يستغفرنى فأغفر له ،
وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الحق هنا نوافل
الصدقات ، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، وقيل إن الآية
منسوخة بالزكاة ، وهذا لا يحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل
وتسمية النوافل بالحق كقوله حقا على المحسنين ، وإن كان غير واجب ، وقال بعض العلماء حق سوى
الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس فى المحروم حتى قال الشعبي أعيانى أن أعلم ما المحروم ، وقيل المحروم
الذى ليس له فى بيت المال سهم ، وقيل الذى أجيحت ثمرته ، وقيل الذى ماتت ماشيته ، وقيل هو الكلب

رَزُقْكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ۚ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۚ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ
بِعَجَلٍ سَمِينٍ ۚ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۚ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوا بِيُغْلَمٍ عَلِيمٍ ۚ
فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۚ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۚ
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۚ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ۚ
مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۚ فَآخَرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ

وهذه أمثلة ، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذي حرمه الله المال بأى وجه كان (وفي أنفسكم) إشارة إلى ما فى خلقه الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة ، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم (وفي السماء رزقكم وما توعدون) معنى فى السماء رزقكم المطر ، وقيل القضاء والقدر ، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل فى السماء ، ولذلك قيل يعنى الجنة والنار . وقيل الخير والشر (إنه لحق) هذا جواب القسم ، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) أى حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه ، ومازائدة : وقرئ مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق ، والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبنى لإضافته إلى مبنى أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلها (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) المراد بالاسم استفهام فى مثل هذا التفتيح والتحويل ، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤا لي بشروه بالولد ويأهلاكم قوم لوط ، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله ، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل فى إذ دخلوا على هذا : المكرمين ، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر (فقالوا سلاما) نصب هذا لأنه فى معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ، ورفع الثانى لأنه خبر تقديره أمرى سلام ، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة ، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثانى ليدل على إثبات السلام فىكون قد حياهم بأكثر مما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليكم سلاما ، ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره : سلام عليكم قوم منكرون أى لم يعرفهم (قال ألاتاكلون) يحتمل أن يكون الألف على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على الالفية (فأوجس منهم خيفة) إنما خاف منهم لما لم يأكلوا (وبشروه بغلام عليم) هو إسحاق عليه السلام لقوله « فبشرناها بإسحاق » (فى صرة) أى صيحة ، وذلك قولها يا ويلتا ألد وأنا عجوز وهو من صر القلم وغيره إذا صوت ، وقيل معناه فى جماعة من النساء (فصكت وجهها) أى ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهى عجوز (وقالت عجوز عقيم) تقديره قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم (قال فما خطبكم) أى ما شأنكم وخبركم ، والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة فى هود (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله : أمرهم الله بالخروج

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . فَتَوَلَّىٰ
بُرْكَانَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْتَهُ وَجَنُودَهُ فَسَدَّتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مَلِيمٌ . وَفِي عَادَ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الرِّيحَ الْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ . وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٌ *
فَعْتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَسَرِّعِينَ . وَقَوْمَ
نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمُهَيِّدُونَ . وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . وَلَا
تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا
سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ . وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ أَتَنَفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ . وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ

من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها ، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد
ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب (وفي موسى) معطوف على قوله وفي الأرض آيات للموقنين
أوعلى قوله وتركنا فيها آية (فتولى بركنه) معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته (وقالوا
ساحر أو مجنون) أى قالوا إن موسى ساحر أو مجنون : فأولئك أو للتقسيم ، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف
ولا يستقيم هنا (وهو ملهم) أى فعل ما يلام عليه يعنى فرعون (الريح العقيم) وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من
إنشاء المطر أو إلقاح الشجر (كالريم) أى الفانى المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه
(وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) فيه قولان : أحدهما أن الحين هى الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر
أن الحين من بعد ما بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم ، وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم ، وأما
على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ما قبله (فأخذتهم الصاعقة) يعنى الصيحة التى صاحها جبريل
(وهم ينظرون) أى يعاينونها لأنها كانت بالنهار (والسما بنيناها بأيد) أى بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمرة (وإنا
لموسعون) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ، ومنه على الموسع قدره أى
القوى على الإنفاق ، والآخر جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة ، والثالث أوسعنا الأرزاق
بمطر السماء (فنعم الماهدون) الماهد الموطئ للموضع (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى نوعين مختلفين
كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، والصحة والمرض وغير ذلك (ففرروا إلى الله) أمر بالرجوع إليه بالتوبة
والطاعة وفى اللفظ تحذير وترهيب (أتواصوا به) توقيف وتعجيب أى هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول
ذلك (فتول عنهم) منسوخ بالسيف (فما أنت بلوم) أى قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك (وما خلقت الجن والانس
إلا ليعبدون) قيل معناه خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي ، وقيل ليتذللوا لى فإن جميع الإنس والجن متذلل (ما أريد

اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ . فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ . فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *

سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالطُّورِ . وَكُتِبَ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنشُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ . وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ . يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا . وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا . فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ . الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ . يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً . هَٰذِهِ

منهم من رزق) أى ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى لا أريد أن يطعمون لأنى منزه عن الأكل وعن صفات البشر ، وأنا غنى عن العالمين ، وقيل المعنى ما أريد أن يطعموا عبيدى ، فؤذف المضاف تجوزا ، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونى لأنى غنى عنهم ، وعبر عن النفع العام بالإطعام ، والأول أظهر (المتين) أى الشديد القوة (فإن الذين ظلموا ذنوبا) الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب ، وأصل الذنوب الدلو ، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش ، وبأصحابهم من تقدم من الكفار (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم بيدر والأول أرجح لقوله فى المعارج «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» يعنى يوم القيامة

سورة الطور

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل القرآن ، وقيل صحائف الأعمال (فى رق منشور) الرق فى اللغة الصحيفة ، وخصص فى العرف بما كان من جلد ، والمنشور خلاف المطوى (والبيت المعمور) هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه أبداً وبهذا عمرانه ، وهو حيال الكعبة ، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين ، والأول أظهر ، وهو قول على وابن عباس (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) هو بحر الدنيا ، وقيل بحر فى السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر ، ومعنى المسجور المملوء ماء ، وقيل الفارغ من الماء ، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة ، واللغة تقتضى الوجهين : لأن اللفظ من الأضداد ، وقيل معناه الموقد نارا من قولك سيجرت التنور ، واللغة أيضا تقتضى هذا ، وروى أن جهنم فى البحر (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم ، ويعنى عذاب الآخرة (يوم تمور السماء مورا) أى تجىء وتذهب ، وقيل تدور ، وقيل تتشقق ، والعامل فى الظرف واقع ودافع أو مخدوف (الذين هم فى خوض يلعبون) الخوض التخبط فى الأباطيل شبه يخوض الماء (يوم يدعون) أى يدفعون بتعنيف ، ويوم بدل من الظرف المتقدم (أفسح هذا) توبيخ للكفار

النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينَ * وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَحَلْمٍ * يَتَذَكَّرُونَ * يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْنًا فِيهَا

على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر (أم أنتم لا تبصرون) توبخ أيضا لهم وتهكم بهم أي هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق (اصبروا أو لا تبصروا) ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحد من الخالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئاً من العذاب (إنما تجزون ما كنتم تعملون) هذا تعليل لما ذكر من عذابهم ، وليس تعليلاً للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس (فاكهين) يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور (ووقاهم) معطوف على قوله في جنات أو على آتاهم ربهم ، أو تكون الواو للحال (كلوا واشربوا) أي يقال لهم كلوا (هنياً) صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلاً هنيئاً ، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنا كم الأكل والشرب (بحور عين) الحور : جمع حوراء وهي الشديدة بياض بياض العينين وسواد سوادها ، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها ، وإنما دخلت الباء في قوله بحور لأنه تضمن قوله زواجناهم معنى قرانهم ، قاله الزمخشري وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أي قرانهم بحور للندب بهم ، وبالذين آمنوا اللانس معهم والأظهر أن الكلام تم في قوله «بحور عين» ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألقنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألقنا بهم ذريتهم) معنى الآية ماورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة ، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، فذلك كرامة الأبناء بسبب الآباء ، قيل إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغاراً ، وقيل على الإطلاق في الأبناء المؤمنين ، وإيمان في موضع الحال من الذرية ، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان ، وقال الزمخشري إن هذا المجرور يتعلق بألقنا ، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألقنا بهم ذريتهم ، والأول أظهر ، فإن قيل : لم قال بإيمان بالتنكير ؟ فالجواب : أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آباءهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة الآباء ، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنهم رفع درجتهم فكيف إذا كان إيماناً عظيماً (وما ألقناهم من عملهم من شيء) أي ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وبقناهم أجورهم ، وقيل المعنى ألقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلاً زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا ، وقيل إنه يعود على الذرية (كل امرئ بما كسب رهين) أي مرتين ، فيما أن تنجيه حسناته ، وإما أن تهلكه سيئاته (وأمددناهم بفكاهة) الإمداد هو الزيادة

وَلَا تَأْتِيهِمْ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْثٌ مُّكْنُونٌ . وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ . فَذَكَرْنَا أَنْتَ نَبَعْتِ رَبِّكَ بَكَاهِنَ وَلَا مَجْنُونٍ ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَتَرَبِّصِينَ . أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ . أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيطِرُونَ . أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ

مرة بعد مرة (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب (لا لغو فيها ولا تأثيم) (اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهى بخلاف خمر الدنيا (غلمان لهم) يعنى خدامهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) اللؤلؤ الجوهر ، والمكنون المصون ، وذلك لحسنه وقيل هو الذى لم يخرج من الصدف (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدنيا خائفين من الله ، والإشفاق شدة الخوف (السموم) أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل ندعوه) يحتمل أن يكون بمعنى نعبده ، أو من الدعاء بمعنى الرغبة ، ومن قبل يعنون فى الدنيا قبل لقاء الله (إنه هو البر الرحيم) البر الذى يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله ، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به ، وقرئ بكسرها على الاستئناف (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى ذكر الناس ثم نفي عنه ما نسبته إليه الكفار من الكهانة والجنون . ومعنى بنعمة ربك : بسبب إنعام الله عليك (أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون) أم فى هذا الموضوع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار ، والترصد الانتظار ، وريب المنون حوادث الدهر ، وقيل الموت ، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة (قل ترصدوا) أمر على وجه التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) الأحلام العقول : أى كيف تأمرهم عقولهم بهذا ، والإشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب ، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك (أم هم قوم طاغون) أم هنا بمعنى بل ، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هى فى هذه المواضع كلها (أم يقولون تقوله) أى اختاقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للقرآن (فليأتوا بحديث مثله) رد عليهم وإقامة حجة عليهم ، والأمر هنا للتعجيز (أم خلقوا من غير شيء) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم ، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله : الثانى أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجادات : الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله أحسبتم أنما خلقناكم عبثا (أم هم الخالقون) معناه أم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون (أم عندهم خزائن ربك) المعنى عندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته ، وقيل عندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا ويمنعون من شاءوا ، ويخصون بالنبوة من شاءوا (أم هم

فَلِيَّاتٌ مُسْتَمِعُهُمْ بَسْطَانٌ مُبِينٌ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ .
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ . أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ . أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ
 اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ * فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
 الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ . يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ
 وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ . وَمِنَ اللَّيْلِ
 فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ *

المصيطرون) أى الأرباب الغالبون، وقيل المسيطر المساط القاهر (أم لهم سلم يستمعون فيه) يعنى أم لهم سلم
 يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم يحجزهم بقوله (فليأت مستمعهم
 بسطان مبين) أى بحجة واضحة على دعواهم (أم تسألهم أجرافهم من مغرم مثقلون) معناه أتسألهم على الإسلام
 أجره فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) المعنى عندهم علم اللوح المحفوظ فهم
 يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة
 الأصنام وتسيب السوائب وشبه ذلك (أم يريدون كيداً) إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي صلى الله عليه وسلم
 حيث تشاوروا في قتله وإخراجه (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المغلوبون في الكيد، والذين كفروا يعنى
 من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمرة، ويحتمل أن يريد جميع الكفار (أم لهم
 إله غير الله) المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله في هذه الآية جميع
 المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب
 وكفرهم من غير حجة (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب ماركوم) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم
 كسفاً من السماء، فالمعنى أنهم لو رأوا الكسف ساقطاً عليهم لبالغهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف
 وإنما هو سحاب ماركوم: أى كسيف بعضه فوق بعض (فذرهم) منسوخ بالسيف (يومهم الذي فيه يصعقون)
 يعنى يوم القيامة والصعقة فيه هى النفخة الأولى، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم
 القيامة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون، (عذاباً دون ذلك) يعنى قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط،
 وقيل عذاب القبر (واصبر لحكم ربك) أى اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإننا نريك (وسبح بحمد
 ربك حين تقوم) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل أراد
 حين تقوم وتعد، وفي كل حال وجعل القيام مثلاً: الثانى أنه الصلوات النوافل؛ والثالث أنه الصلوات
 الفرائض، فحين تقوم الظهر والعصر: أى حين تقوم من نوم القائلة، ومن الليل المغرب والعشاء، وإدبار
 النجوم: الصبح ومن قال هى النوافل جعل إدبار النجوم ركعتى الفجر

سورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ .

سورة النجم

(والنجم إذا هوى) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة، الثاني أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين. الثالث أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، وهوى على هذا معناه نزل (ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبي صلى الله عليه وسلم ففي عنه الضلال والغى، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغى بقصد وتكسب (وما ينطق عن الهوى) أى ليس يتكلم بهواه وشهوته وإنما يتكلم بما يوحى الله إليه (إن هو إلا وحي يوحى) يعنى القرآن (عليه شديد القوى) ضمير المفعول للقرآن أو للنبي صلى الله عليه وسلم، والشديد القوى: جبريل، وقيل الله تعالى، والأول أرجح لقوله ذى قوة عند ذى العرش، والقوى جمع قوة (ذو مرة) أى ذو قوة، وقيل ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح فى اللغة (فاستوى) أى استوى جبريل فى الجو إذ رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحراء، وقيل معنى استوى ظهر فى صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل فى صورة دحية (وهو بالأفق الأعلى) الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح (ثم دنى فتدلى) الضميران لجبريل أى دنا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فى الهواه وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب مقدار المسافة أى كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام فى القرب بمقدار قوسين عريبتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل من الوتر إلى العود، وقيل ليس القوس التى يرمى بها، وإنما هى ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبى وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين ثم حذف هذه المضافات، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأوهنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذى ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح، وقيل إنها لله تعالى، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلى وغير ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فى هذه الضمائر ثلاثة أقوال: الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى. الثانى

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَطَفَعِيَ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۚ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ
الَّتِي كَانَتْ إِذْ قَامَ رَبُّنَا لِلنَّاسِ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ ۚ ابْنَتَا رَبِّي الْأَكْبَرَىٰ ۚ إِذْ قَامُوا سُوءَ الْحَمِيَّةِ ۚ فَأَنزَلْنَا
سُلْطَانَنَا ۚ وَكُنَّ لَهَا آيَاتِهِ أَعْيُنًا ۚ وَأَنزَلْنَا إِلَيْهَا الْحَمِيمَ ۚ إِذْ تَرَكَتُهَا سَاءَ مُضْمَرٍ ۚ وَإِنَّمَا تَأْمُرُ بِالسُّوءِ
فَاعْتَدَىٰ ۚ بِهَا سُبْحَانَ الْعَظِيمِ ۚ

أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى ، وعاد الضمير على الله في القولين لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وإن لم يتقدم ذكره ، فهو كقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر . الثالث أوحى جبريل إلى عبدالله محمدا ما أوحى ، وفي قوله ما أوحى إبهام مراد يقتضى التفضيل والتعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذى رآه بعينه حق والذى رأى هو جبريل يعنى حين رآه بمقدار ملاء الأفق ، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض ، والأول أرجح لقوله « ولقد رآه نزلة أخرى ، وقيل الذى رآه هو الله تعالى ، وقد أنكرت ذلك عائشة ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه (أقمارونه على ما يرى) هذا خطاب لقريش ، والمعنى أتجادلونه على ما يرى ، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء ، وقيل ضمير المفعول لله تعالى ، وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى (عند سدره المنتهى) هى شجرة فى السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمرتها كالقلال وورقها كأذان الفيلة ، وسميت سدره المنتهى لأن إليها ينتهى علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ، ولا يتجاوزها ملائكة السفلى إلى أعلى (عندها جنة المأوى) يعنى أن الجنة التى وعدنا الله عبادته هى عند سدره المنتهى ، وقيل هى جنة أخرى تأوى إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (إذ يغشى السدره ما يغشى) فيه إبهام لفصد التعظيم ، قال ابن مسعود غشها فراش من ذهب ، وقيل كثرة الملائكة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فغشها ألوان لا أدرى ما هى ، وهذا أولى أن تفسر به الآية (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أنبتها وتيقنها ، وما طغى : أى ما تجاوز ما رأى إلى غيره (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك . ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه ، والمعنى يخلف على ذلك (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم ، وقال ابن عطية : الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية ، فأما اللات فصنم كان بالطائف ، وقيل كان بالكعبة ، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف ، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضرها بالسيف حتى قتلها ، وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعر ، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم هذه الأوثان ، قال ابن عطية : ولذلك قال تعالى : الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين ، وقال الزمخشري الأخرى ذم وتحقير أى المتأخرة

بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ *
فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ۝ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ۝ الَّذِينَ يَجْتَبُونَ
كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّيْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ

الوضعية القدر ، ومنه وقالت أخراهم لأولاهم (ألكم ان ذكر وله الانثى) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه
الأوثان بنات الله ، فأنكر الله عليهم ذلك أى كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور ، وتعملون لله البنات
التي هي عندكم حقيرة بغيضة ، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها ، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه
الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهم إناث ، والإناث حقيرة بغيضة عندهم (تلك إذا قسمه ضيزى) أى هذه القسمة التي قسمتم
جائزة غير عادلة يعنى جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت
لأجل الياء التي بعدها (إن هي إلا أسماء سميتوها) الضمير الأوثان ، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله
أتجادلوننى في أسماء (إن يتبعون إلا الظن) يعنى أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله ،
وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك (أم الإنسان ما تمنى) أم هذا الإنكار ، والإنسان هنا جنس بنى آدم : أى ليس
لأحد ما تمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول
العاصى بن وائل : لا وتين مالا وولدا ، وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا ، والأحسن حمل اللفظ على
إطلاقه (وكم من ملك في السموات) الآية : رد على الكفار في قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول
الملائكة الكرام لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله فكيف أوثانكم (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)
معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه (ليسمون
الملائكة تسمية الأنثى) يعنى قولهم إن الملائكة بنات الله ، ثم رد عليهم بقوله وما لهم به من علم (ذلك مبلغهم
من العلم) أى إلى ذلك انتهى عليهم لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ، ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة (ليجزى)
اللام متعلقة بمعنى ما قبلها ، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ،
وقيل يتعاق بصل واهتدى (كباثر الإثم) ذكرنا الكباثر في الدساء (إلا اللهم) فيه أربعة أقوال : الأول أنه
صغائر الذنوب فلا استثناه على هذا منقطع . الثانى أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفالته والسقطه دون دوام
عليها . الثالث أنه ما لموا به في الجاهلية من الشرك والمعاصى : الرابع أنه اللهم بالذنوب وحديث النفس به
دون أن يفعل (أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير ، قال ابن

فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ آتَقَى * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى *
 أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يُرَى * أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
 أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ
 الْمُنْتَهَى * وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنْهُ هُوَ آمَاتٌ وَأَحْيَا * وَأَنْهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ
 إِذَا تُمْنَى * وَأَنْ عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخِرَى * وَأَنْهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى * وَأَنْهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى * وَأَنْهُ أَهْلَكَ عَادًا

عطية : ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكى بعض الناس بعضا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية في الشهادة
 وغيرها (أفرايت الذي تولى) الآية : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقيل نزلت في العاصي بن وائل (وأكدى)
 أى قطع العطاء وأمسك (وإبراهيم الذي وفى) قيل وفى طاعة الله فى ذبح ولده ، وقيل وفى تبليغ الرسالة ،
 وقيل وفى شرائع الإسلام ، وقيل وفى الكلمات التى ابتلاه الله بهن ، وقيل وفى هذه العشر الآيات (الآنزر
 وازة وزر أخرى) ذكر فيما تقدم ، وهذه الجملة تفسير لما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام (وأن ليس
 للإنسان إلا ما سعى) السعى هنا بمعنى العمل ، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره ، وهى حجة لمالك فى
 قوله لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام ، وانفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعق
 يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه ، واختلفوا فى الأعمال البدنية كالصلاة
 والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله «ألحقنا بهم ذريتهم» والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ
 وفى تأويلها ثلاثة أقوال : الأول أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا فلا يلزم فى شريعتنا الثانى أن الإنسان
 ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبه العامل له فجاءت الآية فى إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها الثالث أنها فى
 الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد ، ويدل على هذا قوله بعدها «ألا تزرو وازرة وزر أخرى»
 وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه (وأن سعيه سوف يرى) قيل معناه يراه
 الخلق يوم القيامة ، والأظهر أنه صاحبه لقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» (وأن إلى ربك المنتهى) فيه
 قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير فى الآخرة ، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهى إلى الله ثم يقف
 العلماء عند ذلك ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ففكرة فى الرب (وأنه هو أضحك وأبكى)
 قيل معناه أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار ، وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر
 وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز وقيل خاق فى بنى آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن
 لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من شاء من
 عباده ، وأسره من شاء (وأما وأحيا) يعنى الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأما
 بالكفر والأول أرجح ، لأنه حقيقة (من نطفة) يعنى المني (إذا تمني) من قولك أبكى الرجل إذا خرج منه
 المني (النشأة الأخرى) يعنى الإعادة للحشر وتمنى يعنى أكسب عباده المال ، وهو من فنية المال وهو كسبه
 وادخاره وقيل معنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة ، وقيل معناه أرضى وقيل فنع عبده (الشعري) نجم فى
 السماء وتسعى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن

الأولى * ومودا فما أبقى * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفة أهوى * فغشها
ماغشى * فبأى آلاء ربك تتماهى * هذا نذير من النذر الأولى * أذفت الأزفة * ليس لها من دون
الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون * فاسجدوا لله واعبدوا *

سورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ *

بعض العرب كان يعبدها (عاد الأولى) وصفها بالأولى لأنها كانت في قديم الزمان ، فهي الأولى بالإضافة إلى
الأمم المتأخرة ، وقبل إنمسميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأنا نافع عادا الأولى بإدغام تنوين
عادي في لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعف المزني والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون
ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادا وإسكان لام الأولى (ومودا فما أبقى) أى ما أبقى منهم أحد أو قيل
ما أبقى عليهم (والمؤتفة أهوى فغشها ماغشى) هى مدينة قوم لوط ، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفي
قوله ماغشى تعظيم للأمر (فبأى آلاء ربك تتماهى) هذا مخاطبة الإنسان على الإطلاق معناه بأى نعم ربك تشك
(هذا نذير من النذر الأولى) يعنى القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها (أذفت
الأزفة) أى قربت القيامة (كاشفة) يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدرا كالعافية أى ليس لها كشف
وأن يكون بمعنى كاشف والتساء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمخزوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة
كاشفة ويحتمل معناه وجهين : أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أى ليس لها من يزيلها إذا وقعت
والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أى ليس لها من يعلم وقتها إلا الله (أفمن هذا الحديث تعجبون) الإشارة إلى القرآن
وتعجبهم منه إنكاره (وأنتم سامدون) أى لا عبون لاهون ، وقيل غافلون مفرطون (فاسجدوا لله واعبدوا)
هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره ، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فسجد وسجد كل من كان معه

سورة القمر

(اقتربت الساعة) أى قربت القيامة ، ومعنى قربها أنها بقى لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ماضى ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى (وانشق القمر)
هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشا سأله آية فأراه انشقاق
القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأته فرقتين فرقة وراء الجبل
وأخرى دونه ، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة ، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة
بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (وإن يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) هذه الضمائر لقريش والآية المشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُسْتَقِرَّةٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ مَزْدَجٌ ۖ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
النَّذْرَ ۖ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكَرٍ ۖ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ
مُنْتَشِرٌ ۖ مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا
وَقَالُوا بِجُنُونٍ وَازْدَجَرَ ۖ فِدْعَارِبَهُ أَنَّىٰ مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ ۖ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَجَنَرْنَا
الْأَرْضَ عَيُونًا فَالتَّقَى الْمَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَقْدَرٍ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ ۖ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن
كَانَ كُفْرًا ۖ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّذْكُرٍ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ۖ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ

قريش سخر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من
المرّة وهي القوة (وكل أمر مستقر) أي كل شيء لا بد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل (واقدم جاءهم من
الآباء ما فيه مزدجر) الآباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر
بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به (حكمة بالغة) بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمرة (فما
تغن النذر) يحتمل أن تكون مانافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار (فتول عنهم) أي أعرض عنهم
لعلك أن الإنذار لا ينفعهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) العامل في يوم مضمرة تقديره اذكر أو قوله
يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقد تم الكلام في قوله تول عنهم فيوقف عليه
وقيل المعنى تول عنهم أي يوم يدع الداع والاول أظهر وأشهر والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في
الصور والشه النكر الشديد القطيع وأصله من الإنكار أي هو منكر لأنه لم يرقط مثله والمراد به يوم
القيام (خشعا أبصارهم) كناية عن الذلة وانتصب خشعا على الحال من الضمير في يخرجون (يخرجون
من الأجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه
استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في
بعض (مهطعين) أي مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع (فكذبوا عبدنا) يعني نوح عليه السلام ووصفه هنا
بالعبودية تشرى به فإله واختصاصا (وازدجر) أي زجره بالشمم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يأنوح لتكونن من
المرجومين (فدعاربه أنى مغلوب فاتصر) أي قد غلبني الكفار فاتصر لي أو انتصر لنفسك ، وقالت المتصوفة معناه
قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فاتصر مني وهذا بعيد ضعيف (ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر) عبارة عن
كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب ، وقيل فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير (فالتقى الماء)
ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قد قضى في الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار
معلوم ، وروى في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا (وحملناه على ذات الأواح ودرسر) يعني السفينة
والدرسر هي المسامير واحدها دسار ، وقيل هي مقدم السفينة ، وقيل أضلاعها والاول أشهر (تجرى
بأعيننا) عبارة عن حفظ الله ورعيه لها (جزاء لمن كان كفرا) أي جزاء لنوح : وقيل جزاء الله تعالى والاول
أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال

فَهَلْ مِنْ مُدَكَّرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانِهِمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ * وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدَكَّرٍ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَبْتَعُ * إِنَّا إِذَا لَبَّيْ ضَلَّلَ وَسُوءَ أَتْلُقِي
الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ
فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلِّ شَرْبٍ مَحْتَضِرٍ * فنادوا أصحابهم فتعاطى ففقره فكيف

أى جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير
أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير
المحذوف (ولقد تركناها آية) الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروى في هذا المعنى أنها بقيت على
الجردى حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) تحضيض على الادكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده
ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء الداو وأدغمت فيها الدال (فكيف كان عذابي ونذر)
توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى يسرناه للحفظ وهذا معلوم
بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصغر وغيرهم حفظا بالغابخلاف غيره من الكتب وقد روى أنه لم يحفظ شئ من
كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهناه للفهم والاتعاط به لما تضمن من البراهين والحكم
البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابي ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ
كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة نفتم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله فكيف
كان عذابي ونذر ومن الملائكة في قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ريحا صرصرا) أى مصوتة
فهو من الصرير بمعنى الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصر (يوم نحس مستمر) روى أنه كان يوم أربعاء
حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر أربعاء من الشهر
يوم نحس مستمر (تنزع الناس) أى تقلعهم من مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أعجاز النخل هى أصولها
والمنقعر المنقطع فشبّه الله عادة لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع
رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فشبّههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفرها حفرا يمتنعون بها من
الريح فهلكوا فيها فشبّههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفراها (أبشر) هو صالح عليه السلام ، وانتصب بفعل مضمر
والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا أبشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا
وهم جماعة كثيرون (وسعر) أى عناد ، وقيل معناه جنون ، وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه
احتراق النفس بالهم (ألقى الذكرك عليه من بيننا) أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم ، وذلك جهل منهم ، فإن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (أشر) بطر متكبر (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى لهم يوم وللناقة يوم من غير
أن يتعدوا على الناقة فالضمير في نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء ، وقيل إن الضمير لثمود ، والمعنى
لا يتعدى بعضهم على بعض (كل شرب محتضر) أى مشهود (فنادوا أصحابهم) يعنى عاقر الناقة واسمه قدار

كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ . وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِهِ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ . وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَارُوا بِالنُّذْرِ . وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي * وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بَكْرَةٌ عَذَابٍ مُسْتَقِرٍّ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي * وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ . كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ * أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَأْيَةِ فِي الزَّبْرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ . إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ . يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بَالْبَصَرِ . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ . وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّبْرِ * وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٍّ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ

وهو أحيمر ثمود وأشقاها (فتعاطى) أى اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف (صيحة واحدة) صاح بها جبريل صيحة فساتوا منها (فكانوا كهشيم المخنظر) الهشيم هو ماتكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمخنظر الذى يعمل الحظيرة وهى حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، أو يكون تحليقا للوإشى أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها ، وقيل المخنظر المحترق (حاصبا) ذكر فى العنكبوت (فتأروا بالنذر) تشككوا (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بنى آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم ، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا (أ كفاركم خير من أولائكم) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد والهزمة الإنكار ومعناه : هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أتم وقد كذبتم رسلكم ، بل الذى أهلكهم يهلككم (أم لكم براءة فى الزبر) معناه أم لكم فى كتاب الله براءة من العذاب (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى نحن نجتمع ونتصر لأنفسنا بالقتال (سيهزم الجمع ويولون الدبر) هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة (إن المجرمين فى ضلال وسعر) المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم فى الدنيا ، والسعر لهم فى الآخرة وهو الاحتراق ، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله فى الرد عليهم إنا كل شىء خلقناه بقدر والأول أظهر (يسحبون فى النار) أى يجرون فيها (إنا كل شىء خلقناه بقدر) المعنى أن الله خلق كل شىء بقدر أى بقضاء معلوم سابق فى الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار فى هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شىء بفعل مضمرة يفسره خلقناه (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يرادها الكلمة وهى

فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَيْهِ الْيَقِينُ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ *
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرِّيحَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَا تُكذَّبَانِ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ

فوله كن (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعني أشياعكم من الكفار (وكل شيء فعلوه في الزبر) أى كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال (مستطر) أى مكتوب وهو من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء (ونهر) يعني أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس (في مقعد صدق) أى في مكان مرضى

سورة الرحمن عز وجل

(الرحمن علم القرآن) هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف (خلق الإنسان) قيل جنس الناس وقيل يعني آدم وقيل يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولادليل على التخصيص والأول أرجح (عليه البيان) يعني النطق والكلام (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير (والنجم والشجر يسجدان) النجم عند ابن عباس النبات الذي لا ساق له كالبقول ، والشجر النبات الذي له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء ، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظله (ووضع الميزان) يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرر ذكره اهتماماً به وقيل أراد العدل (ولا تخسر الميزان) أى لا تنقصوا إذا وزنتم (الأنام) أى للناس وقيل للإنس والجن وقيل الحيوان كله الأكام يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطى ويألف النخل من الليف وبه شبه كم القميص أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل هو الرزق (فبأى آلاء ربكنا تكذبان) الآلاء هى النعم واحداها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل إلى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان روى أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير من سكتكم لاني لما قرأتها على الجن قالوا لانكذب بشيء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيذا ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس

نَارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ *
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ
مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * سَنَفِرُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات (خالق الإنسان من صلصال كالفخار) الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار (وخلق الجن من نار) الجن الجن يعني إبليس والدجن والمرج اللهب المضطرب من النار (رب المشرقين ورب المغربين) يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين يلتقيان) ذكر في الفرقان ، أي يلتقي ماء هذا وماء هذا وذلك إذ أنزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر ، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون ، فالتقاءهما بانصباب الأنهار في البحر ، وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم ، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله في الفرقان «هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج» وكل واحد من هذه أجاج ، والمراد بالبحرين في هذه السورة ما أراد في الفرقان (بينهما برزخ) أي حاجز يعني جرم الأرض ، أو حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط ، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الجواهر والمرجان صغاره ، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حمر ، قال ابن عطية : وهذا هو الصواب ، وأما قوله منهما ولا يخرج إلا من أحدهما ، فقد تكلمنا عليه في فاطر (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) يعني السفن وسماها منشآت لأن الناس يمشون بها ، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج ، والأعلام الجبال شبه السفن بها (كل من عليها فان) الضمير في عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعني بمن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان ، ولكنه غلب العقلاء (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الوجه هنا عبارة عن الذات ، وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم ، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال «ولقد كرمتنا بني آدم» أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسميحه وعبادته (يسأله من في السموات والأرض) المعنى أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله ، فمنهم من يسأله بلسان المقال ، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه (كل يوم هو في شأن) المعنى أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم من العطاء والمنع ، والإمامة والإحياء وغير ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقبل له وما ذلك الشأن ، قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو في شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقال هو في شأن يديه لافي شأن يبتديه (سنفرغ لكم آية الثقلان) معناه الوعيد كقولك لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفريغ من

تُكذِّبَانِ ۝ يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ۝
فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ * فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ
بِسِيمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا
الْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ۝ إِنْ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۝

شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقض شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فعبّر عن ذلك
بالنفرغ قال جعفر بن محمد سمي الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب (إن استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا) هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أي إن قدرتم على
الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا ، وروى أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال
القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة ، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك في الدنيا
والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز (لا تنفذون
إلا بسُلطان) أي لا تقدرّون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) الشواظ
لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤسهم وقرئ شواظ بضم الشين وكسرها وهما الغتان
وقرئ نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار (فإذا انشقت السماء) جواب إذا قوله فيومئذ
وقال ابن عطية جوابها محذوف (فكانت وردة كالدهان) معنى وردة حمراء كالوردة ، وقيل هو من الغرس
الورد ، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء ، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم
القيامة لأنها تذاب من شدة الهول ، وقيل يشبه لمعانها بلعان الدهن ، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر
(فيومئذ يسأل عن ذنبه إنس ولاجان) السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج
إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم ، وأما السؤال الثابت
في قوله : فوربك لنسألنهم أجمعين وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي
والمثبت وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (يعرف المجرمون بسيماهم) يعني بعلامتهم
وهي سواد الوجوه وغير ذلك ، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
(فيؤخذ بالنواصي والأقدام) قيل معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه ، وقيل بل يؤخذ
كل واحد بناصيته وقدميه فيطوي ويطرح في النار (بطوفون بينها وبين حميم آن) الحميم الماء السخن والآن
الشديد الحرارة ، وقيل الحاضر من قولك آن الشيء إذا حضر والأول أظهر (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقيل قيام الله بأعماله ، ومنه أفمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل معناه لمن خاف ربه وأقبح المقام ، كقولك خفت جانب فلان واختلف

فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ فِيهِمَا مَنْ كُلٌّ فَكُوهَ زَوْجَانِ * فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ * مُتَكَيِّفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِحًا
مَنْ إِسْتَبْرَقَ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ * فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنَاسٍ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانِ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ
مُدَاهِمَتَانِ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ ۖ فِيهِمَا فَكُوهٌ
وَنُخْلٌ وَرَمَانٌ ۖ فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ * فَبَائِءَ الْآءِ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ * حُورٌ

هل الجنتان لكل خائف على انفراده ، أو للصف الخائف وذلك مبنى على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة ، وقال الزمخشري : إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة الإنس وجنة للجن ، (ذواتا أفنان) ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات ، قاله ابن عطية ، والأفنان جمع فنان وهو العنصر أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها (من كل فاكهة زوجان) أى نوعان (وجنا الجنتين دان) الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب ، وروى أن الإنسان يجتنى الفاكهة فى الجنة على أى حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفى قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) ، المعنى أنهم أباكر ، ولم يطمئن معناه لم يفتضن ، وقيل الطمئ الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ، ونفى أن يطمئن إنس أو جان ، مبالغة وقصد للعموم فكأنه قال لم يطمئن شئ ، وقيل أراد لم يطمئ نساء الإنس إنس ولم يطمئ نساء الجن جن ، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلدزون فيها بما يتلذذ البشر (كأنهن الياقوت والمرجان) شبه النساء بالياقوت والمرجان فى الجمرة والجمال ، وقد ذكرنا المرجان فى أول السورة ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة ، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى ، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك ، فالجننتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجننتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة ، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال : هنا عينان تجريان وقال فى الآخريتين عينان نضاختان ، والجري أشد من النضح وقال هنالك من كل فاكهة زوجان ، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما (مداهمتان) أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة (عينان نضاختان) أى تفوران بالماء والنضح بالخاء المعجمة أشد من النضح بالخاء المهملة (فاكهة ونخل

مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيِّ حَسَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

سورة الواقعة

مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فدينيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا . وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .

ورمان) خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفاً لهما وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد (خيرات حسان) خيرات جمع خيرة وقال الزمخشري وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كمت وقرئ بالتشديد، قالت أم سلمة يارسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (حور مقصورات في الخيام) الحور جمع حوراء والمقصورات المحجورات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذمن بكثرة الخروج والخيام هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ (متكئين على رفر ف خضر) الرفرف البسط، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة (وعبقري حسان) العبقري الطنافس، وقيل الزراني، وقيل الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقري وتزعم العرب أنه بلده الجن فإذا أعجبها شيء نسبته إليه (تبارك اسم ربك) ذكر تبارك في الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذى الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذى الجلال والإكرام

سورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك، قال: تركت لهن سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة) يعني إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس، تقع يوم القيامة وهذا بعيد (ليس لوقعها كاذبة) يحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا رد. الثاني أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حالة كاذبة أي هي صادقة الوقوع ولا بد وهذا المعنى قريب من الأول. الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أي تكذيب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ (خافضة رافعة) تقديره هي خافضة رافعة، فيذبح أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة، وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تنزل وتزلزل وتجر الجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها (إذا رجت الأرض رجاً) أي زلزلات وحررت تحريكاً شديداً وإذا هنا بدل من إذا

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ۚ
ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۚ مَتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۚ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وَلِدَانٌ مَّخْلُودُونَ ۚ بَأْكُوبٍ وَأَبَاقٍ ۚ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۚ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۚ وَفَلَكَهَةٌ مِّمَّا

وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة (وبست الجبال بساً) أى فتت وقيل سيرت (هباء منبثا) الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة قاله ابن عباس وقال على بن أبي طالب هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب ، وقيل ما تطاير من شرر النار ، فإذا طفي لم يوجد شيئاً والمنبث المتفرق (وكنتم أزواجاً ثلاثة) هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلى في الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم ، كقولك زيد ما زيد ، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمين وهو ضد الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال ، واليد الشؤمى هى الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال ، أولان أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال (والسابقون السابقون) الأول مبتدأ والثانى خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة ، وقيل إن السابقون الثانى صفة للأول أو تأكيد ، والخبر أولئك المقربون ، والأرجح أن يكون الثانى خبر الأول لأنه فى مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، وعلى هذا يوقف على السابقون الثانى ويبتدئ بما بعده (ثلة من الأولين وقيل من الآخريين) الثلة الجماعة من الناس ، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخريين ، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، والدليل على ذلك ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفرقتان فى أمتى وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثير السابقون من السلف الصالح ، وقلوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقيل إن الفرقتين فى أمة كل نبي فالسابقون فى كل أمة يكثرون فى أولها ويقلون فى آخرها ، وقيل إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة والآخريين هم هذه الأمة فيقتضى هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد ، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء ، لأنهم كانوا فى أول الزمان أكثر مما كانوا فى آخره (على سرر مَوْضُونَةٍ) السرر جمع سرير والمَوْضُونَةُ المنسوجة وقيل المشبكة بالدروياقوت ، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض (متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض (ولدان مَّخْلُودُونَ) الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون ، وقيل المقرطون بالخلدات وهى ضرب من الإفراط ، والأول أظهر (بأكوب وأباريق) الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذى لا أذن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذى له خرطوم أو أذن يمسك (وكأس من معين) ذكر فى الصفات

يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمٌ طَيْرٍ مَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عَيْنٌ . كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا . وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ .
وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ . وَظِلٍّ مَمْدُودٍ . وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ . وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّامْقُودَةٍ وَلَا مَنُوعَةٍ . وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ .
إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ . ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى . وَثَلَاثَةٌ مِنَ

لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لا يلحقهم الصداع الذى يصيب من نخر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) قيل يتخيرون ما شاؤا لكثرتها ، وقيل مخيرة مرضية (وهور عين) قدمنا معناه ، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير فى متكئين ، أو على ولدان ، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين ، وقيل خفض على الجوار (كأمثال اللؤلؤ المكنون) شهين باللؤلؤ فى البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤه كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدي (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأتيا) اللغو الكلام السائط كالفحش وغيره والتأيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره (إلا قيبلا سلاما) انتصب سلاما على أنه بدل من قيبلا أو صفة له أو مفعول به لقيلا ، لأن معناه قولا ، ومعنا السلام على هذا التحية ، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ، ويحتمل أن يكون معناه السلامة ، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا سلاما (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر فى سدر ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا ، والأول أحسن ، وكذلك إعراب أصحاب الشمال (فى سدر مخضود) السدر شجر معروف ، قال ابن عطية هو الذى يقال له شجر أم غيلان وهو كثير فى بلاد المشرق وهى فى بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذى انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه (وطلح منضود) الطلح شجر عظيم كثير الشوك ، قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو شجر الموز ، وحكى ابن عطية هذا عن على بن أبى طالب وابن عباس وقرأ على بن أبى طالب وطلح منضود بالعين فليل له إنما هو وطلح بالحاء فقال مال للطلح والجنة فقيل له أنصلحها فى المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير ، والمنضود الذى تنضد باثم من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق (وظل ممدود) أى منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . أقرؤا إن شئتم وظل ممدود وماء مسكوب : أى مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرتة وقيل المعنى أنه جار فى غير أحاديده ، وقيل المعنى أنه يجرى من غير ساقية ولا دلو ولا تعب (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن شجر الجنة يثمر فى كل وقت ولا تمتنع بعبد تناو لها ولا بغير ذلك من وجوه المنع (وفرش مرفوعة) هى الأسرة ، وقد روى ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هى النساء وهذا بعيد (إنا أنشأناهن) الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضى ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش

الآخرين . وَأَخْجَبُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشَّمَالِ . فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظَلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ .
لَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدَا مَتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا
وَعَظْمًا أَيْدَا لَمَبْعُوثُونَ . أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ . ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذَّبُونَ . لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ . فَمَّا لَوْ أَنَّهَا الْبُطُونُ . فَشَرِبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ . هَذَا نَزَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ . نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ

وهي تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هي الذناب فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة
قبل هذا وذلك بعيد إن ذلك في وصف جنات السابقين ، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى
إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن في الجنة حلقة آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا فالبحر ترجع شابة والقيحة
ترجع حسنة (بحر لناها أبقارا) روى أنهم دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا (عربا) جمع عرب وبوهي
المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل هي الحسنه الكلام
(أترابا لأصحاب اليمين) أي مستويات في السن مع أزواجهن ، وروى أنهم يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين
عاما ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله أنشأناهم على ما قاله الزمخشري ويحتمل أن يتعلق بأترابا ، وهذا
هو الذي يقتضيه المعنى أي أترابا لأزواجهن (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من أول هذه
الامة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقتان من أمتي وفي ذلك رد على من قال
إنهما من غير هذه الامة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم
قليل في الآخرين وذلك لأن السابقين في أول هذه الامة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب
اليمين فكثير في أولها وآخرها (في سموم وحميم وظل من يحموم) السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار
جدا واليحموم هو الأسود وظل من يحموم هو الدخان في قول الجمهور ، وقيل سراق النار المحيط
بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلمهم وقيل هو جبل في جهنم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم)
معنى يصرون يدومون من غير إفلاح والحنث هو الإثم ، وقيل هو الشرك ، وقيل هو الحنث في اليمين أو
اليمين الغموس (أئذا متنا) الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت ، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين
في الرد و آباؤنا في الصافات (أيها الضالون) خطابا لكفار قريش وسائر الكفار (فشاربون عليه)
الضمير للمأكول (فشاربون شرب الهيم) وزن الهيم فعل بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع
أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهوداه معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأشي
هيام ، وقيل جمع هائم وهائمة ، وقيل الهيم الرمال التي لا تروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء
وقرئ شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرئ بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف
عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد ، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا
والآخر يقتضى الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم (هذا نزلهم) النزل أول ما يأكله الضيف فكانه يقول هذا
أول عذابهم فما ظنك بسائرهم (فلولا تصدقون) تخصيص على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن

مَا آمَنُونَ . ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ
أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . ءَأَفْرَيْتُمْ مَا مَحْرُوثُونَ . ءَأَنْتُمْ
تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمَغْرُمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ .
ءَأَفْرَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ آجَاًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ . ءَأَفْرَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا

الحلقة الأولى دليل عليه (أفرايتم ماتمنون) هذه الآية وما بعدها تتضمن إقادة براهين على الوحدانية وعلى
البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعيد نعم ومعنى تمنون تقذفون المني في رحم المرأة (أأنتم تخلقونه أم نحن
الخالقون) هذا توقيف يقتضى أن يجيوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو (نحن قدرنا بينكم المرات)
أى جعلناه مقدرًا بأجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل
أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل أمثالكم
معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم ، وقيل نمنسجكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما
لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقه لا تعلمونها على وجه لا اتصل عقولكم إلى فهمه فعنى الآية أن الله قادر على
أن يهلكهم وعلى أن يعيهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث (فلولا تذكرون) تحضيض على التذكير
والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفي هذا دليل على صحة القياس (أأنتم تزرعون أم نحن
الزارعون) المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتماث خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرع ولكن يقول حرث والمراد بالحرث قلب الأرض
وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع (لونشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفككهون) الحطام
اليابس المفتت وقيل معناه تبين بلا قمح فظلمت تفككهون أى تطرحون الفاكهة وهى المسرة يقال رجل فكك
إذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفككه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتى
لزوال الشيء كقولهم تخرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لوجعله الله حطاما
وقد عبر بعضهم عن تفككهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معانٍ متقاربة والأصل
ما ذكرنا (إننا لمغرمون بل نحن محرومون) تقديره تقولون ذلك لوجعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب
لأن الغرام هو أشد العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أى مثقلون بما غرنا من النفقة على الزرع والمحروم
الذى حرمه الله الخير (من المزن) هى السحاب ، والأجاج الشديد الملوحة ، فإن قيل لم ثبتت اللام فى قوله
لونشاء لجعلناه حطاما وسقطت فى قوله لونشاء جعلناه أجاجا ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى لإثباتها
أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل لنا كيد فأدخلت فى آية المطعوم
دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أو كد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل (النار
التي تورون) أى تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ
والعفار ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر . قال الله تعالى ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أى الشجرة التى تزد

وَمَتَّعًا لِلْمُقِيمِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ . فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ
لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ

النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد (نحن جعلناها تذكرة) أى تذكر بنار جهنم (ومتاعا للمقيمين) المتاع ما يتمتع به ويحتمل المقيمون أن يكون من الأرض القواء وهى الفيافي ومعنى المقيمون الذين دخلوا فى القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه الذين خلت بطونهم أو مواثمهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجامعين (فلا أقسم بمواقع النجوم) لافى هذا الموضوع وأمثلة الزيادة وكأنها يزيدت لنا كيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو الأول وقيل هى نافية لكلام الكفار كأنه يقول لاصحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة فى كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مقطعا بطول عشرين سنة فبكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم السكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكسارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض فى اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقراءة كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن (فى كتاب مكنون) أى مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصحف التى كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التى بأيدى الملائكة عليهم السلام (لا يمسه إلا المطهرون) الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف التى بأيدى الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية لإخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف التى بأيدى الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهى الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسه خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون إن النهى يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكور ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهى وإذا كان مجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون أى هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات فى الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال: الأول أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثا أصغر وهو

أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ . فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينْتُمْ تَنْظُرُونَ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَأَمَّا إِنْ

قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر ، الثاني أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه بمجرد الإخبار ، والقول الثالث أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك في مسه على غير وضوء للعلم والصبيان لأجل المشقة . واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقا وأجازاه الظاهرية مطلقا ، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة . واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك في ذلك روايتان ، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير (أفهنا الحديث أتم مدهنون) هذا خطاب للكفار ، والحديث المشار إليه هو القرآن ، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا ، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ على ابن أبي طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة على بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أي يكذبون في قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب وكافر بي مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب . والمنهى عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا في المطر وأما مراعاة العوائد التي أجزاها الله تعالى فلا بأس به لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أنشأت بحرية ثم تشاهمت فتلك عين غديقة ، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء كم بقي من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن الطيب فامضت سبع حتى مطروا ، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون إن آمننا به حرمانا الله الرزق ، كقولهم إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون ، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لولا هنا عرض والضمير في بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وبلوغها للحاقوم حين الموت والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أي هلا رددتم النفس حين الموت ، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يردوا روحه إلى جسده ، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون (وأنتم حينئذ تنظرون) هذا خطاب لمن يحضر الميت من

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصَلِّهُ جَحِيمٍ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ .
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

أقاربه وغيرهم ، يعنى تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء (ونحن أقرب إليه منكم) يحتمل أن يريد قرب
نفسه تعالى بعلمه واطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة (ولكن
لا تبصرون) إن أراد بقوله نحن أقرب الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين ، وإن أراد نفسه تعالى
فهو من رؤية القلب (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) لولا هنا عرض كالأولى
وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذى دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أى
هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك
إن كنتم صادقين فى كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين
فارجعوا إن كنتم صادقين (فأما إن كان من المقربين) الضمير فى كان للتوفى وكرر هنا ما ذكره فى أول السورة من
تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك
(فروح وريحان) الروح الاستراحة وقيل الرحمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فروح بضم الراء ومعناه
الرحمة وقيل الخلود أى بقاء الروح وأما الريحان فليل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف
وفى قوله روح وريحان ضرب من ضرب التجنيس (فسلام لك من أصحاب اليمين) معنى هذا على الجملة نجات أصحاب اليمين
وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب فى ذلك يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم
أولاً من أصحاب اليمين فإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يا محمد منهم أى
لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك
أى تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أى يسلمون عليك فهو كقوله إلا قتيلاً سلاماً سلاماً
أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبر ابتداء ضمير
تقديره أنت من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين الضالين) يعنى الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة
(فزل من حميم) النزل أول شيء يقدم للضيف (إن هذا هو حق اليقين) الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة
من أحوال الخلق فى الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين ، وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من
إضافة الشيء إلى نفسه كقوله له مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر تو كده هذا يقين
اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب (فسبح باسم ربك العظيم) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها
فى سجودكم فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول فى السجود سبحان ربى الأعلى وفى الركوع سبحان ربى العظيم
وأوجه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب
أو يكون الاسم هنا واحداً والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال
سورة الحديد بها وفى أولها التسبيح وجملة من أسمائه الله وصفاته ، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود

سورة الحديد

مدينة وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا
لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

في ست آيات من أول سورة الحديد ، وروى أن الدعاء عند قراءتها مستجاب

سورة الحديد

(سبح لله ما في السموات والارض) هذا التسييح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبجات يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال لأن كل ما في السموات والارض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله : ولكن لا تفقهون تسييحهم ، وذكر التسييح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي ، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضى الدوام (هو الأول والآخر) أى ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية (والظاهر والباطن) أى الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذى لا تدركه الأبصار أو الباطن الذى لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالى على كل شيء فهو من قولك ظهرت على الشيء إذا علوت عليه ، والباطن الذى بطن كل شيء أى علم باطنه ، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفي ذلك مطابقة لفظية ، وهى من أحسن أدوات البيان (ثم استوى على العرش) قد ذكر وكذلك ما بعده (وهو معكم أينما كنتم) يعنى أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته . وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك (يولج الليل) ذكر فى الحج ولقمان (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى الإنفاق فى سبيل الله وطاعته ، وروى أنها نزلت فى الإنفاق فى غزوة تبوك وعلى هذا روى أن قوله وقال الذين آمنوا منكم وأنفقوا نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق ، لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه يعنى أن الأموال التى بأيديكم إنما هى أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعم بها وجعلكم خلفاءه بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوا من الإنفاق فيما أمركم مالكمها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عنكم كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزويد فى الدنيا (وما لكم لا تؤمنون بالله) معناه أى شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة

عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ

والمعجزات الظاهرة فقله مالكم استنهام يراد به الإنكار ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه مالكم والوار في قوله والرسول يدعوكم واو الحال (وقد أخذ ميثاقكم) يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بنى آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى (هو الذي ينزل على عبده آيات) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن (وما لكم ألاتنفقوا في سبيل الله) الآية: معناه أى شئ يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السموات والأرض إذا فى أهلها فى ذلك تحريض على الإنفاق وترهيد فى الدنيا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الفتح هنا فتح مكة ، وقيل صلح الحديبية ، والأول أظهر وأشهر ، ومعنى الآية التفاوت فى الأجر والدرجات بين من أنفق فى سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق فى شدة أعظم أجرا ممن أنفق فى حال الرخاء وفى الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أو لئلك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما باغ من أحدكم ولا نصيفه ، يعنى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل فى الخطاب كل من يأتى إلى يوم القيامة (وكلا وعد الله الحسنى) أى كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدم الله الجنة (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ذكر فى البقرة (يوم ترى) العامل فى الظرف أجر كريم أو تقدير اذ كر (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم) قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضىء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله فى أيمنهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم ، وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضىء ما قرب من قدميه ، ومنهم من يضىء مرة ويهم بالإطفاء مرة ، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشى المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات (بشراكم اليوم جنات) أى يقال لهم ذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) يوم بدل من يوم ترى

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسَكُمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ
 بَيْنَهُمْ بِسُورِهِ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ . يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ
 فَتَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرَ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ
 مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبئْسَ الْمَصِيرُ . أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
 قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذ كر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا
 فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا فالتبس من نوركم أي نأخذ منه ونستضيء
 به ومعنى انظرونا وانتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك
 ويحتمل أن يكون من النظر أي انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاءوا بنورهم
 ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى إليي وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرجونا
 أي أهلونا في مشيكم حتى نلحقكم (قيل أرجعوا ورائكم فالتمسوا نورا) يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول
 الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه أرجعوا
 وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كالمو قال أرجعوا ومعنى هذا الرجوع أرجعوا إلى الموقف فالتمسوا
 فيه النور أو أرجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو أرجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر
 فلا سبيل لكم إلى هذا النور (فضرب بينهم بسورله باب) أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل
 بينهم وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة
 والنار وقيل هو الجدار الشرقي من بيت المقدس وهذا بعيد (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)
 باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهي خارجه كقوله ظاهر المدينة أي خارجها والضمير
 في باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أولالباب والأول أظهر (ينادونهم ألم نكن معكم) أي ينادى المنافقين
 المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان (فتتم أنفسكم) أي أهلكتموها
 وأضلكنموها بالنفاق (وتربصتم) أي أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين
 (وارتبتهم) أي شككنتم في الإيمان (وغرتمكم الأمانى) أي طول الأمل والتمنى ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن
 يهلك النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة (حتى جاء أمر الله)
 أي الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب (الغرور) هو الشيطان (هي مولاكم)
 أي هي أولى بكم وحقيقة المولى الولي الناصر فكأن هذا استعارة منه أي لاولى لكم تأوون إليه إلا النار
 (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر
 الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواضع وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس عو تب المؤمنون
 بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب
 رجوعه إلى الله وحكى أن عبداً لله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضرب به فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى

قلوبهم وكثير منهم فسقون . اعلوا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايت لعلمكم تعقلون .
 ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضعف لهم ولهم اجر كريم . والذين امنوا بالله
 ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بسايتنا
 اولئلك اصحاب الجحيم . اعلوا انما الحيواة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفخر بينكم وتكاثر فى الاموال
 والاولاد كمثل غيث عثب اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتره مصفرا ثم يكون حطما وفى الآخرة عذاب شديد
 ومغفرة من الله ورضوان وما الحيواة الدنيا الا متع الغرور . سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة

الله (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف ولا يكونوا على ان تخشع ويحتمل ان يكون نهي والمراد
 التحذير من ان يكون المؤمنون كاهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) أى مدة الحيواة وقيل
 انتظار القيامة ، وقيل انتظار الفتح والاول اظهر (اعلوا ان الله يحيى الارض بعد موتها) أى يحييها بايزال
 المطر وإخراج النبات ، وقيل انه تمثيل للقلوب أى يحيى الله القلوب بالمواعظ كما يحيى الارض بالمطر ، وفى هذا
 تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا الى ان تخشع قلوبهم ، والاول اظهر وأرجح لانه الحقيقة (ان المصدقين والمصدقات)
 بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المصدقين ، وكذلك قرأ أبى بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أى
 صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ، (واقرضوا الله) معطوف على المعنى ، كأنه قال ان الذين تصدقوا
 واقرضوا ، وقد ذكرنا معنى اقرضوا فى قوله من ذا الذى يقرض الله (الصديقون) مبالغة من الصدق أو من
 التصديق ، وكونه من الصدق أرجح لان صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثى فى الأكثر ، وقد حكى بناؤها
 من رباعى كقولهم رجل مسيك من أمسك (والشهداء عند ربهم) يحتمل ان يكون الشهداء مبتدأ وخبره
 مابعد ، أو يكون معطوفا على الصديقين ، فإن كان مبتدأ فى المعنى قولان : أحدهما أنه جمع شهيد فى سبيل
 الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد ، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 لأنهم يشهدون على قومهم ، وإن كان معطوفا فى المعنى قولان ، أحدهما : أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين
 بأنهم صديقون وشهداء : أى جمعوا الوصفين ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 قال مؤمنو أمتى شهداء وتلا هذه الآية ، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقرله
 لتكونوا شهداء على الناس (لهم اجرهم ونورهم) هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين
 إن كان الشهداء معطوفا ، ونورهم هو النور الذى يكون لهم يوم القيامة حسبا ذكر فى هذه السورة ، وقيل هو
 عبارة عن الهدى والإيمان ، (كمثل غيث عثب اعجب الكفار نباته) الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذى
 ينبت الغيث فى سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله
 كفرت الحب اذا سترته تحت الارض وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة ، فلا يعجبهم
 إلا ما هو حقيق أن يعجب ، وقيل أراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا
 عليها (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سابقوا الى الاعمال التى تستحقونها بها المغفرة ، فقيل المعنى كونوا

عَرَضَهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِن
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَّكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَآفَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآءَاتِكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ
اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

في أول صف من القتال ، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وقيل كونوا أول داخل إلى
المسجد ، وأول خارج منه وهذه أمثلة ، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها
قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل (وجنته عرضها كعرض السماء والأرض) السماء هنا يراد به جنس
السموات بدليل قوله في آل عمران ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها (مأصاب من مصيبة في الأرض ولا
أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) المعنى أن الأمور كلها مقدره مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل
أن تكون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض
بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة في
العرف وهو ما يصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل
وغير ذلك وفي أنفسكم يعني الموت ، والمرض ، والفقر ، وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود
على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض ، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح في كلها (لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) المعنى فعل الله ذلك وأحبركم به لكيلا تسلموا لفضاء الله ولا تمكثروا
بأمور الدنيا ، ومعنى لا تأسروا لا تحزنوا أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما
آتاكم بالمدأى مما أعطاكم الله من الدنيا ، وقرأ أبو عمرو بما آتاكم بالقصر أي بما جاءكم من الدنيا فإن
قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أتى
بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، فالجواب : أن النهى عن الفرح إنما هو عن الذى
يقود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسليم (كل مختال فخور) المختال صاحب
الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر
تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعنى أو مبتدأ وخبره محذوف (وأزلنا معهم الكتاب والميزان) الكتاب
هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل الميزان الذى يوزن به وروى أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى
نوح وقال له سر قومك يزونا به (وأزلنا الحديد) خبر عن خلقه وإيجاده بالإزال ، وقيل بل أنزله حقيقة
لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة (فيه بأس شديد) يعنى أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال

وَالْكِتَابَ فَهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
 الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ
 اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَاقِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

وليعلم الله من ينصره ورسوله والمنافع للناس سلك الحرث والمسامير وغير ذلك (فمنهم مهتد وكثير منهم
 فاسقون) أي من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم (وقفينا)
 ذكر في البقرة (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض كما وصف
 أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنهم رحما بينهم (ورهبانية ابتدعوها) الرهبانية هي الانفراد في
 الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها من
 غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أي جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة
 والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمّر
 يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو علي الفارسي
 وذكر الزمخشري الوجهين (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفي هذا
 قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء
 رضوان الله والآخر أن الاستثناء متصل والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله «ابتدعوها»
 ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها (فمارعوها حق رعايتها) أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا
 على الوفاء بها يعنى أن جميعهم لم يراعوها وإن رعاها بعضهم والضمير في رعوها للذين ابتدعوها الرهبانية وكان يجب
 عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه
 وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوها الرهبانية من أتباعهم (وآمنوا برسوله) إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا
 وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان
 واثبتوا عليه، والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه
 وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيين، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
 ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن بنى الحديث (ويجعل لكم نورا تمشون
 به) يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول
 أنه مذکور في هذه السورة، ويؤيد الثاني قوله: وجعلنا له نورا يمشى به في الناس (لئلا يعلم أهل الكتاب
 أن لا يقدر على شيء من فضل الله) لافي قوله لئلا تائة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن عباس

سورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۝ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَأْتُهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم ، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب يأهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرُوا على شيء من فضل الله الذي وعدم من آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئاً من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرُونَ أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى في سبب نزول الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الرد عليهم ، وهو يقوى هذا القول ، وروى أيضاً أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيمهم الله أجراً مرتين فنزلت الآية معلية أن المسلمين مثلهم في ذلك

سورة المجادلة

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت الآية في خولة بنت حكيم ، وقيل خولة بنت ثعلبة ، وقيل خولة بنت خويلد ، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخى عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظاهر في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوساً أكل شباتي ونشرت له بطن فلما كبرت ومات أهلي ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يا رسول الله لا تفعل إني وحيدة ليس لي أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته ، فهذه وجدالها (وتشتكى إلى الله) كانت تقول اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري ، وروى أنها كانت تقول اللهم إن لي منه صبية صغاراً إن ضممتهم إلى جاعوا ، وإن ضممتهم إليهم ضاعوا (والله يسمع تحاوركما) المحاورة هي المراجعة في الكلام قالت عائشة رضى الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله كلامها ، ونزل القرآن في ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبته ، فقال والله ما أمالكها فقال أتصوم شهرين متتابعين ، فقال والله ما أقدر ، فقال له أتعلم ستين مسكينا ، فقال لا أجد إلا أن يعينني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعاً وقيل بثلاثين صاعاً ودعاه فكفر بالإطعام وأمسك زوجته (الذين يظهرون منكم من نسائهم) قرئ يظهرون بألف بعد الظاء وبجذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظاهر ، والظاهر المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي ويجرى مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محزومة على التأييد كالبنات والأخت وسائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظاهر

لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ

أولم يذكره كقوله أنت على كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها خلافا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاس مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيهه حلال بحرام (ما من أمهاتهم) رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصير الزوجة أما باطل فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة (ولأنهم ليقولون منكر من القول وزورا) أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة والزور هو الكذب وإنما جعله كذبا لأن المظاهر بصير امرأته كأمه وهي لا تصير كذلك أبدا والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى ما من أمهاتهم فإن ذلك تكذيب للمظاهر والثاني أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله وإن الله لعفو غفور فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة (والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف الناس في معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار في الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عود إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا . الثاني أن العود هو وطأ الزوجة روى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطئ وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت . الرابع أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك . الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهروا ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة . السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجب في الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فمصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذي والمعنى يعودون الوطئ الذي حرموه أو للعزم عليه أو الإمساك الذي تركوه أو للعزم عليه (فتحرير رقة) جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني فالأول تحرير رقة والثاني صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكينا فأما الرقة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقا وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتداء من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبنى على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدئ ، وروى القولان عن الشافعي ، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف في مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه مد وثلث ، وقيل إنه مدان وقال الشافعي وابن القصار يطعم مدا بمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولا يجوز به إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لابن حنيفة وكذلك إن أطعم

قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتَوْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلَكْ حُدُودُ اللَّهِ وَاللَّكَافِرِينَ
عَذَابُ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبُتُوا كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابُ مُهِينٍ هـ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ هـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هـ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحِبَّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ هـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَسَلَّجْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ

ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد (من قبل أن يتماسا) مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد
به الوطء ومادونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن والثوري
أراد الوطء خاصة فأباحا مادونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسا في التحريم والصوم ولم يذكره في
الإطعام فاختلف العلماء في ذلك فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من
المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يبطأ قبل الكفارة لأن
الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس (ذلك لتؤمنوا) قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة في النقل من
التحرير إلى الصوم وقال الزمخشري المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم (إن الذين يحادون الله)
أى يخالفون ويعادون (كبتوا) أى هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل اذا بقى خزينا ونزلت الآية في
المنافقين واليهود (ما يكون من نجوى ثلاثة) يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي فيكون ثلاثة مضاف إليه
بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن (إلا هو رابعهم) يعنى بعلمه وإحاطته
وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزل في قوم من اليهود كانوا
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فهام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت
في المنافقين، والأول أرجح لقوله وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحبك به الله لأن هذا من فعل اليهود والأحسن
أن المراد والمنافقين معا لقوله: ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت الآية في الطائفتين (وإذا
جاؤوك حيوك بما لم يحبك به الله) كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك
يا محمد بدلا من السلام عليكم والسلام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يقول لهم وعليكم فسمعتهم عاتشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهلا يا عاتشة إن الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ما قالوا قال أما سمعت ما قلت لهم إنى قلت
وعليكم ويريد بقوله ما لم يحبك به الله قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون

وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ أَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ

في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون لو كان نبيا لعذبنا الله بإذاته فقال الله (حسبهم جهنم) أي يكفهم ذلك عذابا (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) قيل يعني النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزي الذين آمنوا (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) اختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس ، في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرسهم على القرب منه وقيل أقام النبي صلى الله عليه وسلم ، قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم ، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هي مقصورة على مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو هي عامة في جميع المجالس ، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإنفراد ، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإنفراد على هذا للجنس والتفسيح المسأور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة (يفسح الله لكم) أي يوسع لكم في جنته ورحمته (وإذا قيل انشروا فانشروا) أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا النشور المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة ، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان يجب الانفراد أحيانا وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام ، وقيل المراد القيام في المجالس للتوسع (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءني العاقل الكريم وأنت تريد رجلا واحدا ، والثاني يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء ، وللعلماء أيضا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء ، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) قال ابن عباس سبها أن قوما من شبان

تَجَوَّبَكُمْ صَدَقَاتٍ فَاذْلُمُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۗ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۗ لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ
الْكَاذِبُونَ ۗ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ ۗ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ۗ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ

المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في غير حاجة ، لتظهر منزلتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة ، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة
النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها (وأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم
صدقة) الآية : فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان واجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه
السلام ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا ؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل
بها علي بن أبي طالب رضى الله عنه روى أنه كان له ديناراً فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق
في كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق في كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة وأمان
لم يجد فالرخصة لم تنزل ثابتة له بقوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (وتاب الله عليكم) التوبة هنا يراد بها
عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى
دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة (ألم تر إلى
الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم) نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من اليهود وهم الذين غضب الله
عليهم (ما هم منكم ولا منهم) يعنى أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم « مذبيين
بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى أن المنافقين كانوا إذا
عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هي
مذكورة في السير وغيرها (اتخذوا أيمانهم جنة) أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس، ثم استعمل
هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم ، وقرئ اتخذوا بكسر الهمزة (استحوذ
عليهم الشيطان) أى غلب عليهم وتملك نفوسهم (في الأذلين) أى في جملة الأذلين : أى معهم (كتب الله)
أى قضى وقدر (لا تجد قوماً) الآية : معناها لا تجد مؤمناً يجب كفاً ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال
المؤمن الصادق الإيمان ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا

أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ عَشِيرَتِهِمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

سورة الحشر

مدنية وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

كماراً ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد ، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد ، وقيل إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاحسن أنها على العموم ، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد (بوآدون) هذه مفاعلة من المودة فتقتضى أن المودة من الجهتين (من حاد الله) أى عاداه وخالفه (كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبتة فيها كأنه مكتوب (وأيدهم بروح منه) أى بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن ، وقيل بجبريل (أولئك حزب الله) هذه في مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان ، والحزب هم الجماعة المتحزون لمن أضيفوا إليه

سورة الحشر

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير وكانوا في حصون بمقربة من المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد (هو الذي أخرج الذين كفروا) يعنى بنى النضير (لأول الحشر) في معناه أربعة أقوال : أحدها أنه حشر القيامة أى خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره ، وروى في هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم امضوا هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر : الثاني أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام ، وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام ، وروى في هذا المعنى أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبني النضير اخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض الحشر . الثالث أن المراد الحشر في الدنيا الذى هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره . الرابع أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال الزمخشري اللام في قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا (ماظننتم أن يخرجوا) يعنى لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم (فأتاهم الله) عبارة عن أخذ الله لهم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) أما إخراج المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۖ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۖ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
قَائِمَةً عَلَىٰ أَسْوَأَ مَا يَأْتِي الْفَاسِقِينَ * وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

ذلك إلى الكفار في قوله يخرجون لأنه كان بسبب كفرهم وعذرهم ، وأما إخراج الكفار ليوتهم فثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار ، والثاني ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . الثالث أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموا شجرا عليها (فاعتبروا يا أولي الأبصار) استدل الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية واستدلوا بها ضعيف خارج عن معناها (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا) الجلاء هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى لولا أن كتب الله على بنى النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل ياخوانهم بنى قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار (شاقوا) ذكر في الأنفال (ماقطعت من لينة) اللينة هي النخلة وقيل هي الكريمة من النخل ، وقيل النخلة التي ليست بعجوة ، وقيل ألوان النخل المختلط ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ما هذا لإفساد ياحمدر وأنت تنهى عن الفساد ، فنزلت الآية معللة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك (ليخزي الفاسقين) يعنى بنى النضير ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها ، واختاف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازة الجمهور لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الجيش الذى وجهه إلى الشام أن لا يقطعوا شجرا مثمرا (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) معنى أفاء الله : جعله فينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير ، والركاب هي الإبل ، والمعنى أن ما أعطى الله رسوله من أموال بنى النضير لم يمس المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذ من بنى النضير وما أخذه من فدك : فهو في خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما يشاء ، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوت عياله وقسم سائرهما في المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبادجانه وسهل بن حنيف شكوا فأعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما ، هذا قول جماعة ، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقية في مصالح المسلمين

أَهْلَ الْقُرَىٰ فَاللَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ه لِلْفُقَرَاءِ

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول) الآية اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطراباً عظيماً فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس ، ولا تقسم على من حضر الواقعة وذلك يعارض ماورد في الأنفال من إخراج الخمس ، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ماعدا الأرض ، وأن هذه الآية في أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين ، وهذا التخصيص لا دليل عليه وقيل غير ذلك ، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال ، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب ، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم بآية الغنائم ، وأما هذه الآية ففي حكم الفداء وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفداء وفي الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفداء والغنيمة ، وأن حكمهما مختلف ، قاله أبو محمد بن الفرس : وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق ، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغنائم بقوله تعالى « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير ، ولكنه حذف هذا القول في الآية قبل هذا فما أوقفتم عليه من خيل ولا ركاب ، فاستغنى بذلك أولاً عن ذكره ثانياً ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير ، وبين في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم ، ويصرف الفداء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما في قوله لله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل ، وقد ذكرنا ذلك في الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله لله وللرسول وما بعد ذلك (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي كيلا يكون الفداء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفداء فأنزل الله هذه الآية ، والدولة بالضم والفتح ما يدول الإنسان أي يدور عليه من الخير ، ويحتمل أن يكون من المداولة أي كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) نزلت بسبب الفداء المذكور : أي ما آتاكم الرسول من الفداء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فكان أمر المهاجرين بأخذ الفداء ونهى للأنصار عنه ، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نواهيه ، ولذلك استدلت بها عبد الله بن مسعود على المنع من أيس المحرم الخيط ولعن الواشمة

المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

والواصله في القرآن لورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (للقراءه) هذا بدل من قوله لذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم
لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) هم الأنصار
والدار هي المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير في قبلهم للمهاجرين ، فإن قيل كيف قال تبوءوا الدار والإيمان
وإنما تبوءوا الدار أى تسكن ولا يتبوءوا الإيمان ؟ فالجواب من وجهين : الأول أن معناه تبوءوا الدار
وأخلصوا الإيمان فهو كقولك : فعلقها تبنا وماه باردا : تقديره : علقها تبنا وسقيتها ماء باردا ، الثانى أن المعنى
أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك . فإن قيل : قوله من قبلهم يقتضى
أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان ، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها
كانت بلدهم ، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل ، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار . فالجواب من
وجهين : أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم ، والآخر أنه أراد تبوءوا الدار مع الإيمان معا
أى جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين ، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوء الدار فيكون الإيمان
على هذا مفعولا معه ، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول ، فإنه إذا كان
الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول ، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار (ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا) قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على
أصلها والضمير في يجدون للأنصار ، وفي أوتوا للمهاجرين ، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه
المهاجرون من النى وغيره ، ولا يجدون في صدورهم شيئا بسبب ذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون
غيرهم بالمسال على أنفسهم ولو كانوا فى غاية الاحتياج والخصاصة هي الفاقة ، وروى أن سبب هذه الآية
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم
قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركنموهم فى هذه الغنيمه وإن شئتم أمسكنم أموالكم وتركتم لهم
هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا وترك لهم هذه الغنيمه ، وروى أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار
أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصارى بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ما عندنا إلا قوت
الصبيان فقال لها نؤمى صيانتك وأطفئى السراج ، وقدمى ما عندك للضيف ونوهه نحن أنا نأكل ولا نأكل
ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية
(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) شح النفس هو البخل والطمع وفى هذا إشارة إلى أن الأنصار
وقاهم الله شح أنفسهم فدحهم الله بذلك ، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتى

لَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِيهِمْ
لَكُذُوبُونَ ۝ لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يُخْرِجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لِيُوَلِّنُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ
لَا يَنْصُرُونَ ۝ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يَسْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي
قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٍ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝
كَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ كَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا

المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين (والذين جاؤا من بعدهم) هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل
فالمعنى أن النبي لله المهاجرين والأنصار وهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من
عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم
إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة
والنبي ، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله (ألم تر إلى الذين نافقوا) الآية : نزلت في عبد الله
ابن أبي بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير ، وقالوا لهم اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيف
ما تقابلت حالكم (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) أى لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم
كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها ، فإن قيل : كيف قال لئن نصرهم ليولن الأدبار بعد قوله
لا ينصرونهم ؟ فالجواب : أن المعنى على الفرض والتقدير أى لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار (لأتم
أشد رهبة في صدورهم من الله) الرهبة هى الخوف ، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما
يخافون الله (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدر على قتالكم مجتمعين إلا
وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم (بأسهم بينهم شديد)
يعنى عداوة بعضهم لبعض (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تظن أنهم مجتمعون بالالفة والمودة وقلوبهم متفرقة
بالمخالفة والشحناء (كثل الذين من قبلهم قريبا) أى هؤلاء اليهود كثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع
فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعنى أهل بدر
السكران ، فإنهم قبلهم ومثلاهم فى أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبا يقتضى أنهم كانوا قبلهم
بمدة يسيرة وذلك أوقع على بنى قينقاع وأيضا فإن تمثيل بنى النضير بنى قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا
من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله ذاقوا وبال أمرهم ، وقريبا ظرف زمان (كثل الشيطان إذ قال
للإنسان اكفر) مثل الله المنافقين الذين أغوا يهود بنى النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يعوى
ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقيل أراد الشيطان الذى أغوى قريشا
يوم بدر وقال لهم إني جار لكم ، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان

كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الظَّالِمِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّقَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عُلِّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ *
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

الوقوع عليها خملت بخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له
 الشيطان قال له اسجد لي فسجد له فتركه الشيطان وقال له إني بريء منك وهذا ضعيف في النقل ، والأول
 أرجح (فكان عاقبتهم أنهما في النار) الضميران يعودان على الشيطان والإنسان ، وفي ذلك تمثيل للمنافقين
 واليهود (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى
 ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات ، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريباله لأن كل
 ما هو آت قريب ، فإن قيل : لمكرر الأمر بالتقوى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه تأكيد ، والآخر وهو
 الأحسن أنه أمر أو لا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة ، ثم أمر به ثانيا لأن الله خبير بما يعملون ، فلما اختلف
 الموجبات كرهه مع كل واحد : بما (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعنى الكفار والنسيان هنا يحتمل أن
 يكون بمعنى الترك أو الغفلة أى نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها (لو أنزلنا هذا القرآن على
 جبل) الآية : توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع
 ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك ببن آدم (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه
 وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا ، والعموم أحسن (القدوس) مشتق من التقديس ، وهو التنزه عن
 صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح (السلام) فى معناه قولان : أحدهما
 الذى سلم عباده من الجور ، والآخر السليم من النقائص ، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة
 أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام (المؤمن) فيه قولان : أحدهما أنه من الأمن أى الذى أمّن عباده ،
 والآخر أنه من الإيمان أى المصدق لعباده فى إيمانهم أوفى شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق
 نفسه فى أقواله (المهيمن) فى معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين ، قال الزمخشري أصله مؤمن بالهمزة
 ثم أبدلت هاء (الجبار) فى معناه قولان : أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر ، والآخر أنه من الجبر أى يجبر
 عباده برحمته ، والأول أظهر (المتكبر) أى الذى له التكبر حقا (البارئ) أى الخالق يقال أبرأ الله الخلق أى خلقهم

سورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ

ولكن الباري والفاطر يراد بهما الذي برأ الخاق و اخترعه (المصور) أى خاق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبى عبدالله بن الكباد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك ، قال لانى قرأت على القاضى أبى على بن أبى الاحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال قرأت على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت ولم ذلك يارسول الله فذاك أبى وأمى ، قال أقرانى جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر ، قال لى ضع يدك على رأسك يا محمد فقلت ولم ذلك قال إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت ياربنا ولم ذلك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت

سورة الممتحنة

(لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) العدو يطلق على الواحد والجماعة ، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخير فشاع فى الناس أنه خارج إلى خير وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء فبعث على بن أبى طالب والزيبر والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا فقال بعضهم مامعى كتاب فقال على بن أبى طالب ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب الله ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قالت أعرضوا عنى فأخرجته من قرون رأسها ، وقيل أخرجته من حجرتها من حجرتها فجأوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال أنا يارسول الله ولكن لا تعجل على فوالله ما فعلت ذلك ارتداداً عن دينى ولا رغبة فى الكفر والكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لى عندهم يد يرعونى بها فى قرابتى ، فقال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب إنه من أهل بدر ، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلا خيرا فنزلت الآية عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحسد مثل فعله ، وفيها مع ذلك تشرىف له ، لأن الله شهد له بالإيمان فى قوله يا أيها الذين آمنوا (تلقون إليهم بالمودة) عبارة عن إيصال المودة إليهم وألقى بتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله وألقيت عليك

وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قديرٌ والله
غفورٌ رحيمٌ . لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَىكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَلَّهُوا
عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَتَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ إِنَّهُنَّ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ

الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به (ربنا لا تجعلنا فتنة الذين كفروا) في معناه قولان : أحدهما
لا تنصروهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأننا على الحق
وهم على الباطل . والآخر : لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا ، ورجح ابن عطية هذا ، لأنه دعاء لأنفسهم
وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم
بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما أمر الله
المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتلأوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم
فأنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة ، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش
وقيل المودة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش ، ورد ابن عطية هذا
القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) رخص الله
للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم من الكفار ، واختلف فيهم على أربعة أقوال : الأول أنهم قبائل من العرب
منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن
لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه . الثاني أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة ،
والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال : الثالث أنهم النساء والصدبان ، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر
الصديق قالت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة فأصلها قال نعم صلى أمك . الرابع أنه أراد من
كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا ، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظهروا
على إخراجهم فهم كفار قريش (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن) أي اختبروهن
لتعلموا صدق إيمانهن ، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن ، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال :
أحدها أن تستحلف المرأة أنها ماهاجرت لبعضها في زوجها ولا تخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى
حب الله ورسوله والدار الآخرة ، والثاني أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، والثالث
أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقه ، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان ،
والعصيان ، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضي الله تعالى عنها (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى
الكفار) نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية ، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار ، وكل من جاء

وَلَا تُهْمُ بِحُلُونِ لَهْنٍ . وَءَاتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ وَهَنٌ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفْرِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

مسلمًا من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة ، وقيل سبيعة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك في الشرط الذي لنا عليك فنزلت الآية : فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها ، وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم ، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك في النساء (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصدقات (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) العصم جمع عصمة أي النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر ، يعني المشركات من عبدة الأوثان ، فالآية على هذا محكمة ، وقيل يعني كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ، وروى أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أي اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) معنى فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار ، والخطاب في قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبوا أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبي أي أصبتم عقبي وهي الغنيمة أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبا هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا : قالوا الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صدقات من هربت زوجته إلينا من المسلمين ، فأزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصدقات لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتم غنمتم ، وقيل من مال الفداء ، وقيل من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية ، قد ارتفعت لأنها نزلت في قضايا معينة وهي مهادة النبي صلى الله عليه وسلم مع مشركي العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادة المشركين من العرب وإنما هو في حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال في المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقال في أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم

الَّذِي أَتَمَّ بِهِ مُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِقْنَ وَلَا يَنْزِفْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَفْرِضْنَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبُوءُ الْكَافِرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝

في المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك) هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبأيعن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لف على يده ثوبا كشيء ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء، فغمسن أيديهن فيه (ولا يأتين بهتان) معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد، فتقول لزوجها هذا ولدى منك وإنما قال يفتريه بين أيديهن وأرجلهن لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلده به بين رجلها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده أو تفتري على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والغم وبين الأرجل يراد به الفرج (ولا يعصينك في معروف) أي لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المباينة، فقررهن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان بن حرب يارسول الله إن أباسفيان رجل شحيح، فهل على إن أخذت من ماله بغير إذنه، فقال لها خذي مايكفيك وولديك بالمعروف فلما قررهن على أن لا ينزفن، قالت هند يارسول الله أتزني الحرة؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا تزني الحرة يعني في غالب المرأة، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا وقتلهم أنت بيدركبارا، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك، وهذه المباينة للنساء غير معمول بها اليوم، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فأما أن تكون منسوخة ولم يذكروا نسخها، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود وكان بعض فقهاء المسلمين يتوعد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل يعني كفار قريش، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله «غير المغضوب عليهم» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة، وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يحتمل وجهين: أحدهما أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب

سورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوعًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

يتعلق بيشس وهو على حذف مضاف ، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أى كما يئس الذين فى القبور من سعادة الآخرة لانهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها

سورة الحواريين

(لم تقولون ما لا تفعلون) فى سيدنا ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله ففعله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قومنا من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم فى الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم والثالث أنها نزلت فى المنافقين لانهم كانوا يقولون للؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لانه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهر من ومع ذلك لحكم الآية على العموم فى زجر من يقول ما لا يفعل (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) كان بعض السلف يستحى أن يعظ الناس لاجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتا وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء مضمرة (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) وروى هذه الآية هنا دليل على أن الآية التى قبلها فى شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجال أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفى على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجدوى القتال (كانهم بنيان مرصوص) المرصوص هو الذى يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى) كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعضياته وتنقيصه وانظر فى الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتفتيح لإذائهم مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيف القلب هو ميله عن الحق (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل) إنما قال موسى يا قوم وقال عيسى يا بني إسرائيل لانه لم يكن له فيهم أب (مصدق لما بين يدي من النوراة) معناه مذكور فى البقرة فى قوله مصدقا لما معكم (ومبشرا برسول) عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح

بالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، يريدون ليُظْفُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قَامَنْتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةً فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ .

سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتفياه أبرار (اسمه أحمد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قومي وأنا العاقب فلانبي بعدى وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلا سمي به أو يكون صفة سمي بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد (فلما جاءهم بالبينات) يحتمل أن يريد عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثاني قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم (يريدون ليظفوا نور الله) ذكر في برامة (تؤمنون بالله) الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها (يغفر لكم) جزم في جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضى التحضيض (وأخرى تحبونها) ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره ولكن نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره ويمتحم أخرى (نصر من الله) تفسير لأخرى فهو بدل منها (وبشر المؤمنين) قال الزمخشري عطف على تؤمنون بالله لأنه في معنى الأمر (كونوا أنصار الله) جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به وليس ذلك المراد هنا (كما قال عيسى ابن مريم) هذا التشبيه مجرول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله وقد ذكر في آل عمران معنى الحواريين وأنصاري إلى الله (فأصبحوا ظاهرين) قيل إنهم ظهروا بالحجة ، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام ، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الجمعة

(القدوس) ذكر في الحشر (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ،

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَنْ يَضَلُّوا مُبِينًا * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

والأميين هم العرب ، وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف (وآخرين منهم) عطفًا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآخرون فأخذه يسلمان الفارسي ، وقال لو كان العلم بالثرى بالنهار رجال من هؤلاء يعني فارس ، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين لافي النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون ، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده في الحديث الصحيح (لما يلحقوا بهم) أي لم يلحقوا بهم لنفي وسيلحة ون ذلك أن لما ذكر الماضى القريب من الحال (ذلك فضل الله) إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الناس به (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها (ولم يحملوها) لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) يعنى اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة (فتمنوا الموت) ذكر في البقرة (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) النداء للصلاة هو الأذان لها ومن في قوله من يوم الجمعة لبيان إذا ، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة ، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط في السعى لها أن يكون عند الأذان والسعى واجب فالأذان واجب . الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقى بقرطبة زمانًا وهو باق في المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك في المجموعة إن هشام ابن عبد الملك هو الذى أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف . الثالث كان الأذان للجمعة واحدًا ثم زاد عثمان رضى الله عنه النداء على الزوراء ليعلم الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة : الرابعة ، السعى في الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعى فهو بخلاف السعى في قول رسول الله

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نودي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون . الخامسة ، حضور الجمعة واجب لجل الأمر الذى فى الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبي ولا على المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الجمعة واجبة على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وحجتهم فى المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقيم الجمعة فى السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا ، وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا ، والمشهور أنها لا تسقط عنه لعموم الآية ، السادسة اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس ، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية ، السابعة اختلف فى الموضع الذى يجب منه السعى إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل يجب على من كان داخل المصر ، وقيل على من سمع النداء ، وقيل على من آواه الليل إلى أهله ، الثامنة اختلف فى الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين ، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه فى الآية (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون فى الأذان وذلك على الوجوب فيقتضى تحريم البيع واختلف فى البيع الذى يعقد فى ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف فى بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز فى ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجرى النكاح فى ذلك الوقت مجرى البيع فى المنع (فانتشروا فى الأرض) هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس (وابتغوا من فضل الله) قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا الإباحة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الفضل المبتغى عبادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سروراً بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر ولم يبق معه إلا اثني عشر رجلاً قال جابر ابن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الثانى عشرة فقيل عبد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء لقد كانت الحجارة سومت فى السماء على المنفضين وظاهر الآية يقتضى أن الجماعة شرط فى الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا فى مقدار الجماعة الذين تتعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس فى ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعى أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الإمام وقيل اثني عشر عدد الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل : لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى الله وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري والآخر أنه

اللَّهُ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ،

سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَبَكْ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ

قال ذلك تهما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية (وتركوك قائما) اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا ، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس ، وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) إن قيل لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضوعين جاء على ما ينبغي فيه وذلك أن العرب تارة يتدوّن بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون في الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يتدوّن بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين ، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأخرى ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأخرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رآوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها . قدم التجارة هنا لئلا ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو لئلا ينفضوا إلى اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضوعين لم يحسن

سورة المنافقون

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله (والله يعلم إن المنافقين لـكاذبون) أى كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة ، وأما قوله والله يعلم إنك لرسول الله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولولم يذكره لكان يوهم أن قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله لرسول الله (جنة) ذكر في المجادلة (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم ، وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين : أحدهما أن يكون

يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارٌ وَهُمْ يُصَدِّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
سِوَا مَا عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَيَلَّ اللَّهُ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

فيمن آمن منهم إيماناً صحيحاً ثم نافع بعد ذلك ، والآخر أن يريد آمنوا في الظاهر كقوله ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعني أنهم حسان الصور (وإن يقولوا تسمع لقولهم) يعني أنهم فصحاء الخطاب والضمير في قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفي قوله تسمع لقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم والكل مخاطب (كأنهم خشب مسندة) شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلاخبر وقال الزمخشري إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التي في سقف أو مغروسة في جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة ، وقيل كانوا يستندون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط (يحسبون كل صيحة عليهم) عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بقتلهم (قاتلهم الله) الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارؤوسهم) أى أمالوها لإعراضها واستكبارها وتقص هذه الآية وما بعدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان من ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالانصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبي والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يا كلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرس منها الأذل يعني بالأعرس نفسه وأتباعه ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معوتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فخلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد وقال لقد صدقتك الله يا زيد فخزي عبد الله بن أبي بن سلول ومقتة الناس ، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي وقال أمرتوني بالإسلام فأسلمت وأمرتوني بأداء زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبي بن سلول بذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزيد بن علي السبعين فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر ، لأن هذه السورة نزلت

لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لِنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا
أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

سورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بتمة (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا تشغلكم
وذكر الله هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة ، وقيل يعنى الصلاة المكتوبة والعموم أولى (وأنفقوا
مما رزقناكم) عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك ، وقيل يعنى الزكاة المفروضة
والعموم أولى (وأكن من الصالحين) بالجزم عطف على موضع جواب الشرط ، وقرأ أبو عمرو فأكون
بالنصب عطف على فأصدق

سورة التغابن

(هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى تأويل الآية وجهان : أحدهما الذى خلقكم فكان يجب
على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن بالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب
العبد والآخر أن المعنى هو الذى خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا فالإيمان
والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد ، والأول أظهر ، لأنه عطفه على خلقكم بالقضاء يقتضى
أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لافى أصل الخلقة (خلق السموات والأرض بالحق) ذكر
معناه فى مواضع (وصوركم فأحسن صوركم) تعديد نعمة فى حسن خلقه بنى آدم لأنهم أحسن صورة من
جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجهم ذلك عن حسن الصورة الإنسانية
وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعنى العقل والإدراك الذى خص به الإنسان
والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل (ألم يأتكم) خطاب لقريش وسائر الكفار

اليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدونا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى
 حميد * زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير
 فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير * يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
 ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
 ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
 ما أصاب من مصيبة إلا ياذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول فإن توليتم فإثم على رسلنا البليغ المبين * الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون *
 يسأله الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله
 غفور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا

(فقالوا ابشر يهدونا) معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على
 الواحد والجماعة (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال عبدالله بن عمر زعم كناية عن كذب (يوم يجمعكم)
 العامل في يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعنى
 يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس فى التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء
 فى منازلهم التى كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا معنى الغبن وليس على المتعارف فى صيغة تفاعل
 من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هى فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشري
 يعنى نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم
 بالأشقياء لأن نزولهم فى جهنم ليس فى الحقيقة بغبن للسعداء (ما أصاب من مصيبة إلا ياذن الله) يحتمل أن
 يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وياذن الله
 عبارة عن قضاءه وإرادته تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شئ ياذن الله يهد الله
 قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم
 فاحذروهم) سبها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فبسطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من
 طاعتهم فى ذلك وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا
 من فراقه ففرق لهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف تعالى عن
 معاقبتهم بقوله وإن تعفوا وتصفحوا الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومته فى التحذير من يكون للإنسان
 عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا (والله عنده أجر عظيم) ترغيب فى الآخرة
 وتزهيد فى الأموال والأولاد التى فتن الناس بها (فاتقوا الله ما استطعتم) قيل إن هذا ناسخ لقوله اتقوا الله

وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ تَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ
لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝

سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

حق تقائه وروى أنه لما نزل حق تقائه شق ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لانسخ بينهما لأن حق تقائه معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما استطاع وهذه الآية على هذا مبينة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الاكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية (خيرا لأنفسكم) منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيويوه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) ذكر في الحشر (إن تقرضوا) ذكر في البقرة (والله شكور حكيم) ذكر في اللغات

سورة الطلاق

(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) إن قيل لم نودى النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه، قيل إذا طلقتم خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنساء تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبالغ لأمه، فكأنه قال يا أيها النبي إذا طلقتم أنت وأمتك وقيل تقديره يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضى أن هذا الحكم مختص بأمه دونه، وقيل إنه خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلقتم تعظيماً له، كما تقول للرجل المعظم أتم فعلتم، وهذا أيضاً ضعيف، لأنه يقتضى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه، فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم، وأما العيين بالطلاق ممنوع (فطلقوهن لعدتهن) تقديره طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب فطلقوهن في قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هو تعبد، والصحيح أنه معلل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضى جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضى المنع، ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإيجاب عند مالك

رَبِّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك ، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طاق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدرى هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله (وأحصوا العدة) أمر بذلك لما ينبنى عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاهاهي أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكا للزوج ، أو مكترى عنده ، لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي ؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي . الثاني أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب ، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبي بن كعب ، إلا أن يفحش عنك . الثالث أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك ، فتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى ، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبري الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج . انتقال فتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى قاله ابن الفرس : وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة ، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق ، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) المراد به الرجعة عند الجمهور أى أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لئلا تنكحن ، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر فأمره الله بجمعها (فإذا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) يريد آخر العدة والإمسك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك (وأشهدوا ذوى عدل منكم) هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور ، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق ، وقد ذكرنا العدالة في البقرة وقوله ذوى عدل يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَاللَّيْسِي يُنْسِنُ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسَا تَكْمُ إِنْ أَرْتَبْتُمْ
فَعَدْتِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّيْسِي لَمْ يَحْضَنْ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالُ أَجْلِهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ

شهادة العبيد ، وهو مذهب مالك (وأقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد
بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية ، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس ويحتمل
أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض ، وبهذا فسر الزمخشري وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله «كونوا
قوامين بالقسط ، شهداء لله (ذلكم) إشارة إلى ما تقدم من الأحكام (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل إنها
في الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة ، حسب مقتضيه السنة ، يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى
قدم على الطلاق وفي هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك
ولا أرى لك مخرجا أى لا رجعة لك وقيل إنها على العموم أى من يتق الله فى أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا
من كرب الدنيا والآخرة ، وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس وهذا أرجح لخسة أوجه أحدها حمل اللفظ
على عموميه فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره ، الثانى أنه روى أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك
أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا
وانطلق ولده ووسع الله رزقه ، والثالث أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من
شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة والرابع روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأعلم
آية لو أخذ الناس بها لكفتمهم «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» الآية : فما زال يقرؤها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه من
حيث لا يحتسب ، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على
نوعين رزق مضمون لكل حتى طول عمره وهو الغذاء الذى تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله ، وما من دابة
فى الأرض إلا على الله رزقها ، ورزق موعود المنتقين خاصة ، وهو المذكور فى هذه الآية (ومن يتوكل
على الله فهو حسبه) أى كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل فى آل عمران (إن الله بالغ
أمره) أى يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء ، هذا حصص على التوكل وتأكيده ، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور
كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أى مقدارا معلوما ووقتا
محدودا (واللأنى ينسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل قوله والمطلقات
يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فساعدة من لاقره لها من صغر أو كبير فنزلت هذه الآية معللة
أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر فقوله اللأنى ينسن من المحيض : يعنى التى انقطعت
حيضتها لكبر سنها وقوله (واللأنى لم يحضن) يعنى الصغيرة التى لم تنبغ المحيض وهو معطوف على اللأنى ينسن
أومبتدا وخبره محذوف تقديره واللأنى لم يحضن كذلك وقوله (إن ارتبتم) هو من الريب بمعنى الشك وفى
معناه قولان أحدهما إن ارتبتم فى حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم فى حيضها هل
انقطع أو لم ينقطع فهى على التأويل الأول فى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبنا ذكرنا وهو الصحيح وهى

أمر يسراً * ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً * أسكنوهن
 من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولت حمل فأنفقوا عليهن حتى
 يرضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له

على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض وقد اختلف العلماء في عدتها
 على ثلاثة أقوال أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل ، والآخر أنها ثلاثة
 أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 والثالث أنها تعدد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تباغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة
 (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامة
 في المطلقات والمتوفى عنهن فتمت كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال علي بن أبي طالب وابن عباس
 إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فمن اللاتي عدتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها
 عندهما بعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا فحجة الجمهور حديث سيعة الأسلمية
 أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حبل فلما وضعت خطبها أبو السنا بل بن بعكك
 فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها انكحي من شئت وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو
 باغ عليا رضي الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى يعنى سورة
 الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة ، والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا
 فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة
 فأما المطلقة غير المتبوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق ، وأما المتبوتة ففيها ثلاثة أقوال .
 أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي ، والثاني يجب لها السكنى والنفقة وهو
 مذهب أبي حنيفة ، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة ، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن
 زوجها طلقها البتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة ، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون
 النفقة ، وحجة من أوجب لها السكنى : قول عمر بن الخطاب : لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إنى
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لها السكنى والنفقة ، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة
 أن في بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى ، وقوله (من
 حيث سكنتم) معناه : أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن التبعض ، ويفسر ذلك قول قتادة لولم يكن
 له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه (من وجدكم) الوجد هو الطاقة والسعة في المال فالمعنى أسكنوهن
 مسكنا مما تقدرن عليه ، وإعراجه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها
 وهو بمعنى واحد ، والضم أكثر وأشهر (وإن كن أولت حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اتفق العلماء على
 وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا وانفقوا على أن للمطلقة
 غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا فإن كان بائنا فاختلقوا في نفقتها حسبما ذكرناه وأما

أُخْرَى . لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا
 سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا * وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ خَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا
 عَذَابًا نُكْرًا . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَان عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
 الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُن يَتَنَزَّلُ

المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات
 وقال قوم لها النفقة في التركة (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات
 أولادكم فآتوهن أجره الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبا ذكر في كتب الفقه (وائتمروا ينسبكم بمعروف)
 هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل
 معنى ائتمروا واتشاوروا ومنه إن المألأ يأتمرون بك (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) المعنى إن تشططت الأم
 على الأب في أجره الرضاع وطلبت منه كثيرا فلأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن
 لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج (لينفق ذو سعة من سعته)
 أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج ما لا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا
 وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر
 الكفاية ومن عجز عن نفقة امرأته فذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة وإن عجز عن
 الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب (خاسبناها حسبا شديدا) أي حاسبنا أهلها قيل يعنى
 الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعنى في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة
 بعد ذلك في قوله ، أعد الله لهم عذابا شديدا ، أولان قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع
 مجاز فيما لم يقع فعنى حاسبناها أى أخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرهما والعذاب هو عقابهم
 في الدنيا والنكر هو الشديد الذى لم يعهد مثله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا) الذ كر هنا هو القرآن والرسول
 هو محمد صلى الله عليه وسلم وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمرة تقديره أرسل رسولا وهذا الذى اختاره ابن عطية
 وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل
 إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكر آ ذا رسول وقيل رسولا مفعول بالمصدر الذى هو الذكر
 وقال الزمخشري الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره الله وهذا كله بعيد (ومن
 الأرض مثلهن) لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر
 هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقيل
 إنما هي واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعنى به المماثلة في العدد وعلى القول الثانى يعنى به المماثلة في

الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما

سورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك والاول ارجح (ينزل الامر بينهن) يحتمل ان يريد بالامر الوحي أو احكام الله وتقديره لخلقها

سورة التحريم

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في سبب نزولها روايتان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوماً إلى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجاء معها في البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان في نساءك أهون عليك مني أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضياً لها أيرضيك أن أحرمها قالت نعم فقال إنى قد حرمتها ، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجته زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً ؛ فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرطف وهو حلوى كريه الريح ففعلن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكنى شربت عسلاً ، فقلن له جرت نحلة العرطف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أشربه أبداً وكان يسكره أن توجد منه راحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك : فقال لا حاجة لى به ، فنزلت الآية عتاباً له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل ، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة ، وقد خرج الرواية الثانية البخارى وغيره ولتتكلم على فقه التحريم ، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء ، فلا يلزم ولا شئ عليه عند مالك ، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة ، وأما تحريم الأمانة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينوبه ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك في المشهور عنه ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوى في غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلاق أو اثنتين أو ثلاث ، وقال ابن الماجشون هي ثلاث في الوجهين وروى عن مالك أنها طلاق بائنة ، وقيل طلاق رجعية (تبتغي مرضات أزواجك) أى تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرأيته (والله غفور رحيم) في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضيقه عليه السلام على نفسه وامتناعه بما كان له فيه أرب وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۚ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة (قد فرض الله لكل تحلة أي انكم) التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لأطوؤها أبدا وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضا فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا (والله مولاكم) يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال حفصة لا تخبري بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يلبان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه (وأعرض عن بعض) كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرارها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشاء السرة فطلقها ثم أمره الله بمراجعها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أي أطلعه على أخبارها به وقوله عرف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكرما فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) أي لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشيت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له من أنبأك هذا فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلمت (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أي مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود ذاعت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) المعنى إن تعاوتما عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوقه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين : أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفاً له ، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع غيره ، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له ، الوجه الثاني أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضى معك النصرة (وصالح المؤمنين) اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون

وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّمَّن كَانَ مُسَلِّمًا * مُؤْمِنَاتٍ قُنَّتٍ تَنَبَّيْتِ عِبْدَاتٍ سَأَلَتْ تَيْبَتُ وَأَبْكَرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

الإضافة فعلية القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل على بن أبي طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح (عسى ربه إن طلقكن) الآية، نصره للنبي صلى الله عليه وسلم، وروى أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقه ولقد قال عمر حينئذ للنبي صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله إن أمرتى بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله تيبات وأبكارا، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهما في الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثبوبة والبقارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون هي واو الثمانية وذلك ضعيف (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فغير بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة (وقودها) ذكر في البقرة (ملائكة غلاظ شداد) يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم (ويفعلون ما يؤمرون) قيل إن هذا تأكيد لقوله لا يعصون الله، وقيل إن معنى لا يعصون امثال الأمر، ومعنى يفعلون ما يؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس (لا تعتذروا اليوم) يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة (توبة نصوحا) قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم غسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشري وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة في قوله وتوبوا إلى الله جميعا: في النور (يوم لا يخزي الله النبي) العامل في يوم يحتمل أن يكون ماقبله أو مابعد أو محذوف تقديره اذكره، والوقف والابتداء يختلف على ذلك (والذين آمنوا) يحتمل أن يكون معطوفاً على النبي أو مبتدأ وخبره بعده (نورهم يسعي) ذكر في الحديد (جاهد الكفار والمنافقين)

وَبَشَّرَ الْمَصِيرُ ۖ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَفَّتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ۖ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَسَاتِينِ ۖ

سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

ذكر في براءة (امرأة نوح وامرأة لوط) قيل اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، وهذا يفتقر إلى صحة نقل (خفاتها) قال ابن عباس خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه ، وكاتتا مع ذلك كافتين ، وقيل خاتتا بالزنا ، وأنكر ابن عباس ذلك وقال ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص ، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا . وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها ، وروى في قصصها غير هذا بما يطول وهو غير صحيح (من فرعون وعمله) تعني كفره وظلمه ، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف (أحصنت فرجها) يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه (نفخنا فيه من روحنا) عبارة عن نفخ جبريل في فرجها ، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه ، وفي ذلك تشریف له (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم ، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب وقرئ بالجمع يعني جميع كتب الله (من القاتنين) أي من العابدين ، فإن قيل : لم قال من القاتنين بجمع المذكور وهي أنثى؟ فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب المذكور

سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال إنها تنجي من عذاب القبر (تبارك) فعل مشتق من البركة ، وقيل معناه تعظيم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع (بيده الملك) يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة ، وقيل يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم (خلق الموت والحياة) يعني موت

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَاتَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ بَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي رَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمُصِيرُ ۝ إِذَا الْقُورَاءُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَيْقَاقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلًّا الَّذِي

الخالق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون ، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر (ليبloom) أى ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبloom فيجازيكم بما ظهر منكم (أيكم أحسن عملا) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله (سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض ، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى من قلة تناسب وخروج عن الإتقان ، والمعنى أن خلقة السموات فى غاية الإتقان وقيل أراد خلقة جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خالق سبع سموات طباقا فبان قوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله والخطاب فى قوله ماترى وارجع البصر وما بعده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفطور الشقوق جمع فطر ، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده فى النظر ، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هى منسجمة مستوية (ثم ارجع البصر كرتين) أى انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق ، وقال الزمخشري معنى الثنية فى كرتين التكثير لا مرتين خاصة ، كقولهم ليليك فإن معناه إجابات كثيرة (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذى طلبه ، والحسير هو الكليل الذى أدركه التعب فعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة ل ترى فيها شقاقا أو خلا لا يرجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك فكانه خاسئا لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) السماء الدنيا هى القريبة منا ، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها فى السماء الدنيا فلا إشكال ، وإن كانت فى غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا ، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التى فيها دون التى فى غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفى أى سماء هى لم يرد فى الشريعة (وجعلناها رجوما للشياطين) أى جعلنا منها رجوما ، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك أكرمت بنى فلان إذا أكرمت بعضهم والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرمم به ، قال الزمخشري معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجعة منفصلة من نار الكواكب لأن الراجعة هى الكواكب أنفسها لأنها ثابتة فى الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر (وأعدنا لهم عذاب السعير) يعنى للشياطين (سمعوا لها شيقا) الشيق أقبح ما يكون

فِيهَا فَوْجٌ سَاءَ لِمُخْزِنَتِهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۚ قَالُوا بَلَىٰ أَقْدَرْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِنَا ۖ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۚ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۚ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۚ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۚ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۚ أَمْ أَنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۚ أَمْ أَنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ۚ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًىٰ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ

من صوت الحمار ويعنى به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهبق أهلها ، والاول أظهر (وهي تفور) أى تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها (تكاد تميز من الغيظ) أى تكاد جهنم يفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار ، فيحتمل أن تكون هي المغتاطة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والاول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعدها وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة يادراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها (كلما ألقى فيها فوج) أى كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أى رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم ، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير ، وقوله كلما يقتضى أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار (إن أنتم إلا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أو من قول الكفار للرسول في الدنيا (وقالوا) الضمير للكفار أى لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) اعترفهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم (بالغيب) فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله يؤمنون بالغيب (وأسروا قولكم أو اجهروا به) المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر (ألا يعلم من خلق) هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والاول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الاول يعم من يعقل ومن لا يعقل (الارض ذلولا) فعول هنا بمعنى مفعول أى منذولة فهى كركوب وحلوب (فامشوا في مناكبها) قال ابن عباس هى الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشى على الارض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب (وإليه النشور) يعنى البعث يوم القيامة (أأنتم) الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التى بعدها (تمور) ذكر فى الطور (حاصبا) يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة (نذير) بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار (أ لم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تنبيه

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ الْإِلَّا فِي غُرُورٍ *
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ
 أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكُفْرِينَ مِنْ
 عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلِمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
 مَاؤُكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ *

على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها وصفات جمع صافقة وهي التي تبسط جناحها للطيران
 والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صفات لأن الفعل في معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم
 لم يقل قابضات على طريقة صفات فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران كما أن مدا الأطراف هو الأصل
 في السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنه يفعلها الطائر قليلا للاستراحة
 والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته (أمن هذا الذي هو جندكم) خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحججة
 عليهم ودخلت أم التي يراد بها الإنكار على من فادغمت فيها وكذلك أمن هذا الذي يرزقكم والضمير في أمسك
 لله أي من يرزقكم إن منع الله رزقه ، (بل لجوا) أي تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان (أمن يمشى مكبا على
 وجهه) الآية توقيف على الحالتين ، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار ، وفي معناها قولان : أحدها أن
 المشى هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا ، والآخر أنه حقيقة في المشى في الآخرة لأن
 الكافر يحمل على المشى إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقليل إن الذي يمشى مكبا أبو جهل والذي يمشى سويا
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمزة وقيل هي على العموم في كل مؤمن وكافر ، وقد تمشى هذه الأقوال
 أيضا على الثاني ، والمسكب هو الذي يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعنى دون همزة والقاصر
 بالهمزة بخلاف سائر الأفعال (ويقولون متى هذا الوعد) الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم
 في الدنيا (فلما رأوه) ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد (زلفه) أي قريبا
 وقيل عيانا (سيئت وجوه الذين كفروا) أي ظهر فيها السوء لما حل بها (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) تفتعلون
 من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال (قل أرايتم إن أهلكني الله)
 الآية سبها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم
 إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمتنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل
 أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم: من يمنعهم من العذاب (قل أرايتم إن أصبح

سورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِحُنُودٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ فَسَتَبْصُرُ وَيَبْصُرُونَ ۝ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُونُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

ماؤكم غورا) الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر ووصف به فهو بمعنى غير أى ذاهب فى الأرض والمعين
الكثير واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذى تشربون هل يأتىكم غير الله بماء معين

سورة القلم

(ن) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها فى البقرة ويختصن بأنه قيل إنه حرف من الرحمن
فإن حروف الرحمن ألف ولام وواو حاء وميم ون وقيل إن نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم
الذى عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف فى اللغة ومنه ذوالنون وقيل إن نون
هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف فى اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك
لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض وكان فى آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم
 وغيره من حروف الهجاء الموقوفة (والقلم وما يسطرون) اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذى كتب به
اللوحة المحفوظ فالضمير فى يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من
المنافع والحكم والضمير فى يسطرون على هذا لبنى آدم (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم وهو
خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه نفي نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ما أخبرها
كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور فى موضع الحال وقال الزمخشري إن العامل فيه بمجنون (غير ممنون)
ذكر فى فصلت (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا ثناء على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى
الله عنها كان خاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تعنى التأدب بأدابه وامتهال أو امره وعبر
ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة ، فن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم
وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد
والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة
اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسبا ورد فى أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن
له همة سوى الله عز وجل (فستبصرو ويبصرون بأىكم المقتون) قيل إن المقتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير
ذلك من معانى الفتنة والخطاب فى قوله فستبصرو للنبى صلى الله عليه وسلم وفى قوله ويبصرون لكفار قريش
واختلف فى الباء التى فى قوله بأىكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة ، الثانى أنها غير زائدة والمعنى بأىكم
الفتنة فأوقع المقتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول أى عقل ، الثالث أن الباء بمعنى فى والمعنى فى أى

عَنْ سَيِّلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطْعِ الْمُكْذِبِينَ . وَدُوا لَوْ تَدَهْنُ فَيُدْهِنُونَ . وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ
مُهِينٍ . هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ . مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٌ أَثِيمٌ . عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ * إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا ، الرابع أن المعنى بأيكم فتنه المفتون ثم حذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه (ودوا لو تدهن فيدهنون) المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي ، وروى أن
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون في
جواب التمني بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم
يدهنون (حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) هو الضعيف الرأى والعقل قال ابن عطية هو من
مهن إذا ضعف فالميم فاه الفعل ، وقال الزمخشري هو من المهانة وهي الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين
الكذاب (هماز) هو الذي يعيب الناس (مشاء بنميم) أى كثير المشى بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة تمام (مناع للخير) أى شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل
معناه مناع من الخير أى يمنع الناس من الإسلام ، والعمل الصالح (معتد) هو من العدوان وهو الظلم (أثيم)
من الإثم وهو ارتكاب المحرمات (عتل) أى غليظ الجسم قاسى القلب بعيد الفهم كثير الجهل (زنيم) أى ولد
زنا ؛ وقيل هو الذى فى عنقه زنمة كزنمة الشاة التى تعلق فى حلقها ، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل
ظلوم ، وقيل لثيم وقوله بعد ذلك أى بعد ما ذكرنا من عيوبه ، فهذا الترتيب فى الوصف لا فى الزمان
واختلف فى الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة ، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها
وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين ، وكذلك كان ، وقيل أبو جهل وقيل
الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة فى عنقه ، قال ابن عباس عرفناه بزمنته وكان لقيط من ثقيف
ويعد فى بنى زهرة فيصح وصفه بزنيم على القولين ، وقيل الأسود بن عبد يغوث ، (أن كان ذا مال وبنين)
فى موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أى لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ، ويجوز أن يتعلق بما
بعده ، والمعنى على هذا أنه قال فى القرآن أساطير الأولين ، لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل
فى أن كان على هذا فعل من المعنى ولا يجوز أن يعمل فيه قال الذى هو جواب إذا الآن ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين (سنسمه على الخرطوم) أصل الخرطوم أنف السبع
ثم استعير للإنسان استخفافاً به وتقييها له والمعنى نجعل له سمه وهى العلامة على خرطومه ، واختلف فى
هذه السمة قيل هى الضربة بالسيف يوم بدر ، وقيل علامة من نار تجعل على أنفه فى جهنم وقيل علامة
تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أى بلونا قريشاً كما بلونا أصحاب
الجنة وكانوا إخوة من بنى إسرائيل لهم الجنة ، روى أنها بمقربة من صنعاء فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً
منها شيئاً وباتوا عازمين على ذلك ، فأرسل الله على جنهم طائفاً من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى
جنهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطأوا الطريق ثم تبينوا فعرفوها وعلبوا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا

لِيَصْرُمْنَهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَشْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ .
فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ . أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ . فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ . أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُّسْكِينٌ . وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ . فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَل نَحْنُ مَحْرُومُونَ *
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ . قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يٰوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . عَسَىٰ رَبِّنَا أَن يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ .
كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . إِنَّ لِلتَّقِيَّةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ . أَفَنَجْعَلُ

فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيهه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش بعث محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم
وقيل شبه قريش لما أصابهم الجوع بشدة الفحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب
الجنة لما هلكت جنتهم (إذ أقسموا ليصرمها مصبحين) أى حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح
وكانت الغلة ثمرا (ولا يستشنون) فى معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمها
والآخر لا يستشنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون فى رأيهم ولا ينتهوا عنه أى
لا يرجعون عنه (فطاف عليهم طائف) قال الفراء الطائف الأمر الذى يأتى بالليل (فأصبحت كالصريم) فيه أربعة
أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها الصريم فى اللغة الليل الثانى أصبحت كالنهار لأنها ابيضت
كالخصيد ويقال صريم ليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود ببلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة
أى المقطوعة (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض (اغدوا على حرتكم)
أى جنتكم (إن كنتم صارمين) أى حاصدين لثمرتها (يتخافتون) يكلم بعضهم بعضا فى السر ويقولون (لا يدخلها
اليوم عليكم مسكين) وأن فى قوله أن اغدوا وأن لا يدخلها حرف عبارة وتفسير (وغدوا على حرد قادرين)
فى الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثانى أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين
يحتمل أن يكون من القدرة أى قادرين فى زعمهم أو من التقدير بمعنى التصديق أى ضيقوا على المساكين
(إنا لضالون) أى أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا (بل نحن
محرومون) أى حرماننا الله خيرها (قال أوسطهم) أى خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أى خيارا (لولا تسبحون)
أى تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء فى اليمين كقولهم إن شاء
الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذى هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح
(يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل
قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) يحتمل أنهم طلبوا البدل فى الدنيا أو فى الآخرة
والأول أرجح لأنه روى عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل

المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنْ لَكُمْ فِيهِ مَا تَخَيَّرُونَ .
 أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ . سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ . أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
 فَمَا تَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ . يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ .
 خَشَعَةَ أَبْصَارِهِمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ . فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا
 الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش (أفجعل المسلمين كالمجرمين) الهزمة للإنكار أى كيف يسوى الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازى كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار (مالككم) توبيخ للكفار وما بدأ ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه (كيف تحكمون) توبيخ آخر أى كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم (إن لكم فيه لما تخيرون) هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) المعنى هل حلفنا لكم أيماناً أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة وأصله إلى يوم القيامة ، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة (سلمهم أيهم بذلك زعيم) أى يا محمد أسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور، والزعيم هو الضامن الأمر القائم به (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم) هذا تعجيز للكفار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا، أى أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة: والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزبخري معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعنى أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر (يوم يكشف عن ساق) قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه فيقول أنار بكم فيقولون نعم ذب الله منك، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظاماً واحداً فلا يستطيعون سجوداً وتأويل الحديث كتأويل الآية (ويدعون إلى السجود) تفسيره في الحديث الذي ذكرنا، فإن قيل كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليس الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) أى قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرين عليه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) تهديد للكافرين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول

مُثَقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ
مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لُنُبِدَ بِالْعُرَاءِ ۖ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۖ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ
وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۖ وَمَا هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۖ

سورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝
فَأَمَّا ثَمُودُ فَاهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَاهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً

معه أو معطوف ، وقد ذكرنا في الأعراف سندسدر جهم وما بعده (أم تسألهم أجرا) معناه أنت لا تسألهم أجره على
الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام ، وقد نسرنا هذا وما بعده في الطور (فاصبر) يقتضى مسألة للكفار ،
نسخت بالسيف (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو
أيضا ذوالنون والنون هو الحوت ، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصفات ، فهى الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون
مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا ، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على
الكفار (إذ نادى وهو مكظوم) هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين ، والمكظوم الشديد الحزن (لنبد بالعراء وهو مذموم) هو جواب لولا والمنفى هو الذم لانبذه
بالعراء فإنه قد قال في الصفات فنبدناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبد بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير
مذموم وقد ذكرنا العراء في الصفات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) عبارة عن شدة عداوتهم
وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام ويزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة
كاد يصرعه وأصله من زلق القدم ، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان
ذلك في بنى أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين فأراد بعضهم أن يصيب
النبي صلى الله عليه وسلم فعصمه الله من ذلك ، وقال الحسن دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية (وما هو
إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق

سورة الحاقة

(الحاقة) هى القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أى يصح وجودها ، ولا ريب فى وقوعها
ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدئى حقائق الأمور (ما الحاقة) ما استفهامية يراد بها التعظيم وهى
مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة ، وكان الأصل الحاقة ما هى ثم وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة
فى التعظيم والتحويل ، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتحويل (بالقارعة)

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ
 وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ . فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً . إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ
 فِي الْجَارِيَةِ لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَتَعْيِبًا أذُنٌ وَعَیَّةٌ . فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ

هي القيامة سميت بذلك لأنها تفرع القلوب بأهوالها (بالطاغية) يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسميت بذلك
 لأنها جاوزت الحد في الشدة ، وقيل الطاغية مصدر فكانه قال أهل كوا بطغيانهم ، فهو كقوله كذبت ثمود
 بطغواها وقيل هي صفة لمخزوف تقديره أهل كوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية
 وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدا بالسيف (بريح صرصر عاتية) ذكر في فصلت ، وعاتية أي شديدة
 وسميت بذلك لأنها عنت على عاد ، وقيل عنت على خزائنها فخرجت بغير إذنه (سخرها عليهم سبع ليال)
 روى أنها بدت صيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكلمة الشهر
 (حسوما) قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك ، وقيل معناه شؤما وقيل هو جمع حاسم من
 الحسم وهو القطع أي قطعهم بالإهلاك فحسوما على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال ، وعلى الثالث حال
 أو مفعول من أجله (فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع وهو المطروح بالأرض ، والضمير المجرور يعود على
 منازلهم لأن المعنى يقتضيهما وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالي ، أو على الريح (كأنهم أعجاز نخل
 خاوية) تقدم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل ، والخواوية هي التي خلت من طول بلائها وفسادها (من
 باقية) أي من بقية ، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء (ومن قبله) يريد من تقدم قبله من الأمم
 الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب ، والظاهر أنهم المراد لأن عادا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات
 وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله لما طغى الماء حملناكم في الجارية ، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه
 جنده وأتباعه (بالخاطئة) إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمخزوف تقديره بالفعلة الخاطئة (فعصوا
 رسول ربهم) إن عاد الضمير على فرعون وقومه ، فالرسول موسى عليه السلام ، وإن عاد على المؤتفكات :
 فالرسول لوط عليه السلام ، وإن عاد على الجميع : فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة (رابية) أي عظيمة
 وهي من قولك ربا الشيء إذا كثرت (طغى الماء) عبارة عن كثرت ، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض
 أو على خزائنه يعني وقت طوفان نوح عليه السلام (حملناكم في الجارية) هي السفينة ، فإن أراد السفينة
 نوح فعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في
 السفينة ، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته (لنجعلها لكم تذكرة) الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة
 وقيل للسفينة ، فإن أراد جنس السفن : فالعنى أنها تذكرة بقدرته الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة
 نوح فقد قيل إن الله أباقها حتى رأى بعض عيادتها أول هذه الأمة (وتعيها أذن واعية) الضمير
 يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها ، وهذا يقوى أن يكون للفعلة ، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع
 وتحفظه ، يقال وعيت العلم إذا حصلته ، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله ، وروى أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب إنى دعوت الله أن يجعلها أذناك يا علي ، قال علي فأنسيت

وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ
 أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
 كِتَابَهُ يَمِينًا فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مِمَّا كُتِبَ عَلَيَّ ۖ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حَسَابِيَةٍ ۖ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ
 عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ شِمَالًا فَيَقُولُ

بعد ذلك شيئاً سمعته ، قال الزمخشري : إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة
 ولتوبيخ الناس بقلة من بقي منهم ، ولدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعبرة عند
 الله دون غيرها (نفخة واحدة) يعني نفخة الصور وهي الأولى (فدكتا) الضمير للأرض والجبال ، ومعنى دكتا
 ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشري : الدك أبلغ من الدق ، وقيل معناه بسطت حتى تستوى
 الأرض والجبال (وقعت الواقعة) أي قامت القيامة ، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف (واهية)
 أي مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم دار واهية أي ضعيفة الجدران (والملك على أرجائها) الملك هنا اسم
 جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أن الملائكة يكونون
 يوم القيامة على جوارب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها ، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى
 يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها ، وروى في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض
 والأول أظهر وأشهر (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ابن عباس هي ثمانية صفوف من
 الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ، ويؤيد
 هذا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو اليرم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قوام الله بأربعة
 سواهم (يومئذ تعرضون) خطاب لجميع العالم والعرض البعث والحساب (خافية) أي حال خافية من الأعمال والسرائر
 ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة (فأما من أوتي كتابه يمينه) الكتاب هنا صحائف
 الأعمال (هاؤم أقرؤا كتابه) هاؤم اسم فعل ، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشري هو صوت يفهم منه
 معنى خذ ، وكتابه مفعول يطلبه هاؤم وأقرؤا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب أقرؤا كتابي ثم حذف
 لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل ، الثاني وهو أقرأوا عند البصريين ، والعامل الأول هو هاؤم عند
 الكوفيين ، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال أقرؤه ، والهاء في كتابه للوقف وكذلك
 في حسابه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد
 أسقطها في الوصل بعضهم ، ومعنى الآية أن العبد الذي يعطى كتابه يمينه يقول للناس أقرأوا كتابه على
 وجه الاستبشار والسرور بكتابه (إني ظننت) الظن هنا بمعنى اليقين (راضية) أي ذات رضا كقولهم تامر
 لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء اسم فاعل ، وقال الزمخشري يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل
 إليها مجازاً وهو لصاحبها حقيقة (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود (دانية) أي
 قريبة ، وروى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع
 (أسلفتم) أي قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية يعني أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه

يَلِيْتِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَهُ ، وَلَمْ أَدْرِمَ حَسَابِيَهُ ، يَلِيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ ،
 خَذَوهُ فَعَلُوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ،
 وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
 الْخَاطِئُونَ ، فَلَا أَسْمَ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا

بشأله) هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علة إعطائهم كتبهم بشألمهم عدم إيمانهم ، وأما
 المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم ، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم ، هل يعطى كتابه قبل دخول النار
 أو بعد خروجه منها ؟ وهذا أرجح لقوله هاوم اقرأوا كتابيه لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى
 النار (فيقول ياليتي لم أوت كتابيه) أي يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدوما لا يجرى عليه
 شيء والأول أظهر (باليته كانت القاضية) أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء
 (ما أغنى عنى ماله) يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفي (هلك عنى سلطانيه) أي زال عنى ملكي
 وقدرتي وقيل ذهب عنى حجتي (خذوه) خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله (فعلوه)
 أي اجعلوا غلافي عنقه ؛ وروى أنها نزلت في أبي جهل (ذرعها سبعون ذراعا) معنى ذرعها أي طولها ، واختلف
 في هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف ، وقيل بذراع الملك وقيل في الذراع سبعون باعا ، كل باع ما بين
 مكة والكوفة والله در الحسن البصري في قوله الله أعلم بأى ذراع هي وجعلها سبعين ذراعا لإرداة وصفها بالطول
 فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير ، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لسكل واحد من أهل
 النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي ذلك (فاسلكوه) أي أدخلوه ، وروى أن هذه السلسلة تدخل
 في فم الكافر وتخرج من دبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى كقولهم أدخلت القلسورة في رأسي
 وروى أنها تلتوى عليه حتى تعمه وتضغظه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها ، وإنما قدم قوله في سلسلة
 على اسلكوه لإرداة الحصر أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة وكذلك قدم الحميم على صلوه لإرداة الحصر أيضا
 (طعام المسكين) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمراً أو يقدر لا يحض على بذل طعام
 المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه
 من باب أولى ، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها ، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله (فليس
 له اليوم ها هنا حميم) فيه قولان : أحدهما : ليس له صديق والآخر ليس له شراب (ولا طعام إلا من غسلين)
 فإن الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار ، وقال اللغويون
 هو ما يجري من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل (الخاطئون) جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب
 متعمدا والمخطف الذي يفعله بغير تعمد (فلا أسمى) لازائدة غير نافية (عمات بصرون وما لا تبصرون) بمعنى جميع
 الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدينا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح
 وغير ذلك (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل
 لمحمد عليه الصلاة والسلام (قليلاً ماتؤمنون) قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية ، فنفى إيمانهم بالجملة

مَا تَوْمُنُونَ . وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ . تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ .
لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ . وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *

سورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ .

أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلّة، وقال الزمخشري القلّة هنا بمعنى العدم، أي لا تؤمنون ولا تذكرون
ألبتة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) تقول هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا
محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله (لاخذنا منه باليمين) قال ابن عباس اليمين هنا القوة
ومعناه لو تقول علينا لاخذناه بقوتنا وقيل هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده ويمينه،
قال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله:
لاخذنا منه باليمين لأن السيف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه
لنظره إلى السيف (الوتين) نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه (فما منكم من أحد
عنه حاجزين) الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن
أحد في معنى الجماعة (وإنه لتذكرة) الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر (وإنه
لحسرة على الكافرين) أي حسرة عليهم في الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين (وإنه لحق
اليقين) قال الكوفيون هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري المعنى عين
اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الخذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه: -

سورة المعارج

(سأل سائل بعذاب واقع) من قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا
داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذي قالها
النضر بن الحرث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على
هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما من قرأ سأل بغير همز
فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مخففاً من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني
أن يكون من سأل السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سأل سيل، وتكون الباء على هذا
كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين: أحدهما أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة
وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في جهنم واد يقال له سائل فتاخص من هذا أن
في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان (للكافرين) يحتمل أن يتعلق بواقع

تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَوْهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيًّا . يَبْصُرُونَهُمْ

وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أى دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين (من الله) يحتمل أن يتعلق بواقع أى واقع من عند الله أو بدافع أى ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا (ذى المعارج) جمع معرج وهو المصعد إلى علو كالسلم والمدارج التى يرتقى بها قال ابن عطية هى هنا مستعارة فى الفضائل والصفات الحميدة وقيل هى المراقى إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة (والروح إليه) أى إلى عرشه ومن حيث تهبط أو امره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اختلف فى هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه فى الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مانع الزكاة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعنى يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أهل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه فى الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون فى يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا فى خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هى مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل فى هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله فى يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون فى يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم (فاصبر) هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أى اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة فى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم (إنهم يرونه بعيدا) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه (يوم تكون السماء كالمهل) يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب فى نراه أو منصوب بقوله قريبا أو بقوله بود المجرم أو بفعل مضمّر تقديره اذكر والمهل هو دردى الزيت شبه السماء به فى سوادها وانكسار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به فى تلونه (وتكون الجبال كالعهن) العهن هو الصوف شبه الجبال به فى انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه فى الانتفاش وفى اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحمر (ولا يسأل حميم حميما) الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلبه أنه لا يقدر له على شيء ، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه (يبصرونهم) يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضمير ان يعودان على الحميمين لأنهما فى معنى الجمع ، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكن لا يسأله

يُودِ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
 ثُمَّ يُنَجِّيهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى ، إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ
 هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُونَ ،
 وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
 رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَبْتَغَىٰ ، وَرَأَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
 رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ،

(وصاحبته) يعني امرأته (وفصيلته) يعني القرابة الأقربين (تؤيبه) أي تضمه فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء
 إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات (ثم ينجي) الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدى وهذا الفعل
 معطوف على لو يفتدى وإنما عطفه بثم إشعاراً ببعده النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله (كلا
 إنها لظى) الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر وظى علم لجهنم
 مشتق من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها
 ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمرة أو خبر لإنها إن جعلنا لظى منصوباً على
 التخصيص أو بدل من الضمير ، أو خبر ثان لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال (تدعو
 من أدبر وتولى) يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس
 تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وقيل معناها تهلك حكاة الخليل عن العرب (وجمع فأوعى) يقال
 أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعاء ، فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء
 الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه (إن الإنسان خلق هلوعاً) الإنسان هنا اسم جنس بدليل
 الاستثناء منه ، سئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسيراً بين من تفسيره
 وهو قوله «إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، وذكره الله على وجه الظم لهذه الخلائق ، ولذلك
 استثنى منه المصلين لأن صلواتهم تحملهم على قلة الاكترات بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يدخلون بخيرها
 (الذين هم على صلواتهم دأمون) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي
 أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها (حق معلوم) قد ذكرنا في الذاريات معنى حق والسائل والمحروم ، ووصفه هنا
 بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدر شرعاً وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفه معلومة
 عنده (غير مأمون) أي لا يكون أحد آمنه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف
 حتى يدخل الجنة (لأماناتهم وعهدهم) ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون (والذين هم بشهادتهم قائمون) قال
 ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال الجمهور يعني الشهادة عند الأحكام ثم اختلف على هذا في

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطَعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أَسْمَ بَرِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمَ الَّذِي يُوْعَدُونَ * يَوْمَ نَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى أَنْصَابٍ يُوْفَضُونَ * خَشَعَةَ أَبْصَارِهِمْ تَرَهْتَهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *

معنى القيام بها فليل هو التحقيق لها كقوله صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهدوا وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دعى الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس ، فلا يجوز أدائها حتى يدعوها صاحب الحق إلى ذلك ، والثاني حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعنق والأحباس ، فيجب أداء الشهادة بذلك دعى أو لم يدع الثالث حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره ، حتى يدعى إليه (فقال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قرأته ، ومعنى قبلك فى جهتك وما يابيك (عزِينَ) أى جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاى وأصله عزوة ، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها (كلا) ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) كناية عن المنى الذى خلق الإنسان منه ، وفى المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها : تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة فذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، الثانى الرد على الكفار فى طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس ، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء فى الخلقة ، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله وألم يك نطفة من منى ينفى ، إلى آخر السورة (فلا أقسم) معناه أقسم ولا زائدة (برب المشارق والمغارب) ذكر فى الصفات (إننا قادرون على أن نبدل خير منهم) تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم (وما نحن بمسبوقين) أى مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث (فذرهم) وعيد لهم وفيه مهادة منسوخة بالسيف (يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة بدليل أنه أبطل منه (يوم يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كانهم إلى نصب يوفضون) النصب الأصنام ، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعاً من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشى إلى أصنامهم فى الدنيا

سورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۙ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝
 قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۙ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرَّكُمْ إِلَىٰ
 أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا *
 فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي ۙ إِذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ

سورة نوح عليه السلام

(أن أنذر) و (أن اعبدوا) يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن
 اعبدوا والاول أظهر (عذاب أليم) يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم (يغفر لكم من
 ذنوبكم) من هنا للتبعيض أى يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجب ما قبله
 ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم ، لأن ذلك فى مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك
 باطل لأن من لا تزاد عند سيويه إلا فى غير الواجب وقيل هى لبيان الجنس وقيل لا ابتداء الغاية وهذان
 القولان ضعيفان فى المعنى والاول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) ظاهر هذا
 يقتضى أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخوا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضى القول بالأجلين
 وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشري ، وأما على مذهب أهل السنة فهى من المشكلات وتأولها
 ابن عطية فقال ليس للمعتزلة فى الآية مجال لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر
 أو ممن يعاجل ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قدحان لكن قد سبق فى الأزل إيمان قصى له بالإيمان
 والتأخير أو ممن قصى له بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر فى الوجود أنكم ممن
 قصى له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر فى الوجود أنكم ممن قصى عليه بالكفر والمعاجلة فكان
 الاحتمال الذى يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير
 وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذى يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر
 محتوم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) هذا يقتضى أن الأجل محتوم كما قال تعالى فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
 ساعة ولا يستقدمون وفى هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذى ذكرنا وفيه أيضا رد على المعتزلة فى قولهم
 بالأجلين وما كان كذلك قال الزمخشري إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول
 ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذى لا يؤخر هو الأجل الثانى وذلك أن قوم نوح قصى الله أنهم إن آمنوا عمرهم
 الله مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هى التى تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هى التى
 وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا (دعوتهم لتغفر لهم) أى دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التى هى
 سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فعلوا ذلك لئلا

وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أُسْتَكْبَرَا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا .
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا . مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ

يسموا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك
(واستغشوا ثيابهم) أى جعلوها غشاوة عليهم لئلا سمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة
أو يكون عبارة عن إعراضهم (وأصروا) أى داوموا على كفرهم (دعوتهم جهاراً) إعراب جهاراً مصدر من
المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر مخدوف تقديره دعا جهاراً أو مصدر في موضع الحال أى
بجاهراً (ثم إنى أعلنت لهم وأسرت لهم إسراراً) ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم
ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاه كل واحد على حدته (يرسل السماء
عليكم مدراراً) مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار
ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيتك استسقيت
فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكرا رجل إلى الحسن الجذب فقال له استغفر
الله (مالك لا ترجون لله وقاراً) فيه أربع تأويلات: أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى
مالك لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك الزمخشري وقوله لله على هذا بيان الموقر ولو تأخر
لكان صفة لوقاراً . والثاني أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى مالك لا ترجون لله وقاراً متثبتين حتى
تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب
وقاراً على هذا مصدر في موضع الحال ، الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة
والساطان فالمعنى مالك لا تخافون عظمة الله وسلطانه والله على هذا صفة للوقار في المعنى ، الرابع: أن
الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى مالك لا تخافون
الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار (وقد خلقكم أطواراً) أى طوراً بعد طور ، يعنى أن
الإنسان كان نطفة ثم علقه ثم مضغعة إلى سائر أحواله ، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن
الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وأصنافهم وغير ذلك (طباقا) ذكر في الملك (وجعل القمر فيهن
نورا) القمر إنما هو في السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك ،
فلان في الأندلس ، إذا كان في بعضها والشمس في السماء الرابعة وقيل في الخامسة وجعل القمر نورا
والشمس سراجاً ، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذى يضيء فيصربه والنور قد يكون
أقل من ذلك (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتاً مصدر على
غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم نباتاً ويحتمل أن يكون منصوباً على الحال (ثم بعيدكم فيها) يعنى بالدفن

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا . لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا . قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمَمِ يَزِدُهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا . مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا . وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا .

(ويخرجكم إخراجا) يعني بالبعث من القبور (والله جعل لكم الأرض بساطا) شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفي ذلك نظر (سبلا فجاجا) ذكر في الأنبياء (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراهم وقرئ ولده بفتححتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد (ومكروا مكرا كبيرا) الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير (وقالوا لا تذرنا آلهتكم) أي وصي بعضهم بعضا بذلك (ولا تذرنا ودا ولا سواعا) هذه أسماء أصنامهم ، كان قوم نوح يعبدونها وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا ، فلما اتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لتذكر أعمالهم الصالحة ، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لملك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب ، فكان وداً لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهديل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمدان وكان نسراً لذي الكلاع من حمير وقرئ ودا بفتح الواو وضمها وهما لغتان (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام ، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشري إنه معطوف على قوله رب إنهم عصوني ، والتقدير قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا ، (مما خطبتهم أغرقوا) هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم ، ومازادة للتأكيد وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار، إنما كان بسبب خطاياهم وهى الكفر وسائر المعاصي (فأدخلوا نارا) يعنى جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضى لأن الأمر محقق وقيل أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) دياراً من الأسماء المستعملة فى النفي العام يقال مافى الدار ديار أى مافىها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقليل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار ، وروى أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يتس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم (رب اغفر لى ولوالدى) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمناً قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح ملك بن متوشلخ وأمه شمشا

سورة الجن

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدًّا رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِهِ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْتًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَا لَمَسَّيْنَا

بنت أنوش ، حكاة الزمخشري (ولمن دخل بيتي و مؤمنا) قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعتة سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة ، قال بعض العلماء إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات (تبارا) أى هلاكا والله أعلم

سورة الجن

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) أى قال ذلك بعضهم لبعض وعجبا مصدر وصف به المبهمة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبوا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذابح (وأنه تعالى جدر بنا) جد الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجرود إذا استغنى وقرئ أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا من المسلمون فأما الكسر فاستثناف أو عطف على إنا سمعنا لكنه كسر في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أوحى فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشري هو معطوف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي: أنه استمع ، وأن لو استقاموا ، وأن المساجد لله ؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن (وأنه كان يقول سفيها على الله شططا) هذا من كلام الجن وسفيهم أبوهم إبليس ، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية ، والشطط التعدى ومجازة الحد (وأنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا) أى ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) تفسير هذا ما روى أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادى إني أعوذ بك من

السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مَلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْهُ شُهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا . وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا . وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعُجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى «أَمَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ

السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه (فزادوه رهقا) ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجر زادوا الإنس ضللا وإثما لما عاذوا بهم أوزادوه تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم ، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس (وأنهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله أحدا) الضمير في ظنوا لكفار الإنس وظنتم خطاب الجن بعضهم لبعض ، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا ، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور (وأنالمنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) هذا إخبار عن ما حدث عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجهم واللس المس واستعير هنا للطلب ، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فتمت أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة (فمن يستمع الآن يجده شهبا بارصدا) الرصد اسم جمع للرصد كالخراس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر ووصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمى الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واختار ابن عطية والزخشي أنه كان قبل المبعث قليلا ، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية ؟ قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم (وأنا لاندري أشرا أريد بمن الأرض) الآية : قال ابن عطية معناه لاندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا ، أو يكفرون به فينزل بهم الشر ؟ وقال الزخشي معناه لاندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق ؟ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أي منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير (كنا طرائق قددا) الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدر المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسم المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أي كنا ذوى طرائق (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض) الظن هنا بمعنى العلم ، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم (سمعنا الهدى) يعنون القرآن (فلا

تَحَرَّوْا رَشْدًا ۚ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۚ وَالْوَّاسِقُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۚ لَنَفْتَنَّهُمْ فِيهِ ۚ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۚ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۚ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۚ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۚ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۚ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ

يخاف بخسا ولا رهقا) البخس النقص والظلم ، والرهق تحمل ما لا يطاق ، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنة ، والرهق الزيادة في السيئات (ومنا القاسطون) يعنى الظالمين : يقال قسط الرجل إذا جار ، وأقسط بالالف إذا عدل وهانئا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن ، وأما قوله فن أسلم فأولئك تحروا رشدا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذى اختاره ابن عطية ، وأما قوله وأن لو استقاموا فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم (تحروا) أى قصدوا الرشدا (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسيع الرزق والطريقة هى طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرازقهم فهو كقوله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» وقيل هى طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا أملا كههم استدراجا ويؤيد هذا قوله «لنفتنهم فيه» والأول أظهر ، والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق (لنفتنهم فيه) إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة ، فعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فعنى الفتنة الإضلال والاستدراج (نسلكه عذابا صعدا) معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان فى صعد أى فى مشقة وقيل صعدا جبل فى النار (وأن المساجد لله) أراد المساجد على الإطلاق وهى بيوت عبادة الله ، وروى أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة ، وقيل أراد الأعضاء التى يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد ، وعطف أن المساجد لله على أوحى إلى أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، أى لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) عبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال الزمخشري أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبي لأن هذا واقع فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه لأنه لما أوحى إليه فذ كر صلى الله عليه وسلم نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذى قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا على أوحى إلى أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخباراً من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله (كادوا يكونون عليه لبدا) اللبدا الجماعات واحدها لبدة والضمير فى كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أى كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أى كادوا يجتمعون عليه

فَسَيَعْلَمُونَ مِنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً * قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تَوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَلَّمَ
الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا *
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا *

لاستماع القرآن والبركة به (ماتحدا) أى ماجأ (إلا بلاغا) بدل من ملتجدا أى لا أجد منجأ إلا بلاغ الرسالة
ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً (من الله) قال الزمخشري هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى
بلاغا كائناً من الله ويحتمل عندي أن يكون متعلقاً ببلاغا والمعنى بلاغ من الله (ورسالاته) قال الزمخشري
إنه معطوف على بلاغا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة ، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفاً على اسم الله
(ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهم خالدن فيها أبدأ) جمع خالدن على معنى من يعص لأنه فى معنى الجمع
والآية فى الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم فى النار والدليل على أنها فى
الكفار وجهان أحدهما أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخرة دلالة ما قبلها وما بعدها
على أن المراد بها الكفار (حتى إذا رأوا ما يوعدون) تعاقبت حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك
والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري وقال أيضاً يجوز أن يتعلق
بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر (قل
إن أدرى أقرب ما توعدون) إن هنا نافية والمعنى قل لا أدرى أقرب ما توعدون أم بعيد وعبر عن بعده بقوله
أم يجعل له ربي أمداً ويعنى بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى
من رسول) أى لا يطلع أحداً على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك ومن
فى قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبويض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا
حملها ابن عطية أو الرسل من بنى آدم وعلى هذا حملها الزمخشري واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين
يدعون المكاشفات فإن الله خص الإطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضاً دليل على إبطال الكهانة
والتنجيم وسائر الوجوه التى يدعى أهلها الإطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل (فإنه يسلك من بين
يديه ومن خلفه رصداً) المعنى أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصداً يحفظونه
من الشياطين وقد ذكرنا رصداً فى هذه السورة قال بعضهم ما بعث الله رسولا إلا ومعهم ملائكة يحرسونه
حتى يبلغ رسالته ربه (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) فى الفاعل يعلم ثلاثة أقوال : الأول أى ليعلم الله
أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أى يعلمه موجوداً وقد كان علم ذلك قبل كونه . الثانى ليعلم محمد أن الملائكة
الرصد أبلغوا رسالات ربهم . الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير
فى أبلغوا وفى ربهم حملاً على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة (وأحاط بما لديهم) أى أحاط الله
بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية
ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال (وأحصى كل شئ عدداً) هذا عموم فى جميع الأشياء وعدداً
منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى

سورة المزمّل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ۖ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نَصْفَهُ ۖ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

سورة المزمّل

(يا أيها المزمّل) نداء للنبي صلى الله عليه وسلم ووزن المزمّل متفاعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاى وفى تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمّل ثلاثه أقول أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزملا فى كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف فى الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور ، والثانى أنه كان قد تزمل فى ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أى المتشمر المجتدى أمرها والأول هو الصحيح لما ورد فى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو فى غار حراء فى ابتداء الوحى رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملونى زملونى فنزلت يا أيها المذر وعلى هذا نزلت يا أيها المزمّل فالزمّل على هذا تزمله من أجل الرعب الذى أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشرى كان نائما فى قطيفة فنودى يا أيها المزمّل ليبين الله الحالة التى كان عليها من التزمل فى القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهلبى فى نداءه بالمزمّل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلى : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة (قم الليل) هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفى ، الثانى أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله فى آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضى الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقى فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين (إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) فى معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضمير ان فى قوله : أو انقص منه ، أو زد عليه : عائذان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزيد عليه . الثانى : قال الزمخشرى إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا بغيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة فى استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير فى قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أى زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير

وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُم قَلِيلًا ۝

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد ، القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه ، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي ، فإن قيل : لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا؟ فالجواب : أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكير في معاني القرآن بخلاف الهد الذي لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل ، والقول الثميل هو القرآن واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمي ثقيلا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحى إليه ونخذه على نخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض نخذ زيد والثقل على هذا حقيقة ، الثاني أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل في الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكليف والأوامر والنواهي ، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) في الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أى التي تنشأ من مضجعتها وتقوم للصلاة ، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أى تحدث فيه ، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يغم ناشئة ، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء ، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هي أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما : أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ، والثاني أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثاني أشد ثبوتا من أجل الخلو وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطئا بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أى يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك في النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأدبه بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أى انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۚ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۚ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۚ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۚ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۚ السَّمَاءُ مَنفُطَةٌ بِهِ كَانَتْ وَعَدُهُ مَفْعُولًا ۚ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي

قياس (فاتخذ و كيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على ما يقولون) أى على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله هجرهم هجرًا جميلًا وأما الصبر فأمر به في كل وقت (وذرنى والمسكينين) هذا تهديد لهم وانتصب المسكينين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التمتع في الدنيا وروى أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذاغصة) شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أى يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن ولدنا أنكالا (وكانت الجبال كشيماهيلا) الكشيبة كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذى تهبله الريح أى تنشره ووزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكشيبة (إننا أرسلنا إليكم رسولًا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري هو خطاب لأهل مكة (وشهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى و كنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذنا ويلا) أى عظاما شديدا (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم ، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء ، ويجعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى الله تعالى أو إلى اليوم ، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة ، فقيل إن ذلك حقيقة ، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم ، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المحرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الإضافة تقديره ذات انفطار أولاً لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير فى وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم
 فافروا ما تيسر من القرآن إن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل
 الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فافروا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأقروا الله
 قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن
 الله غفور رحيم

سورة المدثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * رَبِّكَ أَكْبَرُ * وَثِيَابُكَ فَطَّهَرْ * وَالرَّجَزُ فَاغْجِرْ *
 هَذِهِ آيَةُ السُّورَةِ

أدنى من ثلثي الليل (هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياماً مختلفاً مرة يكثرو مرة يقل ، لأنكم لا تقدرتون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله يخفف عنكم وأمركم أن تقرأوا ما تيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذا لم تفعلوا تاب الله عليكم (افروا ما تيسر من القرآن) أي إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه وافروا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضاً ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض لا بتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيذاً للأمر به أو تأكيذاً للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى المكتوبتين (وأقروا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر في البقرة (هو خيراً) نصب خيراً لأنه مفعول ثانٍ لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستحب من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً

سورة المدثر

(بأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذي تدثر في كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسباً ذكرنا في موضعه وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنان اللذان ذكرتا في المزمل وفائدة ثالثة وهي أن

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ . فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ . ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجدة والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير ، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن : والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأندر) أي أندر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أي عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بهم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر : من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة ، والآخرة يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز ، الثالث : أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن الرجز الأوثان ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة ، والآخرة الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فعنناه اهجر ما يؤدى إليه ويوجبه ، الثالث : أنه المعاصي والفجور ، قال بعضهم كل معصية رجز (ولآتمن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لأئمة ، والآخرة : لا تعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل ما يعطى وإن كثيرا ، وإن كان من المن بالشئ ففيه وجهان ، الأول : لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه ، الثاني : لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فعنناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أي اصبر لوجهه وطلب رضاه ، ويحتمل أن يريد الصبر على المسكاره والمصائب ، أو على إذابة الكفار له ، أو على العبادة (فإذا نقر في الناقور) يعني نفخ في الصور ، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد ، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق ، وفي معنى وحيدا ثلاثة أقوال : أحدها : روى أنه كان يلقب الوحيد ، أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه ، الثاني : أن معناه خلقته منفردا ذليلا ، الثالث : أن معناه خلقته وحدي فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعراجه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدودا) أي كثيرا ، واختلف في مقداره فقيل : ألف دينار ، وقيل عشرة آلاف دينار ، وقيل يعني الأرض لأنها مدت (وبنين شهودا) أي حضورا ، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد ، وقيل ثلاثة عشرة لا يفارقونه ، وأسلم منهم ثلاثة وهم : خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن يزيد) أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله ، وهذا غاية الحرص

قَدَرَ * ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ . إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا
جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معاندا مخالفا ، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر ، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود ، فالمعنى سأشقي عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول ، وقدر في نفسه ما يقول في القرآن أى هيا كلامه ، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ، ودخل إلى أن بكر الصديق فعاتبه أبو جهل ، وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمقارتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولا يرضيهم ، فافتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال : أقول شعر ما هو شعر ، أقول كهانة ما هو بكهانة ، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاه عليه وذم وكرهه تأ كيدا لذمه وتقييح حاله قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله قتل لا يراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أنجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه ، وقال الزمخشري يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكما بهم (ثم نظر) أى نظر في قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس ، وفعل ذلك من حسده للنبي صلى الله عليه وسلم أى عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عن تقديم (وما أدراك ما سقر) تعظيم لها وتهويل (لا تبقي ولا تذر) مبالغة في وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقي شىء ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلكت لم تذر هالكا بل يعود للعذاب (أواحة للبشر) معنى لواحة مغيرة يقال أوحه السفر اذا غير هو البشر جمع شرة وهى الجلدة ، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح اذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس ، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) يعنى الزبانية خزنة جهنم فقبلهم تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صفا من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل : أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبسطوا به ، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما في كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم حق ، فإن قيل : كيف نفي عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار فالجواب

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ * كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمُسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ * حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ

أنه لما وصفهم باليقين نفي عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فسكانه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال وقال الزمخشري ذلك مبالغة وتأكيد (ويقول الذين في قلوبهم مرض) المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا فيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أي لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله (وما هي إلا ذكري للبشر) الضمير لجهنم أو الآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشري هي إنكار لأن تكون لهم ذكري (إذ أدبر) أي ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أي جاء في دبره (والصبح إذا أسفر) أي أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو الآيات والندارة أي هي من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح (نذير للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أي قم فأندر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشري هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أي هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤم ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء في رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشري ليست بتأنيث رهين لأن فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها (الإصحاب اليمين) أي أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الرهن رهنه بأداء الحق وقال علي بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لأعمالهم يرتنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أي يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار (ما سلككم في سقر) أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أي هذا الذي أوجب دخولهم النار، وإنما أخرج التكميد بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نحوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه (حتى آتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ۝ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ أَن يُوْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً ۝ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۝ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ ۝ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝

سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يَجْمَعَ
عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ ۝ قَدَرِينَ عَلَىٰ ۝ أَلَمْ نَسُؤْ بِنَاتَانِهِ ۝ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا

عطية : إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا ، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار ، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد في الآثار ، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فما لهم عن التذكرة معرضين) يعني كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التي استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمر الوحش ، (فرت من قسورة) قال ابن عباس : القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد ، وقيل أصوات الناس ، وقيل الرجال الشداد ، وقيل سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يوْتىٰ صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله ، ومعنى منشرة منشورة خير مطوية أي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لا تتبعك حتى تأتي كل واحدنا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أي هذه هي العلة والسبب في إعراضهم (كلا) تأكيد الردع الأول أوردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملة (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من ، وفي ذلك حرض وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله

سورة القيامة

(لا أقسم) في الموضوعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هي نفي لكلام الكفار (النفس اللوامة) هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع بخيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة ، وقيل اللوامة هي المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخالقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيًا للقسم (أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنسكرين للبعث ومعناه أيعظن أن لن نجتمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب ، وهذه الجملة هي التي تدل على جواب

برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الإنسان يومئذ أين المفر . كلا لاوزر . إلى ربك يومئذ المستقر . ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر . بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره . لا تحرك به لسانك لتعجل به . * إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا

القسم المتقدم (بلى) تقريره نجمعها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرين (على أن نسوي بنانه) البنان الأصابع ، وفي المعنى قولان : أحدها أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوي أصابعه أى نخلقها بعد فناؤها مستوية منقته ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفريقها والآخر أنه تهديد في الدنيا ، أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الخمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استغفاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده ، ليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثاني أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدماه إذا لم يرجع عن شيء يريد والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عنده موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوءه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) في جمعها ثلاثة أقوال : أحدها أهمما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أهمما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان في النار ، وقيل في البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهمما يجمعان فيذهب ضوءهما (لاوزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره ، وقيل ما تقدم في حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) في معناه قولان : أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر : أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصيرة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبا نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما : أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير في به يعود على القرآن

بِيَانِهِ • كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ • وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ • وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ • إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ • وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ • كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ • وَقِيلَ لَهَا مِنْ رَاقٍ • وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ • وَالتَّفْتَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ • إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ • فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ • ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينسأه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخارى وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قرآته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهي (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل ما مناسبة قوله لا تحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظار يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظر تك أى انتظر تك ، وأما المتعدى يالى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهى تفسير الآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقي) يعنى حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل يبلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال المشرحة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرق بروحه أى يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى يتقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفر وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

يَتَمَطَّى * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكْ نُظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ
يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُخْلَقًا فُسْوَىٰ * فَجَعَلْنَاهُ مِنْ زَوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ *

سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا

إذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلي) لاهنا نافية
وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي
جهل (يتمطى) أى يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة في بني
مخزوم الذين كان أبو جهل منهم (أولى لك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيداً وروى أن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى
فنزل القرآن بموافقة ذلك (أحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أيقظ أن يترك من غير بعث
ولا حساب ولا جزاء ، فهو كقوله : أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، والإنسان هنا جنس ، وقيل نزلت في
أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام (ألم يك نُظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى) النطفة النقطة وتسمى من
قولك أمني الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقه الإنسان على بعثه كقوله : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة
والعلقة الدم لأن المني يصير فى الرحم دماً (مخلوق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس
ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) هذا تقرير واحتجاج ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا
قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفى رواية سبحانه اللهم بلى

سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) هل هنا بمعنى التقرير لا مجرد الاستفهام ،
وقيل هل بمعنى قل ، والإنسان هنا جنس ، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوماً قبل أن يخلق ، وقيل
الإنسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما
قوله : إنا خلقنا الإنسان من نطفة ، وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا فى آدم ، والآخرة مقصد الآية تحقير
الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل ، وقال
الزمخشري ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار ، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف
فى معنى الأخلاط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة
وروى أن عظام الإنسان ، وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة ، وقيل معناه ألوان وأطوار
أى يكون نطفة ثم علقه ثم مضغة (نبتليه) أى نخبره وهذه الجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِمَّا نُنْطَعِمُكُمْ لُوجَهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفُرُهُمْ . إِنَّا نَخَافُ مِنْ

معناه نصره في بطن أمه نطفة ثم علقه (جعدناه سميعا بصيرا) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصره في بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر في المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد (إنا هديناه السبيل) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكر أو كفورا وهما حالان من الضمير في هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن الإيمان والكافر للكفر قل كل من عند الله (سلاسل) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظيره في الأحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا لأفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عودلسانه صرف ما لا ينصرف مجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر في الصفات معنى الكأس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبويض أو الابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور في طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك (عينا) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمر الخمرعين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشریف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (يفجرونها تفجيرا) أى يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين (مستطيرا) أى منتشرا شائما ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوءه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية وما بعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم لياكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدينة لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله لن تناولوا البرحتى تنفقوا مما تحبون وقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل الإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا ويتيما وأسيرا) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين فى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخرة أنه الأسير المسلم إذا

رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطْرِيرًا ۖ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۖ وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ
وَحْرِيرًا ۖ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا
تَذْلِيلًا ۖ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۖ

خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى
الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والأول أرجح لأنه روى أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم
لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم لا نريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور
مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بالستهم أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن النية
والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله
كفولهم نهاره صائم وإيـله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران
والآخر يشبهه في شدته بالأسد العبوس (قطريرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم
نضرة وسرورا) النضرة التمتع وهذا في مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان
(بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبا ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن
والحسين رضى الله عنهم ، وقد ذكرنا الأرائك (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها
أى ليس فيها حر ولا برد ، والزمهريروالبرد الشديد ، وقيل هو القمر بلغة طيء ، والمعنى على هذا أن للجنة
ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة
منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين ، وقال الزمخشري هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لا يرون
فيها شمسًا ولا زمهريرا ، لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير راثنين فيها شمسًا ولا زمهريرا ودانية ،
ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال ،
وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى
دانية عليهم ظلالها (وذلك قطفوها تذليلًا) القطف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ، وشبه
ذلك ، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض ، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من
قيام أو جلوس أو اضطجاع ، لأنها تتدلى لهم كما يريدون ، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية ، أى دانية
فى حال تذليل قطفها أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة
(قواريرا) القوارير هى الزجاج ، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة ؟ فالجواب : أن المراد أنها
فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفاتها وشفيفها ، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه
التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ما ذكرنا فى سلاسل
(قدروها تقديرا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأ كفف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب
قال مجاهد : هى لا تغيض ولا تفيض ، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون ، والضمير الفاعل فى قدروها

وَيُسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا . عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا . وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا . عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خَضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيدُكُمْ مَشْكُورًا . إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا . فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا . وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا . إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

يحمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها (مزاجها زنجبيل) هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا (سلسبيل) معناه سلسل منقاد الجرية ، وقيل سهل الانحدار في الحلق ، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية ، وقيل سل فعل أمر سبيل مفعول به وهذا في غاية الضعف (ولدان مخلدون) ذكر في الواقعة (لؤلؤ منثورا) شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور (وإذا رأيت ثم) مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها و ثم ظرف مكان ، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فامفعولة ثم حذف ، قال الزمخشري وهذا خطاب لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة (ملكا كبيرا) يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه ، حسبما ورد في الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك (عليهم) يسكون الياء مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس ، وقرئ بالنصب على الحال ، من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم . وقال ابن عطية العامل فيه لفاهم أو جزاهم ، وقال أيضاً يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم ، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ (خضر) بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب (وإستبرق) بالرفع عطف على ثياب ، وبالحذف عطف على سندس (وحلوا) وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى (أساور من فضة) ذكرنا الأساور في الكهف ، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة ، وفي موضع آخر أساور من ذهب ؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فلعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً (شرابا طهورا) أي ليس بنجس كخمر الدنيا ، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام ، وقيل معناه لا يصير بولا (إن هذا كان لكم جزاء) أي يقال لهم هذا يقرله الله تعالى والملائكة (آثما أو كفورا) أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين ، فاعلا للإثم ولا كفورا ، وقيل هي بمعنى الواو أي جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار ، وروى أن الآية نزلت في أبي جهل ، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام ، وإن كان سبب نزولها خاصا (بكرة وأصيلا) هذا أمر بذكر الله في كل وقت ، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس ، فالبكرة صلاة الصبح ، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء (إن هؤلاء يحبون العاجلة) أي الدنيا والإشارة إلى

وَرَأَيْتُمْ يَوْمًا تُقِيلًا ۝ مَحْنُ خَلْقِنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

سورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتُ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتُ نَشْرًا ۝ فَالْفَرْقَاتُ فَرَقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتُ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝ إِمَّا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعَ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * ۝

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة ، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال ، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكتناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مستخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملة (فن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين : أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماه المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره وسماه العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيقهم إلى امتثال أوامر الله تعالى ، وسماه ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو ، وينشرون الشرائع في الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماه الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وعلى القول بأنها الرياح ، سماها المرسلات لقوله ، الله الذى يرسل الرياح ، وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل في المرسلات والملقىات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما واتصافه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متابعة وهو مصدر فى موضع الحال وأما عصفوا ونشرا وفرقا فمصادر وأما ذكرا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسر ابن عطية وغيره بمعنى إغذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال فى الموضعين وياسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بذكرا ويحتمل أن

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسْفَتَ ۖ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَ ۖ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۖ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۖ
 وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۖ ثُمَّ نَبَعَهُمُ الْآخِرِينَ ۖ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۖ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ
 وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ سَمَّخَتٍ
 وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ۖ انْطَلِقُوا إِلَىٰ أَظْلَىٰ ذِي ثَلَاثِ
 شُعَبٍ ۖ لِأَظْلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۖ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ رَآلِقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ

يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير ويكون نصبهما على الحال (إنما توعدون لو اقع) يعنى البعث والجزاء وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أى زال ضوءها وقيل بحيث (وإذا السماء فرجت) أى انشقت (وإذا الجبال نسفت) أى صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أى جعل لها وقت معلوم فخان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهزمة بدل من الواو (لأى يوم أجت) هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله (ليوم الفصل) أى يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) تكرراره في هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل فى كل آية ما يقتضى التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعا إلى ما قبله فى كل موضع منها (الم نهلك الأولين) يعنى الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم تبعهم الآخرين) يعنى قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعنى الكفار (الم نخلقكم من ماء مهين) يعنى المنى ، والمهين الضعيف (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى رحم المرأة وبطنها (إلى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس (الم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى فى بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسى) يعنى الجبال (شامخات) أى مرتفعات (ماء فراتا) أى حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعنى دخان جهنم ومنه ظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلمهم بينما يكون المؤمنون فى ظلال العرش وقيل إن هذه الآية فى عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لاظليل) نفي عنه أن يظلمهم كما يظلم العرش المؤمنين ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب (إنها ترمى بشرر كالقصر) الضمير فى إنها لجهنم والقصر واحد القصور وهى الديار العظام شبه الشرر به فى عظمتها وارتفاعه فى الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ . وَيُلْ يُومِئِدُ لِلْكَذِبِينَ . هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأُولَى .
فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا . وَيُلْ يُومِئِدُ لِلْكَذِبِينَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ .
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَيُلْ يُومِئِدُ لِلْكَذِبِينَ . كُلُوا وَامْتَعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُرْمُونَ . وَيُلْ يُومِئِدُ لِلْكَذِبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ . وَيُلْ يُومِئِدُ لِلْكَذِبِينَ *
فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ .

سورة النبأ : مكية وآياتها . ٤ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . وَلَا سِعَابَ لَهُمْ * ثُمَّ

واحدة قصرة بكسرة وجر (كأنه جمالت صفر) في الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر
وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جعل أصفر أى أسود
وهذا البق بوصف جهنم الثاني أن الجمالات قطع النحاس الكبير فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم
الجيم وهى قلوب السفن وهى جبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن
آخر لقوله يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا
وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئاً بما كنتم تعملون) نصب
هنيئاً على الحال أو على الدعاء (كلوا وامتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وامتعوا
قليلاً فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا إخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة
عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم
إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرّون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر
(فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

سورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن مائمه أذغمت النون فى الميم وحذفت ألف مالانها استفهامية تقديرها عن أى شىء
يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قريش
أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضاً (عن النبأ العظيم) هو ماجات به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء
 وغير ذلك ويتعلق عن النبأ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة
جواباً عن الاستفهام ويانا للسؤال عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل
يتعلق عن النبأ بمتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لاى شىء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع
وينبغى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون
لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالكذب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَدَّتْ أَلْفَاةً . إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا . يَوْمَ يُفْخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَنَابًا . لِابْتِئَانٍ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهادا) أى فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قدر على خلقه هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له (والجبال أوتادا) شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تتمد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكرا وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألسنتكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعاً للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشري معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاب الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هى السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقانا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيا وفتائها والسراب فى اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه فى أنه لاشئ (مرصادا) أى موضع المرصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا للمؤمنين يبرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مآبا) أى مرجعا (لابئين فيها أحقبا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل لأنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقبا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأَسَا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَذَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ مِثَابًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا *

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضى أن مدة العذاب تنقضى ، ثم نسخ بقوله « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا » وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار ، وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يقولون أحيانا لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) أى لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء بارداً وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر (الإحميا وغساقا) استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود (جزاء وفاقا) أى موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار ، وفاقا مصدر وصف به أوهو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (لأنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقامنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهى تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل في أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أى موضع فوز يعنى الجنة (حدائق) أى بسا تيز (وكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى خرج نديها (أترابا) أى على سن واحد (وكأسا دهاقا) أى ملأى وقيل صافية والأول أشهر (عطاء حسابا) أى كافيان أحسب الشئ إذا كفاه ، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة وبالخفض صفة لربك ، والرحمن بالخفض صفة بالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أى لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدررون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشري الضمير لجميع الخلق أى ليس بأيديهم شئ من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا ، وقيل يعنى أرواح بنى آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أى تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون فى ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أى من قالها فى الدنيا (ذلك اليوم الحق) أى الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تخصيص وترغيب (عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أولان الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يدها) المرء هنا عموم فى المؤمن والكافر ، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحديرى ما عمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية (ويقول

سورة النازعات : مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالنَّازِعَاتُ غُرُقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتُ نَشِيطًا ۝ وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا ۝ فَالسَّبِقَاتُ سَبْقًا ۝
فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِقَةَ ۝ قُلُوبٌ يَوْمئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ

الكافر ياليتي كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أى لم يخلق، وروى أن البهائم تحشر ليقص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها، وهذا يقوى الأول، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين

سورة النازعات

اختلف فى معنى النازعات والناشطات والسابحات والمدبرات، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بنى آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون فى سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبا يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح فى الفلك ومنه كل فى فلك يسبحون فتسبق فى جريها فتدبر أمر من علم الحساب، وقال ابن عطية لأعلم خلافا أن المدبرات أمر الملائكة وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا وقد قيل فى النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزاع بالموت فتشط من الأجساد، وقيل فى السابحات والسابحات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة فى معنى غرقا وجهان : أحدهما أنها من الغرق أى تفرق الكفار فى جهنم والآخر أنه من الإغراق فى الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ فى نزاعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تفرق فى الخروج من الجسد والإعراب غرقا مصدر فى موضع الحال، ونشطا وسبحا وسبقا مصادر، وأمرامفعول به، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادقة على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل هو «إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لالمعنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادقة) قيل الراجفة النفخة الأولى فى الصور والرادقة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادقة من قولك ردف الشيء إذا تبعته، وفى الحديث أن بينهما أربعين عاما، وقيل الراجفة الموت والرادقة القيامة، وقيل الراجفة الأرض، من قوله «ترجف الأرض والجبال» والرادقة السماء لأنها نشق يومئذ والعالم فى يوم ترجف محذوف وهو الجراب المقدر تقديره لتبعث يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل فى يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة» وقوله «تتبعها الرادقة» فى موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري : واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

أَنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۖ أَذًا كُنَّا عَظْمًا نَخْرَةً ۖ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَيْتُهُ رَبَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۖ فَآرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۖ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۖ فَخَشَرَ فَنَادَىٰ ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۖ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافت الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها (يقولون أننا لمردودون في الحافرة أنذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار في الدنيا ، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة في قوله «أنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا في إذا كنا عظاما نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيداً للإنكار المتقدم ثم اختلفوا في معنى الحافرة على ثلاثة أقوال : أحدها أنها الجمالة الأولى يقال رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالعنى أننا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالعنى أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبغ لأن فعل أبغ من فاعل وقيل معناه العظام المحفورة التي تمر بها الرياح فيسمع لها نخير والعامل في إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون في الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة المسبوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقاً فكرتنا خاسرة لأننا ندخل النار (فإنما هي زجرة واحدة) يعنى النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذا هم بالساهرة) إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباه ظرفية والمعنى إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شئ (هل أتاك) توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر في طه (أذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم (الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا (فخشر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ما قال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيباً فقال ما قال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التشكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى ۝ أَلَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ۝ فَإِذَا
جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۝ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ۝ فَأَمَّا مَن طَغَى ۝
وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنْتَ مَن ذَكَرْتَهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۝ إِنَّمَا
أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ۝ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝

مخدوف والآخرة هي دار الآخرة والاولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الاولى بالفرق وقيل
الآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله
وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الاولى (أأتم أشد خلقاً أم السماء) هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث
فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلظ السماء وهو الارتفاع
الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يليها وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة
خمسائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أي أتقن خلقها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض
(وأغطش ليلها) أي جعله مظلماً يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أي أظهر
ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أهما ظاهران منها وفيها (والأرض
بعد ذلك دحاها) أي بسطها واستدل بهما من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين
قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها
فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله
الزحشرى (والجبال أرساها) أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمرب يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعاً لكم)
تقديره فعل ذلك كله تمتعاً لكم منه (ولأنعامكم) لأن نبي آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هي القيامة وقيل
النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت لكل من يرى فهي
لا تخفى على أحد (مقام ربه) ذكر في سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أي ردها عن شهواتها وأغراضها
الفاصلة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلا
الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر في الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أي من ذكر زمانها فالمعنى
لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة
كثيراً فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أي منتهى عليها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما
أنت منذر من يغشاها) أي إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يغشاها لأنه هو
الذي ينفعه الإنذار (لم يلبسوا إلا عشيّة أو ضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبسوا في الدنيا أو في القبور
إلا عشيّة يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشيّة لما بينهما من الملازمة إذ هما في يوم واحد

سورة عبس : مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعدالنجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الَّذِي كَرَى ۝ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى ۝ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكَّى ۝ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشرفهم إلى الله تعالى ليسلبوا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال يارسول الله علمني بما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بشيء بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي ويبسط له رداه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام للنبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعمى) في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماء هو الذي أوجب احتقاره وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أي أي شيء يطلعك على حال هذا الأعمى (لعله يزكى) أي يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أي تتعرض للغنى رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أي لا حرج عليك أن لا يزكى هذا الغنى (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير (وهو يخشى) أي يخشى الله أو يخاف الكفار وإذا بهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده ، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهي) أي تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشيء إذا تركته ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأذب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى ، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء ، فكان الفقراء في مجلس سفیان الثوري كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان ، أحدهما : أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح لأنه يناسبه : فمن شاه ذكره ، وما بعده ، وأنت الضمير في قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامِ بَرَّةٍ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۖ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ مِنْ نَظْفَةِ خَلْقِهِ فَقَدَرَهُ ۖ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۖ
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۖ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۖ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۖ أَنَا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ۖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ وَحَدَاتٍ مُّغْلَبًا ۖ
وَفَكْهَةً وَأَبًّا ۖ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِ لَكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّآخَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ

وذكرها في قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (في صحف) صفة لتذكرة أي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هي مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف المصاحف فعنائه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فعنائه كذلك أو مرفوعة في السماء ومطهرة أي منزهة عن أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) هي الملائكة ، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب ؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عباده ، وقيل يعني القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك ، وقيل معناه لعن وهذا بعيد (ما أكفره) تعجب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أي شيء خلقه) توقيف وتقدير ثم أجاب عنه بقوله (من نظفة خلقه) يعني المنى ومقصود الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه (فقدرة) أي هياها لما يصلح له ومنه خلق كل شيء فقدرة تقديرا ، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم في إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسرره يسره ، وفي معناه ثلاثة أقوال أحدها : يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان ، والأول أرجح لمعناه على قوله من نظفة خلقه فقدرة وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أي جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أي بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذائه ليوم القيامة ، أي الوقت الذي يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع الإنسان عما هو فيه (لما يقض ما أمره) أي لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله ، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا جميع ما اقترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفریط (فليظن الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به ، وقيل فليظن إلى طعامه إذا صار رجيعا فيظن حقارة الدنيا وخساسة نفسه ، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح وانظر كيف فسره بقوله أما صببنا الماء صبا وما بعده ليعتد النعم ويظهر القدرة وقرئ إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعني يخرج النبات منها (حبا) يعني القمح والشعير وسائر الحبوب (وقضبا) قيل هي الفصصنة ، وقيل هي علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها بما يؤكل رطبا (غلبا) أي غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس ، الجمهور ، وقيل التبن وقد توقف

وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ يُؤْتَى شَأْنٌ يَغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ،

سورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا
الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (الصاحخة) القيامة وهي مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هي من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار الإنسان من أحبائه ورتبهم على ترتيبهم في الجنو والشفقة فبدأ بالآقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لثلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر ، لقوله «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أي هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أي غبار والفترة أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمرضى ، والفترة هي غبار الأرض ، وقال الزمخشري الغبرة غبار يعلوها والفترة سواد فيعظم قبجها باجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أي تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله «وإذا الكواكب انتثرت» ، وروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراهن من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله الكواكب انتثرت» ، وروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراهن من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وإذا الجبال سيرت) أي حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى (وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي مرلحها عشرة أشهر وهي أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أي ترك حلها (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أي تبعث يوم القيامة ليقص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفر في الأرض فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وبخر بعضها إلى بعض حتى تعود بجا واحدا والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من ماؤها وبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأها

سَلَّتْ ۞ بَأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۞ وَإِذَا
الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۞
وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۞ وَمَا

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التوزيع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثاني زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أى ردت إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) الموءودة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأى ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلتها وقرأ ابن عباس « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ، بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله يذصر لهم ممن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هي الصحف التي تنطير بالآيمان والشمال بالجزاء (وإذا السماء كُشِطت) الكشيط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسليخ وكشط السماء هو طيها كطى السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كُشِفت وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت وأحميت (وإذا الجنة أنزلت) أى قربت (علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردتها ليبين حقارتها وذلتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذى يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله « ربما يود الذين كفروا ، ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع « ما أحضرت ، عبارة عن الحسنات والسيئات (فلا أقسم) ذكرت نظائره (بالخنس الجوار الكنس) يعنى الدرارى السبعة وهى الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس فى جريها أى تتقهقر فيسكون النجم فى البرج ثم يكثر راجعوا وهى جوارى فى الفلك وهى تنكس فى أبراجها أى تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعنى الدرارى الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعنى النجوم كلها لأنها تخنس فى جريها وتنكس بالنهار أى تستتر وتختفى بضوء الشمس وقيل يعنى بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكنها فى كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحك الظلام فليل ذلك فى أوله وقيل فى آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أى استطار واتسع ضوؤه (إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهلبى لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت فى الرد على الذين قالوا إن محمداً قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو فى الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذى قال السهلبى لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاءه إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذى قوة وقد وصف جبريل

صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَقَدَرْنَا بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ *
فَإِنْ تَذَهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *

سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النزاعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ جُفِرَتْ * وَإِذَا
الْقُبُورُ بَعُثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَأْقَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ

بهذا لقوله شديد القوى ذومرة (عندذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عندذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وما صاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقد رآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤبة له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤبة التى رآه عند سدره المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين (وما هو على الغيب بضنين) الضمير للذى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فعناه بخيل أى لا يبخل بأداء ما ألقى إليه من الغيب ، وهو الوحي ، ومن قرأ بالطاء فعناه متمم أى لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

سورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار جفرت) أى فرغت وقيل جفر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على المرقى الذين فيها وقال الزمخشري أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ما قدمت فى حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبا ذكرنا فى التكوير (يا أيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ما غرك ربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شئ غرك ربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ما غرك ربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحمقه وقرأ لأنه كان ظلوما جهولا ، وقيل غره الشيطان المساط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ۚ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۚ كَلَّابِلٌ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ۚ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۚ كَرَامًا
كَاتِبِينَ ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ ۚ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ ۚ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۚ

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۚ وَإِذَا كَالُواهُمْ

منها مما يوزن الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أى عدل أعضائك وجعلها متوازية فلم يحمل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (في أى صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك فى أى صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور ، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصل فى أى صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أى صورة شاء وهذا بعيد ، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل ، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها ، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل : إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريجا يدركها به (إن الأبرار لني نعيم) فى هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها فى البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدواً وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره لنا كيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرئ يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ والنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجاوزون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره ذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو فى موضع رفع

سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف فى اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد فى زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس فى

أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * كَلَّا
 إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . الَّذِينَ

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له سكيالان يأخذ بالآوفي ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا كتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالسكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس يستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة ، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فاتصّب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كلتك ووزتك ووزنتك بمعنى واحد وحذف المفعول الثاني وهو المكيال والمرزون والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم ، وقيل إنهم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئهم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا السكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر ، ألا ترى أن كتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن السكيل والوزن على الباعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية في المشتري فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم في الباعين فهم الذين يخسرون المشتري (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبايع يقول له اتق الله وأوف السكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمّر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفي سجين) كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم ، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعد هذا ويل يوهن ذلك كذابين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فاعيل للبالغه وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في الأرض السفلى ، وروى

يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ .
 ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْآبْرَارِ لِنِي عَلَيْنَ . وَمَا آدْرَاكَ مَا عَالِمُونَ . كِتَابٌ
 مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الْآبْرَارَ لِنِي نَعِيمٌ . عَلَى الْآرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
 النَّعِيمِ . يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خَتَمَهُ مَسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ .

عنه أنه في برهناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون
 معنى الآية أن عدد الفجار في سجين أى كتبوا هنالك في الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على
 قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون
 الرشدين الغي وفي الحديث أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء في قلبه فإذا زاد ذنب آخرا زاد السواد فلا
 يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين (لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدلت بها
 مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب
 الأبرار لني عليين) عليون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ،
 على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله « وما أدراك ما عليون » ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من
 العلو لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة ، أو لأنه مرفوع في مكان على فقد روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضعين على أنه خبر
 مبتدأ مضمرة تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد
 به المعنى ، وقد روى في الأثر ماروى في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال
 اجعلوه في عليين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه في سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الآرائك)
 قد ذكر (ينظرون) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم في النار وقيل ينظرون
 إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية
 والخطاب في تعرف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم)
 الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسرته الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء
 وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشيء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى
 أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصياتها
 الثانى أنه من ختم الشيء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك
 ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفي ذلك
 فليتنافس المتنافسون) التنافس فى الشيء هو الرغبة فيه ، والمغالاة فى طلبه والنزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم)
 تسنيم اسم لعين فى الجنة ، يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ تُؤْتَىٰ بِالْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝

سورة الانشقاق مكية : وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار ، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر ، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجمروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية في صناديد قريش ، كأبي جهل وغيره مر بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أي يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه والضمير في مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ، والضمير في يتغامزون للكفار لاغير (فكهين) من الفكاهة وهي اللهو أي يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم قاله الزمخشري ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أي إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أي ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم وكأنه قال كلاهم بالمؤمنين فضول منهم (فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعني باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جزاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها وتكون توقيفا فيوافق قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا في ينظرون الذي قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا ، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهور بل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم بها كتنفها بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه : أي إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه ، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها (وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أي يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق ، ويحتمل أن يكون أصله حقت بفتح الحاء

مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ۚ وَادْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ قِيَمَهُ ۚ فَمَا مِنْ أَوْتَىٰ
كُتِبَ يَمِينِهِ ۚ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۚ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ وَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كُتِبَ وَرَاءَهُ
ظَهْرُهُ ۚ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۚ وَيَصْلِي سَعِيرًا ۚ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۚ بَلَىٰ
إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۚ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۚ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۚ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت ما فيها وتخلت) أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت ما فيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أي بقيت خالية مما كان فيها (يا أيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظان عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقى ربك ، وقيل المعنى إنك ذوجد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتى كتابه يمينه) ذكر في الحاققة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقس الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقس الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أعفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال في الكافر هأن أن يوتى كتابه وراء ظهره وقال في الحاققة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذها كتابه (يدعو ثبورا) أي يصيح بالويل والثبور (إنه كان في أهله مسرورا) أي كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا في الجنة وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أي لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أي يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر في نظائره (بالشفق) هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وما وسق) أي جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

طَبَقَ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ مُّشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتر كبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ما طبق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتر كبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتر كبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تر كبن فأما من قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتر كبن سنن من كان قبلكم وأما من قرأ تر كبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتر كبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتر كبن فتح البلاد شيئا بعد شيء والثالث لتر كبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أو فى موضع حال من الضمير فى تر كبن قاله الزمخشري (فألم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شيء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجديات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تمكيا بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشري هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه ، وقد اضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتأخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولاً يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولاً ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل

الآخِذُونَ النَّارَ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قَعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

ثلاثة أوجه ، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أي يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثاني : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «ويكون الرسول عليكم شهيداً» والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أي يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة ، القول الثالث : أن الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة ، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله «وكنتم عليهم شهداء ما دمتم فيهم» أو أعمالهم ، أو يوم القيامة . الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء ، والمشهود أعمالهم لأن كل نبي يشهد على أمته ، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه ، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس ، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله «إن قرآن الفجر كان مشهوداً» القول السابع أن الشاهد جميع الناس ، لأنهم يشهدون يوم القيامة أي يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله «فذلك يوم مشهود» والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه ، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم» والمشهود به الوحداية ، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك ، القول الحادي عشر أن الشاهد النجم لما ورد في الحديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثاني عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون . القول الثالث عشر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس ، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله علي بن أبي طالب . القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة . القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة (قتل أصحاب الآخذود) الكلام هنا في ثلاثة فصول : الأول في جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله «إن بطش ربك لشديد» والثاني أنه «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» وهذان القولان ضعيفان لبعدهما القسم من الجزاب ، وثالثها أنه «قتل أصحاب الآخذود» تقديره لقتل ورابعها أنه «مخدوف يدل عليه قتل أصحاب الآخذود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الآخذود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الآخذود وعيدا للكفار وتأييها للمسلمين المعذبين ، الفصل الثاني في تفسير لفظها ، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ، وأما الآخذود فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه ، وأما أصحاب الآخذود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يجرقون المؤمنين في الآخذود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر ، أو الأول أظهر . الفصل الثالث في قصة أصحاب

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۚ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۚ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّلُ

الأخدود وفيها أربعة أقوال: الأول ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل معناه: أن ملكا كافرا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود نخد في أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري بإنك على الحق. الثاني أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجرس ذلك، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود. القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذونواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذونواس الملك الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيتنفق هذا القول مع الأول فإن ذانواس حفر أخدودا فأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر (النار ذات الوقود) النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتعال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم (إذ هم عليها قعود) الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعمل في إذ قوله قتل فروى أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل سبعين ألفا فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين وروى أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار؛ وقيل الضمير في إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أي كانوا حاضرين على ذلك الفعل (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغي أن ينكر فإن قيل لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي لأن القصة قد وقعت؛ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله ثم لم يتوبوا لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله (ولهم عذاب الحريق) يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيده لعذاب جهنم أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بقوة وسرعة (إنه هو يبدئ ويعيد) أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أي يبتطشهم في الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا

ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود *
بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورأهم محيط * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

سورة الطارق : مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمِ الثَّاقِبِ * إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ
لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فليَنظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ

الودود في اللغات (ذو العرش المجيد) أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرئ المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش (هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي صلى الله عليه وسلم (والله من ورأهم محيط) تهديدهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء (في لوح محفوظ) يعنى اللوح المحفوظ الذى فى السماء وقرئ محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أى حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون فى صدورهم

سورة الطارق

(والسما والطارق) هذه السماء التى أقسم الله بها هى المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق فى اللغة ما يطرق أى يجىء ليلا وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعنى الثاقب المضى أو المرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذى تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لأنه أرفع النجوم إذ هو فى السماء السابعة (إن كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بنى آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعنى الملائكة الحفظة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية أن لكل نفس حفظة من الله يذوبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الآفات والشياطين وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد النفي (فليَنظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) حذف ألف مالا لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسمى المني ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة قال سيديويه هو على النسب أى ذودفق ، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذى خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها (يخرج من بين الصلب والترائب) الضمير فى يخرج للسما وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هى الأطراف كاليدين

عَلَىٰ رَجْعِهِ لِقَادِرُهُ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ۚ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۚ وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الرَّجْعِ ۚ وَالْأَرْضُ ذَاتَ الصَّدْعِ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۚ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۚ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۚ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۚ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمَلُهُمْ رَوِيدًا ۚ

والرجلين ، وقيل هي عصارة القلب ، ومنها يكون الولد ، وقيل هي الأضلاع التي أسفل الصلب ، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس : هي موضع القلادة ما بين ثدي المرأة ، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها ، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة (إنه على رجعه لقادر) الضمير في إنه لله تعالى أوفى رجعه للإنسان ، والمعنى أن الله قادر على رجوع الإنسان حيا بعد موته ، والمراد إثبات البعث ، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ، وقيل رده من الكبر إلى الشباب ، وقيل الضمير في رجعه للماء الدافق ، والمعنى رده في الإحليل أوفى الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور (يوم تبلى السرائر) يعني يوم القيامة ، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والإطلاع عليها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر ، والعامل في يوم قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى السرائر ، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر في العمل ، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين : العامل فعل مضمَر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر ، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه ، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمَر تقديره اذكر (فما له من قوة ولا ناصر) الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة (والسما ذات الرجوع) المراد بالرجوع عند الجهور المطر وسما رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض ، وقيل الرجوع السحاب الذي فيه المطر ، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة (والأرض ذات الصدع) يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات ، وقيل يعني ما في الأرض من الشقوق والحنادق وشبهها (إنه لقول فصل) الضمير للقرآن ، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني أنه جد كله (إنهم يكيّدون كيدا) الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره (وأكيد كيدا) هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين (فهل الكافرين) أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف (أهمهم رويدا) أي إهمالا يسيرا قليلا يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرا لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدا يافلان وكرّر الأمر في قوله أهمهم وخالف بينه وبين لفظ مهمل لزيادة التسكين والتصيير قاله الزمخشري

سورة الأعلى : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي
أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فجعله غثاءً أَحْوَى * سنقرئك فلا تنسى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى *

سورة الأعلى جل جلاله

(سبح اسم ربك الأعلى) التسييح في اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد ، ومعنى الكلام سبح ربك أي نزّهه عما لا يليق به ، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى ، والآخر أن يكون الاسم مقصوداً بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه ، الأول : تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة كالتشبيه والتعطيل ، الثاني : تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن : الثالث : تنزيه أسماء الله عن أن تدرك في حال الغفلة دون خشوع . الرابع : أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسييح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أو وقع التسييح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربّي الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها في سجودكم فدل ذلك على أن المراد هو التسييح باللسان مع موافقة القلب ولا بد في التسييح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال سبح اسم ربك الأعلى مع أن التسييح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسييح باللسان وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله «سبح باسم ربك» لأن معناه نزّه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس أن معنى سبح صل باسم ربك أي صل واذكر في الصلاة اسم ربك ، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر (الذي خلق فسوى) حذف مفعول خلق وسوى لقصد الاجمال الذي يفيد العموم والمراد خلق كل شيء فسواه أي أتقن خلقته وانظر ما ذكرنا في قوله فسواك فعدناك (والذي قدر فهدى) قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء ، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعزّفه ورجاه الانتفاع به ، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مصّ الثدي وقيل هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب ، وقال الفراء المعنى هدى وأضلّ واكتفى بالواحدة لدلالاتها على الأخرى وهذا بعيد (والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أَحْوَى) المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم ، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم ، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاءً أسود لأن الغثاء إذا قدم تعفن وأسود ، وقيل : إن أحوى حال من المرعى ، ومعناه : الأخضر الذي يضرب إلى السواد وتقديره الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء ، وفي هذا القول تكلف (سنقرئك فلا تنسى) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه ، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام

وَنَيْسُرِكَ لِلْيَسْرِىٰ ۚ فَذَكَرَ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۚ سَيِّدٌ كَرٌّ مِنْ يَخْشَىٰ ۚ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۚ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ
الْكُبْرَىٰ ۚ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۚ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ إِنَّ هَذَا لِنِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۚ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۚ

لانه كان أميا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن ، وقيل معنى الآية كقوله لا تحرك به لسانك الآية : فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه ، وقيل فلا تنسى : نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاذه حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى (إلا ما شاء الله) فيه وجهان : أحدهما أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها و لاخر أنه لا ينسى شيئا ولكن قال إلا ما شاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله «خالدين فيها إلا ما شاء الله» على بعض الأقوال وعبر الزمخشري : عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي والاول أظهر فإن النسيان جائز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرؤك ومعناه نوفرلك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة ، وقيل معناه للشرعية اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام دين الله يسر أى سهل لا حرج فيه (فذكر إن نفعت الذكرى) المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت ، وقيل المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذى على الاول (سيد كر من يخشى) أى من يخاف الله (ويتجنبها الأشقى) يعنى الكافر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والضمير المفعول للذكرى (النار الكبرى) هى نار جهنم سماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تفاضل ، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الاول أظهر ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلى النار فكأنها بعده فى الشدة (قد أفلح من تزكى) يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصى أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) فى طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد ، وقد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس (إن هذا) الإشارة إلى ما ذكر من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة أو إلى ما تضمنته السورة أو إلى القرآن بجملة ، والمعنى أنه ثابت فى كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت فى هذا الكتاب

سورة الغاشية : مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصَلَّىٰ نَارًا
حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ۝ آيَةٌ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ
نَاعِمَةٌ ۝ لَسَعِيَ رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةٌ ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ

سورة الغاشية

(هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه والتفخيم الأمر، وقيل هل بمعنى قد وهذا ضعيف (الغاشية) هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل هي النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة (خاشعة) أي ذليلة (عاملة ناصبة) هو من النصب بمعنى التعب وفي المراد بهم ثلاثة أقوال: أحدها أنهم الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصيبهم في الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون في الآخرة فيعملون فيها عملاً يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة في عذابهم: الثاني أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبكى رحمة لراهب نصراني رآه يجتهدا فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم في العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب. الثالث أنها في القدرية وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد (تسقى من عين آنية) أي شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعلة (ليس لهم طعام إلا من ضريح) في الضريح أربعة أقوال: أحدها أنه شوك يقال له البشرك وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريح شوك في النار. الثاني أنه الزقوم لقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. الثالث أنه نبات أخضر متنينبت في البحر وهذا ضعيف، الرابع أنه واد في جهنم وهذا ضعيف لأن مايجرى في الوادى ليس بطعام إنما هو شراب والله در من قال الضريح طعام أهل النار فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أى مضجع وقيل إن العرب لا تعرف هذا اللفظ، فإن قيل: كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريح وقال في الحاقة ولا طعام إلا من غسلين؟ فالجواب أن الضريح لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال (لايسمن ولايغنى من جوع) هذه الجملة صفة لضريح أو لطعام نفي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم (لسعيها راضية) أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا (في جنة عالية) يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدر أو الوجهين (لا تسمع فيها لاغية) هو من لغو الكلام ومعناه الفحش ومايكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية (فيها عين جارية) يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين (وأكواب

مَوْضُوعَةٌ • وَمَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ • وَزَرَائِبُ مَبْشُوثَةٌ • أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ • فَذَكَرْ إِيمَانًا أَنْتَ مَذَكَّرٌ • لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ • إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ • فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ • إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ •

سورة الفجر: مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ • وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ • وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ • هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٍ

موضوعة (موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفي قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة (ومبارق) جمع نمرقة وهي الوسادة (وزرائب) هي بسط فاخرة وقيل هي الطنافس واحدهازرية (مبشوثه) أى متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل) حض على النظر في خلقها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه وهو أكثر المواشى في بلادهم (لست عليهم بمصيطر) أى قاهر متساط وهذا من المنسوخ بالسيف (الإمن تولى) استثناء منقطع معناه لکن من تولى (وكفر فيعذبه الله) وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمصيطر أى لا تساط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادة ممكئة ثابتة (إن إلينا إيابهم) أى رجوعهم والآية تهديد

سورة الفجر

(والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح ، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله ، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة ولادليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (وليال عشر) هي عشر ذى الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه (والشفع والوتر) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنفل بالصلاة ثمثى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى ، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام ، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرهما وهما لغتان (والليل إذا يسر) أى إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم ليله

لَّذِي حَجَرَ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادَ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِ الرَّصَادِ * فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَأَكْفُرُونَ الْيَقِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ

قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التي يسرى فيها والأول أشهر وأظهر (هل في ذلك قسم لذي حجر) هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن الله الكفار ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد و ثمود وفرعون (إرم) هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبني هاشم وإعرا به بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث (ذات العماد) من قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور والأبراج (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروى أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمئة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروى أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكتهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن، وروى أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية، وقيل هي دمشق، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف (جابوا الصخر بالواد) أى تقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء، وقيل أراد وادي القرى (وفرعون ذى الأوتاد) ذكر في سورة داود (الذين طغوا في البلاد) صفة لعاد و ثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمرة (فصب عليهم ربك سوط عذاب) استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضى من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل (إن ربك لبالمرصاد) عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان وورقيب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبارة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذى يتربص فيه الرصد (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله في هذه الآية ابتلاء للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في « ونبلوكم بالشر والخير » وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرم من وقوله حين الشر

عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ وَجَاءَ يَوْمًا يُؤْمَذُ بِجُهَنَّمَ يَوْمًا يَقْرَأُ النَّاسُ الْإِنشَانَ وَإِنَّهُ الذِّكْرَىٰ ۗ

ربي أهانتى ويتعلق بالآية سؤالان : السؤال الأول : لم أنكرت الله على الإنسان قوله ربي أكرمنى وربى أهانتى
والجواب من وجهين : أحدهما أن الإنسان يقول ربي أكرمنى على وجه الفخر بذلك والكبر لاعلى وجه
الشكر ويقول ربي أهانتى على وجه التشكى من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه
من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر . والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل
بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضييقه على
أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما
الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من
ذلك . السؤال الثانى : إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكرت عليه قوله ربي أكرمنى ؟
فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكرت عليه ما يدل عليه كلامه من
الفخر وقلة الشكر أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الإنكار . الثانى أنه أنكرت عليه قوله
ربي أكرمنى إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والانعام كقول قارون إنما
أوتيته على علم عندى . الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربي أهانتى لا لقوله ربي أكرمنى فإن قوله ربي
أكرمنى اعتراف بنعمة الله وقوله ربي أهانتى شكاية من فعل الله (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه وقرئ بتشديد
الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفى التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم (كلا) زجر عما
أنكر من قول الإنسان (بل لا تكرمون اليتيم) هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الاضراب
ببل كأنه أنكرت على الإنسان ما تقدم ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك وهو ألا تكروه اليتيم وما
ذكر بعده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم (ولا تحضون على
طعام المسكين) الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام
المسكين ، والطعام هنا بمعنى الإطعام ، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضون على بذل طعام المسكين
وقرئ تحضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضهم بعضا (وتأكلون التراث أكلا لماما) التراث
هو ما يورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو ، واللم الجمع واللف ، والتقدير أكلا ذالم وهو أن
يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به
الرجال (وتحبون المال حبا جما) أى شديدا كثيرا وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه (دكت الأرض)
أى سويت جبالها (دكا دكا) أى دكا بعد دكا كما تقول تعلمت العلم بابا بابا (وجاء ربك) تأويله عند المتأولين
جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات
التي يجب الإيمان بها من غير تكليف ولا تمثيل (والملك) هو اسم جنس فإنه روى أن الملائكة كلهم يكونون
صفوفا حول الأرض (صفا صفا) أى صفا بعد صفا قد أجدقوا بالجن والإنس (وجىء يومئذ مجهم)
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى يومئذ مجهم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام

يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي • فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ • وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ • يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ •
أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً • فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَأَدْخِلِي جَنَّتِي •

سورة البلد : مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ • وَأَنْتَ حَلِّ هَذَا الْبَلَدِ • وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ • لَقَدْ خَلَقْنَا

سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الإنسان) يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت ، والمعنى أن الانسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفریطه وعصيانه والإنسان هنا جنس ، وقيل يعنى عتبة بن ربيعة ، وقيل أمية بن خلف (وأنى له الذكرى) هذا على حذف تقديره أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفع الندامة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) فيه وجهان : أحدهما أنه يريد الحياة فى الآخرة فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا الآخرة ، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا وقت حياتى فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) من قرأ بكسر الذا ل من يعذب ، والثاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد ، ومن قرأ بالفتح فالضمير الإنسان أى لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه ، وهذه قراءة الكسائى وروى أن أبا عمرو رجع إليها وهى قراءة حسنة ، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ياليتها النفس المطمئنة) أى الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك فى الإيمان ، وقيل المطمئنة التى لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أنى بن كعب • ياليتها النفس الآمنة المطمئنة ، (ارجعى إلى ربك) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت ، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار ، والاول أرجح ، لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك (راضية) معناه راضية بما أعطاه الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله ، أو أرضاه الله بما أعطاه (فادخلى فى عبادى) أى ادخلى فى جملة عبادى الصالحين . وقرئ فادخلى فى عبدى بالتوحيد معناه ادخلى فى جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية فى حمزة وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة

سورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد) أراد مكة باتفاق ، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة (وأنت حل بهذا البلد) هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفى معناها ثلاثة أقوال : أحدها أن المعنى أنت حال بهذا البلد أى ساكن لأن السورة نزلت والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، والآخر أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر ، وعلى هذا قيل لا أقسم يعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة . الثالث أن معنى حل حلال يجوز لك فى هذا البلد ماشئت من قتل الكفار وغير

الإنسان في كبد * أيحسب أن لن يقدر عليه أحد * يقول أهلكت مالا لبدا * أيحسب أن لم يره أحد *
 ألم يجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهدينه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة *

ذلك مما لا يجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدى وإنما أحل لي ساعة من نهار يعني يوم فتح مكة ، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فإن قيل إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة ؟ فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح ، وهذا ضعيف (ووالد وما ولد) فيه خمسة أقوال : أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده ، الثاني نوح وولده ، الثالث إبراهيم وولده ، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده ، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد : إشارة إلى تعظيم المولود كقوله « والله أعلم بما وضعت » قاله الزمخشري (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أ كبد إذا وجعت كبده وقيل معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس ، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى في كبد على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) فيه قولان ، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه ، والآخر : أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه ، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر ، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشدر رجل من قريش كان شديد القوة ، وقيل عمرو بن عبد ود وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله على بن أبي طالب (يقول أهلكت مالا لبدا) أي كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات ، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا (أيحسب أن لم يره أحد) يحتمل أن يكون هذا تكديبا له في قوله أهلكت مالا لبدا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء (وهدينه النجدين) أي طريق الخير والشر فهو كقوله إنا هدينه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعني ثديي الأم (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس ، وقيل هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلا وقيل هي دعاء وقيل هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فلك رقية ولا أطعم مسكينا وقال الزجاج قوله « ثم كان من الذين آمنوا يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن (وما أدراك ما العقبة) تعظيم للعقبة ثم فسر هابك الرقية وهو إعتاقها وبالإطعام وقرئ فلك رقية بضم الكاف وخفض الرقية ، وهو على هذا تفسير للعقبة وفتح الكاف ونصب الرقية وهو تفسير لاقتحم فلك الرقية هو عتقها ، قال

فَكَرَبَّةٍ ۚ أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَأْيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ

سورة الشمس : مكية وآياتها ١٠ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا
وَالسَّمَاءَ ۝ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أعرابي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلتني على عمل أنجو به فقال فك الرقبة وأعتق النسمة فقال الأعرابي ليس هذا
واحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإعتاق النسمة أن تنفرد بعقتها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها وأما فك
أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين
ولكنه لا يجرى في الكفارات عن عتق رقبة (أو إطعام) من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر
ومن قرأ فك بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم فعلا على فعل (في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة يقال سغب
الرجل إذا جاع (يتيما ذامقربة) أي ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (أو مسكينا ذامقربة) أي
ذا حاجة ، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه الذي مأواه المزابيل (ثم كان من الذين آمنوا) ثم هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان
أعلى من العتق والإطعام ، ولا يصح أن يكون للترتيب في الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق
والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن (وتواصوا بالصبر) أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله وكان
هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذابة الكفار (وتواصوا بالرحمة) أي وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين
وغيرهم ، وقيل الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله (الميمنة) جهة اليمين و(المشأمة) جهة الشمال ، وروى أن الميمنة
عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمين والشؤم (نار مؤصدة) أي مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب
إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة

سورة والشمس

(والشمس وضحاها) الضحى ارتفاع الضوء وكاله والضحاه بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى
النهار كله ، والأول هو المعروف في اللغة (والقمر إذا تلالها) أي تبعها وفي اتباعها لها ثلاثة أقوال : أحدها أنه
يتبعها في كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها في طلوعه لأنه
يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلي بالنهار فكأنه
هو الذي جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد
لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه (والليل إذا يغشاها) أي يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل الليل

زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا . كَذَبَتْ ثُمُودٌ بَطْغَوَاهَا * إِذْ نَبَعَتْ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَوْاهَا . وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا * .

على الأصح (والسماء وما بناها) قيل إن ما في قوله وما بناها وماطحاها وماسواها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها ، وضعف الزمخشري ذلك بقوله : فألهمها فإن المراد الله باتفاق ، وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم ، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل : لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة ؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذي بناها (طحاها) أي مدها (ونفس وماسواها) تسوية النفس لإكمال عقلها وفهمها ، فإن قيل : لم نكر النفس ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقوله « علمت نفس ما أحضرت » والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار (فألهمها فجورها وتقواها) أي عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين ، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو ، كقوله : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » (قد أفلح من زكاهها) هذا جواب القسم عند الجمهور ، وقال الزمخشري : الجواب محذوف تقديره ليدمدن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام ، قال وأما قد أفلح فسكلام تابع لقوله : « فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد وهذا بعيد ، والفاعل بزكاهها ضمير يعود على من ، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب ، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى ، والأول أظهر ، (وقد خاب من دساها) أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قصيت أظفاري وأصله قصصت (بطغواها) هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واو أعلى لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أوسيبية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (إذ انبعث أشقاها) العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحمير ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعال التي للنفذيل إذا أضفته يستوى فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر (فقال لهم رسول الله) يعني صالحاً عليه السلام (ناقاة الله وسقياها) منصوب بفعل مضمر تقديره حفظوا ناقاة الله واحذروا ناقاة الله وسقياها ، شربها من الماء (فعقروها) نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحدمهم (فدمدم) عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل (بذنبهم) أي بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة (فسواها) قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدممة أي سواها بذنبهم (ولا يخاف عقباها) ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدممة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا أدرك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقارهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبي فعلته وهذا بعيد

سورة الليل : مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَىٰ . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ . فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي

سورة الليل

(والليل إذا يغشى) أى يغطى وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شئ يستره الليل (والنهار إذا تجلّى) أى ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر (وما خلق الذكرو الأنثى) ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذى خلق الذكرو الأنثى وقيل هى مصدرية وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والذكرو الأنثى (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت (فأما من أعطى) أى أعطى ماله فى الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته فى جميع الأشياء واتقى الله (وصدق بالحسنى) أى بالخصلة الحسنة وهى الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لإله إلا الله أو بالثبوتة الحسنى وهى الجنة وقيل يعنى الأجر والثواب على الإطلاق وقيل يعنى الخلف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أى نهىوه للطريقة اليسرى وهى فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى يهتوه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر (وأما من بخل واستغنى) أى بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه فى مقابلة أعطى كما أن استغنى فى مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى فى مقابلة صدق بالحسنى وتيسره للعسرى فى مقابلة تيسره لليسرى ، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة ، ونزلت آية المدح فى أبى بكر الصديق ، لأنه أنفق ماله فى مرضات الله ، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم ، وقيل نزلت فى أبى الدرداح وهذا ضعيف ، لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدرداح بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت فى أبى سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسرى وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) هذا نبي ، أو استفهام بمعنى الإنكار ، واختلف فى معنى تردى على أربعة أقوال : الأول تردى أى هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت ، أو تردى أى سقط فى القبر ، أو سقط فى جهنم ، أو تردى بألفه من الرده (إن علينا للهدى) أى يسان الخير والشر ، وليس المراد الارشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة (فأنذرتكم نارا تلظى) خطاب من الله أو من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل (لا يصلها إلا الأشقى) استدلال المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله الذى كذب وتولى ، وتأولها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلها صلى خلود إلا الأشقى ، والآخرة أنه أراد نارا مخصوصة الثالث . أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو أبو جهل وأمية

يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۚ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَعًا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۚ

سورة الضحى : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ

ابن خلف وقابل به الاتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا يخرج الإخبار على العموم (يتزكى) من أداء الزكاة أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد فى المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ما روى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما اعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يدمتقدمة فنى الله قولهم (الإلتغاء وجهه) استثناء منقطع (ولسوف يرضى) وعد بأن يرضيه الله فى الآخرة

سورة والضحى

(والضحى) ذكر فى الشمس وضحاها (والليل إذا سجي) فيه أربعة أقوال : إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أى استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أى ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب فى الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (ما ودعك ربك) بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة فى الترك (وما قلى) أى ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآى وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحى ، فقالت قريش إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية : تكذيبا لهم وقيل رى عليه الصلاة والسلام بحجر فى أصبعه فدميت فكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قدرته فنزلت الآية : (ولا الآخرة خير لك من الأولى) أى الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها ، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (ولسوف يعطيك ربك فترضى) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمسائل إذا لأرضى أن يبقى واحدا من أمتى فى النار قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن ، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر فى الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه فى الدنيا بفتح مسكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله فى الآخرة وكل ما أعطاه فى الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (ألم يجدك يتيما فآوى) عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقس عليه ما يستقبل فنطيط نفسه ويقوى رجاءه ووجد فى هذه المواضع تعدى إلى مفعولين وهى بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفى وتركه فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل ثمانية فكفله جده عبدالمطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما فكفله عمه أبو طالب ، وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبي صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

عَاثِلًا فَأَغْنِي ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سورة الشرح : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝

لمخلوق (ووجدك ضالاً فهدى) فيه ستة أقوال : أحدها : وجدك ضالاً عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوماً من ذلك قبل النبوة وبعدها . والثاني وجدك في قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول . والثالث وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها ، وهذا ضعيف ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة . الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود . الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضلّ في بعض شعب مكة وهو صغير فردّه الله إلى جده ، وقيل بل ضل من مرضعته حليلة فرده الله إليها ، وقيل بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب . السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك محباً لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم « تالله إنك لفي ضلالك القديم » أي محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (ووجدك عاثلاً فأغنى) العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجاً وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف ، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله ، وقيل المعنى وجدك فقيراً إليه فأغناك به (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها (وأما السائل فلا تنهر) النهر هو الاتهار والزجر والنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى « فقل لهم قولاً ميسوراً ، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر ، والسائل عن العلم والدين وفي قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم في جميع النعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التحدث بالنعم شكر ، ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطاني الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأمّا على وجه الفخر والرياء فلا يجوز ، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله ألم يجدك يتيماً بقوله فأما اليتيم فلا تقهر ، وقابل قوله ووجدك ضالاً بقوله ، وأما السائل فلا تنهر ، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر ، وقابل قوله ووجدك عاثلاً فأغنى بقوله وأما السائل فلا تنهر على القول الأظهر ، وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) هذا لصدرة توقيف معناه إثبات شرح صدره صلى الله عليه وسلم وتعيين ما ذكر

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ

سورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال : الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثاني أن الوزر هو أفعال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعادته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأت من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذي أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى : إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهم لهممهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابه تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كتنقيض ما يحمل عليه شىء ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى توهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والتشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك ؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسرا) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذابة الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسليية وتأييساً لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمرو ابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتسكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

سورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان : الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله هما لفضيلتهما

فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۖ

على سائر الثمار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تينا فقال لوقلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكله فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه وسلم نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي . القول الثاني أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإبلياء ينبت فيه الزيتون فكانه قال ومنابت التين والزيتون ، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقبل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى والبلد الذي بعث منه محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية نظير ما في التوراة أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهي مكة وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين (وطور سينين) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقيل معناه ذر الشجر واحدها سينه قاله الاخفش وقال الزمخشري ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهذا البلد الأمين) هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله اجعل هذا بلدا آمنا (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فيه قولان : أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه في الخلق وقوله وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقوله إلا الذين آمنوا بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول . والآخر أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين (غير ممنون) قد ذكر (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والدين شريعته والمعنى أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخرى ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أي شيء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء (أليس الله بأحكم الحاكمين) تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

سورة العلق : مكية وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ

سورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول ما نزل من القرآن حسبا ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب (اقرأ باسم ربك) فيه وجهان : أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتحا فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء (الذي خلق) حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقه الإنسان لما فيه من العجائب والعبير ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قاله الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ثم فسره بقوله (خلق الإنسان من علق) والعلق جمع علقه ، وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم ، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله ۝ فإنا خلقناكم من نطفة ثم من علقه ، لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقه وإنما خلق من طين (اقرأ وربك الأكرم) كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال والمقصود تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للبالغه (الذي علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة ، وخص من التعليقات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا ، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعاليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق ، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم (كلا إن الإنسان ليطغى) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة ، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله وبيالغ في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقاً أو استفتاحاً (أن رآه أستغنى) في موضع المفعول من أجله أي يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثاني (إن إلى ربك الرجعى) هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في المسجد الحرام فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة وروى أنه قال لئن رأيتك يصلي لأطأن عنقه فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوباً

إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَنَسْتَدْعِي وَاقْتَرَبَ ۝

ف قيل له ما هذا فقال لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار و هو ل و أجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني
لا تخطفته الملائكة عضو اعضاء (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت في الموضوع الذي قبله والذي بعده
بمعنى أخبرني فكانه سؤال يفترق إلى جواب وفيها معنى التعجب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي صلى
الله عليه وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين وهي تنعدي إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين وهما
قوله إن كان على الهدى وقوله إن كذب وتولى فيحتاج إلى الكلام في مفعولى أرأيت في المواضع الثلاثة
وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهي إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذب
وتولى على من تعود هذه الضمائر فقال الزمخشري إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت
الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة
لا تحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو في المعنى جواب
للشرطين معاً وأن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى الذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل
وكذلك الضمير في قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى
إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى
ونهى عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه ، وخالفه ابن عطية في الضمائر
فقال إن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذي صلى وأن الضمير في قوله إن كذب
وتولى للذي نهى عن الصلاة وخالفه أيضاً في جعله أرأيت الثانية مسكرة للتأكيد وقال إنها في المواضع
الثلاثة توقيف وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها ، ولكنه
جاء في آخر الكلام اختصاراً وخالفهما أيضاً الغزنوي في الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى
محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب ، والضمير
على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أوعد أبا جهل إن لم ينته
عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار ، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله وفيؤخذ بالنواصي
والأقدام ، والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكده لنسفعا
باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالآلف مراعاة للوقف ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم
بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القلب (ناصية كاذبة خاطئة) أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب
والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطيء في الحقيقة صاحبها والخاطيء الذي يفعل الذنب متعمدا والمخاطيء الذي
يفعله بغير قصد (فليدع ناديه) النادى والندى المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أتيتعدني
محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديا مني فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا
على ذلك ثم أوعدوه بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحد
زبنة وقيل زبني وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا

سورة القدر : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ
مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۝

(واسجد واقترب) أى تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا في الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود

سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال آخر فلك عشرة أقوال والقول الحادى عشر أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه . الثاني عشر أنها مخفية في رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها في العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية في العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذا القول باطل لأن الله تعالى قال إنا أنزلناه في ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان . القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف . القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صديحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أول ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير في أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تنظيم للقرآن من ثلاثة أوجه : أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته ، والثاني أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتداء إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم (وما أدراك ما ليلة القدر) هذا تعظيم لها قال بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه (ليلة القدر خير من ألف شهر) معناه أن من قامها كتب الله له أجر العباداة في ألف شهر قال بعضهم يعنى في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً ممن تقدم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمالهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العباداة في تلك المدة الطويلة

سورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

وروى أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى في المنام بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بنى أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتزلم هو إلى الأرض ، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم ليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها (من كل أمر) هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضى الله في ذلك العام فإنه روى أن الله يعلم الملائكة بكل ما يسكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمثلوا ذلك في العام كله ، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أى ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أى سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتداء قوله سلام هي واختلف في معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف في إعرابه فقيل سلام هي مبتدأ وخبر وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمرة تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهي مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر أى هي دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الأعراب وقال ابن عباس إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيتهم البينة وتقوم عليهم الحججة يعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال : أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيتهم البينة لتقوم عليهم الحججة . الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله . الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحججة الرابع وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقامت عليهم الحججة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذرا ولا حجة فنفسكين على هذا كقولك لا تبرح أو لاتزول حتى يكون كذا وكذا (رسول من الله) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمرة (بتلوا صحفا مطهرة) يعنى

بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
 الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
 أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۗ

القرآن في صحفه (فيها كتب قيمة) أى قيمة بالحق مستقيمة المعاني ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات (وما تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وإنما خص الذين أتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون في كتبهم من ذكره (وما أمروا) الآية : معناها : ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله فلائى شىء ينكرونه ويكفرون به (مخلصين له الدين) استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلى وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفى وهو الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشريكه، واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدها ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قرينة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالآكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام (حنفاء) جمع حنيف وقد ذكر (وذلك دين القيمة) تقديره الملة القيمة أو الجماعة القيمة وقد فسرنا القيمة ومعناه أن الذى أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلائى شىء لا يدخلون فيه (البرية) الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالاً عند العرب (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ، ورضاهم عنه في الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها ، أَرْضَا اللَّهُ عَنْهُمْ

سورة الزلزلة : مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝

لما ورد في الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أخطئ عليكم أبدا (ذلك لمن خشى ربه) أي لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الله رأس كل حكمة (سورة الزلزلة) (إذا زلزلت الأرض) أي حركة واهتزاز (زلزالها) مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور وقيل هي الكونوز وهذا ضعيف لأن إخراجها للكونوز وقت الدجال (وقال الإنسان ما لها) أي يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذي يرى حينئذ ما لا يظن (يومئذ تحدث أخبارها) هذه عبارة عما يحدث فيها من الأحوال فهو يجازو حديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هي جواب إذا زلزلت وتحدث هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمرة وتحدث عامل في يومئذ (بأن ربك أوحى لها) الباء سببية متعلقة بتحدث أي تحدث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها معنى إليها ، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) معنى أشتاتا مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شت وصدور الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقييل الورد هو الدفن في القبور والصدور هو القيام للبعث وقييل الورد القيام للحشر والصدور الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) الميثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلا أو كثيرا وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم يرتبها على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات ، وروى عن عائشة أنها تصدقت بحبة غنم فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة ، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بسنة شريطة: وهي أن تكون ذنوبهم كبارا وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق

سورة العاديات : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَدَيْتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَّيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ
إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له
(سورة العاديات) اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل
اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر أو إبل
المجاهدين مطلقاً أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها ، والضح هو تصويت
جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضحن ضبحاً أو هو مصدر في موضع الحال
تقديره العاديات في حال ضبحها ، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقح هو صك الحجارة فيخرج
منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قحاً كما عراب صبحاً والمغيرات من
قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحوا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن
يخرجوا في الصباح (فأثرن به نقعاً) هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه في تقدير التي تعدو والنقع الغبار
والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو المكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضاً ظرفية
أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل
أى حركن الغبار عند مشيهم (فوسطن به جمعا) معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف هل المراد به جمع من
الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للسكان أو للعدو أو للنقع (إن الإنسان لربه
لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفور والإنسان
جنس ، وقيل الكنود العاصي وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض (وإنه على ذلك
لشديد) الضمير للإنسان أى هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو الله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح
لأن الضمير الذي بعده الإنسان باتفاق فيجوز الكلام على نسق واحد (وإنه لحب الخير لشديد) الخير هنا
المال كقوله إن ترك خيراً والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد
البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر (إذا بعثر ما في القبور) أى بحث عند
ذلك عبارة عن البعث (وحصل ما في الصدور) أى جمع ما في الصحف وأظهر محصلاً أو ميز خيره من شره
(إن ربهم بهم يومئذ لخبير) الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة
وجهان : أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام
التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفاً ويكون الفاعل ضميراً يعود
على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطية
ويحتمل عندى أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميراً يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال

سورة القارعة : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قریش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ *

الإنسان إذا بعث ما في القبور ثم استأنف قوله إن ربهم بهم يومئذ خبير على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم
والعامل في إذا بعث على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف
وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والعامل في يومئذ خبير وإنما خص ذلك يوم القيامة
لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق

(سورة القارعة) (القارعة) من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بهولها وقيل هي النفخة في الصور لأنها تفرع
الاسماع (القارعة) مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك وما أدراك ما القارعة
(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تفرع في يوم
والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله
الخالق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط
الفراش في المصباح قال بعض العلماء الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون
ويذهبون على غير نظام ثم يدعواهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر
لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة ، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف (وتكون الجبال كالعهن
المنفوش) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف الأحمر وقيل الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة
به لأنها تنسف فتصير لينة ، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال
لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء (من ثقلت موازينه) هو جمع ميزان أو جمع موازن وميزان الأعمال يوم القيامة
له لسان وكفتان عند الجمهور ، وقال قوم هو عبارة عن العدل (في عيشة راضية) معناه ذات رضا عند
سيبويه : وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة لأن الإيمان يوزن
فيه (فأمة هابوية) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهونون فيها أي يسقطون وأمه
معناه مأواه كقولك المدينة أم فلان أي مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه . الثاني
أن الأم هي الوالدة ، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاك أمه ثمكلى إذا هلك : الثالث أن المعنى
أم رأسه هابوية في جهنم أي ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لرجل لآتم لك فقال يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول لي لآتم لك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إنما أردت لا نار لك قال الله تعالى فأمة هابوية وهذا يؤيد القول الأول (وما أدراك ما هي) الهاء
للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعل والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني
والثالث والمتصود تعظيمها ثم فسرها بقوله (نار حامية)

سورة التكاثر : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .

سورة العصر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَسِرٌ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا

(سورة التكاثر) (الهاكم التكاثر) هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى الهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالى مالى وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (حتى زرتهم المقابر) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناها حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها . الثاني أن معناها حتى ذكرتم الموتى الذين فى المقابر فعبير بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بأبائهم الموتى فالعنى الهاكم التكاثر حتى بلغتكم فيه إلى ذكر الموتى : الثالث أن معناها زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليظهر ذكره ويعظم قدره (كلا سوف تعلمون) زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول ، وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم ، أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ فى اشتغالكم بالدنيا ، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لآزدجرتم واستعددتهم الآخرة فينبغى الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذى لا يشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التى تتيقنونها بالمشاهدة (لترون الجحيم) هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره : لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها (ثم لترونها عين اليقين) هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشيء نفسه وذاته أى لترونها الرؤية التى هى نفس اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) هذا إخبار بالسؤال فى الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم فى كل ما يلىذ به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم فستول عنه إلا نعيم فى سبيل الله ، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذى تسألون عنه

(سورة العصر) (والعصر) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله : الثاني أنه العشى أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ * يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝
 كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفْتَدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
 مُّؤَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ۝ * وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أفسم ربكم بأخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان أفي خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فممنه من الخيرات ، وقيل معناه استعدته وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهمه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرها بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الآفئدة) أى تباعغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (فى عمد ممددة) العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفى المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تنقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمد فالجورور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوأبه وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ ۝

سورة قريش : مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصده مكة فلما وصل قريامنها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذل عبدالمطلب مائتي بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمعنه فبرك الفيل بذى الغميس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هروا وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد فينبأهم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره ووقع في سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فساتوا في الطريق متفرقين في المراحل وتقطع أبرهة أملة أملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا ألم تر والجملة معمول ألم تر (في تضائيل) أى إبطال وتخسير (أباييل) معناه جماعات شيئاً بعد شيء قال الزمخشري واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحده من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحصاة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوباً (سجّيل) قد ذكر (كعصف ما كول) العصف ورق الزرع وتبته والمراد أنهم صاروا رمياً وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثمرائته فجمع التلف والحسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن . الثاني أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود . الثالث أنه أراد كعصف ما كول زرعه وبقي هو لاشيء

(سورة قريش) (إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حتى من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريش إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أنفاذ ويوت نحو بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وغيرهم وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم والتقرش التكبس وكانوا تجارا، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلق، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للنجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام، وقيل كانرا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكنائهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفتة وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألفت الرجل الشيء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف وعلى الثاني أن الله ألفتهم الرحلتين واختلاف في تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم: الثاني أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش: الثالث أنه

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدينة الباقي : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحِضُ عَلَىٰ أَطْعَامِ
الْمَسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بمقابلته من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أو لا مطلقاً ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيماً للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر ۝ كلوا في بعض بطونكم تعفوا ۝ (فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاهم ونذ كبير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذي أطعمهم من جوع) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع ولكن الله أطعمهم مما يجب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله ۝ رب اجعل هذا بلدًا آمناً وقد فسرناه في موضعه أو يعني آمنهم في أسفارهم لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوماً قال لزمخشري : التنكير في جوع وخوف لشدتهما

(سورة الماعون) (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذي يدع اليتيم) أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد الذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هي جواب رأيت لأن معناها أخبرني فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا نزل في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكية ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي وذلك أن ذكرى أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ماجاء في السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي ، وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان ، وقيل مدينة ، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها وتأنيها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذي قال ۝ عن صلاتهم ساهون ، ولم يقل في صلاتهم (الذين هم يراؤون) هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَتَمُّ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفي الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثاني أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذي لا يحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد في بعض الطرق الإبرة والخيزرة (سورة الكوثر) (إننا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والكوثر بئاء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال : الأول حوض النبي صلى الله عليه وسلم : الثاني أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتندرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آينته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثاني أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلى ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون الأصنام فقال الله لبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أى لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاختصاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة (إن شئت لك هو الأبر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل ، وقيل في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمداً أبتى أى لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم (سورة الكافرون) سبب هذه السورة أن قوماً من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا وتبع دينك أعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئاً ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لا أعبد ما تعبدون) هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشري وهو أن قوله لا أعبد ما تعبدون يريد في الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ ۖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝

سورة النصر

نزلت بمبى في حجة الوداع فتعد مدنية وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ

ولأنا عابد ما عبدتم يريد به فيما يضى أى ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن
الثانى قاله ابن عطية وهو أن قوله لأعبد ما تعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولأنا
عابد ما عبدتم أى أبدأ ما عشت لأن لا التافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال بقوله لأعبد
لا يحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لأعبد ما تعبدون يراد به فى المستقبل على حسب ما تقتضيه
لأن الاستقبال ويكون قوله ولأنا عابد ما عبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته للأصنام فى الحال
والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولأنا عابد ما عبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشري ومن معنى
الاستقبال فان قولك ما يزيد بقاؤم بنى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولأنتم عابدون ما عبد) هذا إخبار أن هؤلاء
الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين
ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل
والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبي بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ما عبد
بمادون من التى هى موضوع لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لأعبد ما تعبدون فإن هذا
واقع على الأصنام التى لا تعقل ثم جعل ما عبد على طريقته لتناسب اللفظ . الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لأعبد
الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري . الثالث أن ما مصدرية والتقدير لأعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى
وهذا ضعيف ، فإن قيل لم كثر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أتم عابدون ما عبد مرة أخرى ؟
فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشري وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله
ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدأ (لكم دينكم ولي
دين) أى لكم شرككم ولي توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

(سورة النصر) سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا
إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال
لابن عباس بمحضرهم يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذ رأى
النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ما علمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثرون يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني
أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ما أراه إلا حضور أجلي وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمبى
أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ونحوها وقال ابن مسعود هذه
السورة تسمى سورة التوديع (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرها من البلاد التى
فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا هـ

سورة المسد : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هـ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ هـ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ هـ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ هـ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ هـ

اليمين والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في فتح مكة عشرة آلاف وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسييح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم ، فإن قيل لم أمره الله بالتسييح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسييح والحمد ليكون شكري أعلى النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاد الآخرة وعدة للقاء الله (سورة أبي لهب) سببها أنه لما نزل قوله تعالى « وأندر عشرتك الأقربين » صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إن نذير لكم بين يدي عذاب شديد ثم أذركم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبأ لك لهذا جمعنا فنزلت السورة (تبت يدا أبي لهب) معنى تبت خسرت والتاب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا : الثاني أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وعممة معاوية وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتؤذبه. الثاني أن ذلك عبارة عن مشيها بالنخلة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالنعام . الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به : الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (في جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفي المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار الخساسة حالها . والآخر أنه حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل . الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لأنفقها على عداوة محمد فأخبر عن قلاذتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والدم لها يتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحالة الخطب خبره ، أو يكون حالة الخطب نعت والخبر في جديها جبل من مسد أو يكون امرأته معطوف على الضمير في يصلي وحالة الخطب نعت أو خبر ابتداء مضمرة (سورة الإخلاص) سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك في الثواب أى لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصاص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهى ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفي رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لآى شيء بصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبها وفي رواية خرجها الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهى المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما جاءني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما وضعه قوله ولم يكن له كفواً أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله واحد وواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى . الأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد . والثاني أنه واحد لا نظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أى لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد ، قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جداً وأوضحها أربعة براهين : الأول قوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق ، لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكاً له ، والثاني قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، والثالث قوله « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا

إلى ذى العرش سيلا ، والرابع قوله « وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولملا بعضهم على بعض ، وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله « وإلهكم إله واحد ، (الله الصمد) في معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أى يلجأ إليه ، والآخر أنه الذى لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله « وهو يطعم ولا يطعم ، والثالث أنه الذى لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أى تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه فى القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله فى مريم « وقالوا اتخذ الله ولدا ، ثم أعقبه بقوله « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا ، وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ، وقوله « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض ، وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد ، فيكون برهانا على نفي الولد ، قال الزنجشري : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مضمود إليه فى الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى فى قولهم « عيسى ابن الله ، واليهود فى قولهم « عزيز ابن الله ، والعرب فى قولهم « الملائكة بنات الله ، وقد أقام الله البراهين فى القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ، الثانى : أن الوالد إنما يتخذ ولدا للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولدا وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى ، الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافى النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا ، الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انبأ لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذى لا افتتاح لوجوده القديم الذى كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولودا تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفؤا أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزنجشري يجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز فى كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حال لكونه كان صفة للذكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذى يجر هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد ، يقتضى نفي الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله فى عموم ما تقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسوله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتناء به الرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيذا لإقامة الحججة عليهم

(سورة الفلق) (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاصلة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فائق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفضاء الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعادنا الله منها وما هنا وصوله أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج الزمخشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهبج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذر إذا قام حكي النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكي ذلك السهبلي (ومن شر النفاثات في العقده) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكي ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن أئتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وقتنهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

سورة الناس : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

النفائات بالالف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفائات ليفيد العموم لأن كل نفائة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خاق مذموم طبعاً وشرعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض أما في السماء الحسد لا يبس لادم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هايل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يسكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته في هارجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضررات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمده فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة والله در القائل وإني لأرحم حسادى لفرط ما ضممت صدورهم من الأوغار ۝ نظروا صنع الله في فعبيونهم ۝ في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر : إن يحسدوني فإني غير لأئهم قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم ما بى وما بىهم ومات أكثرنا غيظاً بما يحسد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الخذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخسة على عينك ، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيدها إذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد وهضرتة إنما تقع إذا أضى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يضر حسد ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمنخرجه من الحسد أن لا يبقى ونخرجه من الظن أن لا يحقق ونخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلاى شىء ذكر ما بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجرد بدلالة اعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له (سورة الناس) (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التوذيذ والمقصودون هنادون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم ملك ثم إله ؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

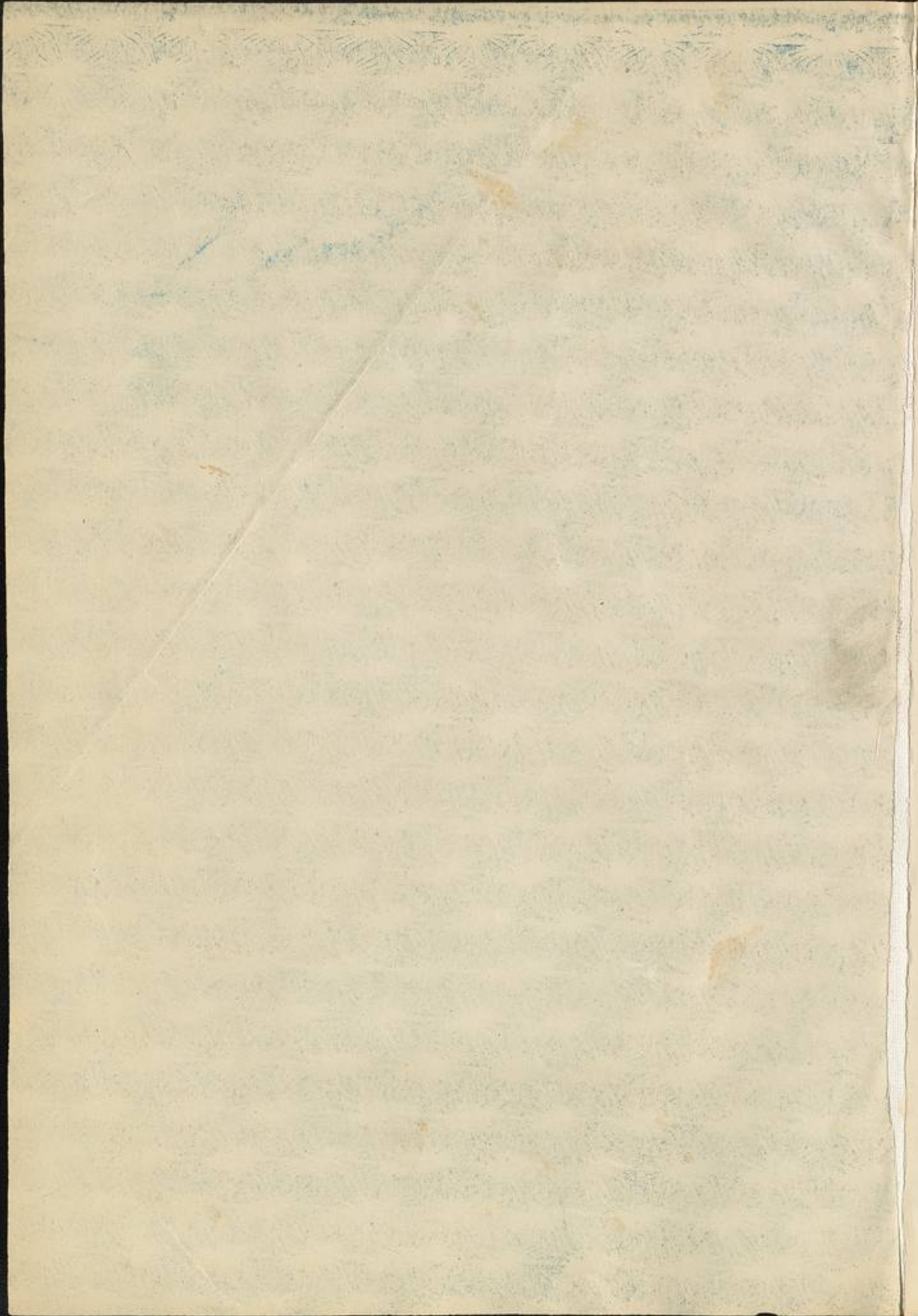
الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

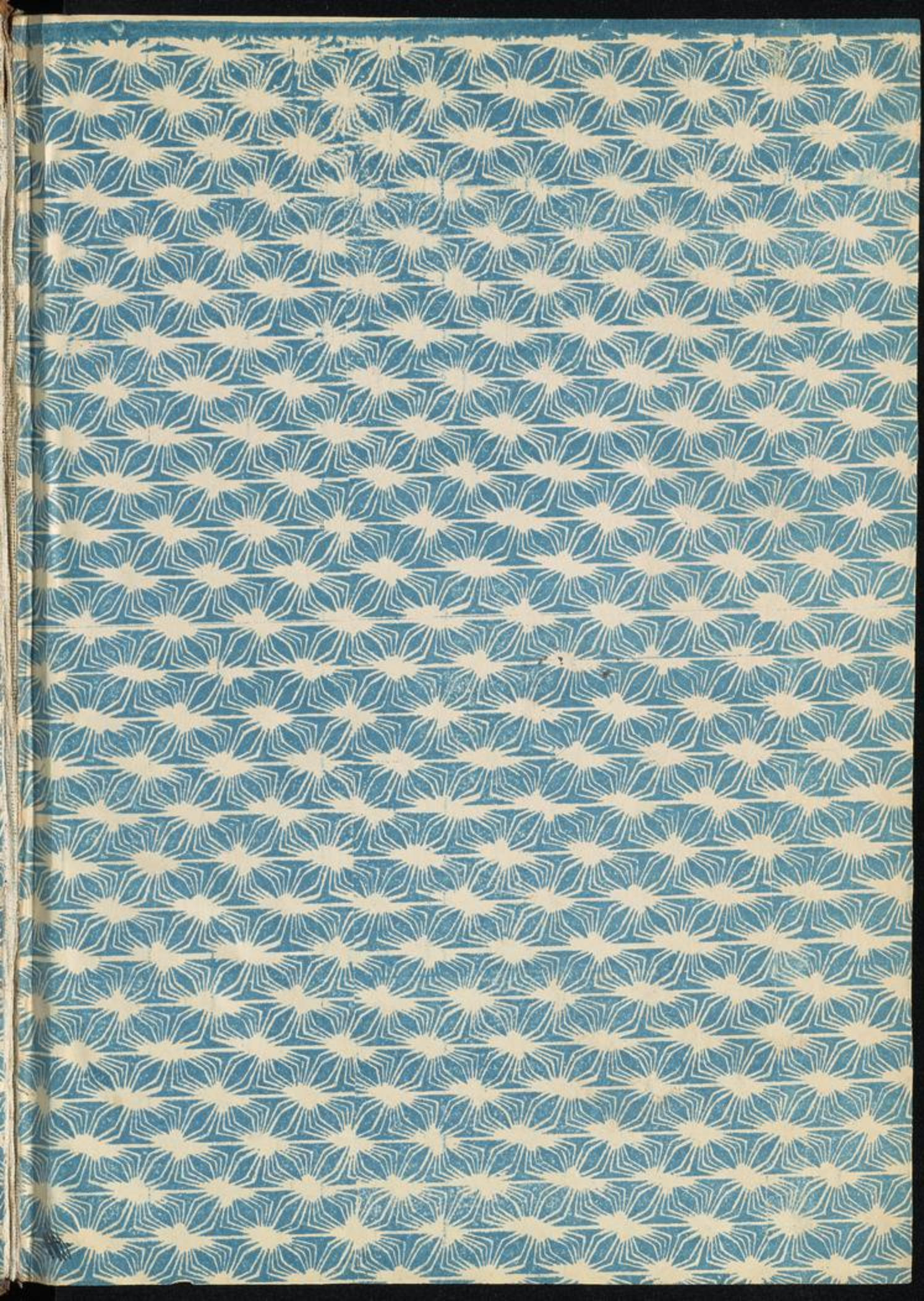
أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر لا أرى الموت يسبق لموت شيء ۝ يغص الموت ذالغنى والفقير (الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعتدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذى الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكفر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة من الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك (الذى يوسوس في صدور الناس) وسوسة الشيطان في صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك تبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الاعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنما غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذان بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الإنس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فأنها أمارة بالسوء والاول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا من يوسوس والاول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الاول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفى الحسد من الاستعاذة بالله . الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلها ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لأرب غيره

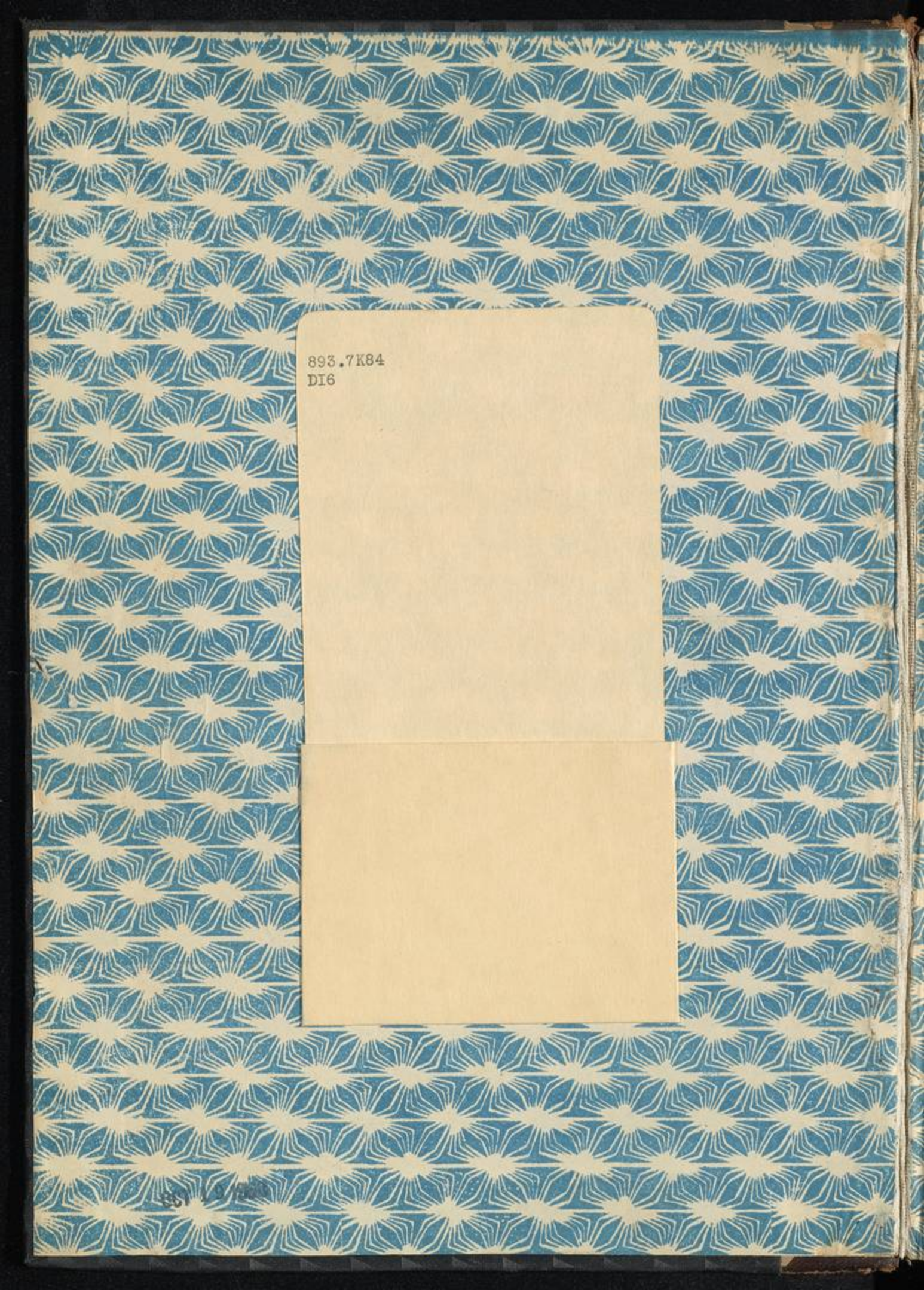
فهرس الجزء الرابع من كتاب التسهيل

صفحة	صفحة	صفحة
سورة البلد ١٩٩	سورة الطلاق ١٢٥	سورة غافر ٢
الشمس ٢٠١	التحریم ١٣٠	فضات ١٠
الليل ٢٠٣	الملك ١٣٣	الشورى ١٧
الضحى ٢٠٤	القلم ١٣٧	الزخرف ٢٥
ألم نشرح ٢٠٥	الحاقة ١٤١	الدخان ٣٤
التين ٢٠٦	المعارج ١٤٥	الجاثية ٣٧
العلق ٢٠٨	نوح عليه السلام ١٤٩	الأحقاف ٤١
القدر ٢١٠	الجن ١٥٢	محمد عليه السلام ٤٦
البينة ٢١١	المزمل ١٥٦	الفتح ٥١
الزلزلة ٢١٣	المدثر ١٥٩	الحجرات ٥٧
العاديات ٢١٤	القيامة ١٦٣	ق ٦٢
القارعة ٢١٥	الإنسان ١٦٦	الذاريات ٦٧
التكاثر ٢١٦	المرسلات ١٧٠	الطور ٧١
والعصر ٢١٦	النبا ١٧٢	النجم ٧٥
الهمزة ٢١٧	النازعات ١٧٥	القمر ٧٩
الفيل ٢١٧	عبس ١٧٨	الرحمن ٨٣
قريش ٢١٨	التكوير ١٨٠	الواقعة ٨٧
الماعون ٢١٩	الانفطار ١٨٢	الحديد ٩٥
الكوثر ٢٢٠	المطففين ١٨٣	المجادلة ١٠١
الكافرون ٢٢٠	الانشقاق ١٨٦	الحشر ١٠٦
الصر ٢٢١	البروج ١٨٨	المتحنة ١١٢
المسد ٢٢٢	الطارق ١٩١	الصف ١١٧
الإخلاص ٢٢٣	الأعلى جلّ جلاله ١٩٣	الجمعة ١١٨
الفلق ٢٢٥	الغاشية ١٩٥	المنافقون ١٢١
الناس ٢٢٦	الفجر ١٩٦	التغابن ١٢٣

(تم الفهرس)







893.7K84
DI6

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58886443

893.7K84 D16

Kitab al-Tashil li-lu